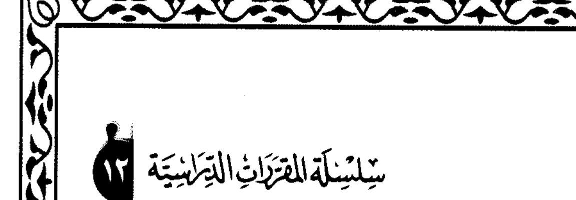


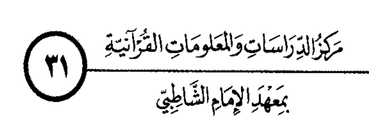


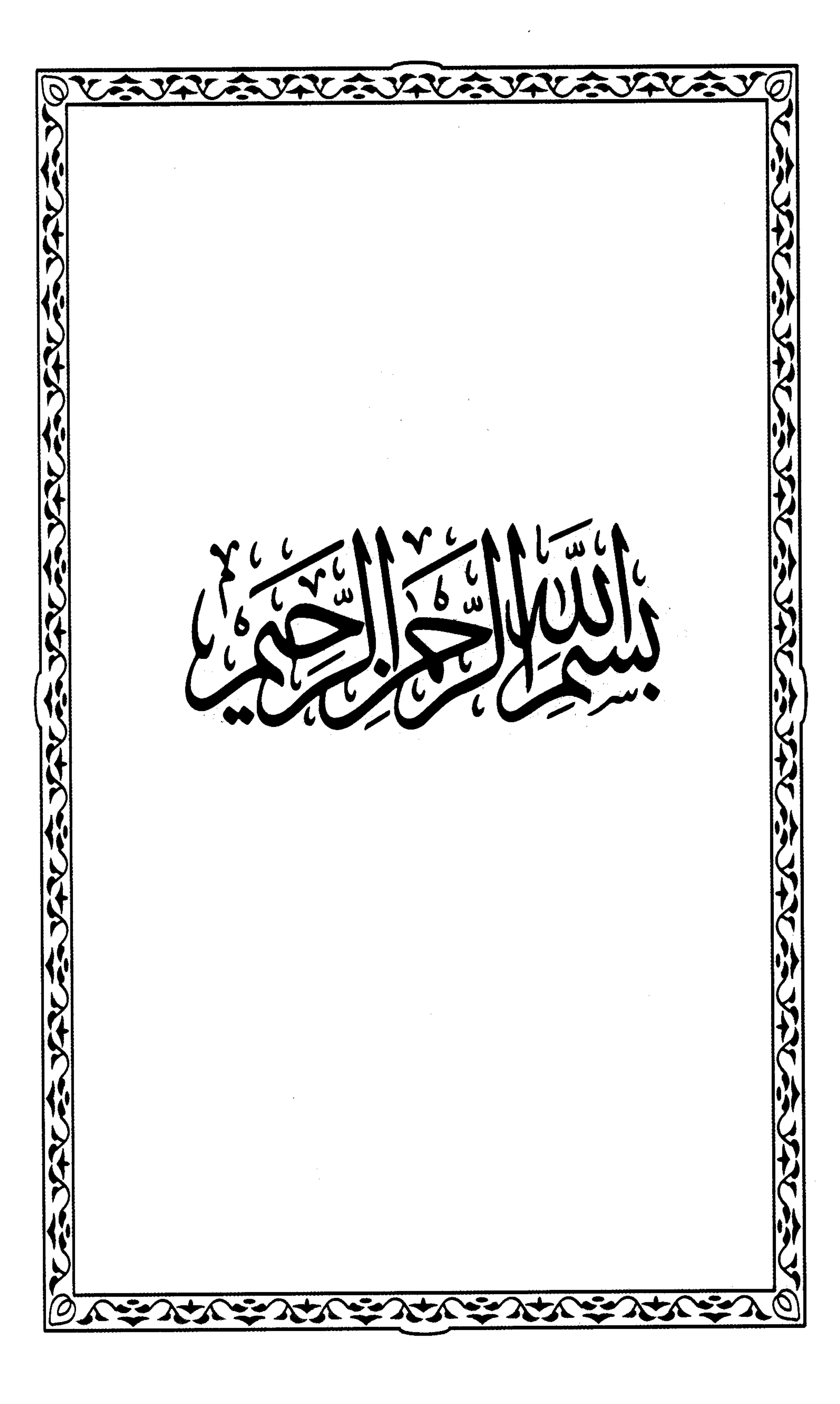
الميسر
في علوم القرآن

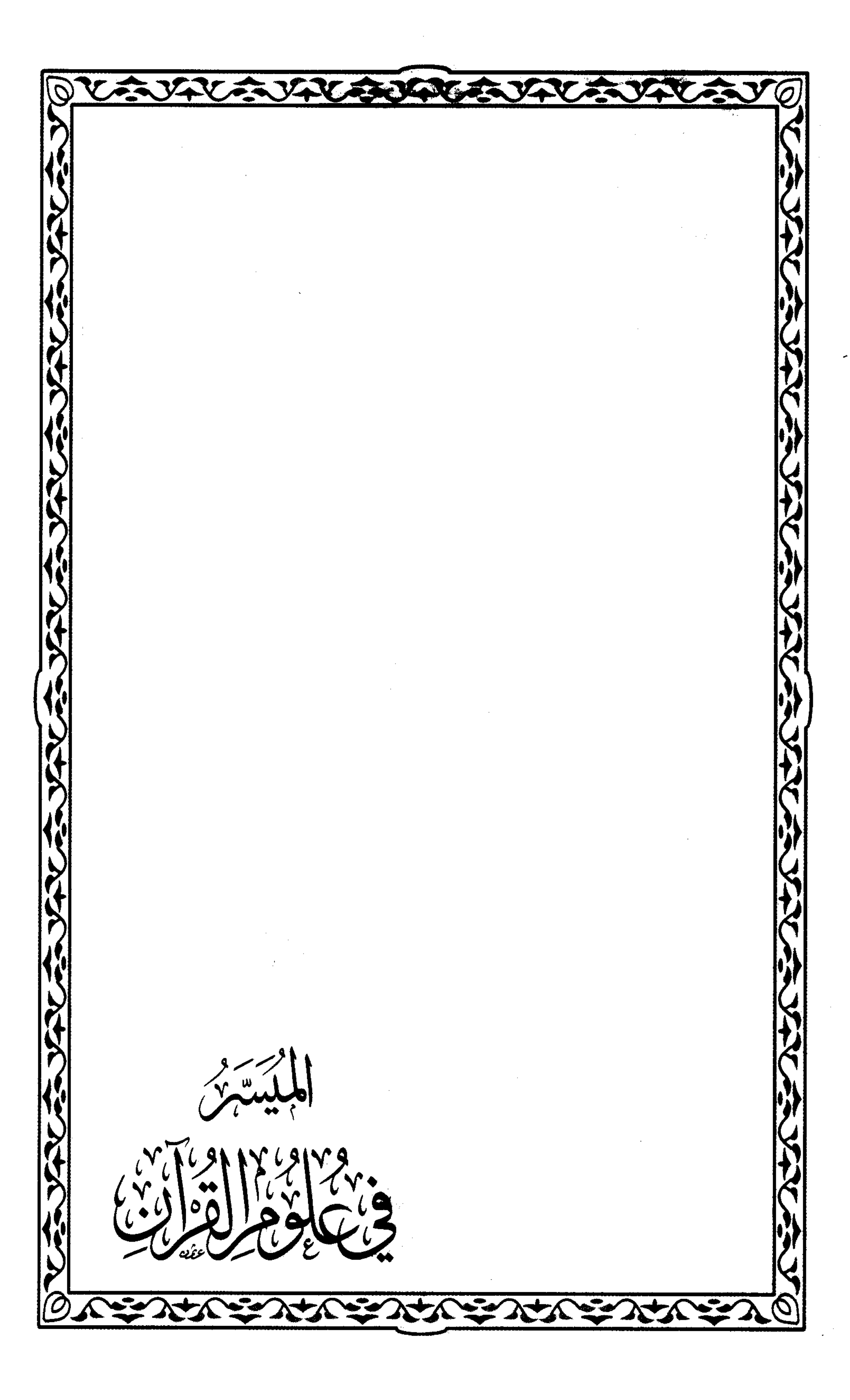
إعداد
مركز الدراسات والمعلومات القرآنية
بمعهد الإمام الشاطبي

راجعه
أ. د. غانم قدوري الحمد   أ. د. مساعد بن سليمان الطيار






بسم الله الرحمن الرحيم


الميسر
في علوم القرآن



فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

مركز الدراسات والمعلومات القرآنية – معهد الإمام الشاطبي

الميسر في علوم القرآن. /مركز الدراسات والمعلومات القرآنية – ط١:

معهد الإمام الشاطبي. - جدة، ١٤٤١هـ

٣٢٠ص ؛ ١٧×٢٤ سم

ردمك: ٧-١١-٨٢٨٤-٦٠٣-٩٧٨

١- علوم القرآن – كتب دراسية أ. العنوان

ديوي ٢٢٠,٧١٢ ١٤٤١/٢١٥٩

رقم الإيداع: ١٤٤١/٢١٥٩

ردمك: ٧-١١-٨٢٨٤-٦٠٣-٩٧٨

الطَّبْعَة الأولى

١٤٤١هـ - ٢٠٢٠م

إِصْدَارٌ مُحَكَّمٌ عِلْمِيًّا

مَركزُ الدِّرَاسَاتِ وَالمعلومَاتِ القُرآنِيَّةِ

بِمَعْهَدِ الإِمَامِ الشَّاطِبِيّ

بإشراف جمعية تحفيظ القرآن الكريم بجدة (خيركم)

هاتف: ٠٠٩٦٦١٢٦٧٦٠٢٠٢ – تحويلة: ١١٠ فاكس: ٠٠٩٦٦١٢٦٧٦٠٥٠٥

الموقع الإلكتروني: www.shatiby.edu.sa

البريد الإلكتروني: Drasat1@gmail.com

العنوان الوطني (بريد واصل):

معهد الإمام الشاطبي

٥٢٠٦ غ م – حي الرحاب

جدة ٢٣٣٤٣ - ٦٩٩٠

المملكة العربية السعودية



المقدمة

الحمد لله ربِّ العالمين، والصَّلاة والسلام على أشْرف الأنبياء والمرْسلين، نبيِّنا محمّد وعلى آله وصحْبه أجمعين، أمَّا بَعْد:

فهذا مقرَّرٌ دِراسيّ ميَسَّر في مباحث علوم القرآن أُعدَّ للمبتَدئين من طُلّاب العِلْم، الغرَضُ منه أن يتميَّز عن غيره من جَوانِب عِدَّة، أهمّها:

١- عَرْض أكبر قدرٍ من مهمَّات علوم القرآن التي يحتاج طالب العِلْم المبتَدئ إلى معرفة إلماحَةٍ عنها[1]، بحيث يكون شاملًا لمفرَدات هذا العلم المقرَّرة في المعاهد والكليَّات، خصوصًا علوم القرآن التي صارت مستقِلَّةً لها تصانيفها العديدة، وتطبيقاتها الشَّاملة لجميع سُوَر القرآن.

٢- تضْمين الكتاب مفرَدات مادة علوم القرآن المعتمَدة من الهيْئة الوطنيَّة للتقويم والاعتماد الأكاديمي بوزارة التَّعليم بالمملكة العربية السعودية.

٣- تصنيف مباحث علوم القرآن تصنيفًا موضوعيًّا، بردِّها إلى موْضوعات كبرى، هي موْضوعات فصول الكتاب، ثم ترتيبها ترتيبًا زمنيًا متسَلْسِلًا؛ من نزول القرآن إلى علوم لُغته؛ مرورًا بجمعه وخصائصه وحقوقه وقراءاته وتفسيره.

٤- تصْدير كلّ فَصْلٍ بأهدافه العلميَّة والتربويَّة، ومَدْخل يوَضِّح مضْمونَه وعلاقَته التَّسَلْسُليَّة بموْضوع الكتاب، ومناسَبته للمَوْضع الذي وَرَد فيه.

٥- ذِكْر المبادئ التَّأصيليَّة لكُلِّ نَوْع من علوم القرآن من حَيْث: تَعريفه، وأهمِّيَّته وفائدته، ونَشْأته، وأهَمّ مصنَّفاته، وأَبْرَز مسائله ومَوْضُوعاته، مع نماذج وأمْثِلةٍ توضيحيَّة للمَقْصود.

٦- ذِكْر أبرز مسائل الفنِّ الواحِد في الْمَتْن محرَّرةً بإيجاز، مع تجنُّب المناقشات والاستِطرادات، إلا ما احتاج إلى تَوْضيحٍ أكثر فيُوضَع في الحاشية.

٧- الاقْتِصار على القول الصَّحيح والرَّاجح في المسائل الخلافية، ويُشار في الحاشِية إلى الخِلاف إن كان مُعْتبرًا، وقد يُذْكَر في المتْن إن كان قويًّا مع المناقَشة والتَّرجيح باخْتِصار.

٨- العَزْو إلى المصادِر الأصِيلة من أمَّات كُتُب علوم القُرآن الجامعة والمفردة، مع

---

(١) عَرَض الكتابُ أكثر من ٤٠ نَوْعًا من علوم القرآن.

الإفادة من الكُتُب المعاصرة المحرَّرة لا سيّما ما أُفرد كدِراسةٍ تأصيليَّةٍ لأحَد علوم القرآن.

٩- إيراد الأحاديث والآثار الصَّحيحة مع تخريجها بإيجاز، وتجنُّب ذِكْر الآثار الضَّعيفة إلا عند الحاجة مع بيان دَرَجتها.

١٠- الحِرْص على أن تكون لغَة الكتاب واضحَة المعنى، سَهْلة المأْخَذ، وأن تخْرُج أفكاره مترابِطةً متَسَلْسِلةً، في إطارٍ عِلميٍّ مُيَسَّر.

١١- التَّركيز على الأسلوب العِلْمي في العَرْض إضافة إلى تَفْقير المسائل وذِكْر الأمْثلة، مع تجنُّب الأسلوب الأدَبي والاستِطراد في المسائل والمناقشات، حتى لا يخرج عن كَوْنه كتابًا دراسيًّا.

١٢- تعزيز مباحث الكِتاب بخرائِط ذِهْنيَة ورسوم بيانيَّة تجمع شَتَات المسائل، وتقرِّبها للأفْهام.

١٣- تذْييل كلّ فَصْل بخُلاصة تَضَع أمام الدَّارس أهَمَّ ما وَرَد فيه، وأسئلةٍ نظريَّةٍ تساعده في تَثْبيت الحقائق في ذِهنه، وأضَفْنا إليها أسْئِلة إثْرائية تُنَمِّي مَهارة البحْث لدى المتعلِّم في موْضوعات علوم القرآن، بالقَدْر الذي يَسْمح به حَجْم الكِتاب.

أهداف المقرَّر:

يهدف مقرَّر «الميسر في علوم القرآن» إلى أن يكون الطَّالب قادرًا على أن:

١- يبيِّن مبادئ علوم القرآن المذْكورة.

٢- يفرِّق بين أنْواع علوم القرآن.

٣- يبيِّن علاقَة كلّ عِلمٍ من علوم القرآن بِغَيْره من علوم القرآن.

٤- يذْكُر تاريخ علوم القرآن.

٥- يبيِّن موْضوع كلّ علمٍ مِن علوم القرآن.

٦- يبيِّن مسائل كلّ علمٍ مِن علوم القرآن.

٧- يذْكَر أهم المصنّفات في أنْواع علوم القرآن.

٨- يقدِّر جهود أهْل العِلم في خِدْمة القرآن.

محتَوَى الكِتاب:

يتكوَّن الكتاب من تَمْهيد وستَّة فصول كما يلي:

التَّمهيد: مَدْخَلٌ إلى علوم القرآن

أولًا: مفهوم علوم القرآن.

ثانيًا: موْضوع علم «علوم القرآن»، وغاية معرفته.

ثالثًا: نَشْأة علوم القرآن.

رابعًا: الفَرْق بين علوم القرآن وأصُول التَّفسير.

الفَصْل الأوَّل: علوم نُزول القُرآن

أولاً: الوَحْي.

ثانيًا: كيْفيَّة نزُول القرآن.

ثالثًا: أوَّل ما نزل من القرآن وآخِره.

رابعًا: المَكِّيّ والمدَنيّ.

خامسًا: أسْباب النُّزول.

الفَصْل الثَّاني: علوم جَمْع القرآن

أولاً: جَمْع القرآن وتدْوينه.

ثانيًا: ترتيب سُوَر القرآن وآياته.

ثالثًا: عَدَد سُوَر القرآن وآياته وتَجْزِئته.

رابعًا: رَسْم المصحَف.

خامسًا: ضَبْط المصحَف.

الفَصْل الثَّالث: علوم خَصائص القرآن وحُقُوقه

أولًا: أسْماء القرآن وأسْماء سُوَره.

ثانيًا: فضائِل القرآن.

ثالثًا: إعْجاز القرآن.

رابعًا: تَدَبُّر القرآن.

خامسًا: الانْتِصَار للقرآن.

الفَصْل الرَّابع: علوم قِراءَة القُرآن

أولًا: الأحرُف السَّبعة.

ثانيًا: عِلْم القِراءات.

ثالثًا: عِلْم التَّجويد.

رابعًا: عِلْم الوَقْف والابْتِداء.

خامِسًا: آداب قراءة القرآن.

الفَصْل الخامس: علوم تفسير القرآن

أوَّلًا: عِلْم التَّفسير.

ثانيًا: عِلْم أصُول التَّفسير.

ثالثًا: عِلْم مناهج المُفسِّرين.

رابعًا: عِلْم أحْكام القرآن.

خامسًا: عِلْم النَّاسخ والمنْسوخ في القرآن.

سادسًا: عِلْم مُتَشابه القرآن.

سابعًا: عِلْم مُشْكل القرآن.

ثامنًا: عِلْم مُبْهمات القرآن.

تاسعًا: عِلْم المناسَبات في القرآن.

عاشرًا: تَرْجمة القرآن.

الفصل السادس: علوم لُغة القرآن وأساليبه

أولا: عِلْم غَريب القرآن.

ثانيا: عِلْم الوُجوه والنَّظائر.

ثالثا: عِلْم الْمُعَرَّب في القرآن.

رابعا: عِلْم إعْراب القرآن.

خامسا: عِلْم بَلاغة القرآن.

سادسًا: دلالات ألْفاظ القرآن.

سابعًا: عِلْم أقْسام القرآن.

ثامنًا: عِلْم أمْثال القرآن.

تاسعًا: عِلْم قَصَص القرآن.

عاشرًا: عِلْم الجَدَل في القرآن.

وبعد، فإن بلوغ الكمال غاية لا تُدرك، ولا يخلو عمل البشر من النقص المستدرَك، ومن ثَمّ نأمل ممن يعثر على خلل أن يوجِّهنا لتصحيحه، أو يجد قصورًا أن ينبِّهنا لإتمامه، ويراسلنا على البريد drasat1@gmail.com.

وختامًا نسأل الله أن يكتب لهذا الكتاب القبول، ويعمَّ به النفع،

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.




التَّمْهيد
مَدخلٌ إلى عُلوم القُرآن

أولًا: مفْهُوم علوم القُرآن

ثانيًا: موضوع عِلْم «علوم القُرآن» ، وغايَة معْرفته

ثالثًا: نَشْأة علوم القُرآن

رابعًا: الفَرْق بين علوم القُرآن وأصُول التَّفسير

أهداف التَّمهيد

يُتَوقَّع من الدارس في نهاية دراسته لهذا التمهيد أن يكون قادرًا على أن:

١- يُعرِّف "علوم القرآن" باعتباره علمًا مدوَّنًا.

٢- يذكر تاريخ علوم القرآن من النشأة إلى التمام.

٣- يُفرِّق بين علوم القرآن وأصول التفسير.



أولاً: مفهوم علوم القرآن:

١- معنى (علوم)[١]: العلوم جمع (علم)، وهو **لُغةً**: إدراك الشَّيء على حقيقته، **واصطلاحًا**: مجموع مسائل وأصول كُلِّية تجمعها جِهةٌ واحدة.

٢- معنى (القرآن): لُغةً: مصدَر للفعل «قرأ»، بمعنى «تلا»[٢]، سُمِّي به المقروء تسمية للمفعول بالمصدَر[٣]، ثم غلَب اسمًا على كلام الله تعالى المكتوب في المصحَف[٤].

واصطِلاحًا: كلام الله تعالى، المنزَّل على نبيِّه محمد ﷺ، المتعبَّد بتلاوته[٥].

شرح التَّعريف وبيان محترزاته:

كلام الله: عمومٌ يشمل جميع كلامه سبحانه، فيدخل فيه كلامه للملائكة، ولغيرهم، ومعتقَد أهل السنَّة والجماعة أن الله تكلَّم بالقرآن حقيقةً[٦].

المنَزَّل: خرج ما لم يُنَزَّل من كلامه، مثل كلامه لأهل السماء.

على نبيِّه محمّد ﷺ: خَرَج ما نزل على الأنبياء قبل نبيِّنا محمد ﷺ، كالتَّوراة والإنجيل والزَّبور.

المتعبَّد بتلاوته: أي المأمور بقراءته في الصَّلاة وغيرها على وجْه العبادة، خرج ما نُسِخت تلاوته، والأحاديث القُدسيّة[٧]، وغيرها من الكلام المنزَّل على محمَّد ﷺ مما لا يصحّ تلاوته في الصّلاة.

٣- المراد بـ«علوم القرآن»: بَعْد بيان شِقَّي «علوم القرآن» يمكنُنا تَعْريفه باعْتِباره عِلْمًا بأنَّه: **العِلْم الَّذِي يتَناوَل القرآنَ الكَرِيم من حيْث نُزوله، وجَمْعه، وخَصائِصه،**

---

(١) ينظر: المعجم الوسيط (٢/ ٦٢٤).

(٢) كما في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [النحل: ٩٨].

(٣) ينظر: الإتقان في علوم القرآن (١/٨٧).

(٤) ينظر: المحرر في علوم القرآن (ص٢٠-٢٢).

(٥) ينظر: النبأ العظيم (ص٤٣)، مباحث في علوم القرآن، لمناع القطان (ص٢١).

(٦) ينظر: متن العقيدة الطحاوية (ص٤٠).

(٧) الحديث القُدْسي: هو ما يُضِيفه الرَّسول ﷺ إلى ربه ﷻ. وهو وحيٌ من عند الله بالمعنى دون اللَّفظ، بينما القرآن الكريم وحيٌ من عند الله تعالى بلفظه ومعناه. ينظر: مباحث في علوم القرآن (ص٢٥).

وحقُوقه، وقِراءته، وتفسيره، على جِهة التَّأصِيل.

شرح التَّعريف وبيان مُحْتَرزاتِه:

- العِلْم الذي يتَناوَل القرآن الكريم: سيأتي في نشأة علوم القرآن أن علوم القرآن جُمِعت في مؤلَّفات شاملة؛ صنَّفتها وبيَّنت مبادئها تحت مسمَّى «علوم القرآن»، فصارت بذلك عِلْمًا قائما بذاته، وفنًّا مُدوَّنًا له لقبه وتصانيفه الخاصَّة.

- من حيث نزوله، وجَمعه، وخصائصه، وحقوقه، وقراءته، وتفسيره، وهذه ستّة أقْسام كُبْرى لعلوم القرآن، وتوضيحها كالتالي:

الأول: علوم القرآن المتعلِّقة بنزوله: كالوَحي، وكيفيَّة النزول، وأوَّل ما نزل وآخر ما نزل، والمكِّيّ والمدَنيِّ، وأسباب النزول.

الثاني: علوم القرآن المتعلِّقة بجمعه وتدوينه: كجَمْع المصحَف، وترتيبه، وعدِّ آيِه، ورسْمه، وضبْطه.

الثالث: علوم القرآن المتعلِّقة بخصائصه: كأسْماء القرآن، وفضائله، وإعْجازه.

الرابع: علوم القرآن المتعلِّقة بحقوقه: كقراءته، ومعرفة تفسيره، وتدبِّره، والانْتِصار له، ونظرًا لأهميّة علوم قراءة القرآن والتَّفسير وكَثْرة مباحثها أفْردنا كل منهما كقسمٍ مستَقِل.

الخامس: علوم القرآن المتَعلِّقة بقراءته (علوم التِّلاوة)، كالأحْرُف السَّبعة، وعلم القراءات، والتَّجويد، والوقف والابتداء، وآداب التِّلاوة.

السادس: علوم القرآن المتعلِّقة بتفسيره وبيان معانيه، وهي أكثر أنواع علوم القرآن، وهي قِسْمان:

- الأنواع المتعلِّقة بتفسير القرآن وبيان تراكيبه (علوم التَّفسير)، كأصول التفسير، ومناهج المفسِّرين، وأحكام القرآن، وناسخه ومنسوخه، ومتشابهه، ومُشْكله، ومُبهماته، ومناسباته، وتَرجَمته[1].

- الأنواع المتعلِّقة بلُغة القرآن وبيان مفرداته وأساليبه، كغَريب القرآن، والوُجوه

---

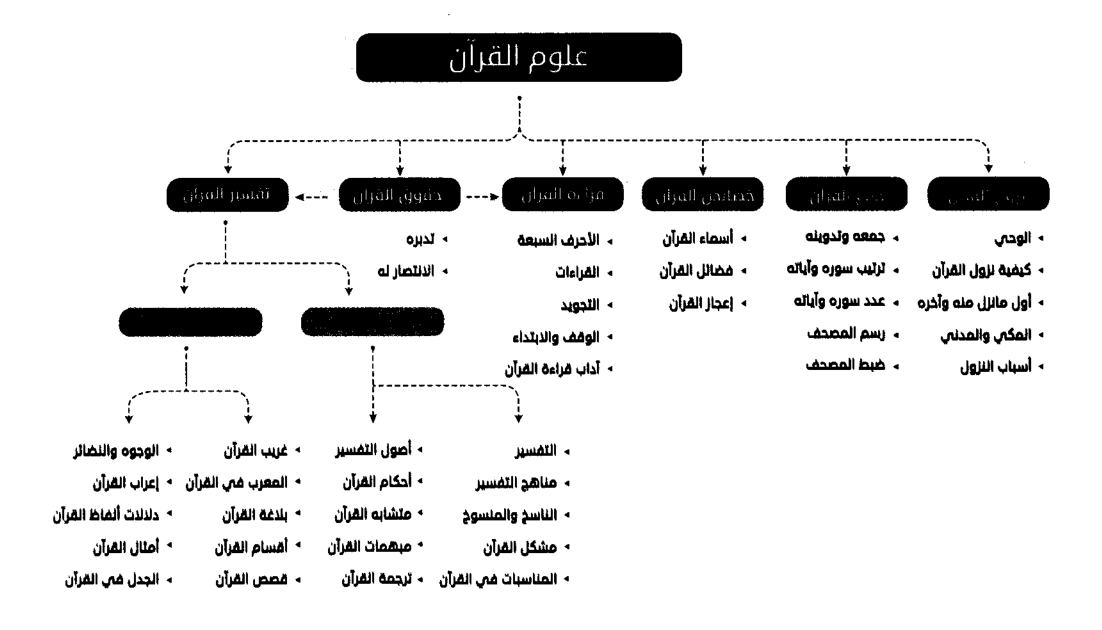
(١) ويُنبَّه إلى أن بعض هذه الأنواع تتعلق بأكثر من قسم، كأسباب النزول الذي هو من علوم نزول القرآن وكذلك من علوم تفسيره، ورسم المصحف الذي هو من علوم جمع القرآن وكذلك يتعلق بعلوم تلاوته.

والنَّظائر فيه، وإعرابه، وبلاغته، ودلالات ألفاظه، وأقسامه، وأمثاله، وقصصه، وجدَله.

ومن خلال هذه الأنواع سيتمّ الحديث عن علوم القرآن في فصول هذا الكتاب الستَّة.

على جِهة التَّأصيل: بمعنى أن منْهج بيان أيِّ نوعٍ من هذه الأنواع هو التَّأصيل والتَّمثيل بذِكر مبادئه من بيان مفهومه وموْضوعه وأهميَّته ونشأته ومسائله على وَجْه الإجْمال والإشارة، وأبرز ما صُنِّف فيه وما إلى ذلك، دون الخَوْض في التَّفاصيل والجوانب التَّطبيقيَّة الشَّاملة للقرآن الكريم.

ومما يجدر ذكره أن هذه الأنواع منها ما له مصنَّفاته الخاصّة وتطبيقاته الشَّاملة للقرآن، كأسباب النزول، ورسم المصحَف، وأحكام القرآن، ومنها ما هو مسائل محدودة كأوَّل ما نزل، والأحرُف السَّبعة، وترتيب القرآن.



ثانيًا: مَوْضوع «علوم القرآن»، وغاية معرفَته:

موضوع عِلْم «علوم القرآن» هو القرآن الكريم؛ من حيث نزوله وجمعه وخصائصه وحقوقه وقراءاته ولُغته وتفسيره، كما تقدَّم في تعريفه.

أما غاية معرفته، فيمكن إجمالها في ما يأتي:

١- الاطمِئْنان إلى صحَّة جَمْع القرآن وحِفْظه كاملًا دون زيادة أو نقصان.

٢- معرفة المنْهَج الصَّحيح لفَهْم القرآن وتلقِّيه وتلاوته.

٣- الوقوف على الجهود العِلميَّة للأمَّة في مجال خِدمة القرآن الكريم واستِنْباط علومه وأثر هذه الجهود في الحِفاظ عليه.

٤- مواجهة دعاوى الطَّاعنين في القرآن وعلومه من المستَشْرقين وغيرهم بما يفنِّدها ويُبْطلها.

ثالثًا: نَشْأة علوم القرآن ومراحلها[1]:

بدأ ظهور علوم القرآن ببداية نزوله، حين نَزَل جبريل عليه السلام على الرَّسول ﷺ في غار حِراء، بقوله تعالى: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ① خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ② ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ③ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ④ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: ١-٥]. حيث يمكن أن يُستنبطَ من هذا الحديث بعض أنواع علوم القرآن، مثل: نزوله -خصوصًا أوَّل ما نزل-، وقراءته، والوحي.

وقد مرَّت علوم القرآن -كسائر علوم الشَّريعة- بمرحلتَيْن أساسيَّتَيْن: مَرْحلة الروايات الشفهيَّة، ومرْحَلة التَّدوين، وفي ما يأتي توضيحٌ لكلٍّ من المرْحَلتَين:

أ) مرحلة الرِّوايات الشَّفهيَّة: كانت علوم القرآن في عهد الصحابة تتمثَّل في وجود روايات شفاهيَّة يتناقلها التَّابعون عن الصَّحابة، وأتباع التَّابعين عن التَّابعين، وهكذا حتى يصل السَّنَد إلى قائله من هذه الطَّبقات الثَّلاث.

ب) مَرْحلة تَدوين علوم القرآن: بدأ تدوين علوم الشَّريعة في وقت مبكِّر من النِّصف الثَّاني من القَرْن الأوَّل الهجري، واتَّخذ طابعًا رسميًّا في آخره، ومن ثَمَّ تسارعت عَجَلة التَّدوين بعد ذلك لسائر علوم الشَّريعة، ومنها علوم القرآن، ويمكننا تقسيم مراحل

---

(١) ينظر: المحرر في علوم القرآن (ص٢٠-٢٢).

تدوينها إلى أربعة مراحل:

المرحَلَة الأولى: مرْحَلة التَّدوين المفْرَد (ابتداءً من أواخر القَرْن الأول): تقدَّم أن علوم القرآن في القَرْن الأوّل تمثَّلت في وجود روايات شفاهيّة يتناقلها السَّلف في طبقاتهم الثَّلاث مُسنَدَةً، ثم كان لتدوين علوم القرآن نَصيبٌ ابتداءً من أواخر هذا القرن، لكن اقتَصَر على النَّوعِ الواحد من أنواع علوم القرآن، مما يمكن أن نُطلق عليه التَّدوين المفرَد لعلوم القرآن، ومن أبرز تلك العلوم:

- **علم التفسير**: حيث أَلَّف فيه مجاهد بن جَبْر (ت:١٠٣هـ)، ومقاتل بن سُلَيْمان (ت:١٥٠هـ)، وسفيان الثَّوْريّ (ت:١٦١هـ)، ويَحْيى بن سلاَّم (ت:٢٠٠هـ). ومؤلَّفاتهم مطبوعة.

- **علم المكِّي والمدَني**: ألّف فيه عِكرمة مولى ابن عباس (ت:١٠٤هـ)، والضحَّاك ابن مُزاحم (ت:١٠٥هـ)، والحسَن البصري (ت:١١٠هـ)، وابن شِهاب الزُّهري (ت:١٢٤هـ)، وكتابه مطبوع.

- **علم الناسخ والمنسوخ**: ممَّن ألّف فيه: قتادة بن دعامة السَّدوسي (ت:١١٧هـ)، وابن شهاب الزُّهري (ت:١٢٤هـ)، وكتاباهما مطبوعان.

- **علم الوُجوه والنَّظائر**: ممَّن أَلَّف فيه مُقاتل بن سُلَيْمان (ت:١٥٠هـ)، ويَحْيى بن سلاَّم (ت:٢٠٠هـ). وكتاباهما مطبوعان.

وقد استمرَّ التدوين المفرَد لعلوم القرآن في مختلَف القرون إلى هذا العصر، وهي مصنَّفات كثيرة تفوق الحَصْر[١].

المرحلة الثانية: مرحلة الجَمْع الجُزئي لعلوم القرآن (ابتداءً من القرن الثالث): تميَّزت هذه المرحلة بظهور مصنَّفات تجمع أنواعًا من علوم القرآن، لكنه جمعٌ جزئيٌّ لعلوم القرآن غير شاملٍ لها، ومن أبرز ما وصَلَنا من هذه المصنَّفات:

١- فضائلُ القرآن ومعالِمُه وآدابُه[٢]، لأبي عُبَيد القاسم بن سلّام (ت: ٢٢٤).

---

(١) وستأتي أمثلةٌ عديدةٌ في مباحث هذا الكتاب عند بيان أنواع علوم القرآن.

(٢) اشتهر هذا الكتاب بأنه في فضائل القرآن فحَسْب، وعلى هذا النظر هو من كتب علوم القرآن المفردة، لكن الواقع أنه من كتب علوم القرآن الجامعة، إذ حوَى أكثر من عشرين نوعًا من علوم القرآن. ينظر: بحث «أوّل مَنْ ألّف في علوم القرآن: رؤية جديدة»، د. خالد الواصل، مجلة الدراسات والبحوث القرآنية، ع١١.

٢- فَهْم القرآن، للحارث المُحاسِبي (ت: ٢٤٣).

٣- فنون الأفْنان في عيون علوم القرآن، لابن الجَوْزي (ت: ٥٩٧).

٤- جمال القُرّاء وكمال الإقراء، لعلَم الدين السَّخاوي (ت: ٦٤٣).

٥- المرشِد الوَجيز إلى علوم تتعلَّق بالكتاب العزيز، لأبي شامَة المقدسي (ت: ٦٦٥).

وقد استمرَّ التصنيف الجزئي لعلوم القرآن في مختلَف القرون إلى عصرنا.

وعلى هذا التصنيف، **يمكن القول إن أوَّل كتاب وصل إلينا من كتب علوم القرآن الجامعة هو كتاب «فضائلُ القرآن ومعالِمُه وآدابُه»** لأبي عُبَيد القاسم بن سلّام (ت: ٢٢٤)[١].

المرحلة الثالثة: مرحلة الجمع الكلي لعلوم القرآن (ابتداء من القرن الثامن): في هذا القرن بدأت محاولات الجمع الكلي الشمولي لعلوم القرآن، ومن أبرزها كتابان:

١- **البُرهان في علوم القرآن**، لبدر الدين الزَّرْكَشيّ (ت: ٧٩٤): وهو أوَّل كتاب يجتهد في جمع أنواع علوم القرآن، ومن أجودها ترتيبًا لأنواعه، وتحريرًا لمسائله، ضَمَّنه سبعةً وأربعين نوعًا من أنواع علوم القرآن، توسَّع في كثير منها بالبيان والاستطراد والتحقيق والتمثيل، وهو مطبوع.

٢- **الإتقان في علوم القرآن**، لجلال الدين السُّيوطي (ت:٩١١): وهو من أجمع ما صُنِّف في هذا الباب، أفاد من مؤلفات السابقين في علوم القرآن المفردة منها والجامعة -خصوصًا البرهان- وزاد عليها، مع حسن الترتيب والتبويب، أورد فيه ثمانين نوعًا من أنواع علوم القرآن على سبيل الإدماج، وقد صار هذا الكتاب عُمدةً في كتب علوم القرآن، وهو مطبوع طبعات عديدة.

المرحلة الرابعة: العَصْر الحديث (ابتداء من القرن الرابع عشر):

بعد كتاب الإتقان فترَت الهِمم عن التأليف الجمعيّ في علوم القرآن حتى كاد أن

---

(١) يُنظر أبرز الآراء التي ذُكرت في المسألة في المرجع السابق (ص٤٩-٥٢).

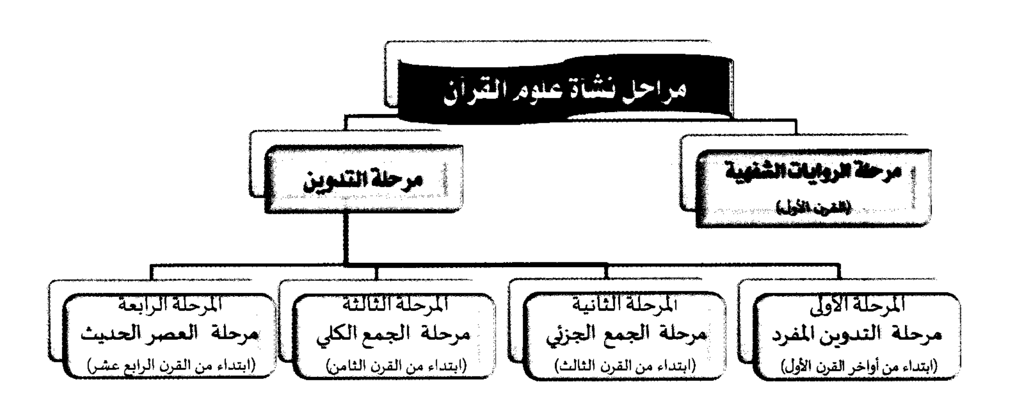
يتوقَّف[1]، إلى أن نَشَأت طريقة الدراسة الجامعية النِّظامية في القرن الرابع عشر وأُدرجت مادة (علوم القرآن) في مناهج الجامعات؛ فظهر العديد من كتب علوم القرآن الجامعة جَمعًا جزئيًّا لأعضاء هيئة التَّدريس الذين درَّسوا تلك المناهج، اعتمد أغلبها منهج التَّيسير والاختصار والتَّقريب بالأساليب المعاصرة في الكتابة والتَّأليف، لكن أغلبها ناقلٌ عما سبق دون زيادةٍ أو تحقيقٍ، إلا أنَّ منها ما كان عالي الجَوْدة في التَّأليف والتَّحرير، من أبرزها:

١- مناهل العِرْفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزُّرقاني (ت: ١٣٦٧).

٢- مباحث في علوم القرآن، د. صُبحي الصالح (ت: ١٤٠٧).

٣- مباحث في علوم القرآن، منَّاع خليل القطّان (ت: ١٤٢٠).

٤- المحرَّر في علوم القرآن، أ. د. مساعد الطيّار.



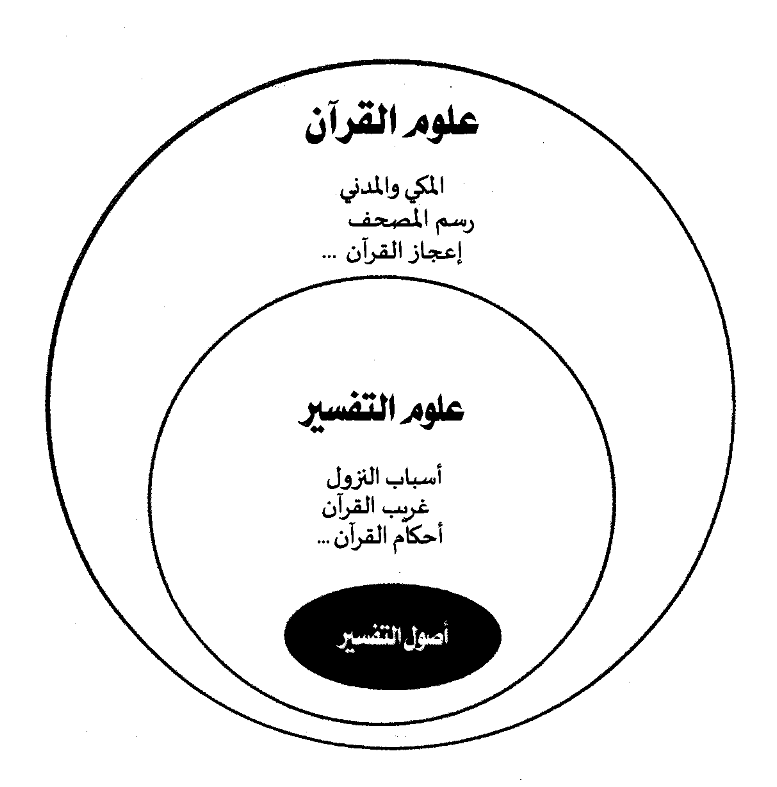
---

(١) سوى بعض كتبٍ ظهرت؛ إما كتابةً في بعض أنواع علوم القرآن، كما فعل طاهر الجزائري (ت: ١٣٣٨) في كتابه (التبيان لبعض المباحث المتعلقة بالقرآن على طريق الإتقان)، وإما تشقيقًا لما ذكره السيوطي، كما صنع ابن عقيلة المكي (ت: ١١٥٠) في كتابه (الزيادة والإحسان في علوم القرآن)، الذي فرَّع كثيرًا من مسائله حتى بلغت الأنواع التي ذكرها مئة وأربعة وخمسين نوعًا من أنواع علوم القرآن. وقد طُبع الكتاب حديثًا.

رابعًا: الفَرْق بين علوم القرآن وأصول التَّفسير

أصول التَّفسير ليست هي علوم القرآن، وذلك أنَّ التَّفسير -الذي هو بيانُ معاني القرآنِ- جزءٌ من علوم القرآن، بل هو أكبر علومه، وفي علوم القرآن غير علوم التَّفسير كما تقدم في التَّعريف. أما أصول التَّفسير فإنه أحد علوم التَّفسير، حيث يشتمل على المبادئ والأُسُس التي يحتاج إليها المفسِّر وقارئ التَّفسير[1].

والخلاصة أن عِلم **أصول التَّفسير جُزْءٌ من علوم التَّفسير**، وعلوم **التَّفسير جُزْءٌ من علوم القرآن**.



---

(١) ينظر في تحرير ذلك: المحرر في علوم القرآن (ص٥٣-٥٥). ويُراجع الرسم البياني ص١٢ ليظهر موقع أصول التفسير من علوم التفسير من علوم القرآن. وسيأتي الحديث عن أصول التفسير في الفصل الخامس باعتباره علمًا من علوم التفسير.

خلاصة المدخل إلى علوم القرآن

- العلم: **لُغةً:** إدراك الشَّيء على حقيقته. **واصطلاحًا:** مجموع مسائل وأصول كلية تجمعها جهة واحدة.

- القرآن: **لُغةً:** مصْدر للفعل «قرأ»، بمعنى «تلا». **اصطلاحًا:** كلام الله تعالى المنَزَّل على نبيه محمد ﷺ، المتعبَّد بتلاوته.

- «علوم القرآن» باعتباره علمًا مدوَّنًا: هو العلم الذي يتناول القرآن الكريم من حيث نزوله، وجمعه، وخصائصه، وحقوقه، وقراءته، وتفسيره، على جهة التأصيل. وهذه هي **الأقسام الستة الكبرى لعلوم القرآن**، وهي موضوع علم «علوم القرآن».

- غاية معرفة علم «علوم القرآن» هي: الاطمئنان إلى صحة جمع القرآن، ومعرفة المنهج الصحيح لفهمه وتلقيه وتلاوته، والوقوف على جهود الأمة في خدمته، ومواجهة دعاوى الطاعنين فيه.

- نشَأت علوم القرآن مع بداية نزوله.

- مرت علوم القرآن ابتداءً بمرحلتين أساسيتين: الروايات الشفهية، والتدوين.

- مر تدوين علوم القرآن بأربعة مراحل:

المرحلة الأولى: مرحلة التَّدوين المفرد (ابتداء من أواخر القرن الأول).

المرحلة الثانية: مرحلة الجَمْع الجُزئي لعلوم القرآن (ابتداء من القرن الثالث).

المرحلة الثالثة: مرحلة الجَمْع الكلي لعلوم القرآن (ابتداء من القرن الثامن).

المرحلة الرابعة: العصر الحديث (ابتداء من القرن الرابع عشر).

- يمكن القول إن أول كتاب وصل إلينا من كتب علوم القرآن الجامعة هو كتاب «فضائل القرآن ومعالمه وآدابه» لأبي عُبيد القاسم بن سلّام (ت: ٢٢٤).

- أبرز كتب علوم القرآن الجامعة الكلية: «البرهان في علوم القرآن» للزركشي (ت: ٧٩٤)، و«الإتقان في علوم القرآن» للسيوطي (ت:٩١١).

- علم أصول التفسير جزء من علوم التفسير، وعلوم التفسير جزء من علوم القرآن.

أسئلة تقويمية

١- عرِّف شقَّي مصطلح «علوم القرآن» لغةً واصطلاحًا.

٢- عرِّف مصطلح علوم القرآن باعتباره علمًا مدوَّنًا.

٣- عدِّد الأقسام الكبرى لعلوم القرآن مع التَّمثيل لكل منها بمثالَين.

٤- ما موضوع علم «علوم القرآن»؟ وما الغاية من معرفته؟

٥- متى نشأت علوم القرآن؟ وما المرحلتان الأساسيَّتان اللَّتان مرَّت بهما؟

٦- تحدَّث عن المراحل التي مرَّ بها تدوين علوم القرآن.

٧- ما المقصود بالتدوين المفرد في علوم القرآن؟ مع ذكر خمسة أمثلة لذلك.

٨- اذكر الفرق بين التدوين الجزئي والتدوين الكلي لعلوم القرآن. ومتى بدأ كل منهما؟

٩- ما أوَّل مصنَّف في علوم القرآن باعتباره علمًا مدونًا مستقلا؟

١٠- اذكر ثلاثة مصنَّفات جزئية في علوم القرآن.

١١- ما أبرز المصنَّفات الجامعة الكلية في علوم القرآن؟

١٢- وضِّح الفرق بين علوم القرآن وأصول التفسير والتفسير.

أسئلة إثرائية

١- عدِّد أربعة فروق بين القرآن الكريم والحديث القدسي.

- اقرأ مقدمة كتاب «الإتقان في علوم القرآن» ثم أجب على ما يلي:-

٢- ما عدد أنواع علوم القرآن التي أوردها؟

٣- صنِّف هذه الأنواع على أقسام علوم القرآن الكبرى التالية:

نزول القرآن – جمع القرآن – خصائص القرآن - حقوق القرآن – قراءة القرآن - تفسير القرآن.

٤- عدِّد عشرة من مصنّفات علوم القرآن المفردة التي أفاد منها.

٥- عدِّد ثلاثة من مصنّفات علوم القرآن الجامعة التي أفاد منها.






الفصل الأول
علوم نُزول القُرآن

أولاً: الوَحْي.

ثانيًا: كيفيَّة نزول القرآن.

ثالثًا: أوَّل ما نزل من القرآن وآخره.

رابعًا: المكيّ والمدَنيّ.

خامسًا: أسْباب النُّزول.

أهداف الفصل:

يُتوقَّع من الدارس في نهاية دراسته لهذا الفصل أن يكون قادرًا على أن:

١- يُوضِّح مفهوم الوحي إلى الأنبياء وكيفيته.

٢- يذكر تاريخ نزول القرآن.

٣- يُعلِّل نزول القرآن مفرقًا ويبيِّن الحكمة منه.

٤- يُميِّز مكان نزول القرآن ويبيِّن فوائد معرفته.

٥- يُفرِّق بين سبب النزول وموضوع النزول.

٦- يُبيِّن فوائد معرفة أسباب النزول.




تقدّم في التّعريف أن أوّل أقسام علوم القرآن الكبرى هي المتعلقة بنزوله، ولو عُدتَ إلى كتب علوم القرآن الجامعة لوجدتها أنواعًا عديدةً؛ إلا أن كثيرًا منها عبارة عن مسائل يسيرة مُنْدرجة في الأصل ضِمن ما هو أكبر منها[1]، لذا سنقتَصر على أبرز هذه الأنواع وهي:

١- الوَحي.
٢- كيفيَّة نزول القرآن.
٣- أول ما نزل وآخر ما نزل.
٤- المكِّيّ والمدنّي.
٥- أسباب النزول.



(١) وقد ذكر الحسن بن محمد بن حبيب النيسابوري (ت: ٤٠٦) في كتابه «التنبيه على فضل علوم القرآن» خمسة وعشرين نَوْعًا، كالحَضَري والسَّفري، والنَّهاري واللَّيلي، والصَّيفي والشَّتائي، والفِراشي والنَّومي، والأرْضي والسَّمائي، وغير ذلك. وأورد كلامه السُّيوطي في الإتقان (١/٤٣-٤٤) ثم قال: «وقد أشبعت الكلام على هذه الأوجه، فمنها ما أفردته، ومنها ما تكلمت عليه في ضمن بعض الأنواع».

أولاً: الوَحْي

الوَحْي لغةً: إلقاء عِلم في خفاءٍ. ويُطلق على كل ما يحصل بين ملقٍ ومتَلَقٍّ من إلقاء علم بطريقةٍ خفيَّةٍ[١]. والذي يعنينا في هذا المبحث هو (الوَحْي الإلَهِي)، وهو وحي الله تعالى إلى بعض خَلقه، وقد وَرَدت آياتٌ عديدةٌ تخبرُ عنه، ويمكننا إجْماله في نوْعَين: الوحي العامّ إلى غير الأنبياء، والوحي الخاصّ بالأنبياء.

أولاً: الوَحْي إلى غير الأنْبياء (الوَحْي بالمعنى العام)، وهو داخل ضمن المعنى اللُّغوي للوحي، من أمثلته:

١- وحي الله لبعض البشر من غير الأنبياء، وهو الإلهام الفطري للإنسان نحو ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ...﴾ الآية [القصص: ٧]. وقوله سبحانه: ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِى وَبِرَسُولِى﴾ [المائدة: ١١١].

٢- وحي الله لملائكته، كما وقع في قصة غزوة بدر: ﴿إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [الأنفال: ١٢].

٣- وحي الله لبعض مخلوقاته غير العاقلة، كوَحِيه للنحل: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ﴾ [النحل: ٦٨]، ووحيه إلى السماء: ﴿وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا﴾ [فصلت: ١٢]، ووحيه للأرض: ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا﴾ [الزلزلة: ٥].

ثانيًا: الوَحْي إلى الأنبياء (الوَحي بالمعنى الخاص): وهو الوحي بالمعنى الشَّرعيّ، ويمكن تعريفه بأنه: **إعلامُ الله لنبيٍّ من أنبيائه بنُبُوَّتِه، وما يتبعها من أوامرَ ونواهٍ وأخبارٍ، بكيْفيَّةٍ معيَّنةٍ**[٢].

---

(١) ومنه الإشارة، كما في قوله تعالى عن زكريا ﷺ: ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ [مريم: ١١]، وكذلك الوسوسة كما في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَـٰدِلُوكُمْ﴾ [الأنعام: ١٢١]. ويطلق أيضا على: الكتابة والرسالة والإلهام والكلام الخفي وكل ما ألقيته إلى غيرك، وكذلك الوحي إلى الأنبياء، قال ابن الأنباري: «سُمِّي وحيًا لأن الملَك أسرَّه عن الخلْق وخَصَّ به النبيّ المبعوث إليه». ينظر: مقاييس اللغة (وحى)، مختار الصحاح (وحى)، تاج العروس مادة (وحى).

(٢) ينظر: المحرر في علوم القرآن (ص٦٢).

وقد ورد في الكتاب والسُّنَّة في مواضع كثيرة، وله طرق متعدِّدة، جمعتها آية سورة الشورى، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ﴾ [الشورى: ٥١]. وتفصيلها في ما يأتي:

١- **أن يُلهِمَ الله نبيَّه ما يريده؛** بإلقاء ذلك في رُوعِه -أي قلبه وخاطره- إمّا يقظةً، وإما منامًا في رؤيا يراها[1]، مثل ما وقع لإبراهيم عليه السلام، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ [الصافات: ١٠٢]، فهو وحي بدلالة ردِّ ابنه إسماعيل عليه السلام عليه بقوله: ﴿افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ﴾.

ومثله ما وقع لنبينا محمد ﷺ في ما ذكره ربه ﷻ في قوله: ﴿لَّقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ﴾ الآية [الفتح: ٢٧].

٢- **أن يكلِّمه من وراء حجاب،** فلا يرى النبيُّ ربَّه، لكن يسمع كلامه، وقد وقع هذا لموسى عليه السلام في بدء الوحي إليه، وفي ميعاده مع ربه لأخذ الشريعة، قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾ [الأعراف: ١٤٣]، وقال سبحانه: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤]. ووقع لنبينا محمدٍ ﷺ في حادثة المعراج، حيث أخذ الأمر بالصلاة مباشرة عن ربه ﷻ.

٣- **أن يُرسل رسولاً من الملائكة:** وغالبًا ما يكون المرسَل جبريل عليه السلام إن كان الأمر يتعلَّق بالنبُوَّة والشريعة، وقد يُرسل غَيْره لأمور أخرى، كما ورد في الآثار. وهذا النَّوع من الوحي إلى الأنبياء هو أشهر أنواع الوَحْي وأكثرها، وهو الذي يعنينا في هذا المبحث لأنَّ الوَحْي بإرسال جبريل عليه السلام هو الحالة الأظْهر في نزول القرآن الكريم، لذا سنبيِّن صِفَته وكيفيَّته في ما يأتي:

كيفيَّة الـوَحْي بواسطة جبريل عليه السلام:

الكلام في الوحي بالقرآن بواسطة جبريل عليه السلام من جانبين: كيفيَّة تلقِّي جبريل عليه السلام القرآن من الله تعالى، وكيفيَّة تلقّي النبي ﷺ القرآن من جبريل عليه السلام.

(١) ينظر: شرح صحيح مسلم للنووي (٦/٣).

كيفيَّة تلقِّي جبريل عليه السلام القرآن من الله تعالى[1]:

جاء في القرآن الكريم ما ينصُّ على كلام الله لملائكته: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا ...﴾ الآية [البقرة: ٣٠]. وعلى إيحائه إليهم: ﴿إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ﴾ الآية [الأنفال: ١٢].

وقد ورد في السُّنَّة بيان كيفيَّة **وحي الله إلى الملائكة** وسماع الوحي في السماء كما في حديث ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إِذَا تَكَلَّمَ اللَّهُ بِالْوَحْيِ؛ سَمِعَ أَهْلُ السَّمَاءِ لِلسَّمَاءِ صَلْصَلَةً كَجَرِّ السِّلْسِلَةِ عَلَى الصَّفَا، فَيُصْعَقُونَ، فَلَا يَزَالُونَ كَذَلِكَ حَتَّى يَأْتِيَهُمْ جِبْرِيلُ، حَتَّى إِذَا جَاءَهُمْ جِبْرِيلُ فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ**» قال: «**فَيَقُولُونَ: يَا جِبْرِيلُ مَاذَا قَالَ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: الْحَقَّ، فَيَقُولُونَ: الْحَقَّ، الْحَقَّ**»[2].

والقرآن من الوحي الذي تلقَّاه جبريل عليه السلام سماعًا من الله تعالى بلفظه المخصوص، مباشرةً بلا واسطة، ونزل به على نبينا محمد ﷺ كما سمعه من ربه عز وجل، قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ [الشعراء: ١٩٢-١٩٥]. وليس للرسولَين الكريمَين جبريل ومحمد عليهما السلام إلا مجرَّد تبليغ الرسالة، وأداء الألفاظ كما سمعاها بلا نقص أو زيادة.

---

(١) ينظر: مباحث في علوم القرآن (ص٣٤)، المحرر في علوم القرآن (ص٧٨).

(٢) أخرجه أبو داود في سننه (٤/ ٢٣٥) (٤٧٣٨)، وصححه الألباني في صحيح أبي داود. وأورده البخاري في صحيحه (٩/١٤١) معلَّقًا موقوفًا على ابن مسعود في ترجمة باب قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ [سبأ: ٢٣]، ولم يقل: ماذا خلق ربكم، وقال جل ذكره: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٥٥] وقال مسروق، عن ابن مسعود: «إذا تكلم الله بالوحي سمع أهل السموات شيئًا، فإذا فُزِّع عن قلوبهم وسكن الصوت، عرفوا أنه الحق ونادوا: ﴿مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ﴾ [سبأ: ٢٣]». ويذكر عن جابر، عن عبد الله بن أنيس قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «**يحشر اللهُ العبادَ، فيناديهم بصوتٍ يسمعه من بَعُدَ كما يسمعه من قَرُبَ: أنا الملك، أنا الديَّان**». والصلصلة: صوت الحديد إذا تحرك وتداخل، والصفا أو الصفوان: الحجر الأملس. ينظر: النهاية في غريب الحديث (صلصل)، فتح الباري لابن حجر (٨/ ٥٣٨).

كيفيَّة تلقِّي النبي ﷺ القرآن من جبريل عليه السلام:

ورد في السُّنَّة ما يدلُّ على كيفيَّة الوحي بواسطة جبريل عليه السلام إلى النبي ﷺ والحال التي يكون عليها ﷺ أثناء تلقِّيه له، فعن عائشة رضي الله عنها أن الحارث بن هشام رضي الله عنه سأل رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله، كيف يأتيك الوحي؟ فقال رسول الله ﷺ: «**أحيانًا يأتيني مثل صَلْصَلة الجَرَس**[1]، **وهو أشَدّه عليَّ، فيَفْصِمُ عَنّي**[2] **وَقَدْ وَعَيْت عنه ما قال، وأحيانًا يتمثَّل لي الملَك رجلاً، فيكلِّمني، فأعِي ما يقول**»[3]. **والحالة الأُولى هي الحالة الأظهر في نزول القرآن الكريم**[4]، ويؤيد ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١٩٢ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ۝١٩٣ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ﴾ [الشعراء: ١٩٢-١٩٤].

وقد لاحظ الصَّحابة رضي الله عنهم تلك الشِّدَّة التي يجدها الرسول ﷺ عند نزول القرآن ووصفوا أثرها عليه، فعن عبادة بن الصَّامت رضي الله عنه قال: «كان نبي الله ﷺ إذا أُنزل عليه كُرِب لذلك، وتَرَبَّد له وجهه»[5]. وفي حديث عائشة رضي الله عنها في قصة الإفك قالت:

(١) والمعنى أن جبريل عليه السلام يأتي النبي ﷺ في حالته الملَكية، ويُلقى الوحي عليه ويسمعه ﷺ سماعًا حقيقيًّا، لكن يشعر أن الصوت الذي يأتيه مثل صلصلة الجرس، أي كصوت الحديد إذا تحرَّك من شدَّته. أما من حوله فيشعرون بصوت دون ذلك، كما جاء في حديث عمر رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان إذا أُنزل عليه الوحي سُمِع عند وجهه كَدَوِيِّ النحل. رواه الترمذي في سننه (٥/ ٣٢٦) برقم (٣١٧٣). ينظر: فتح الباري لابن حجر (١/ ١٩).

(٢) أيْ يُقْلِع وينجلي. ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (فصم).

(٣) متفق عليه: صحيح البخاري برقم (٢)، صحيح مسلم برقم (٢٣٣٣).

(٤) إلا ما ورد في حديث بدء الوحي في غار حراء حيث جاءه جبريل عليه السلام -واختُلف في الصورة التي كان عليها- وأنزل عليه الآيات الخمس الأولى من سورة العلق كما سيأتي. أما حديث أنس رضي الله عنه: «بينا رسول الله ﷺ ذات يوم بين أظهرنا إذ أغفى إغفاءةً ثم رفع رأسه متبسِّمًا، فقلنا: ما أضحكك يا رسول الله؟ قال: **أُنزلت علي آنفًا سورة فقرأ** ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ * إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾ [الكوثر: ١-٣]» [أخرجه مسلم برقم (٤٠٠)] = فالظاهر أن المقصود بالإغفاءة هنا ليس النوم؛ وإنما هي هذه الحالة التي تعتري الرسول ﷺ عند نزول الوحي، والله أعلم. ينظر: الإتقان (١/ ٨٩).

(٥) أخرجه مسلم (٣/ ١٣١٦) (١٦٩٠). وتربد: أَيْ تغيَّر إِلَى الغُبْرة ينظر: النهاية (ربد).

«... فَأَخَذَهُ مَا كَانَ يَأْخُذُهُ مِنَ الْبُرَحَاءِ عِنْدَ الْوَحْيِ، حَتَّى إِنَّهُ لَيَتَحَدَّرُ مِنْهُ مِثْلُ الْجُمَانِ مِنَ الْعَرَقِ، فِي الْيَوْمِ الشَّاتِي، مِنْ ثِقَلِ الْقَوْلِ الَّذِي أُنْزِلَ عَلَيْهِ...»[1].

أنواع الوَحي الإلَهيّ

- الوحي إلى الأنبياء ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ﴾
  - التكليم المباشر من وراء حجاب
  - بواسطة الملك
    - أن يتمثل له الملك رجلا
    - أن يأتيه في مثل صلصلة الجرس
  - الإلهام والإلقاء في الروع مناما أو يقظة
- الوحي إلى غير الأنبياء
  - لبعض المخلوقات غير العاقلة ﴿وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا﴾
  - للبشر من غير الأنبياء ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾
  - للملائكة ﴿إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ﴾



(١) متفق عليه، صحيح البخاري (٣/ ١٧٣) (٢٦٦١)، صحيح مسلم (٤/ ٢١٢٩) (٢٧٧٠). والبُرَحَاء: شِدَّةُ الحمّى. والجُمَان: اللُّؤلؤ الصغار. ينظر: النهاية، لسان العرب (برح)، (جمن).

ثانيًا: كَيْفيَّة نزول القرآن

نزل القرآن الكريم في شهر رمضان كما قال تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ﴾ [البقرة: ١٨٥]. وذلك في ليلة القدر، قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ﴾ [الدخان: ٣-٤]، ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾ [القدر: ١]. قال عبد الله بن عباس ﷺ في تفسير الآية: «أُنزل القرآن جُملةً واحدةً في ليلة القدر إلى السَّماء الدنيا، فكان بموْقع النُّجوم[1]، فكان الله يُنزله على رسوله بعضه في أَثَر بعض. ثم قرأ: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا﴾ [الفرقان: ٣٢]»[2].

وآية سورة الفرقان هذه تُشير إلى أنَّ الكُتُب السَّابقة كانت تَنزل جُملةً واحدةً[3]، لكن تميَّز القرآن الكريم عنها بنزوله مفرَّقًا كما هو معلوم، إضافةً إلى أنه نزل جُملةً واحدةً كما ذكر ابن عباس ﷺ، ومن ثَمَّ فقد أفادنا هذا الأثر الصحيح عن ابن عباس ﷺ أن للقرآن الكريم تنزُّلان: نزول جُمليّ، ونزول مفرَّق، وإليك توضيحهما:

---

(١) المراد بمَوْقع النُّجوم: نُجوم القرآن، أي: نزول القرآن نجمًا نجمًا، والنَّجم: القِسط من الشيء، والمراد الطوائف من الآيات التي تنزل من القرآن، وبه فسَّر ابن عباس ﷺ قوله تعالى: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ﴾ كما في الأثر الذي رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٣/ ١٩١) من طريق سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: أُنزل القرآن في ليلة القدر من السماء العليا إلى السماء جُمْلةً واحدةً، ثم فُرِّق في السنين بعدُ. قال: وتلا ابن عباس، هذه الآية: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ﴾ [الواقعة: ٧٥] قال: نزل مفرَّقًا. وينظر: لسان العرب (نجم)، وتاج العروس (نجم)، التحرير والتنوير (٢٧/٣٣١).

(٢) أخرجه النسائي في السنن الكبرى (١٠/٣٤١) (١١٦٢٥)، والطبري في تفسيره (٢٤/٥٤٣-٥٤٤)، والحاكم في مستدركه (٢/ ٢٢٢) وصحَّحه، ووافقه الذهبي، وصحَّحه الحافظ ابن حجر في الفتح (٩/ ٤)، وينظر: الإتقان (١/٢٧٠).

(٣) ينظر: الإتقان (١/٢٨١-٢٨٤).

أولاً: النُّزول الجُمليّ:

دلَّ تفسير ابن عباس ﷺ لقوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾ [القدر: ١] في الأثر السابق أن القرآن نزل إلى سماء الدنيا جملةً واحدةً في ليلة القدر[١]، وهو خبر غيْبيٌّ صحيح عن ابن عباس، لا يُقال بالرأي، ولا يُدرك إلا بالخبر، فلَه حكم الرَّفع إلى النبي ﷺ، وليس له مخالفٌ من الصحابة، ولا يُحتمل أن يكون من مرويات بني إسرائيل؛ لأنه خبر إسلامي؛ لذا فإنه يُقبلُ ويُحتجُّ به.

وهذا النزول متعلِّق بأهل السماء الدنيا؛ إذ ليس فيه أحكام أو أثر يتعلَّق بأهل الأرض، ولا ينبغي السؤال عن كيفيَّته وأحواله لأنه من الغيبيَّات والمتشابه الكليّ الذي لا يعلمه إلا الله[٢].

لكن يمكن القول إن **الحكمة من هذا النزول** هو بيان شرف هذه الأمة وفضلها؛ بنزول القرآن بهذه الصفة إضافةً إلى نزوله مفرَّقًا دون غيره من الكتب، كما أن فيه تفخيمًا لأمره وأمر من أُنزل عليه بإعلام أهل السماوات بنزول آخر الكتب على خاتم الرسل عليهم السلام[٣].

ثانيًا: النُّزول المفرَّق:

بدأ نزول القرآن على النبي ﷺ في غار حراء -كما سيأتي- وهو في الأربعين من

---

(١) وقيل: إن المراد هو ابتداء نزوله على النبي ﷺ في ليلة القدر، ثم نزل بعد ذلك مفرقًا. رُوي ذلك عن الشعبي (ت:١٠٦) وغيره. ينظر: تفسير الطبري (٥٤٣/٢٤). البرهان (١/ ٢٢٨-٢٢٩)، الإتقان (٢٧٣/١-٢٧٤). قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري (٩/ ٤): «وما تقدَّم من أنه نزل جملةً واحدةً من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا ثم أُنزل بعد ذلك مفرقًا هو الصحيح المعتمد».

ويمكن الجمع بين القولَين أن ابتداء نزول القرآن على رسول الله ﷺ، ونزوله جملةً واحدةً إلى السماء الدنيا وقعا معًا في ليلة القدر، ولا تعارض في ذلك، فتكون الآية محتملة للأمرين معًا، ويكون ابن عباس ﷺ أراد التنبيه على النُّزول الجُملي الذي لا يُدرك إلا بالخبر، بخلاف النوع الثاني الذي يدلُّ عليه ظاهر التَّنزيل، والله أعلم. ينظر: المرشد الوجيز (ص٩)، المحرر في علوم القرآن (ص٧٤).

(٢) ينظر: المحرر في علوم القرآن (ص٧٤).

(٣) ينظر: المرشد الوجيز (ص٢٤)، الإتقان (٢٧٦/١)، المحرر في علوم القرآن (ص٧٥).

عمره، وتتابع نزوله مفرَّقًا على مدار ثلاث وعشرين سنة هي مدة البعثة إلى توفي وعمره ثلاث وستون سنة ﷺ، وتقدم أن هذه الكيفيَّة في النزول تميَّز بها القرآن عن الكتب السابقة، حتى كان ذلك مثار تعجُّبٍ من الكفار: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً﴾ [الفرقان:٣٢].

الحكمة من نزول القرآن مفرَّقًا:

لا شك أن لنزول القرآن على هذه الصفة التي لم تُعهد في الكتب السابقة حِكمًا عظيمة وفوائد جليلة، من أبرزها:

١- **تَثبيت فؤاد الرَّسول** ﷺ بسبب ما يلاقيه من عنَت المشركين، فينْزل القرآن عليه ليهبه الطمأنينة والثبات، وقد نصَّ القرآن على هذه الحكمة فقال ﷻ: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا﴾ [الفرقان:٣٢][(١)].

٢- **تَيْسير حِفْظه وفَهْمه والعمل به على الصحابة**، وبالتالي تثبيته في نفوسهم، لأنه لو نزل جملةً واحدةً على أمَّة أميَّة لا يقرأ غالبهم ولا يكتب لشَقّ عليهم[(٢)].

٣ - **مواكبة الحوادِث والمسائل التي تَقع في عَصْر النُّبوة**، حيث ينْزل الوحي بشأنها؛ جوابًا لسؤال، أو عِلاجًا لإشكال، أو إرشادًا لصوابٍ وكمال، أو توضيحًا لقَضيَّة، أو ردًّا لشُبْهة، ونحو ذلك. تلك الحوادث والمسائل هي أسباب النُّزول التي صارت علمًا مهمًّا لمن أراد أن يفسر القرآن كما سيأتي[(٣)].

٤ - **التدرّج في التَّشريع وبيان الأحكام والحدود**، إذ هو أدْعى إلى القبول بخلاف ما لو نزلت الأحكام جملةً واحدةً فقد ينفِر من قبوله كثيرٌ من الناس لكَثْرة ما فيه من

---

(١) ينظر: المرشد الوجيز (ص٢٨)، البرهان (١/ ٢٣١)، الإتقان (١/٢٧٩).

(٢) ويمكن الاستدلال لذلك بقوله تعالى: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ﴾ [الإسراء: ١٠٦] على قراءة (فرَّقناه) بتشديد الراء، وهي قراءة شاذة مروية عن ابن عباس، ينظر: فضائل القرآن لأبي عبيد (ص٣٦٧)، المرشد الوجيز (ص٢٨)، تفسير ابن كثير (٥/١٢٧)، فتح الباري لابن حجر (٩/ ٨).

(٣) وينظر: المرشد الوجيز (ص٢٩)، الإتقان (١/٢٨٠).

الفرائض والنَّواهي[1]، قالت عائشة رضي الله عنها: «إنما نزل أوّل ما نزَل منه [أيْ من القرآن] سورةٌ من المفصَّل فيها ذكر الجنَّة والنَّار، حتى إذا ثاب النَّاس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام، ولو نزل أوَّل شيء: لا تشربوا الخَمْر لقالوا: لا ندع الخَمْر أبدًا، ولو نزل: لا تَزْنُوا لقالوا: لا نَدَع الزِّنا أبدًا»[2].



مقدار النَّازل من القرآن في كل مرَّة:

تفاوت المقدار النَّازل من القرآن قِلَّةً وكثرةً، قال ابن بن عبّاس: «أُنزِل القرآنُ إلى السَّماء الدُّنيا جمْلةً واحدةً، ثم أُنزِل إلى الأرض نجومًا؛ ثلاث آيات، وخمس آيات، وأقلّ، وأكثر، فقال: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ﴾ [الواقعة: ٧٥]»[3]. وقال السُّيوطي:

(١) ينظر: المرشد الوجيز (ص٢٧-٢٨)، فتح الباري لابن حجر (٩/ ٨).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٩/ ٣٨) برقم (٤٩٩٣). وينظر: الإتقان (١/٢٨٤). وقال الحافظ ابن حجر في معرض شرحه للحديث: «أشارت إلى الحكمة الإلَهية في ترتيب التنزيل، وأن أوّل ما نزل من القرآن الدعاء إلى التوحيد والتبشير للمؤمن والمطيع بالجنة وللكافر والعاصي بالنار، فلما اطمأنَّت النفوس على ذلك أُنزلت الأحكام، ولهذا قالت: ولو نزل أوّل شيء لا تشربوا الخمر لقالوا لا ندعها، وذلك لما طُبعت عليه النفوس من النُّفرة عن ترك المألوف». فتح الباري (٩/ ٤٠).

(٣) عزاه السيوطي في الدر المنثور (١٤/٢١٩) إلى ابن المنذر، وابن الأنباري في كتاب المصاحف، وابن مردويه.

«الذي استُقرئ من الأحاديث الصَّحيحة وغيرها: أن القرآن كان ينزل بحسَب الحاجة خمس آياتٍ وعشرًا، وأكثرَ وأقلّ، وقد صَحَّ نزول العشر آيات في قصَّة الإفْك جُملةً، وصحَّ نزول عشر آيات من أول (المؤمنين) جُملةً، وصحّ نزول ﴿غَيْرُ أُوْلِي الضَّرَرِ﴾ [النساء: ٩٥] وحدها»[١]. كما صَحَّ نزول بعض السُّور كاملةً كالفاتحة والمعوَّذَتَين، والكَوْثر، وأغلب السُّور نزل مفرَّقًا.

وقد ترتَّب على تفرّق نزول آيات القرآن وسوره على مدار ثلاث وعشرين سنة واختلاف أحوال النُّزول الزَّمانية والمكانية = استِنباط عدد من أنواع علوم القرآن المتعلِّقة بالنزول[٢] أبرزها: أوَّل ما نزل وآخر ما نزل، والمكِّي والمدَني (وهو المتعلِّق بزمان النُّزول ومكانه)، وأسباب النزول (وهي المتعلِّقة بأحداث ووقائع النُّزول)، وإليك بيانها في المباحث التالية.



(١) الإتقان (١/ ٢٨٦).

(٢) مثل: ما تكرّر نزوله، وما تأخّر نزوله عن حكمه والعكس، وما نزل مفرّقًا وما نزل جمعًا، وما نزل مشيَّعًا وما نزل مفردًا، وما نزل على لسان بعض الصحابة، والحضَري والسَّفري، والنهاري والليلي، والصيفي والشتائي، والفراشي والنومي، والأرضي والسَّمائي، وغير ذلك. ينظر: البرهان (١/٢٨٥)، الإتقان (١/١١٤-٢٦٧).

ثالثًا: أوَّلُ ما نَزَل من القرآن وآخِرُه

أ) أوَّل ما نزل من القرآن:

أوّل نزولٍ للقرآن كان في غار حراء، وأوّل ما نزل منه على الإطلاق هو الآيات الخمس الأولى من سورة العلق، وقد ثبت ذلك بالدليل الصريح من حديث عائشة زوج النبي ﷺ قالت: «كان أول ما بُدئ به رسول الله ﷺ الرؤيا الصَّادقة في النَّوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلَق الصبح، ثم حُبِّبَ إليه الخلاء، فكان يلحق بغار حراء، فيتحنَّثُ فيه - وهو التعبُّد- الليالي ذوات العدد قبل أن يرجع إلى أهله ويتزوَّد لذلك، ثم يرجع إلى خديجة فيتزوَّد لمثلها، حتى فَجِئَهُ الْحَقُّ وهو في غار حِراء، فجاءه الملَك، فقال: اقْرَأْ. فقال رسول الله ﷺ: ما أنا بِقَارِئٍ. قال: فأخذني، فغطَّني حتَّى بلَغ منِّي الجَهْدُ، ثم أرسَلَني، فقال: اقْرَأْ. قلتُ: ما أنا بِقَارِئٍ. فأخذني، فغطَّني الثانية حتَّى بلَغ منِّي الجَهْدُ، ثم أرسَلَني، فقال: اقْرَأْ. قلتُ: ما أنا بِقَارِئٍ. فأخذني، فغطَّني الثالثة حتَّى بلَغ منِّي الجَهْدُ، ثم أرسَلَني، فقال: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ① خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ② ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ③ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ④ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: ١-٥]، فرجع بها رسول الله ﷺ تَرْجُفُ بوادِرُهُ حتى دخل على خديجة، فقال: زَمِّلُوني زَمِّلُوني. فزمَّلوه حتى ذهَب عنه الرَّوعُ...» الحديث(١).

ب) آخر ما نَزَل من القرآن:

استقرَّ الأمر بالاتفاق على أن أوَّل ما نزل هو الآيات الخَمْس الأولى من سورة العلَق؛ لكن هذا الاتفاق لا نجدُه في تحديد آخر ما نزَل من آيات القرآن أو سُوَره.

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٤، ٤٩٥٤)، ومسلم برقم (١٦٠). أما ما ورد عن جابر بن عبد الله ﷺ من أن سورة المدثر أول ما نزل [أخرجه البخاري برقم (٤٩٢٢).] فيُحمل على أن جابرًا لم يكن على علم بحديث غار حِراء، أو أن تكون الأوَّلية المقصودة في حديثه مخصوصة؛ إما بما بعد فترة الوحي، وإمّا بالأمر بالإنذار. أو أن يكون السؤال وقع عن أوّل سورة كاملة، فأجاب جابرٌ ﷺ بأنها سورة المدثر. ينظر: الإتقان (١/١٦٢-١٦٣).

أما الآيات فقيل: أن آخرها نزولًا هي آيات الربا التي في سورة البقرة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَذَرُوا۟ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ الآيات [٢٧٨-٢٨٠] وذلك مرويٌّ عن ابن عباس رضي الله عنهما[١].

وقيل: آية الكلالة في آخر سورة النساء [١٧٦]، وهو مروي عن البراء بن عازب رضي الله عنه حيث قال: «آخر سورة نزلت (براءة)، وآخر آية نزلت: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَٰلَةِ﴾ [النساء: ١٧٦][٢]، وقيل غير ذلك.

والذي عليه كثيرٌ من أهل العلم أن **آخر ما نزل من القرآن مطلقًا** هو قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٨١] وهو مروي عن ابن عباس رضي الله عنهما[٣].

والظاهر أنه لا خلاف بين هذا القول والقول الأوَّل إذ قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٨١] معطوف على آيات الربا، فهو من تمامها.

وأما القول بأنها آية الكلالة فيُحمل على أن المراد آخر آية نزلت في المواريث، أيّ أن الآخريَّة فيه نِسْبيَّة، وليست آخريَّة مُطلَقة[٤].

كذلك اختُلف في **آخر ما نزل من السُّوَر**، فقيل: سورة التَّوبة كما في حديث البراء السابق، لكن الراجح ما رواه مسلم عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، قال: قال لي ابن عباس: تعلمُ آخر سُورة نزلت من القرآن، نزَلت جميعًا؟ قلت: نعم، ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ﴾، قال: صدَقْتَ[٥]، ففيه تصريحٌ بأن المراد آخر سورةٍ كاملةٍ نزَلت، بخِلاف سورة التوبة، التي فيها آياتٌ كثيرةٌ نزلت قَبْل عام وفاة الرسول ﷺ. والله أعلم.

---

(١) أخرجه البخاري (٦/ ٣٣) (٤٥٤٤) باب: ﴿وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ﴾. وينظر: الإتقان (١/١٧٦).

(٢) أخرجه البخاري (٥/ ١٦٧) (٤٣٦٤).

(٣) أخرجه النسائي في الكبرى (١٠/ ٣٩)، والطبراني في الكبير (١١/ ٣٧١)، والطبري (٥/ ٦٧)، قال الهيثمي في المجمع (٦/ ٣٢٤): «رواه الطبراني بإسنادين، رجال أحدهما ثقات». وهذا القول مروي عن سعيد بن جبير، وعطية العوفي، والسدي، ومقاتل. ينظر: موسوعة التفسير المأثور (٤/٦٦٦-٦٦٧).

(٤) ينظر: فتح الباري (٨/ ٢٠٥).

(٥) صحيح مسلم (٤/ ٢٣١٨).

رابعًا: المكّيُّ والمدَنيُّ

تتابَع نزول القرآن على رسول الله ﷺ بعد أوَّل نزول في غار حراء، فكان منه ما نزل بمكّة، وما نزل في ضواحيها، ثمَّ هاجر الرسول ﷺ إلى المدينة، فكان من القرآن ما نزَل عليه فيها، وكان منه ما نزل في سفَراتِه خارجها، وقد عبَّر العلماء عن ذلك النازل من القرآن بالمكيِّ والمدَنيِّ، فما مفهوم المكيّ والمدنيَ؟ وما ضابطه؟

مفهوم المكِّيّ والمدَنيّ:

ضُبط تعريف المكيّ والمدنيّ بضابط الزمان وهو الهجرة، **فالمكِّيُّ: ما نزَل من القرآن قبل الهِجْرة**، ولو كان خارج مكة. **والمدَنيُّ: ما نزَل من القرآن بعد الهِجْرة**. ولو كان خارج المدينة[1].

عدد السُّوَر المكيَّة والمدنيَّة:

عند دراسة أقوال العلماء في المكِّيّ والمدَنيّ من سور القرآن نجد أن منها ما اتفقوا على أنه مكّيّ، ومنها ما اتفقوا على أنه مدنيّ، ومنها ما اختلفوا فيه، والعبرة في تحديد ذلك هو أغْلب السُّورة، لوجود آيات مستثناة في الحكم من بعض السُّور[2]، لذا فالمكِّيّ والمدَنيّ من السُّور باعتبار الاتفاق والاختلاف في زمان نزولها على ثلاثة أقسام[3]:

---

(١) وهذا الضابط، وإن لم ينصّ السلف من الصحابة والتابعين عليه إلا أنهم يعملون بفحواه. ينظر: المحرر في علوم القرآن (ص١٠٤-١٠٥، ١١٣).

(٢) ورد عن علماء الصحابة والتابعين وأتباعهم بعض الآثار التي يذكرون فيها أن السورة مكية إلا آيات منها، وكذا أن السورة مدنية إلا آيات منها. مثل قول ابن عباس رضي الله عنهما عن سورة النحل أنها مكية «سوى ثلاث آيات من آخرها، فإنهن نزلْنَ بين مكة والمدينة في مُنصرَفه من أُحُد». أخرجه النحاس في الناسخ والمنسوخ (٢/٣١٦) من طريق مجاهد. وقد عقد السيوطي في الإتقان (١/ ٨٤-١٠٥) فصلًا فيما وقف عليه من النوعين.

(٣) ينظر في بيانها: كتاب «المكي والمدني في القرآن الكريم: دراسة تأصيلية نقدية للسور والآيات من أول القرآن إلى نهاية سورة الإسراء» للدكتور عبد الرزاق حسين أحمد، وكتاب «تحرير القول في السور والآيات المكية والمدنية من أول سورة الكهف إلى آخر سورة الناس» للدكتور محمد بن عبد العزيز الفالح.

١- **السُّور المختَلف في كونها مكيّة أو مدنيّة:** عشرون سورة.

٢- **السُّور المتَّفق على أنها مدنيَّة:** تسع عشرة سورة.

٣- **السُّور المتَّفق على أنها مكيّة:** خمسٌ وسبعون سورة.

وفي ما يلي توضيح ذلك:



السُّور المختَلف في كونها مكيّة أو مدنيّة
٢٠ سورة
الفاتحة، والرعد، والحج، والرحمن، والحديد، والصف، والتغابن، والإنسان، والمطففين، والقدر، والبينة، والزلزلة، والعاديات، والتكاثر، والعصر، والماعون، والكوثر، والإخلاص، والفلق، والناس

السُّور المتَّفق على أنها مدنيَّة
١٩ سورة
البقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة، والأنفال، والتوبة، والنور، والأحزاب، ومحمد، والفتح، والحجرات، والمجادلة، والحشر، والممتحنة، والجمعة، والمنافقون، والطلاق، والتحريم، والنصر

السُّور المتَّفق على أنها مكيّة
٧٥ سورة
باقي السور

طُرُق معرفة المكِّيّ والمدَنيّ:

الأصل في المكِّيّ والمدَنيّ أنه علم لا مجال للرَّأي فيه، وإنما يعتَمِد على النَّقل والسَّماع ممن شاهد التنْزيل وعاصَره وهم الصَّحابة رضي الله عنهم[1].

لكن مع هذا فقد ظَهر طريق آخر، فصار الأمر في معرفة المكِّيّ والمدَنيّ على طريقَيْن: الطريق النَّقليّ السَّماعيّ، والطريق القياسيّ الاجتهاديّ[2]، وإليك بيان ذلك:

١- **الطريقُ النَّقليُّ السَّماعيُّ:** وهو ما وصَل إلينا عن الصَّحابة بأنه مكيٌّ أو مدنيٌّ - أو عن تلاميذهم من التابعين الذين أخذوا عنهم- كقول عائشة رضي الله عنها: «لَقَدْ نَزَلَ بِمَكَّةَ

---

(١) ينظر: الإتقان (١/٤٧).

(٢) ينظر: البرهان (١/١٨٩)، الإتقان (١/١٠٦-١٠٩).

عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ وَإِنِّي لَجَارِيَةٌ أَلْعَبُ: ﴿بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ﴾ [القمر: ٤٦]، وَمَا نَزَلَتْ سُورَةُ البَقَرَةِ وَالنِّسَاءِ إِلَّا وَأَنَا عِنْدَهُ»[١]، وأغلب سُوَر القرآن عُرف كونها مكيَّة أو مدنيَّة من هذا الطريق[٢].

٢- **الطَّريق القياسيُّ الاجتهاديُّ:** لمّا وُجد الاختلاف في معرفة المكِّيّ والمدَنيّ من بعض السُّور والآيات كان لا بدَّ من الاجتهاد في هذا المختلَف فيه، من خلال ضوابط للترَّجيح، ومن هنا ظهر الطريق القياسيّ الاجتهاديّ الذي يقوم على معرفة ما يمكن القياس عليه، وهو موضوعات المكِّيّ والمدَنيّ وأسلوبهما وخصائصهما في السُّور والآيات التي دلَّ عليها الاستقراء[٣]، لذا يتبيَّن لنا أن هذا الطريق فرعيّ، مبنيّ على الطريق السماعيّ الذي هو الأصل في معرفة المكِّيّ والمدَنيّ.

ضوابط ومميّزات المكِّيّ والمدَنيّ[٤]:

من خلال استقراء القرآن المكِّيّ والمدَنيّ استنبط العلماءُ عددًا من الضوابط والمميّزات التي يُعرف بها كل منهما، نُوجز أبرزها في ما يأتي[٥]:

أولًا: ضوابط المكيّ ومميّزاته:

أ) ضوابط المكيّ:

١- كلّ سورة جاء فيها الخطاب بـ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ وليس فيها ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾

---

(١) أخرجه البخاري (٦/ ١٨٥) برقم (٤٩٩٣).

(٢) وقد وردت عدة مرويات عن ابن عباس وغيره في سرد جميع السُّور المكية والمدنية، ينظر: الإتقان (١/٤٨-٥٧)، المحرر في علوم القرآن (ص١١٢).

(٣) ينظر: المحرر في علوم القرآن (ص١١٢). كذلك يمكن الحكم على السورة بأنها مكيَّة أو مدنيَّة لمن لم يقف على نقلٍ في ذلك من خلال تطبيق أحد الضوابط المشار إليها، كأن يحكم على سورة الحشر بأنها مدنيَّة لأنها ذكرت غزوة بني النَّضير بناء على ضابط أن كل سورة فيها ذكر للمغازي فهي مدنيَّة لأن كلَّ الغزوات وقعت بعد الهجرة.

(٤) نعني بالضوابط هنا ما يتعلّق بخصائص الألفاظ، وأما المميّزات فالمقصود ما يتعلّق بخصائص الأسلوب والموضوعات والمعاني.

(٥) ينظر: البرهان (١/ ١٨٨)، الإتقان (١/ ١٠٦ - ١٠٩)، المكي والمدني، أ.د. محمد عبد الرحمن الشايع (ص٢٨- ٥٣)، المكي والمدني في القرآن الكريم، د. عبد الرزاق حسين (ص١٦١-١٧٨).

فهي مكيّة، وكذلك ما جاء فيها الخطاب بـ ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ﴾.

٢- كل سورة مفتتَحة بالحروف المقطَّعة فهي مكيَّة، سوى البقرة وآل عمران[1].

٣- كل سورة فيها سجدة فهي مكيَّة[2].

٤- كل سورة ورد فيها لفظ ﴿كَلَّآ﴾، فهي مكيَّة.

٥- كل سورة فيها قصص الأنبياء والأمم السَّابقة فهي مكية عدا سورة البقرة.

ب) مميزات المكيّ:

من المميِّزات الأسلوبية للمكيّ:

١- قِصَر أغلب الآيات والسُّور فيه.

٢- قوة العبارة، وكثرة التّأكيد والتَّقرير بالقسم، وضرب الأمثال، والتَّشبيه ونحو ذلك.

ومن المميِّزات الموضوعيّة للمكيّ:

أن أغلب موضوعاته في تقرير أسس العقيدة والدعوة إلى توحيد الله وإفراده بالعبادة.

وإثبات الرسالة وتقرير البعث والجزاء والمصير، وبيان أحوال يوم القيامة.

ضوابط المدنيّ ومميّزاته:

أ) ضوابط المدنيّ:

١- كل سورة جاء فيها الخطاب بـ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ فهي مدنيَّة[3]، وكذلك ما جاء فيه الخطاب بـ ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ أو ﴿يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾.

٢- كلُّ سورة فيها ذكر المنافقين فهي مدنيَّة[4]، لأن النفاق لم يظهر إلا في المدينة.

٣- كلُّ سورة ذكر فيها لفظ اليهود (بهذه الصيغة مُعرَّفًا)، أو لفظ النَّصارى فهي مدنيَّة.

٤- كلُّ سورة فيها حدٌّ أو فريضة فهي مدنيَّة.

---

(١) وعدا سورة الرعد عند من يرى أنها مدنيَّة.

(٢) عدا سورتي الرعد والحجّ عند من يرى أنهما مدنيَّتان.

(٣) عدا سورة الحج عند من يرى أنها مكيَّة.

(٤) عدا سورة العنكبوت عند من يرى أنها مكيَّة.

٥- كلُّ سورة فيها أمر بالجهاد وبيان أحكامه وذكر المغازي فهي مدنيَّة، لأن الجهاد شُرع بالمدينة والمغازي إنما وقعت بعد الهجرة.

ب) مميزات المدني:

من المميزات الأسلوبيّة للمدنيّ:

١- طول أغلب الآيات والسُّور فيه.

٢- الأسلوب الهادئ والعبارات الليِّنة.

ومن المميزات الموضوعيّة للمدنيّ:

١- أغلب موضوعات المدني في تفصيل الأحكام والتشريعات من عبادات ومعاملات، وحدود، ونظام الأسرة، وغيرها.

٢- مجادلة أهل الكتاب ودعوتهم إلى الإسلام وإقامة الحُجَج عليهم.

٣- فضْح المنافقين وبيان أوصافهم والتَّحذير منهم.

فوائد معرفة المكِّيّ والمدَنيّ:

لمعرفة المكيّ والمدنيّ فوائد عديدة، من أبرزها:

أولاً: معرفة النّاسخ والمنسوخ[1]: وذلك لأن القول بالنَّسخ مبنيٌّ على معرفة المتقدِّم من المتأخِّر، والمدنيّ ينسخ المكيّ لا العكس[2].

ثانيًا: معرفة الصَّحيح من الضَّعيف من التفسير والترجيح بين الأقوال: قد يقع في بعض الأقوال ما يُشير إلى تفسير المراد بالقرآن المكيِّ بحدَثٍ مدَنيٍّ يكون هذا الحَدَث المدنيُّ صحيحًا من جهة التفسير، لكن لا يكون صحيحًا من كونه هو المراد الأوَّل

---

(١) يُنظر بيان معنى الناسخ والمنسوخ في مبحثه في الفصل الخامس، ص٢٠٤.

(٢) ومن آثار السلف في تطبيق ذلك ما رواه سعيد بن جبير قال: «قلت لابن عباس: أَلِمَنْ قتل مؤمنًا متعمِّدًا من توبة؟ قال: لا. قال: فتلَوْت عليه هذه الآية التي في الفرقان ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ [الفرقان: ٦٨] إلى آخر الآية. قال: هذه آية مكيّة نسختها آية مدنيّة: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا﴾ [النساء: ٩٣]». أخرجه مسلم رقم (٣٠٢٣)، وللعلماء في توبة القاتل خلافٌ معروفٌ، لكن المراد هنا المثال. وينظر: المحرر في علوم القرآن (ص١١٦).

الذي نزلت من أجله الآيات[١].

مصادر معرفة المكِّيّ والمدَنيّ:

تقدّم أن الأصل في معرفة المكِّيّ والمدَنيّ هو النقل عن طريق الصحابة الذين نزل القرآن بينهم، لذا فإن المصادر الأساسية لمعرفة المكِّيّ والمدَنيّ هي مرويّاتهم في هذا الباب أو مرويّات تلاميذهم من التابعين.

وقد بدأ تدوين ذلك مبكِّرا في عصر التابعين فكان هذا العلم من أوائل علوم القرآن التي دُوِّنت كما تقدم في مدخل هذا الكتاب، ومما طُبع من مدوَّنات تلك الحِقبة: «تنزيل القرآن» لمحمد ابن شهاب الزُّهْري (ت: ١٢٤).

وقد تتَابع تدوين هذا العِلم بعد ذلك فظهر من الكتب التي اعتَنت به أصناف شتَّى، من أهمِّها:

١- كُتُب النَّاسخ والمنسوخ، ومن أبرزها: «النَّاسخ والمنسوخ» لأبي جعفر النحَّاس (ت:٣٣٨)، و«الإيضاح لناسخ والقرآن ومنسوخه» لمكي بن أبي طالب (ت:٤٣٧).

٢- كُتُب عدِّ آي القرآن، ومن أبرزها: «البيان في عدِّ آي القرآن» لأبي عمرو الدَّاني (ت:٤٤٤).

٣- كُتُب التَّفسير، ومن أبرزها تفسير مقاتل بن سليمان (ت:١٥٠)، وتفسير ابن عطيَّة (ت:٥٤٢).

٤- بعض كتب فضائل القرآن، ومن أهمِّها: «فضائل القرآن وما أُنزل من القرآن بمكَّة وما أُنزل بالمدينة» لابن الضريس (ت: ٢٩٤).

---

(١) مثال ذلك ما ذكره ابن الجوزي (ت: ٥٩٧) في تفسير قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ۝ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ﴾ [الأعلى: ١٤-١٥] أن في: قوله تعالى: ﴿فَصَلَّىٰ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: أنها الصلوات الخمس؛ والثاني: صلاة العيدَين، والثالث: صلاة التطوع. ورجح القول الأول مستدلًّا بأن «هذه السورة مكيَّة بلا خلاف، ولم يكن بمكة زكاةٌ ولا عيدٌ». زاد المسير (٨/٢٣٠). ولو تأمَّلت القول بصلاة العيد وجدته يدخل في عموم قوله تعالى: ﴿فَصَلَّىٰ﴾، لكن أن يكون هو المراد لا غيرُه، أو يكون هو المراد أولاً، ففيه النظر الذي ذكره ابن الجوزي، والله أعلم. ينظر: المحرر في علوم القرآن (ص١١٧-١١٨).

٥- كُتُب علوم القرآن الجامعة، ومن أبرزها: البرهان للزَّركشي (ت: ٧٩٤)، والإتقان للسُّيوطي (ت:٩١١).

٦- الكُتُب المفرَدة في هذا العلم، نحو: «تنزيل القرآن» المتقدِّم للزُّهري (ت: ١٢٤). ومن الكُتُب والرسائل الجامعية المعاصرة: «المكِّيّ والمدَنيّ في القرآن الكريم: دراسة تأصيليَّة نقديَّة للسُّوَر والآيات من أول القرآن إلى نهاية سورة الإسراء» للدكتور عبد الرزاق حسين أحمد، وكتاب «تحرير القول في السُّوَر والآيات المكيَّة والمدنيَّة من أول سورة الكهف إلى آخر سورة الناس» للدكتور محمد بن عبد العزيز الفالح.





خامسًا: أسباب النُّزول

نزل القرآن الكريم هدايةً للبشر، ونورًا يخرجهم من ظُلُمات الجهل والكفر إلى طريق الحق والتَّوحيد، كما قال تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ﴾ [البقرة: ١٨٥]. وهذا سبَبٌ عامٌّ في نزول جميع آيات القرآن؛ إلا أن هناك من الآيات ما كان له أسباب خاصَّة مباشرة من أحداث ووقائع نزلَت على إثرها، وهذا هو المراد بأسباب النُّزول[١]، ومن هنا ظهر هذا العلم الذي هو من أهمِّ الموضوعات في علم التفسير، إضافةً لارتباطه الواضح بنزول القرآن، فكان موضع اعتناء العلماء به، والتَّصنيف فيه كما سنبيِّنه في هذا المبحث.

مفهوم سبب النُّزول:

يمكن تعريف سبب النُّزول بأنه: **كلُّ قولٍ أو فعلٍ ممَّن عاصر التَّنْزيل نزل بشَأْنه قرآنٌ عند وُقُوعه**[٢].

شرح التَّعريف:

كلُّ قولٍ: يشمل كلَّ أنواع القوْل كالدعاء، والطلب، والنهي، والخبر، وغيرها، وكذا السؤال الذي يُعدّ من أشهر أنواع القول الذي نزل بسببه آيات عديدة مصدَّرة بـ﴿يَسْـَٔلُونَكَ﴾ ونحوها، من ذلك ما رواه عبد الله بن مسعود ﷺ، قال: بينا أنا مع النبي ﷺ في حرْثٍ، وهو متَّكِئ على عَسِيب، إذ مرَّ اليهود...، فسألوه عن الرُّوح، فأمسَك النبيُّ ﷺ فلم يَرُدَّ عليهم شيئًا، فعلمتُ أنه يُوحى إليه، فقمتُ مقامي فلما نزَل الوحي، قال: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥][٣].

---

(١) لذا جعل بعض أهل العلم نزول القرآن قسمَين: قسمٌ نزل ابتداءً مرتبطٌ بالسبب العامِّ وهو هداية الناس، وقسمٌ نزل مرتبطًا بأسباب خاصَّة وهي أسباب النزول، وآيات هذا القسم هي الأقل. ينظر: الإتقان (١/١٨٩)، دراسات في علوم القرآن، أ.د. فهد الرومي (ص١٤٨).

(٢) ينظر: المحرر في أسباب النزول، د.خالد المزيني (١ / ١٠٥).

(٣) أخرجه البخاري (٦/٨٧) (٤٧٢١)، ومسلم (٤/ ٢١٥٢) (٢٧٩٤).

ومن أمثلة الأقوال الأخرى ما رواه ابن عباس ﷺ «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَرَجَ إِلَى البَطْحَاءِ، فَصَعِدَ إِلَى الجَبَلِ فَنَادَى: «يَا صَبَاحَاهْ» فَاجْتَمَعَتْ إِلَيْهِ قُرَيْشٌ، فَقَالَ: «أَرَأَيْتُمْ إِنْ حَدَّثْتُكُمْ أَنَّ العَدُوَّ مُصَبِّحُكُمْ أَوْ مُمَسِّيكُمْ، أَكُنْتُمْ تُصَدِّقُونِي؟» قَالُوا: نَعَمْ، قال: «فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ» فَقَالَ أَبُو لَهَبٍ: أَلِهَذَا جَمَعْتَنَا تَبًّا لَكَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾» إِلَى آخِرِهَا[١].

أو فِعْل: يشمل أيّ فعلٍ كان، سواء في العادات أو العبادات أو المعاملات أو غيرها، **مثاله** ما رواه البراء بن عازب ﷺ قال: «نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ فِينَا، كَانَتِ الأَنْصَارُ إِذَا حَجُّوا فَجَاؤوا لَمْ يَدْخُلُوا مِنْ قِبَلِ أَبْوَابِ بُيُوتِهِمْ، وَلَكِنْ مِنْ ظُهُورِهَا، فَجَاءَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ، فَدَخَلَ مِنْ قِبَلِ بَابِهِ، فَكَأَنَّهُ عُيِّرَ بِذَلِكَ، فَنَزَلَتْ: ﴿وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا﴾ [البقرة: ١٨٩]»[٢].

ممَّن عاصر التَّنْزيل: أي ممَّن كان معاصرًا لنزول القرآن، سواءً كان ذلك من الرسول ﷺ[٣]، أو من أصحابه[٤]، أو من المشركين[٥]، أو المنافقين[٦]، أو أهل الكتاب[٧] أو غيرهم.

نزل بشأْنه قرآن: ويُعرف ذلك من خلال تعبير الصَّحابي الرَّاوي للأثر فيه بصِيغة النزول، فيخرج بهذا التعبير الذي لا يدلُّ على النزول، كالتعبير بالتلاوة والقراءة، أو التعبير بما يدل على تفسير الآية أو الاستشهاد بها، ونحو ذلك[٨].

---

(١) أخرجه البخاري ٦/ ١٨٠ (٤٩٧٢)، ومسلم ١/ ١٩٣ (٢٠٨).

(٢) أخرجه البخاري ٣/ ٨ (١٨٠٣)، ومسلم (٤/ ٢٣١٩) (٣٠٢٦).

(٣) مثل سبب نزول صدر سورة المدثر، وصدر سورة عبس.

(٤) مثل ما تقدَّم في سبب نزول قوله تعالى: ﴿وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا﴾.

(٥) مثل ما تقدَّم في سبب نزول سورة المسَد، وكذا ما ذُكر في سبب نزول سورة الكافرون، وسورة الإخلاص.

(٦) مثل سبب نزول سورة المنافقون.

(٧) مثل ما تقدَّم في سبب نزول قوله تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ﴾ [الإسراء: ٨٥].

(٨) مثال ذلك ما أخرجه البخاري في صحيحه (٩/ ١٢٣) (٧٤١٤) عن ابن مسعود: أن يهوديًّا جاء إلى النبي ﷺ، فقال: يا محمد، إن الله يمسك السموات على إصبع، والأرضين على إصبع، والجبال على =

عند وقوعه: خرج ما وقع قبل عصر التَّنْزيل، وكذلك ما نزلت الآية فيه قبل وقوعه، كما سيأتي إيضاحه في ضوابط تحديد سبب النزول.

ضوابط تحديد سبب النُّزول:

من خلال تعريف سبب النزول يتبيَّن لنا أبرز الضوابط التي يُعرف من خلالها سبب النزول، وهي ما يلي:

١ - **أن يقَع الحدَث في عصر التَّنْزيل ممن عاصر التَّنْزيل**: فإن كان الحدَث في غير عصر التَّنْزيل فلا يدخل في أسباب النزول، وإنما هو من باب الإخبار عن الوقائع الماضية[١].

٢ - **أن يكون نزول الآية بعد الحَدَث**[٢]: فلا يصحّ أن يكون النُّزول قبل الحدَث، فهذا لا يدخل في أسباب النُّزول، بل يدخل في الإخبار عن المغيَّبات، كما ورد في تفسير قوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ ۝ سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾ [القمر: ٤٤-٤٥]، قال عكرمة: «لما نزلت ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾ قال عمر: أيُّ جمعٍ يُهزم؟ أيُّ جمعٍ يُغلب؟ قال عمر: فلما كان يوم بدر رأيت رسول الله ﷺ يثِبُ في الدِّرع وهو يقول: ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾ فعرَفْتُ تأويلها يومئذ»[٣]. فسورة القمر مكيةٌ، والحدَث الذي أشارت إليه مدنيٌّ، فهو من باب الإخبار بالمغيَّب فحسْب، والله أعلم[٤].

= إصبع، والشجر على إصبع، والخلائق على إصبع، ثم يقول: أنا الملك. «فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه، ثم قرأ: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ [الأنعام: ٩١]». وقد جاء اللفظ في رواية في سنن الترمذي (٥/ ٣٧١) (٣٢٤٠): «فأنزل الله ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾». قال السيوطي: «والحديث في الصحيح بلفظ «فتلا رسول الله ﷺ» وهو الصواب، فإن الآية مكية». الإتقان (١/ ٢٢٣).

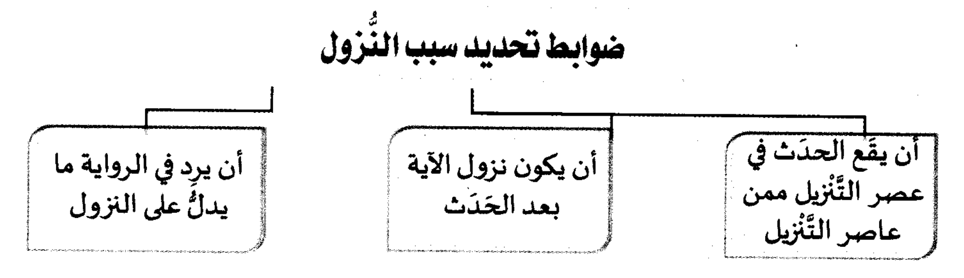
(١) وفي هذا كان انتقاد السيوطي (ت: ٩١١)، للواحدي (ت: ٤٦٨) حيث قال: «والذي يتحرر في سبب النُّزول: أنه ما نزلت الآية أيام وقوعه؛ ليخرج ما ذكره الواحدي في سورة الفيل من أن سببها قصة قدوم الحبشة به، فإن ذلك ليس من أسباب النُّزول في شيء، بل هو من باب الإخبار عن الوقائع الماضية؛ كذكر قصة قوم نوح وعاد وثمود وبناء البيت ونحو ذلك». الإتقان (١/٢٠٧-٢٠٨).

(٢) لا يلزم أن يكون النُّزول عقِبَه مباشرة، فقد يتأخَّر؛ كحادثة الإفك.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم، كما في تفسير ابن كثير (٤٨١/١).

(٤) ينظر: المحرر في علوم القرآن (ص١٢٥).

٣- **أن يرِد في الرواية ما يدلُّ على النزول:** كالتعبير بالنزول؛ فورود كلمة النُّزول قرينةٌ قويةٌ في إرادة ذكر سبب النُّزول، ومع هذا فإن ورودها في الأثر ليس أصلًا يُحكم به على أنه هو سبب النُّزول المباشر، إذ قد يكون هناك ما يدلُّ على أنه ليس المراد بها سبب النُّزول المباشر، كما سنبيِّنه في صِيَغ عبارات أسباب النُّزول.



صِيَغ عبارات أسباب النُّزول:

أشهر الصِّيَغ في أسباب النُّزول هي: عبارة (فنَزلت، أو فأنزل)، وعبارة (نزلت في كذا، أُنزلت في كذا).

أما عبارة **(فأنزل اللهُ، فنَزلت)** بفاء السببية فيعبِّر بها الراوي بعد أن يحكي قصة الحدَث، لذا هي أَدْخَلُ في السبَبِيَّة من عبارة (نزَلت في كذا، أُنزِلت في كذا)؛ إذ غالب ما يرِد بهذه الصيغة يدخل في سبب النُّزول المباشر، لذا يمكننا أن نطلِق عليها الصيغة الصريحة في سبب النزول.

من أمثلة ما ورد من هذه العبارة، وأُريد به سبب النُّزول المباشر ما رواه البخاري في أمر تحويل القبلة عن البراء بن عازب ﵁: «أن رسول الله ﷺ صلَّى إلى بيت المقدس ستة عشر شهرًا أو سبعة عشر شهرًا، وكان يعجبه أن تكون قبلته قِبَلَ البيت، وأنَّه صلّى -أو صلّاها- صلاة العصر، وصلّى معه قوم، فخرج رجل ممن كان صلّى معه، فمرَّ على أهل المسجد وهم راكعون، قال: أشهدُ بالله لقد صلَّيتُ مع النبي ﷺ قِبَلَ مكة، فَدَاروا كما هم قبل البيت، وكان الذي مات على القِبلة قبل أن تُحَوَّلَ قِبَلَ البيت رجالٌ قتلوا لم نَدْرِ ما نقول فيهم، فأنزل الله: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ

﴿بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٤٣]»[١].

وأما عبارة (نَزَلَت في كذا، أُنزِلت في كذا) فكثيرًا ما يُراد بها التفسير، وليس سبب النزول[٢]، من ذلك ما ورد عن البراء بن عازب رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ [إبراهيم: ٢٧]، قال: «نزلت في عذاب القبر»[٣].

وقد تأتي لبيان سبب النُّزول المباشر، لكن هذا قليل بالنِّسبة للعبارتَين السابقَتين، مثل حديث ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ [النساء: ٥٩]، قال: «نزلَت في عبد الله بن حُذافة بن قيس بن عدِيّ إذ بعثه النبي ﷺ في سَرِيَّة»[٤].

طريق معرفة أسباب النزول ومصادرها:

الأصل في أسباب النُّزول الصَّريحة أنها نَقْليَّة[٥]، لذا لا مجال للاجتهاد فيها، ولا سبيل لمعرفتها إلا طريق النَّقل عن الصحابة رضي الله عنهم، قال الواحديّ (ت:٤٦٨): «ولا يحلّ القول في أسباب نزول الكتاب، إلا بالرِّواية والسَّماع ممن شاهدوا التَّنْزيل، ووَقَفوا على الأسباب»[٦]. ومن هنا فإن **الأصْل في مصادرها هي كتب الآثار المسْنَدَة عن السَّلف**،

---

(١) صحيح البخاري برقم (٤١)، وأخرجه أيضًا مسلم برقم (٥٢٥) مختصرًا.

(٢) لذا وقع خلاف بين العلماء في ورود هذه العبارة عن الصحابي؛ هل تُعدُّ من أسباب النُّزول، أو من قبيل التفسير؟ قال ابن تيمية رحمه الله (ت:٧٢٨): «وقولهم: نزلت هذه الآية في كذا، يُراد به تارة أنه سبب النزول، ويراد به تارة أن ذلك داخل في الآية وإن لم يكن السبب، كما تقول: عُني بهذه الآية كذا. وقد تنازع العلماء في قول الصاحب: نزلت هذه الآية في كذا؛ هل يجري مجرى المسند؛ كما يُذكر السبب الذي أُنزلت لأجله، أو يجري مجرى التَّفسير منه الذي ليس بمسند؟ فالبخاري يدخله في المسند، وغيره لا يدخله في المسند، وأكثر المسانيد على هذا الاصطلاح؛ كمسند أحمد وغيره، بخلاف ما إذا ذكر سببًا نزلت عَقِبه، فإنهم كلهم يُدخلون مثل هذا في المسند». مقدمة في أصول التفسير (ص١٦). وينظر: الإتقان (١/٢٠٧-٢٠٩).

(٣) أخرجه البخاري برقم (١٣٦٩)، ومسلم برقم (٢٨٧١).

(٤) أخرجه الشيخان. صحيح البخاري برقم (٤٥٨٤)، وصحيح مسلم برقم (١٨٣٤).

(٥) وذلك من جهتين: الحدث الذي يُذكر في سبب النُّزول، والصيغة التي يُحكى بها سبب النُّزول، وكما لا يصح افتعال حدث يقال فيه: إنه سبب نزول، كذلك لا يصلح ذكر صيغة لم ترد في المنقول عن الصحابة أو التابعين وأتباعهم. ينظر: المحرر في علوم القرآن (ص١٢٨).

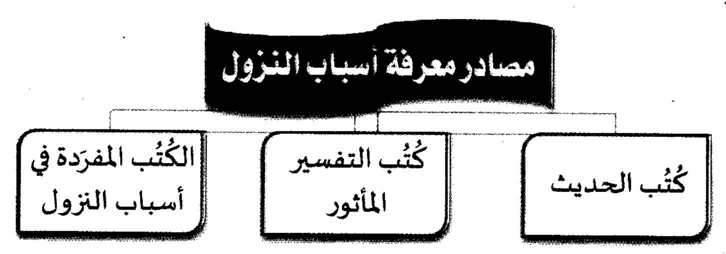
(٦) أسباب النزول (ص ٨).

وهذه المصادر على ثلاثة أصناف رئيسة:

المصدر الأول: كُتُب الحديث، وعلى رأسها مسنَد الإمام أحمد، وصحيح البخاري.

المصدر الثاني: كُتُب التفسير المأثور، وعلى رأسها تفسير الطَّبري[١].

المصدر الثالث: الكُتُب المفرَدة في أسباب النزول، ومن أشهرها: «أسباب النزول» للواحديّ (ت: ٤٦٨)، و«العُجاب في بيان الأسباب» للحافظ ابن حجر (ت: ٨٥٢هـ)، و«لُباب النُّقول في أسباب النزول» للسُّيوطي (ت: ٩١١). ومن الكُتُب المعاصرة النفيسة: «المحرَّر في أسباب النُّزول من خلال الكتب التسعة» للدكتور خالد المزيني.



العِبْرة بعُموم اللَّفظ لا بخصوص السَّبب:

الأصْل في الآيات التي تنزل لسببٍ معيَّن أو في شخص معيَّن، أن حكمها يتعدَّى إلى غير ذلك السبَب، ويعمُّ كلّ من يندرج تحت عموم لفظ الآية، وهذا هو معنى هذه القاعدة: (العبْرة بعموم اللّفظ لا بخصوص السّبب). ومما يدل على ذلك حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: أنّ رجلًا أصاب من امرأة قُبْلةً، فأتى النّبيّ ﷺ فذكر ذلك له، قال: فنزَلت: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ﴾ [هود: ١١٤]، قال: فقال الرّجل: أَلِيَ هذه يا رسول الله؟ قال: «**لِمَن عَمِل بها من أمّتي**». وفي رواية: فقال رجل من القَوم: يا نبيّ الله، هذا له خاصّة؟ قال: «**بل للنّاس كافّة**»[٢].

---

(١) وقد جمعت موسوعة التفسير بالمأثور (الصادرة عن مركز الدراسات والمعلومات القرآنية بمعهد الإمام الشاطبي) آثار هذه التفاسير، وكان من ضمن موضوعاتها قسم لنزول الآيات جمع ما تفرق من أسباب النزول في كل ما وصلنا من الكتب المسندة عن السلف، فكانت مرجعًا ثرًّا جامعًا.

(٢) أخرجه الشيخان: صحيح البخاريّ (٦/ ٧٥) (٤٦٨٧)، صحيح مسلم (٤/٢١١٥) (٢٧٦٣)، وأخرج الرّواية الثّانية مسلم.

فوائد معرفة أسباب النُّزول:

لمعرفة أسباب النزول فوائد عديدة، تناول ذكرها عدد من العلماء المحقِّقين[١]، نكتفي بذكر أبرزها في ما يأتي:

١ – **معرفة المعنى المراد بالآية:** إن سبب نزول الآية يُعين على معرفة المعنى المراد فيها وتعيينه، إذ قد ترِد عليه احتمالات صحيحة، لكن سبب النُّزول يحدِّد أحد هذه المعاني، ويكون هو المراد دون غيره. قال ابن تيمية: «معرفة سبب النُّزول يُعين على فهم الآية؛ فإن العلم بالسبب يُورث العلم بالمسبَّب»[٢].

مثال ذلك: ما تقدم من رواية البراء رضي الله عنه لسبب نزول قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ﴾ [البقرة: ١٤٣]، حيث بيّن أن المراد بالإيمان هنا الصلاة، وليس الإقرار والاعتراف المتضمِّن للقبول والإذعان، ولولا سبب النزول ما كنَّا لِنقِفَ على المعنى الصحيح للآية[٣].

كذلك ما تقدم من رواية البراء لسبب نزول قوله تعالى: ﴿وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا﴾ [البقرة: ١٨٩] فسَّر لنا المراد بالبيوت، ومعنى إتيان البيوت من ظهورها الذي كان عادةً من عادات الأنصار في الجاهلية، ولولا رواية النزول لما تبيّن لنا ذلك من المصادر الأخرى كاللُّغة.

٢ – **إزالة الإشكال:** العلم بسبب نزول الآية يزيلُ ما قد يقع من إشكال في معناها، «بحيث لو فُقد ذكر السبب؛ لم يُعرف من المنزَّل معناه على الخصوص، دون تطرُّق الاحتمالات وتوجّه الإشكالات»[٤].

مثال ذلك: ما استشكله عُرْوة بن الزُّبير (ت: ٩٤) رحمه الله، فقال لخالته عائشة رضي الله عنها: «أرأيتِ قول الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ

---

(١) ينظر: البرهان (١/ ١١٧، ١٢١)، الإتقان (١/ ١٩٠-١٩٥)، المحرر في أسباب النزول (١/ ٢٦-٣٧).

(٢) مقدمة في أصول التفسير (ص٤٧).

(٣) المحرر في أسباب النزول (١ / ٢٧).

(٤) الموافقات (٤/ ١٥٢)، وينظر: المحرر في أسباب النزول (١ / ٢٧).

﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ [البقرة: ١٥٨]، فلا أُرى على أحدٍ شيئًا أن لا يطَّوف بهما، فقالت عائشة: «كلَّا، لو كانت كما تقول؛ كانت: فلا جُنَاحَ عَلَيْه أن لا يَطَّوَّفَ بِهما، إنما أُنزلت هذه الآية في الأنصار كَانُوا يُهِلُّونَ لِمَنَاةَ، وَكَانَتْ مَنَاةُ حَذْوَ قُدَيْدٍ، وكانوا يتحرَّجون أن يطوفوا بين الصفا والمروة، فلما جاء الإسلام سألوا رسول الله ﷺ عن ذلك، فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ [البقرة: ١٥٨]»[(١)].

٣- **معرفة حكمة التشريع**: ذكر الزرَّكشي والسُّيوطي في أوَّل فوائد أسباب النزول: «معرفة وجه الحِكمة الباعثة على تشريع الحكم»[(٢)]. وذلك أنه قد يرد حُكمٌ في آية دون أن تتبيَّن الحكمة الداعية لتشريع ذلك الحكم في الآية، ولو رجعتَ إلى سبب نزول الآية لوقفتَ على حكمة ذلك التشريع.

من ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ١١٠]، فعن ابن عباس رضي الله عنهما: قال: «نزَلت ورسول الله ﷺ مُختَفٍ بمكة، كان إذا صلَّى بأصحابه رفَع صوته بالقرآن، فإذا سمعه المشركون سبُّوا القرآن ومن أنزلَه ومن جاء به، فقال الله تعالى لنبيِّه ﷺ: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ﴾ أي بقراءتك، فيسمع المشركون فيسبُّوا القرآن ﴿وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾ عن أصحابك فلا تسمِعهم، ﴿وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا﴾»[(٣)].

---

(١) أخرجه الشيخان. صحيح البخاري (٣/ ٦) (١٧٩٠)، صحيح مسلم (٢/٩٢٨) (١٢٧٧). وينظر أمثلة أخرى في الإتقان (١/ ١٩١- ١٩٤).

(٢) البرهان (١/٤٥)، الإتقان (١/ ١٩٠).

(٣) أخرجه الشيخان. صحيح البخاري (٦/ ٨٧) (٤٧٢٢)، صحيح مسلم (٢/٩٢٨) (٤٤٦). وينظر أمثلة أخرى في المحرر في أسباب النزول (١ / ٣٢-٣٤).

خلاصة الفصل الأول (علوم نزول القرآن)

١ - الوحي :

١/١ الوحي لغةً: إلقاء علمٍ في خفاء، والوحي الإلهي نوعان: الوحي إلى الأنبياء، والوحي إلى غير الأنبياء.

٢/١ الوحي إلى الأنبياء (الوحي بالمعنى الخاص): هو إعلام الله لنبي من أنبيائه بنبوته، وما يتبعها من أوامر ونواهٍ وأخبار، بكيفية معينة.

٣/١ طرق وحي الله إلى الأنبياء ثلاثة: أن يُلهِمَ الله نبيَّه ما يريده؛ بإلقاء ذلك في رُوعِه، إمّا يقظةً، وإما منامًا. أو أن يكلمه من وراء حجاب. أو أن يرسل رسولاً من الملائكة، وغالبًا ما يكون المرسَل جبريل عليه السلام.

٤/١ تلقى جبريل عليه السلام القرآن سماعًا من الله تعالى بلفظه المخصوص، مباشرة بلا واسطة.

٥/١ تلقي النبي ﷺ الوحي من جبريل عليه السلام على كيفيتين: أن يأتيه في مثل صلصلة الجرس - وهي الأظهر في نزول القرآن الكريم-، أو أن يتمثل له رجلًا.

٢ - كيفية نزول القرآن

١/٢ نزل القرآن الكريم في ليلة القدر من شهر رمضان.

٢/٢ للقرآن تنزلان: نزول جملي، ونزول مفرق.

٣/٢ النزول الجملي: ثبت عن ابن عباس رضي الله عنهما أن القرآن نزل جملة واحدة إلى السماء الدنيا، وهو من المغيبات التي لا يعلمها إلا الله، ويمكن القول إن الحكمة من هذا النزول هو بيان شرف هذه الأمة وفضلها.

٤/٢ النزول المفرق: نزول القرآن على رسول الله ﷺ مفرّقًا حسب الوقائع والأحداث، خلال ٢٣ سنة هي مدة البعثة. وقد تفاوت المقدار النازل من القرآن في كل مرة قِلّةً وكثرةً.

٥/٢ من أبرز حكم وفوائد نزول القرآن مفرقًا: تثبيت فؤاد الرسول ﷺ، ومواكبة الحوادث والمسائل الواقعة في عصر النبوة، والتدرج في التشريع وبيان الأحكام والحدود.

٣ -أول ما نزل من القرآن وآخره

١/٣ أول نزولٍ للقرآن كان في غار حراء، وأول ما نزل منه على الإطلاق هو الآيات الخمس الأولى من سورة العلق.

٢/٣ آخر ما نزل من القرآن مطلقًا قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ﴾ الآية [البقرة: ٢٨١].

٣/٣ آخر سورة كاملة نزلت من القرآن هي سورة النصر.

٤ -المكي والمدني

٤/١ المكي: ما نزل من القرآن قبل الهجرة، والمدني: ما نزل من القرآن بعد الهجرة.

٤/٢ المكي والمدني من السور باعتبار الاتفاق والاختلاف ثلاثة أقسام: السور المختلف في كونها مكية أو مدنية (٢٠ سورة). والسور المتفق على أنها مدنية (١٩ سورة). السور المتفق على أنها مكية (٧٥ سورة).

٤/٣ معرفة المكي والمدني بطريقين: الطريق النقلي السماعي عن الصحابة، وهو الأصل. والطريق القياسي الاجتهادي الذي يقوم على معرفة ما يمكن القياس عليه من موضوعات المكي والمدني وأسلوبهما في السور والآيات.

٤/٤ من ضوابط المكي: ما جاء فيها الخطاب بـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ وليس فيها ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾. كل سورة مفتتحة بالحروف المقطَّعة -سوى البقرة وآل عمران-، أو فيها سجدة، فهي مكية. ومن ميزاته الأسلوبية: قِصَر أغلب آياته وسوره. وقوة العبارة وكثرة التأكيد والتقرير بالقسم ونحوه. ومن ميزاته الموضوعية: أن أغلبه في تقرير أسس العقيدة والدعوة إلى توحيد الله.

٤/٥ من ضوابط المدني: كل سورة جاء فيها الخطاب بـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾، أو ذكر فيها المنافقون، أو لفظ اليهود أو لفظ النصارى. أو حدٌّ أو فريضة، فهي مدنية. ومن ميزاته الأسلوبية: طول أغلب آياته وسوره. والأسلوب الهادئ. ومن ميزاته الموضوعية: أن أغلبه في تفصيل الأحكام والتشريعات، ومجادلة أهل الكتاب، وفضح المنافقين.

٤/٦ من فوائد معرفة المكي والمدني: معرفة الناسخ والمنسوخ. ومعرفة الصحيح من الضعيف من التفسير.

٤/٧ أبرز مصادر معرفة المكي والمدني: كتب الناسخ والمنسوخ، كتب عد آي القرآن، بعض كتب التفسير، أو كتب فضائل القرآن، أو كتب علوم القرآن الجامعة، والكتب المفردة في هذا العلم.

٥ -أسباب النزول

٥/١ سبب النُّزول: كلُّ قولٍ أو فعلٍ ممَّن عاصر التنزيل نزل بشأنه قرآنٌ عند وقوعه.

٥/٢ ضوابط تحديد سبب النزول: أن يقع الحدث في عصر التنزيل ممن عاصر التنزيل. وأن يكون النُّزول بعد الحدث. وأن يرد في الرواية ما يدل على النزول.

٥/٣ أشهر الصيغ في أسباب النُّزول: العبارة التي تأتي بعد فاء السببية (فنَزلت، أو فأنزل)، وهي صيغة صريحة في سبب النزول. وعبارة (نزلت في كذا، أُنزلت في كذا)، وأكثر ما يراد فيها التفسير.

٤/٥ طريق معرفة أسباب النزول الصريحة هو النقل، ولا مجال للاجتهاد فيها.

٥/٥ المصادر الأساسية لأسباب النزول هي كتب الحديث، وكتب التفسير المأثور، والكتب المفردة في هذا العلم.

٦/٥ العبرة في أسباب النزول بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

٧/٥ من أبرز فوائد معرفة أسباب النُّزول: معرفة المعنى المراد بالآية. وإزالة الإشكال. ومعرفة حكمة التشريع.

أسئلة تقويمية

١- عرِّف الوحي لغةً. وما أنواع الوحي الإلهي؟

٢- ما المراد بالوحي إلى الأنبياء؟

٣- اذكر أنواع الوحي إلى الأنبياء.

٤- كيف تلقَّى جبريل عليه السلام القرآن من ربه عز وجل؟

٥- كيف تلقَّى النبي ﷺ الوحي من جبريل عليه السلام؟ وبأي حال منها نزل القرآن الكريم؟

٦- متى كان أوَّل نزول للقرآن وأين؟ استدل لما تقول.

٧- للقرآن تنزّلان، اذكرهما مع توضيح كل منهما.

٨- ما الدليل للنزول الجملي للقرآن؟ وما الحكمة منه؟

٩- ما الحكمة من نزول القرآن مفرقا؟

١٠- اذكر أوَّل ما نزل من القرآن مطلقًا مع الاستدلال لذلك.

١١- ما آخر آية نزلت من القرآن مطلقا؟ استدل لذلك.

١٢- ما آخر سورة كاملة نزلت من القرآن؟ استدل لذلك.

١٣- ناقش القول بأن آخر سورة نزلت هي سورة التوبة.

١٤- وضِّح المراد بالمكي والمدني من القرآن.

١٥- اذكر أقسام المكي والمدني من السور باعتبار الاتفاق والاختلاف مع ذكر عدد كل قسم.

١٦- ما طرق معرفة المكي والمدني؟

١٧- اشرح كيف تتم معرفة المكي والمدني بالطريق النقلي؟ وكذا بالطريق القياسي.

١٨- عدِّد أربعة ضوابط للمكي، وأخرى للمدني.

١٩- اذكر ميزة أسلوبية للمكي وأخرى موضوعية، وكذلك للمدني.

٢٠- اذكر ثلاث فوائد لمعرفة المكي والمدني.

٢١- وضح كيف يستفاد من معرفة المكي والمدني في الناسخ والمنسوخ مع ذكر مثال.

٢٢- وضح كيف يستفاد من معرفة المكي والمدني في الترجيح في التفسير مع ذكر مثال.

٢٣- عدِّد أربعة أصناف من مصادر معرفة المكي والمدني.

٢٤- عرِّف سبب النزول، مع شرح التعريف وذكر محترزاته وضرب الأمثلة باختصار.

٢٥- ما ضوابط تحديد سبب النزول؟

٢٦- اذكر أشهر صيغ أسباب النزول، مع بيان الصيغة الصريحة منها موضحا ذلك.

٢٧- ما الطريق لمعرفة أسباب النزول؟

٢٨- عدِّد ثلاثة أصناف من مصادر معرفة أسباب النزول.

٢٩- اذكر فائدتين من فوائد معرفة أسباب النُّزول.

٣٠- وضح كيف يكون سبب النزول معينا على معرفة المراد في الآية.

٣١- اشرح قاعدة: العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.



أسئلة إثرائية

١- اقرأ حديث نزول الوحي على النبي ﷺ في غار حراء، واستنتج منه كيفية مجيء الوحي للنبي ﷺ.

٢- جاء في القرآن أنه ﷺ رأى جبريل في صورته الملكية مرتين، اذكر الآيات، ثم ابحث هل اشتمل ذلك على وحي؟

٣- استُدِلَّ للنزول الجملي بأثر ابن عباس رضي الله عنهما، وقد اعترض على ذلك بأنه أثر موقوف على صحابي لذا لا يصح الاحتجاج به في أمر غيبي. ناقش هذا الاعتراض.

٤- جاء في الصحيح من حديث جابر رضي الله عنه أن أول ما نزل من القرآن هو سورة المدثر، ناقش هذا القول. وبيّن كيف يُجمع بينه وبين القول بأن أول ما نزل هو الخمس الآيات الأولى من سورة العلق.

٥- روى البخاري (٦/ ٤٧ برقم ٤٥٩٠) عن سعيد بن جبير، قال: آية اختلف فيها أهل الكوفة، فرحلت فيها إلى ابن عباس فسألته عنها، فقال: «نزلت هذه الآية: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ ﴾ [النساء: ٩٣] هي آخر ما نزل، وما نسخها شيء». كيف توجّه قول ابن عباس عن هذه الآية: «هي آخر ما نزل»؟

٦- اعتنى من كتب في المكي والمدني بمسألة الآيات المستثناة من السور المكية والمدنية، استخرج الآيات المستثناة في السور التالية: الأنفال، النحل، يس، الأحقاف.

٧- راجع كتاب تفسير القرآن في صحيح البخاري، واستخرج اثنين من أسباب النزول بصيغة (فنَزلت، أو فأنزل)، واثنين بصيغة (نزلت في كذا، أُنزلت في كذا)، ثم حاول دراستها وتحديد ما كانت السببية أو التفسير مرادا فيه.






الفصل الثاني

علوم جَمْع القرآن

أولاً: جَمْع القرآن وتدوينه.

ثانيًا: ترتيب سُوَر القرآن وآياته.

ثالثًا: عدد سُوَر القرآن وآياته وتجزئته.

رابعًا: رَسْم المصحَف.

خامسًا: ضَبْط المصحَف.

أهداف الفصل

يُتَوقَّع من الدارس في نهاية دراسته لهذا الفصل أن يكون قادرًا على أن:

١) يوضِّح أنواع جَمْع القرآن.

٢) يوازن بين جَمْع القرآن في عهد أبي بكر ﷺ وعهد عثمان ﷺ.

٣) يبين هل ترتيب سور القرآن وآياته توقيفي أم اجتهادي؟

٤) يوضح مفهوم علم عد آي السور ومصدره ومذاهبه.

٥) يذكر أشهر أنواع تجزئة القرآن.

٦) يبيِّن المراد برسم المصحف ومصدره وحكم الالتزام به.

٧) يعدِّد قواعد الرسم العثماني.

٨) يوضِّح مفهوم علم الضبط ومجالاته في المصحف.



تقدَّم في الفصل الأوَّل بيان كيْفيَّة نزول القرآن وتلقِّي الرسول ﷺ له من جبريل عليه السلام عن ربه ﷻ، وفي هذا الفصل نبيِّن كيفية تلقِّي الصحابة القرآن عن النبي ﷺ وكيف جُمع حفظًا في الصدور ثم كتابةً في المصاحف والسُّطور، وكيف اعتنَت الأمَّة بعد ذلك بالمصحف حتى وصل إلينا القرآن كما أنزل، وصار باقيًا إلى قيام الساعة مقروءًا ومكتوبًا، فكان ذلك تحقيقًا لوعد الله ﷻ بحفظه في قوله سبحانه: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

ومن ثَمَّ نشأ عن عناية الأمَّة بجمع القرآن وتدوينه أنواع من علوم القرآن تتعلَّق بذلك، من أبرزها:

١- جمْع القرآن وتدوينه.

٢- ترتيب سُوَر القرآن وآياته.

٣- عدد آيات القرآن وسُوره وتجزئته.

٤- رسْم المصحف.

٥- ضبْط المصحف.

وفي المباحث التالية سوف نتناول الحديث عن هذه الأنواع.



أولاً: جمع القرآن وتدوينه

نزَل القرآن على الرسول ﷺ وهو أُمِّيٌّ لا يقرأ ولا يكتب فكان ذلك في حقِّه فضيلةً ومزِيَّةً، ودليلًا على صدق ما جاء به، قال تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٨].

وقد كان ﷺ يتلقَّى القرآن من جبريل عليه السلام ويلقَى مشقَّةً في محاولة حفظه واستظهاره، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «كان رسول الله ﷺ يعالِج من التَّنْزيل شِدَّةً وكان مما يحرِّك شَفَتَيْه - فقال ابن عباس: فأنا أحَرِّكهُما لكم كما كان رسول الله ﷺ يُحركِّهما - وقال سعيد: أنا أُحركِّهما كما رأيت ابن عباس يُحركِّهما فحرَّك شَفَتَيْه - فأنزل الله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ۝١٦ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ﴾ قال: جَمْعه في صدرك وتقرَأه، ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾ قال: فاستَمعْ له وأنصِتْ ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾ [القيامة: ١٦-١٩]. ثم إن علينا أن تقرأه. فكان رسول الله ﷺ بعد ذلك إذا أتاه جبريل استَمع، فإذا انطلق جبريل قرَأه النبي ﷺ كما قرأه»[١].

ومع حفظه ﷺ للآيات المنزَّلة إلا أنه حرِصَ أشد الحرْص على كتابَتِها، فاتَّخذ كُتَّابًا للوحي من الصحابة يكتبون كل آية تنزل عليه، كما كان يُلقِي على صحابته ما ينزل عليه ويتْلُوه عليهم، وكانوا رضي الله عنهم يتلقَّوْنه منه ويتسابقون لحفظه وإبلاغه لمن بعدهم، ومن ثَمَّ ظهر نَوْعَا جمع القرآن: حِفْظه واستظهاره (الجمع في الصدور)، وكتابته وتدوينه (الجمع في السطور)، وفي ما يأتي بيان كل من النوعين:

---

(١) أخرجه البخاري (١/ ٨) (٥). ومعنى: (يعالج) من المعالجة وهي محاولة الشيء بمشقَّة. (التَّنْزيل) تنزيل القرآن عليه. (وكان مما يحرِّك شفتيه) أي كانت الشدَّة من كثرة تحريكه شَفَتيه، وكان ﷺ يفعل ذلك خشية أن ينسى ما أوحي إليه. ﴿بِهِۦ﴾ بالقرآن. ﴿لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ﴾ لتأخذه على عجَلٍ مسارعةً إلى حفظه خشية أن ينفلت منه شيء.

أولاً: جَمْع القرآن في الصُّدور (حِفْظه واستِظْهاره)

يُطلَق جمع القرآن على حِفظه واستظهاره، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ﴾ [القيامة: ١٧] أي: جَمْعه في صدرك، ثم تقرأه على الناس من غير أن تنسى منه شيئاً[١]، كما تقدم في أثر ابن عباس السابق.

وقد كان الرسول ﷺ أوَّل من جَمَعه وحَفِظه، وحرص على ذلك واهتمَّ به، حتى كان جبريل عليه السلام يأتيه كل عام مرَّةً في رمضان يدارسه القرآن فيعرِض عليه النبي ﷺ حِفظه، وعَرَضه في عامه الذي تُوفِّي فيه مرَّتين كما ثبت في الصحيح[٢].

كذلك تنافس صحابَته رضي الله عنهم على حِفظه واستظهاره، وتسابقوا إلى مُدارسَته وتفهُّمه والعمَل به، حتى كان ذلك مِعيارًا للتفاضل بينهم، قال جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: «كان النبي ﷺ يجمَع بين الرجُلَين من قتلى أُحُدٍ في ثَوب واحد ثم يقول: **(أيُّهم أكثَرُ أخْذًا للقرآن)**. فإذا أُشير له إلى أحدهما قدَّمه في اللَّحْد»[٣].

والأخبار الكثيرة تشهد على عناية الصحابة رضي الله عنهم بالقرآن وتلاوته وحِفْظه، حتى حفِظه العديد منهم، وفي طليعتهم الخلفاء الأربعة وابن مسعود وأُبَيّ بن كعب وزيد بن ثابت وأبو موسى الأشعري، رضي الله عنهم أجمعين.

وكذا اعتَنى بحفظه من بَعدَهم من التابعين وتابعيهم، ومن بَعدَهم من المسلمين إلى يومنا هذا، فتراهم في شتَّى بقاع الأرض يترنَّمون بهذا القرآن تلاوةً عن ظهر قلْب، مع كون بعضهم لا يكاد يعرف العربيَّة، وهذا من تيسير الله هذا الأمر على هذه الأمَّة، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [القمر]. وتلك خاصيَّة ومزيَّة لا تجدها لغير القرآن، وليس هناك كتاب يحفظه أهْلُه سوى القرآن.

وقد كان من نعمة الله على عباده المسلمين أن رتَّب لهم الأجر على حفظه، فكان ذلك أدْعَى للتنافس في هذا الميدان، نصَّت على ذلك الأحاديث العديدة، كقوله ﷺ:

---

(١) تفسير ابن كثير (٥/ ٣١٩).

(٢) متفق عليه، صحيح البخاري (٤/ ١٨٣) (٦٢٨٥)، صحيح مسلم (٤/ ١٩٠٥) (٢٤٥٠).

(٣) أخرجه البخاري (٢/ ٩١) (١٣٤٣).

«الماهرُ بالقُرآن معَ السَّفَرَة الكِرَام البرَرَة، والَّذي يقرأُ القرآنَ ويَتَتَعْتَعُ فيه، وهُو عَليه شاقٌّ، لهُ أجْرانِ»(١). وقوله: «يُقالُ لصَاحِبِ القُرآنِ اقْرأ وارْقَ ورتِّلْ كَمَا كُنت تُرتِّل في الدنيا، فإنَّ منزلتَكَ عندَ آخرِ آيةٍ تقْرَؤُها»(٢).

وموضوع حفظ القرآن في الصُّدور من الوضوح بمكان، لذا لا يحتاج الأمر إلى مزيد تقرير.

ثانيًا: جَمْع القرآن في السُّطور (كتابته وتدوينه)

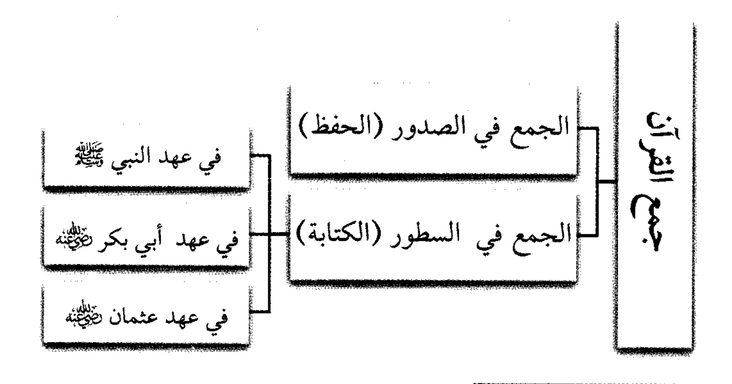
لم يكن كافيًا جمع القرآن في الصُّدور لحفظه على مرِّ العصور، فكان لا بدَّ من وسيلةٍ أخرى للجمع أضبط للحفظ والإتقان وأسلَم من الخطأ والنسيان، فكان جمع القرآن بكتابته وتدوينه، الذي مرَّ بثلاث مراحل:

المرحلة الأولى: في عهد النَّبي ﷺ.

المرحلة الثانية: في عهد أبي بكر رضي الله عنه.

المرحلة الثالثة: في عهد عثمان رضي الله عنه.

ولكل مرحلة من هذه المراحل خصائِصها وسِماتها، ومقصودٌ معيّن بجمع القرآن يختلِف عن الآخر، وفي ما يأتي توضيحه من خلال الآثار الواردة في هذا ذلك:



---

(١) متفق عليه: صحيح البخاري (٦/١٦٦) (٤٩٣٧)، صحيح مسلم (١/٥٤٩) (٧٩٨) واللفظ له. ومعنى «السَّفَرَة»: المَلَائِكَة، «الكرام البرَرَة»: أَي كرام على رَبهم، بررة: أَي مطيعون، من البر. «يتتعتع فيه» أي: يتردد في قراءته، ويتبلّد فيها لسانه. ينظر: النهاية (١/ ١٩٠).

(٢) أخرجه أحمد (٦٧٩٩)، وأبو داود (١٤٦٤)، والترمذي (٢٩١٤) وقال: هذا حديث حسن صحيح. وصححه الحاكم (١/٥٥٢-٥٥٣) ووافقه الذهبي.

المرحلة الأولى: جمع القرآن في عهد النَّبي ﷺ:

لما انتقل النَّبي ﷺ إلى المدينة اعتنى بكتابة القرآن أيّما اعتناء، فاتَّخذ له كُتَّابا للوَحي معروفين، من أخصِّهم بذلك زيد بن ثابت الأنصاري ﷺ، فكان يدعوهم لكتابة ما ينْزل من القرآن بمجرَّد أن ينقضي الوَحي(١).

وقد كان الإذن عامًّا لمن أراد أن يكتب القرآن، مع النَّهي ابتداءً عن كتابة ما سِوى القرآن خَشْية أن يختلِط القرآن بغيره فقال ﷺ: «**لَا تَكْتُبُوا عَنِّي شَيْئًا إِلَّا الْقُرْآنَ، مَنْ كَتَبَ عَنِّي شَيْئًا سِوَى الْقُرْآنِ فَلْيَمْحُهُ**»(٢).

وقد أشار زيد بن ثابت ﷺ إلى بعض وسائل الكتابة التي كانت في عصر الرسول ﷺ، بقوله في حديث جمع أبي بكر ﷺ: «فتَتَبَّعت القرآن أجمعُه من الرِّقاع، والأكتاف، والعُسُب...»(٣).

وهذا يدلُّ على أنَّ القرآن لم يكن مجموعًا في مصحفٍ واحدٍ في عهد النبي ﷺ، بل كان متفرِّقًا في مثل هذه الأدوات التي ذكرها زيدٌ ﷺ. وهنا ترِدُ علينا المسألة التالية:

لماذا لم يُكتب القرآن كاملًا في مصحف واحدٍ في عهد الرسول ﷺ؟

اجتهد أهل العلم في تعليل ذلك، فكان **من أبرز ما ذُكر من الأسباب**(٤):

---

(١) والآثار الصحيحة تدلُّ على ذلك، منها ما رواه البراء ﷺ قال: «لما نزلت ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النساء: ٩٥] دعا رسول الله ﷺ زيدًا فكتبها، فجاء ابن أم مكتوم فشكا ضرارته فأنزل الله ﴿غَيْرُ أُوْلِى ٱلضَّرَرِ﴾ [النساء: ٩٥]». أخرجه البخاري (٤٥٩٣) ومسلم (١٨٩٨).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (٣٠٠٤)، وأحمد في مسنده (٦٧٩٩) واللفظ له. ثم جاء الترخيص بكتابة الحديث في آخر حياته ﷺ. ينظر: بحوث في تاريخ السنة المشرفة (ص٢٢٥).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٦/ ٧١) برقم (٤٦٧٩). الرقاع: جمع رقعة، وقد تكون من جلد أو ورق ونحوه، والأكتاف: جمع كتف وهو العظم الذي للبعير أو الشاة. والعُسُب جمع عَسيب: وهو جريد النخل العريض. وجاء في بعض الروايات «واللِخاف»: جمع لَخفة، وهي الحجارة الرقاق. ينظر: فتح الباري (٩/ ١٤). الإتقان (١/٣٨٥-٣٨٦).

(٤) ينظر: البرهان (١/٢٣٨)، الإتقان (١/٢٠٢)، مناهل العرفان (١/٢٤٨)، المحرر في علوم القرآن (ص١٥٢).

١- أنَّه لم تُوجد الدَّواعي لذلك في حياة النبي ﷺ، لأمور، منها:

- الأمْن من خوف الضَّياع أو الاختِلاف ونحوه بوجود الرسول ﷺ، الذي كان المرجع الأساس للصحابة، بخلاف الحال بعد وفاته.

- أن أغلب الأمَّة آنذاك أمِّيون لا يعرفون القراءة.

- أن الاعتماد كان على الحفظ أكثر من الكتابة، والأصل في القرآن المسموع المحفوظ وليس المكتوب، الذي هو زيادة ضبْطٍ للمقروء فحَسْب.

٢- أن الجمْع في كتاب واحد لا يصلح إلا لما قد انتهى واستقرَّ، ولم يكن القرآن كذلك في حياته ﷺ لأمور، منها:

- أن القرآن نزل مفرَّقًا على ثلاث وعشرين سنة، فيه الآيات المتفرِّقة من سور مختلفة.

- أن ترتيب آياته ليس على ترتيب نزوله.

- أن منه ما قد يُنسخ لاحقًا فلا يُقرأ به.

- أن نزوله لم يكتمل إلا قُبيل وفاة النبي ﷺ بليالٍ.

ولا شكَّ أن جمعه في كتاب واحد والحال هذه فيه صعوبة بالغة لكثرة الحاجة إلى الإضافة والإزالة.

معالم جَمع القرآن في عهد النَّبي ﷺ وخصائصه(١):

يمكننا أن نوجز أبرز معالم جمع القرآن في عهد النبي ﷺ في النقاط التالية:

١- أنه وقع جمع القرآن في عهد الرسول ﷺ بنوعَيه: الحفظ في الصدور، والكتابة في السطور.

٢- المقصود بجمع السُّطور في عهد الرسول ﷺ هو مجرَّد كتابته وتدوينه.

٣- أن القرآن الذي نقرؤه كلّه كان مكتوبًا في عهد رسول الله ﷺ ولكن لم يكن مجموعًا في مصحف واحد.

---

(١) ينظر: فتح الباري لابن حجر (٩/ ١٢)، المحرر في علوم القرآن (ص١٥١).

٤ – أنه قد يوجد من المكتوب في عهد رسول الله ﷺ ما تُركت تلاوته[١] في العَرْضة الأخيرة[٢].

المرحلة الثانية: جمع القرآن في عهد أبي بكر رضي الله عنه:

بوفاة الرسول ﷺ فقدت الأمَّة الضَّمانة الأولى لحفظ القرآن، وهو الذي أمَّنه ﷻ من النسيان فقال له: ﴿سَنُقۡرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ۝٦ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الأعلى: ٦، ٧]، ومن هنا أَلْهَم الله الصحابة رضي الله عنهم ليقوموا بما يضمن حفظ القرآن بعد الرسول عليه الصلاة والسلام تحقيقًا لموعوده سبحانه وتعالى بحفظه إلى آخر الزمان، فكان الجمع الأول في عهد أبي بكر رضي الله عنه.

وقد حكى زيدُ بن ثابت رضي الله عنه قصَّة ذلك الحَدَث الجَلَل، فقال: «أرسل إليَّ أبو بكر مقتَلَ أهل اليمامة[٣] وعنده عُمَر، فقال أبو بكر: إن عمر أتاني فقال: إن القتل قد استحرَّ[٤] يوم اليمامة بالناس، وإني أخشى أن يَستحِرَّ القتلُ بالقُرّاء في المواطن، فيذهب كثير من القرآن إلا أن تجمعوه، وإني لأَرَى أن تجمع القرآن. قال أبو بكر: قلتُ لعمر: كيف أفعل شيئًا لم يفعله رسول الله ﷺ؟ فقال عمر: هو والله خير، فلم يزَل عمر يراجعني فيه حتى شرح الله لذلك صدري، ورأيت الذي رأى عمر. قال زيد بن ثابت:

---

(١) من ذلك ما رواه مسلم (٢/ ١٠٧٥) (١٤٥٢) عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أنها قالت: «كَانَ فِيمَا أُنْزِلَ مِنَ الْقُرْآنِ: عَشْرُ رَضَعَاتٍ مَعْلُومَاتٍ يُحَرِّمْنَ، ثُمَّ نُسِخْنَ، بِخَمْسٍ مَعْلُومَاتٍ، فَتُوُفِّيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَهُنَّ فِيمَا يُقْرَأُ مِنَ الْقُرْآنِ». وينظر: الإتقان (٤/١٤٤٠).

(٢) العَرضة الأخيرة: هي آخر ما عرَضه نبينا ﷺ من القرآن على جبريل عليه السلام في آخر رمضان قبل وفاته. وذلك أن جبريل عليه السلام كان يدارسه القرآن كل عام مرَّة في رمضان، وعرضه في عامه الذي توفي فيه مرَّتين كما ثبت في صحيح البخاري (٤/ ١٨٣)، وقد ثبت فيها نَسْخٌ لبعض المقروء، فعن ابن عباس رضي الله عنه قال: «كان يُعرض القرآن على رسول ﷺ في كل عام مرَّة، فلما كان العام الذي قُبض فيه عرض عليه مرَّتين، فشهد عبد الله [أي ابن مسعود] فعلم ما نُسخ منه وما بُدِّل» أخرجه أحمد في المسند: (١/٣٦٢)، وقال محققه شعيب الأرنؤوط: «إسناده صحيح على شرط الشيخين».

(٣) مقتلَ أهل اليمامة: أي عَقِب قتل أهل اليمامة، والمراد بأهل اليمامة هنا من قُتل بها من الصحابة في الوَقْعة مع مُسَيلمة الكذَّاب في اليمامة من أرض نجد. ينظر: فتح الباري لابن حجر (٩/ ١٢).

(٤) استحرَّ: أي اشتد وكثر، وهو استفعل من الحرِّ: الشدة. النهاية (حرر).

وعمر عنده جالس لا يتكلم، فقال أبو بكر: إنك رجل شابٌّ عاقلٌ، ولا نتَّهمك، كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ، فَتَتَبَّع القرآن فاجْمَعه. فوالله لو كلَّفني نقل جبَل من الجبال ما كان أثقل عليَّ مما أمرني به من جمع القرآن. قلتُ: كيف تفعلان شيئًا لم يفعله رسول الله ﷺ؟ فقال أبو بكر: هو والله خير، فلم أزل أراجعه حتى شرح الله صدري للَّذي شرح الله له صدر أبي بكر وعمر، فقمتُ، فَتَتَبَّعت القرآن أجمعُه من الرِّقاع والأكتاف والعُسُب وصدور الرجال، حتى وجدتُ من سورة التوبة آيتَين مع خزيمة الأنصاريّ لم أجدهما مع أَحَد غيره[1] ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم﴾ [التوبة: ١٢٨]، إلى آخرهما. وكانت الصُّحف التي جمع فيها القرآن عند أبي بكر حتى توفَّاه الله، ثم عند عمر حتى توفَّاه الله، ثم عند حَفصة بنت عمر»[2].

خصائص جمع القرآن في عهد أبي بكر ﷺ ومعالمه:

من خلال حديث زيد السابق نجمل معالم الجمع البَكْري في ما يأتي:

١- **المقصود بهذا الجمع:** هو جمع المكتوب المتفرِّق من القرآن في كتاب واحدٍ، ومن هنا يتبيَّن أن هذا العمل لم يكن كتابةً مبتَدَأة للقرآن، ولكنه إعادة لما كُتب بين يدي النبي ﷺ[3].

٢- **سبب الجمع:** الخوف من ذهاب شيء من القرآن باشتداد القتل بالقُرَّاء في المواطن[4].

---

(١) يعني لم يجدهما مكتوبتَين مع غيره، وإلا فالآيتان يحفظهما زيد والصحابة ﷺ. ينظر: فتح الباري (٩/ ١٣)، الإتقان (٢/٣٨٤).

(٢) رواه البخاري برقم (٤٦٧٩، ٤٩٨٦، ٤٩٨٩).

(٣) وقد وضَّح الحارث المحاسبي (ت:٢٤١) ذلك بتصوير حسِّي يُقرِّب الأمر فقال: «كتابة القرآن ليست محدَثة فإنه ﷺ كان يأمر بكتابته ولكنه كان مفرَّقًا في الرقاع والأكتاف والعُسُب، وإنما أمر الصدِّيق بنسخها من مكان إلى مكان، وكان ذلك بمنزلة أوراق وُجدت في بيت رسول الله ﷺ فيها القرآن منتشر، فجمعها جامع وربطها بخيط حتى لا يضيع منها شيء». ينظر: البرهان (١/ ٢٣٨)، الإتقان (٢/٣٨٥).

(٤) وفي هذا إشارة إلى أنَّ ما بين أيديهم من المكتوب لا يعين على حفظ القرآن؛ لأنه غير مجموع، وأن أصل حفظ القرآن إنما هو بالمقروء في الصدور، ومن هنا حصل الخوف من ضياعه بمقتل حفظته في الصدور. ينظر: المحرر في علوم القرآن (ص١٥٤).

٣- **المكلَّف بالجمع:** هو زيد بن ثابت ﷺ، وقد ذكر أبو بكر ﷺ الصفات التي أهَّلت زيدًا فاختاره من دون سائر الصحابة، وهي:

- المؤهِّلات الجسميَّة: «إنك رجل شابٌّ»، والشباب له أثره في الحيوية والنشاط.

- المؤهِّلات العقليَّة: «عاقل، ولا نتَّهمك»: أي: لا نشكُّ في أمانتك وحفظك وإتقانك، والعقل له دوره في رجحان العمل وصلاحه.

- المؤهّلات العمليَّة: «كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ».

- المؤهّلات العلميَّة: حفظه القرآن كاملًا، مع حضوره للعَرْضة الأخيرة[1]، وهو مؤهّلٌ مهمٌّ لم يرِدْ في حديث أبي بكر ﷺ.

ويظهر أن هذه المؤهِّلات لم تجتمع في واحد من الصحابة ﷺ، ممَّا رشَّح زيد ﷺ لأن يكون الأَوْلى للقيام بهذه المهمَّة الجليلة[2]، التي وصف مدى صعوبتها فقال: «فوالله لو كلَّفني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل عليَّ مما أمرني به من جمع القرآن». لكن يسَّر الله له الأمر فقام بها خير قيام في مدة وَجيزة[3].

٤- **مصادر زيد في الجمع:** هي ما ذكره بقوله: «فتَتَبَّعت القرآن أجمعه من الرِّقاع، والأكتاف، والعُسُب، وصُدور الرِّجال...»، أما هو فقد كتبه في صُحُف متجانسة مرتَّبة يسهل ضمُّها بين دفَّتين بخلاف القِطع التي كُتب فيها سابقًا، يدلُّ عليه قوله في آخر الأثر: «وكانت الصُّحُف التي جُمع فيها القرآن...»[4].

---

(١) فعن سمرة ﷺ قال: «عُرِض القرآن على رسول الله ﷺ عرضات، فيقولون: إن قراءتنا هذه هي العرضة الأخيرة». أخرجه الحاكم في المستدرك وصحَّحه (٢/٢٣٠)، وحسَّنه الحافظ ابن حجر في الفتح (٩/٤٤)، والمقصود بقوله «قراءتنا هذه» أي: التي جمع عثمان ﷺ عليها الناس وهي قراءة زيد. ينظر: الإتقان (١/٣٣٥). تحقيق موقف الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود من الجمع العثماني، لمحمد الطاسان (ص٥٢-٥٤).

(٢) ينظر: المقنع في معرفة مرسوم مصاحف أهل الأمصار (ص١٢١-١٢٢)، سير أعلام النبلاء (١/٤٨٨)، فتح الباري لابن حجر (٩/١٣).

(٣) استغرق ذلك ما يقرُب من سنة واحدة، لأن معركة اليمامة كانت في أواخر عام ١١، وتوفي أبو بكر ﷺ في منتصف عام ١٣. ينظر: محاضرات في علوم القرآن (ص٦٠).

(٤) ينظر: المرجع السابق (ص٥٨).

١- **ما تضمَّنه هذا المصحف:** تضمَّن هذا المصحف ما ثبتت قرآنيَّته، وزيد ﷺ من أعلم الصحابة بالعَرضة الأخيرة، والأقرب أن يكون القَصْد جمع القرآن الثَّابت، وليس كل ما قُرئ بين يدي الرسول ﷺ؛ الذي لو جُمع لدخل فيه ما تُرِكت تلاوته[١].

٢- **ترتيب السُّور في هذا الجمع وما إلى ذلك:** الأصل في ذلك أنه لا اختلاف في هذه الأمور، بل إنها كُتِبت كما عهدوه عن النبي ﷺ[٢].

٣- دلَّ آخر حديث زيد أنه كَتَب مصحفًا واحدًا فقط، أُودع عند أبي بكر ﷺ، ثم عمر ﷺ، ثم عند أم المؤمنين حفصة بنت عمر ﷺ بعد وفاته، ولم يُلزم أحدٌ بالأخْذ بما فيه، وتَرْك ما سواه، فبقي الصحابة يُقرِئون بما قَرؤوا به في عهد النبي ﷺ، ومنه ما نُسخ في العَرضة الأخيرة.

المرحلة الثالثة: جَمْع القرآن في عهد عثمان ﷺ:

كانت هذه المرحلة هي خاتِمة مراحل جمع القرآن المعتمَد عليه عند المسلمين، وقد كانت مهمَّة عثمان تتمثَّل في نسخ مصحف أبي بكر إلى عدد من المصاحف ليعتمِد عليها المسلمون، ولتكون معيارًا يعلمون به صِحَّة ما يُنسب إلى القرآن من حيث أصول حروفه وكلماته وجُمَلِه، إذ قد يصحّ عن النبي ﷺ قراءاتٍ لكنها مما تُرك في العرضة الأخيرة فلم يُقرأ بها[٣]، وتَرْكُ الناس بلا مرجع يرجِعون إليه يجعلهم لا يزالون مستمرِّين في

---

(١) ويدل على ذلك ما أخرجه البخاري في صحيحه برقم (٥٠١٩) أن ابن عباس ﷺ سُئل: أَتَرَكَ النبي ﷺ من شيء؟ فقال: «ما ترك إلا ما بين الدفَّتين»، أي: لم يدَعْ من القرآن ما يُتلى إلا ما هو داخل المصحف الموجود. ينظر: الفتح (٩/٦٥).

(٢) ويُستَأْنس في ذلك أيضًا بالأثر السابق عن ابن عباس. وقال البيهقي في شعب الإيمان (٢/ ٥٤٦): «وأَمَرَ أبو بكر ﷺ بجمع القرآن، ونَقَلَه إلى مصحفٍ، ثم اتَّخذ عثمان من ذلك المصحف مصاحف، وبعث بها إلى الأمصار، ولم يُعْرَف أنه أُثبت في المصحف الأوّل، ولا فيما نُسِخَ منه شيء سوى القرآن، فلذلك ينبغي أن يُعمل في كتابة كل مصحف». وينظر: المحرر في علوم القرآن (ص١٥٦).

(٣) ومن أوضح الأمثلة في ذلك ما ثبت عند البخاري في صحيحه (٥/ ٢٥) (٣٧٤٣) في قراءة قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ﴾ [الليل: ٣]، عن علقمة أن أبا الدرداء سأله: كَيْفَ يَقْرَأُ عَبْدُ اللَّهِ [أي ابن مسعود]: =

قراءة ما تُركت تلاوته فيظهر حينئذٍ الاختلاف كما سنرى في قصَّة الجمع العثماني.

عمل عثمان رضي الله عنه في المصحف:

يمكن استخلاص عمل عثمان رضي الله عنه من الخبر الذي رواه البخاريُّ عن أنس بن مالك رضي الله عنه: «أن حُذَيفة بن اليَمان قدم على عثمان -وكان يغازي أهل الشام في فتح أرْمينية وأذَرْبيجان[1] مع أهل العراق- فأفزَع حُذيفة اختلافهم في القراءة، فقال حذيفة لعثمان: يا أمير المؤمنين؛ أدرك هذه الأمَّة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى. فأرسل عثمان إلى حفصة أن أرسلي إلينا بالصُّحف، ننسخها في المصاحف ثم نردُّها إليك، فأرسلت بها حفصة إلى عثمان، فأمر زيد بن ثابت، وعبدالله بن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام، فنسخوها في المصاحف، وقال عثمان للرَّهط القُرَشيِّين الثلاثة: إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش فإنما نزل بلسانهم، ففعلوا، حتى إذا نسخوا الصُّحف في المصاحف رَدَّ عثمان الصُّحُف إلى حفصة، وأرسل إلى كل أُفق بمصحف مما نسخوا، وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يحرق»[2].

خصائص جمع القرآن في عهد عثمان رضي الله عنه ومعالمه:

من خلال حديث حذيفة السابق يمكننا أن نستخلص معالم جمع القرآن في عهد عثمان رضي الله عنه عبر النقاط التالية:

١- **المقصود بهذا الجمع**: نَسْخ عِدَّة مصاحف من مصحف أبي بكر رضي الله عنه، الذي هو أصل العمل، وهذا صريح في الأثر السابق: «فأرسل عثمان إلى حفصة أن أرسلي إلينا

= وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى؟ فَقَرَأْتُ عَلَيْهِ: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ۝١ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ۝٢ وَالذَّكَرِ وَالأُنْثَى﴾ قَالَ: «وَاللَّهِ لَقَدْ أَقْرَأَنِيهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ فِيهِ إِلَى فِيَّ». فحين ترجع إلى ما نسخه عثمان رضي الله عنه في المصاحف لا تجد هذه القراءة الصحيحة الثابتة عن النبي ﷺ، فتعلم حينئذ أنها مما تُركت القراءة به في العَرضة الأخيرة.

(١) كان ذلك في أواخر سنة أربع وعشرين وأوائل سنة خمس وعشرين كما حققه الحافظ ابن حجر، وقيل: في حدود سنة ثلاثين. ينظر: فتح الباري (٩/ ١٧).

(٢) صحيح البخاري برقم (٤٩٨٨).

بالصُّحف ننسخها في المصاحف ثم نرُدُّها إليك».

٢- **سبب الجمع**: الخوف من الاختلاف في قراءة القرآن، كما ذكر حذيفة ﷺ بقوله: «أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى».

٣- **المكلَّف بهذا الجمع**: كُوِّنت لجنة لهذا العمل العظيم من أربعة، كما في الأثر: «فأمر زيد بن ثابت، وعبد الله بن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام، فنسخوها في المصاحف»[١].

٥- **المنهج المتَّبع في الرسم حال الاختلاف**: أرشدهم عثمان ﷺ إلى أساس القاعدة التي يعملون بها حال اختلافهم في رسم كلمة ما -وهذا الاختلاف محتمل الحدوث في لجنة من عدة أشخاص؛ بخلاف عمل زيد في الجمع البكري؛ فقد كان بمفرده[٢]-؛ فقال للرَّهط القُرَشيِّين الثلاثة: «إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش فإنما نزل بلسانهم»، أي: فارسموه بطريقة نُطق قريش التي نزل القرآن أول ما نزل بلُغتها، وذلك أن زيد بن ثابت كان من أهل المدينة، فربَّما تأثَّر رسمه للقرآن ببعض خصائص لهجَته، مثاله ما رواه الزُّهري أنهم اختلفوا يومئذ في التابوت والتابوة، فقال القُرشيُّون: التابوت، وقال زيد: التابوة، فرُفع اختلافهم إلى عثمان، فقال: اكتبوه التابوت فإنه نزل بلسان قريش[٣].

٦- **عدد المصاحف المنسوخة**: قال أنس: «وأرسل إلى كل أُفُق بمصحف مما نسخوا»، وقد وقع خلاف بين العلماء في عدد هذه المصاحف، والصحيح أنها ستة: المصحف الذي استكتَبُه عثمان لنفسه، وخمسَةٌ أُرسلت إلى الحواضر الإسلامية

---

(١) وقد كان هؤلاء الأربعة في سن يتمتعون فيها بالقوة البدنية والنضج العقلي الذي يتطلبه عمل كبير مثل انتساخ المصاحف، فزيد بن ثابت الأنصاري، كاتب الوحي الذي كان عمره عند وصول النبي ﷺ إلى المدينة مهاجرا إحدى عشرة سنة، ومعه ثلاثة من شباب قريش كلهم مولود في حدود السنة الأولى من الهجرة. ينظر: محاضرات في علوم القرآن (ص٦٥).

(٢) ينظر: المرجع السابق (ص٦٦)، المحرر في علوم القرآن (ص١٦٠).

(٣) أخرج هذه الزيادة الترمذي في سننه (٥/٢٨٤) (٣١٠٤).

الكبرى؛ مكة والمدينة والكوفة والبصرة والشام[1]، وقد أرسل عثمان مع كل مصحف قارئًا يُقرئ الناس ويُعلِّمهم، فصار كل أهل بلد يقرؤون بما يُقرئهم إمامهم، ويرجعون في ضبط مصاحفهم إلى المصاحف المرسَلَة إليهم، الموحَّدة رسمًا وترتيبًا، لنشوئها من مصدر واحد، وبذلك انحسَم الخلاف في قراءة القرآن.

٧- إلزام الناس بما نُسِخ من مصحف أبي بكر، وأمرهم بتحريق مصاحفهم:

تظهر أهميَّة جمع عثمان ﷺ من خلال هذا الإلزام، حيث كان حاسمًا قاطعًا للخلاف؛ وذلك لاتِّفاق المصدر، ولولا هذه الخطوَة لما حقَّق هذا العمل الجليل أهدافه.

وبهذا يتضِّح اختلاف عمل عثمان عن عمل أبي بكر ﷺ، وفي ما يأتي خلاصة لأبرز الفروق بينهما:

أبرز الفروق بين الجَمْع البَكري والجَمْع العُثماني

معالم الجمع	الجمع البكري	الجمع العثماني
المقصود به	جمع المكتوب المتفرِّق من القرآن في مصحفٍ واحدٍ	نَسْخ عِدَّة مصاحف من مصحف أبي بكر ﷺ
سببه	الخوف من ذهاب شيء من القرآن باستشهاد حفاظه	الخوف من الاختلاف في قراءة القرآن
المكلّف به	زيد بن ثابت ﷺ	زيد بن ثابت، وعبد الله بن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام
عدد المصاحف	مصحف واحد	ستَّة مصاحف على الصحيح
الإلزام بما فيه	بقيَت نسخة المصحف عند أبي بكر، ثم عند عمر ﷺ ولم يُلزم الناس بما فيه	أرسل إلى كل أُفُق بمصحف، وألزم الناس بهذه المصاحف، وأمر بتحريق ما سواها

(١) ينظر: الإتقان (١/ ٣٩٣).

موقف الصحابة ﷺ من الجمع العثماني:

تلقَّى الصحابة ﷺ جمع عثمان بالقبول، وأثنَوْا على صنيعه، فَعَن مصعب بن سعد بن أبي وقّاص، قال: «أدركتُ أصحاب رسول الله ﷺ متوافرِين، فما رأيتُ أحدًا منهم عابَ ما صنع عثمان ﷺ في المصاحف»[١]، وعن سويد بن غفلة يقول: سمعت عليًّا يقول: «رحم الله عثمان، لو وُلِّيتُه لفعلتُ ما فعل في المصاحف»[٢]، ولم يُذكر اعتراض عن أحدٍ منهم إلا ما رُوي عن ابن مسعود ﷺ ابتداءً، ثم صار إلى موافقة الجماعة في آخرِ أمره ﷺ[٣].

وهكذا أجمعت الأمَّة على المصاحف العثمانية، التي صارت إمامًا يعودُ الناس إليها وينسخون مصاحفهم عنها جيلًا بعد جيل، حتى وصلَت بين أيدينا، نقرأُ القرآن منها غضًّا طَرِيًّا كما أنزل، قال الباقلاني (ت:٤٠٣): «جميع القرآن الذي أنزله الله ﷻ وأمرنا بإثبات رسمه، ولم ينسخه ويرفع تلاوته بعد نزوله، هو هذا الذي بين الدَّفَّتين، الذي حواه مصحف عثمان ﷺ، وأنّه لم يُنْقَصْ منه شيء، ولا زِيدَ فيه»[٤].

ومن ثَمَّ كان اعتناء العلماء بالمصاحف العثمانية وما كُتب عنها، فنشأت العلوم المتعلِّقة بالمصحف الشريف كعلم الرَّسم والضبط، وفي المباحث التالية الحديث عنها، وقبل ذلك نُلقي الضَّوء على مسألة متعلِّقة بجمع القرآن في مراحله الثلاث، وهي مسألة ترتيب سُوَر القرآن وآياته وعدَد كلٍّ منها.



(١) أخرجه عمر بن شبة في تاريخ المدينة، تحت عنوان «كتابة القرآن وجمعه» (٣/ ١٠٠٤).

(٢) أخرجه ابن أبي داود في كتاب المصاحف، تحت عنوان « جمع عثمان رحمة الله عليه المصاحف» (١/ ٩٨).

(٣) ينظر: تحقيق موقف الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود من الجمع العثماني، لمحمد الطاسان.

(٤) الانتصار للقرآن (١/ ٥٩).

ثانيًا: ترتيب سُوَر القرآن وآياته

يتألَّف القرآن الكريم من آيات، **والآيات** جمع آية: وهي **لغةً**: تُطلق على العلامة، والعِبرة، والمعجزة، والدليل، وغير ذلك. أما **اصطلاحًا** فهي: قرآنٌ مركَّب من جُمَل ولو تقديرًا، ذو مبدَأٍ ومقطَعٍ مُندرجٍ في سورة(١).

وهذا التعريف يشير إلى أن آيات القرآن مجموعة في أقسام تُسمَّى السُّوَر، **والسُّوَر**: جمع سورة: وهي **لغةً**: المنزلة «لأنها منزلة بعد منزلة، مقطوعة عن الأخرى»(٢)، وقيل من سُور المدينة لإحاطتها بآياتها (٣)، وأما **اصطلاحًا** فهي: قرآنٌ يشتمل على آيات ذوات فاتحة وخاتِمة (٤).

الحِكمة من تقسيم القرآن إلى سُوَر:

ولتقسيم القرآن إلى سُوَر حِكَمٌ عظيمة، من أبرزها(٥):

١- التَّيسير في حفظ القرآن وتلاوته ومدارَسته.

٢- تحقيق كَوْن السورة معجزة بمجرَّدها وإن قَصُرت.

٣- الإشارة أن لكل سورة موضوعًا مستقلًّا.

وقد تقدَّم أن القرآن نزل مفرَّقًا على مدار ثلاث وعشرين سنة، كانت تنزل خلالها السورة أو الآية من السورة أو بعض آية أو الآيتان أو الجمع من الآيات، وهذا الترتيب النُّزوليّ يختلف عن الترتيب الجمعيّ المثبَت في المصاحف، فكيف تَمَّ هذا الترتيب البديع، وما مصدره؟ هذا ما سنتناوله في هذا المبحث.

---

(١) حسن المدد للجعبري (ص١٨). وينظر تعاريف أخرى في: مناهل العرفان (١/٣٣٨-٣٣٩)، الميسر في عد آي القرآن (ص١٠).

(٢) القاموس المحيط (ص: ٤١١)، مادة (س و ر).

(٣) البرهان (١/ ٢٦٤).

(٤) وهو تعريف الجعبري كما في البرهان (١/ ٣٦٤)، وينظر: مناهل العرفان (١/٣٥٠).

(٥) البرهان (١/ ٣٦٤- ٣٦٥)، الإتقان (٢/ ٤٢٩)، مناهل العرفان (١/٣٥١).

أ) ترتيب آيات القرآن

ترتيب الآيات في السُّوَر كان بتَوقيفٍ من النبي ﷺ، ولا خلاف في ذلك[١]، وممَّا يدل عليه حديث عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما قال: قلتُ: لعثمان بن عفان: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا﴾ [البقرة: ٢٣٤] قال: قد نسختَها الآية الأخرى، فلِمَ تكتبها؟ أو تدعها؟ قال: «يا ابن أخي لا أُغيِّر شيئًا منه من مكانه»[٢]، ويوضِّحه قول عثمان لابن عباس رضي الله عنهم: «إن رسول الله ﷺ كان مما ينزل عليه من السُّوَر التي يُذكر فيها كذا وكذا، فإذا أُنزلت عليه الآيات يقول: ضَعُوا هذه الآيات في موضع كذا وكذا»[٣].

كذلك كان النبيُّ ﷺ يُقرئ الصحابة القرآن، ويقرأ عليهم السُّوَر في الصلوات، ويسمعونه منه ليلَ نهار، ولم يُسمَع من أحدهم أنه خالفَ في ترتيب آيةٍ من الآيات[٤].

ب) ترتيب سور القرآن

بخلاف مصدَر ترتيب الآيات فقد وقع الخلاف في مصدَر ترتيب السور، هل كان بتَوقيفٍ من النبي ﷺ أم باجتهاد من الصحابة؟

والأرجح هو القول بأن ترتيب السُّوَر توقِيفٌ من النبي ﷺ؛ لأدلَّة نقليَّة وعقليَّة عديدة؛ من أبرزها:

١- أنه قد ثبت في أحاديث عديدة ذكر سور القرآن المتوالية حسب ترتيب المصحف، كحديث أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه المرفوع، وفيه: «**اقرؤوا الزَّهْراوَيْن البقرة وسورة آل عمران، ...**»[٥]. ومما ورد عن الصحابة قول ابن مسعود رضي الله عنه: «بني إسرائيل والكهف ومريم وطه والأنبياء هُنَّ من العِتاق الأول، وهُنَّ من تِلادي»[٦]. وفي ما ثبت دلالة

---

(١) ينظر: البرهان (١/ ٢٥٦)، الإتقان (٢/ ٣٩٤).

(٢) أخرجه البخاري (٦/ ٢٩) (٤٥٣٠).

(٣) سيأتي بتمامه مع تخريجه في المسألة التالية.

(٤) ينظر: الإتقان (٢/ ٣٩٧ - ٤٠٠).

(٥) رواه مسلم (١/ ٥٣٣) (٨٠٤).

(٦) أخرجه البخاري (٦/ ١٨٥) (٤٩٩٤).

على ما بَقِيَ ؛ إذ يبعُد أن يرتِّب الرسول ﷺ بعضها ويترك بعضًا بلا سبب واضح ، ففي ما ثبت دلالة على ما لم يُذكر ترتيبه.

٢ – حديث أوس بن حذيفة الثقفي رضي الله عنه في قصة قدوم وفد ثقيف ، وفيه أن الرسول ﷺ احتبَس عنهم ليلة عن الوقت الذي كان يأتيهم فيه ، فقال ﷺ: «**طَرَأَ عَلَيَّ حِزْبٌ مِنَ الْقُرْآنِ، فَأَرَدْتُ أَنْ لَا أَخْرُجَ حَتَّى أَقْضِيَهُ**». قال: فسألنا أصحاب رسول الله ﷺ حين أصبحنا ، قال: قلنا: كيف تحزِّبون القرآن؟ قالوا: نُحَزِّبُهُ ثَلَاثَ سُوَرٍ، وَخَمْسَ سُوَرٍ، وَسَبْعَ سُوَرٍ، وَتِسْعَ سُوَرٍ، وَإِحْدَى عَشْرَةَ سُورَةً، وَثَلَاثَ عَشْرَةَ سُورَةً، وَحِزْبَ الْمُفَصَّلِ مِنْ قَاف حَتَّى يُخْتَمَ[1].

٣– حديث واثلة بن الأسقع رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**أُعطِيتُ مكان التَّوراةِ السبعَ الطُّوَل، وأُعطيت مكان الزَّبور المِئِين، وأُعطيتُ مكان الإنجيل المَثَاني، وفُضِّلت بالمفصَّل**»[2]. فإذا كان هذا التَّقسيم الجُمْلي موجودًا معروفًا بينهم، منقولاً عن النبي ﷺ ، فما المانع من أن يكون ما فيه من السُّوَر مرتبًا كذلك بفعل النبي ﷺ[3].

٤ – من الأدلة العقليَّة لهذا القول:

– عدم ترتيبه على النُّزول ، بحيث يُقدَّم المكِّيُّ على المدَنِّي.

– جَعْلُ الحواميم والطواسين متتالية ، بخلاف المسبِّحات والمبدوءات بـ(ألم) حيث لم تُجعَل كذلك[4].

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٢٦/ ٨٨) (١٦١٦٦)، وأبو داود (١٣٩٣)، وابن ماجه (١٣٤٥). قال العراقي في تخريج الإحياء (١/٢٤٨): «وإسناده حسن»، وضعَّفه الألباني في ضعيف أبي داود – الأم (٢/ ٦٨)، وكذا محققو المسند (٢٦/ ٨٨). وسيأتي شرحه تفصيلًا في مبحث تحزيب القرآن.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٢٨/ ١٨٨) برقم (١٦٩٨٢). وصححه الألباني بمجموع طرقه في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٣/ ٤٦٩) (١٤٨٠)، وحسنه محققو المسند (٢٨/ ١٨٨). والطُّوَل بضم الطاء جمع طولى، كالكُبَر جمع كُبرى. ينظر: البرهان (١/ ٢٤٤).

(٣) ينظر: الإتقان (٢/٤٠٩– ٤١٠)، المحرر في علوم القرآن (ص١٩٩).

(٤) ينظر: الإتقان (٢/٤١١– ٤١٢).

وقيل إن ترتيب سُوَر القرآن باجتهاد من الصحابة، استدلالًا بحديث ابن عباس ﭬ أنه قال لعثمان بن عفان ﭬ: «ما حمَلَكم على أن عمدتم إلى الأنفال وهي من المثاني، وإلى براءة، وهي من المئين، فقرَنتم بينهما، ولم تكتبوا سطرا: بسم الله الرحمن الرحيم، ووضعتُموها في السَّبع الطوال، ما حملَكم على ذلك؟ قال عثمان: إن رسول الله ﷺ كان مما يأتي عليه الزمان ينزل عليه من السُّوَر ذوات العدد، وكان إذا أُنزل عليه الشيء يدعو بعض من يكتبُ عنده يقول: «**ضعوا هذا في السُّورة التي يُذكر فيها كذا وكذا**» وينزل عليه الآيات، فيقول: «**ضعوا هذه الآيات في السُّورة التي يُذكر فيها كذا وكذا**» وينزل عليه الآية، فيقول: «**ضعوا هذه الآية في السُّورة التي يُذكر فيها كذا وكذا**»، وكانت الأنفال من أوائل ما أنزل بالمدينة، وبراءة من آخر القرآن، فكانت قصَّتُها شبيهةٌ بقصَّتِها، فقُبِض رسول الله ﷺ ولم يُبيِّن لنا أنها منها، وظننتُ أنها منها[١]، فمن ثَمَّ قرنتُ بينهما، ولم أكتب بينهما سطرًا: بسم الله الرحمن الرحيم. ووضعتها في السَّبع الطول»[٢]. **وأُجيب عنه**: أنه لو صحَّ؛ فإن فيه دلالة على أنه لم يبْقَ لهم من معرفة التَّوقيف في ترتيب السُّور سوى الأنفال والتوبة[٣]، وعلى هذا لا يصلح أن يُحتَجَّ به على أن ترتيب سور القرآن اجتهاد من الصحابة.

---

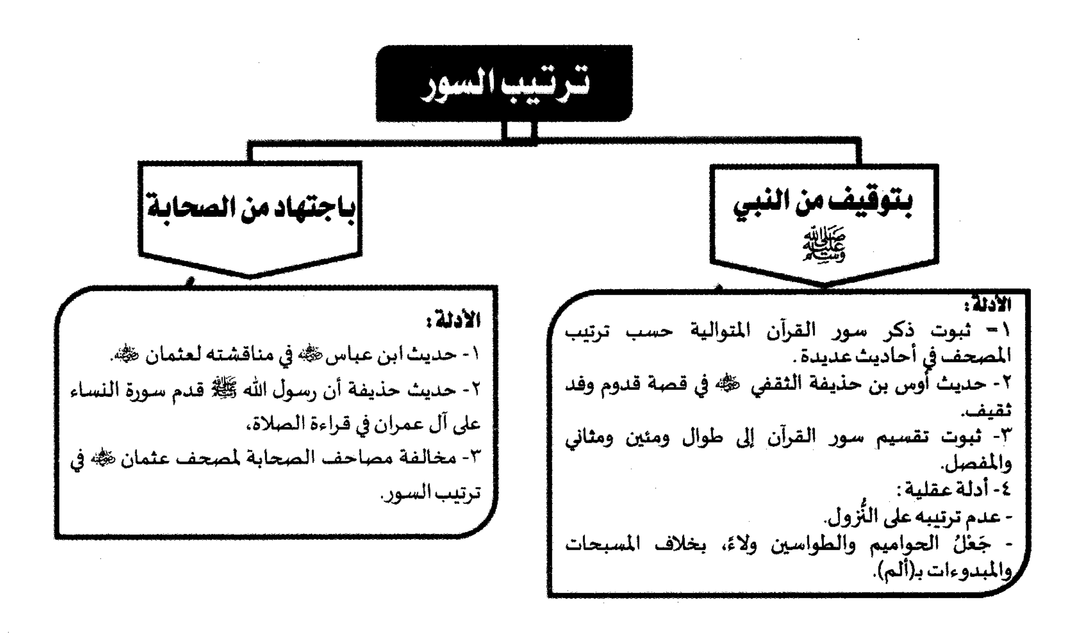
(١) استُغرب هذا القول المروِيّ عن عثمان ﭬ، مما يدل على ضعف الأثر، فمعلوم أن الأنفال نزلت في بدر في السنة الثانية. وتأخر نزول التوبة إلى تبوك في السنة التاسعة، قال الألباني في ضعيف أبي داود - الأم (١/ ٣٠٨): «فتأخر نزول (براءة) كلها عن الأنفال- بهذا الفاصل المديد من الزمان- لَهُوَ دليل واضح على أنهما سورتان، لا سورة واحدة، كما قال الطحاوي في مشكل الاثار (١٥٢/٢)».

(٢) أخرجه أحمد (١/ ٤٦٢) وأبو داود برقم (٧٨٦) والترمذي برقم (٣٠٨٦) وحسَّنه. وصحَّحه ابن حبان (٤٣) والحاكم (٢ / ٢٢١ و٣٣٠) ووافقه الذهبي. وضعَّفه سنَدًا ومتنًا الشيخ أحمد شاكر في تعليقه على مسند الإمام أحمد (٣٢٩/١ برقم ٣٩٩)، وكذا الألباني في ضعيف أبي داود الأم (١/ ٣٠٦)، ومحققو المسند (١/ ٤٦٢). وصحَّح الحديث عبد الله الجديع في كتابه (مقدمات أساسية في علوم القرآن) (ص١٢٤ - ١٢٧) بعد أن ردَّ قول الشيخ أحمد شاكر.

(٣) ومن هنا رجَّح البيهقيُّ والسيوطيُّ أن ترتيب جميع سور القرآن توقيفيٌّ عدا سورتي الأنفال والتوبة. ينظر: الإتقان (٢/ ٤١١).

كذلك استدلُّوا بحديث حذيفة أن رسول الله ﷺ قدَّم سورة النساء على آل عمران في قراءة الصلاة[1]. وأُجيب عنه: أن ذلك للدلالة على جواز مخالفة الترتيب أثناء القراءة في الصلاة وغيرها[2]، وبالتالي لا دلالة فيه على أن ترتيب المصحف ليس توقيفيًّا.

كما استدلُّوا باختلاف ترتيب مصاحف الصحابة، ونُوقش بأن لا حُجَّة فيه على أن ترتيب السور اجتهاد من الصحابة، لأنه قبل إجماع الصحابة على إلزام عثمان بما أرسله للأمصار لم يكن هناك اتّفاق في ما يتعلَّق بأمر القراءة ولا المصحف؛ لذا تجد أن بعضهم كان يُقرئ بكل ما سمع من النبي ﷺ؛ لأنه لم يبلُغْه أنها مما تُرِك في العَرضة الأخيرة، كما تقدَّم عند الحديث عن جمع القرآن.



(١) ونصّ الحديث: «أتيتُ النبي ﷺ في ليلة من رمضان فقام يصلِّي فلما كبَّر قال: الله أكبر ذو الملَكوت والجبَروت والكبرياء والعَظَمة، ثم قرأ البقرة ثم النساء ثم آل عمران، لا يمرُّ بآية تخويف إلا وقف عندها». أخرجه أحمد (٥/٣٩٨) واللَّفظ له، وأخرجه أيضًا أبو داود (٨٧٤) والنسائي (١١٤٥). والحديث أصله عند مسلم (٧٧٢).

(٢) وعلى هذا جرى عمل المسلمين، فتراهم في الكتاتيب يعلِّمون الأطفال من آخر القرآن.



ثالثًا: عدد سُوَر القرآن وآياته وتجزئته



أ) عدد سُوَر القرآن

عدد سور القرآن مائة وأربع عشرة (١١٤) سورة بالإجماع[١]، أوَّلها سورة الفاتحة وآخرها سورة الناس.

وثبت في حديث واثلة بن الأسقع المتقدِّم[٢] أنها في أربعة أقسام: السبع الطُّوَل، والمِئُونَ، والمثاني، والمفصَّل.

قال الطبري (ت: ٣١٠): «فالسبع الطُّوَل: البقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة، والأنعام، والأعراف، ويونس في قول سعيد بن جبير[٣]،... وأما المِئُونَ: فهي ما كان من سور القرآن، عدد آيِه مائة آية، أو تزيد عليها شيئًا أو تنقص منها شيئًا يسيرًا. وأما المثاني: فإنها ما ثنَّى المئين فتلاها، وكان المئون لها أوائل، وكان المثاني لها ثواني؛ وقد قيل: إن المثاني سُمِّيت مثاني لتثنِية الله -جل ذكره- فيها الأمثال والخبر والعِبَر، وهو قول ابن عباس،... وأما المفصَّل، فإنها سُمِّيت مفصَّلًا لكثرة الفصول التي بين سُورها ببسم الله الرحمن الرحيم»[٤].

والمفصَّل من سورة «ق» إلى سورة الناس على القول المشهور، وهو ثلاثة أقسام: طوال المفصَّل (من سورة «ق» إلى سورة البروج)، وأوساط المفصَّل (من سورة الطارق إلى سورة الضحى)، وقِصار المفصَّل (من سورة الشَّرح إلى سورة الناس)[٥].

---

(١) ينظر: الإتقان (٢/ ٤٢٢).

(٢) في المبحث السابق ص٧٢.

(٣) كذا المرويّ عن غير واحدٍ من السلف - يُنظر الإتقان (٢/٤١٤) - وقال الزركشي في البرهان (١/ ٢٤٤) «وآخرها [أي السَّبع الطول] براءة لأنهم كانوا يعدُّون الأنفال وبراءة سورة واحدة ...». ولعل الأولى أنها التوبة بمفردها، والله أعلم. ينظر: دراسات في علوم القرآن، د. فهد الرومي (ص١١٨).

(٤) تفسير الطبري (١/ ٩٨ -١٠١). وينظر أقوال أُخَر في: البرهان (١/٢٤٥- ٢٤٦)، الإتقان (٢/٤١٢-٤١٦).

(٥) ينظر: الإتقان (٢/٤١٤، ٤١٧).

ب) عدد آيات القرآن

أما عدد آيات القرآن فقد اختلَفوا فيها، مع اتّفاقهم على جُملة ما نزل من القرآن وألفاظ السورة الواحدة، وليس الاختلاف في زيادة ألفاظ فيها أو نقص، وإنما في تحديد رأس الآية منها، حيث أدّى ذلك إلى الاختلاف في عدد آيات السورة الواحدة.

مثال ذلك: سورة الإخلاص: أربعة آيات عند الأكثرين[1]، كالتالي: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾، وعند البعض خمس آيات[2]، كالتالي: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ ۝٣ وَلَمْ يُولَدْ ۝٤ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٥﴾. وإذا كان الأمر كذلك فهو يسير، والاختلاف فيه محتمَلٌ ومقبول، لأنه لا أثَرَ له في أصْل القرآن.

ومن هنا نشأ علم عَدِّ آي القرآن الذي صار علمًا قائمًا بذاته له مصنَّفاته ومنظوماته ودروسه، ويُعدُّ من أبرز العلوم المتعلِّقة بالقراءات، وفي ما يأتي ذكر مبادئ هذا العلم الجليل بإيجاز.

تعريف علم عدِّ الآي:

هو العلمُ بأعداد آيِ سُوَر القرآن وما اختُلِف في عدِّه منها، معْزُوًّا لناقله[3].

نشأة علم عدِّ الآي وأهمّيّته:

نشأ عدِّ الآي مع نزول القرآن الكريم، ويمكن القول بأن القرآن قد أشار إليه، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ﴾ [الحجر: ٨٧]، وقد جاء بيانها في قول النبي ﷺ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ «**هِيَ السَّبْعُ المَثَانِي، وَالقُرْآنُ العَظِيمُ الَّذِي أُوتِيتُهُ**»[4]. فقوله: هي السبع؛ لأن آياتها سبعٌ.

---

(١) في العدد المدني والبصري والكوفي.

(٢) في العدد المكي والشامي. ينظر ما سبق: البيان في عد آي القرآن (ص٢٩٦).

(٣) الميسر في علم عد آي القرآن (ص١٠).

(٤) أخرجه البخاري برقم (٤٧٠٣) من حديث أبي سعيد بن المعلى ﷺ.

فهذا من الأحاديث التي نصَّ النبي ﷺ فيها على عدد الآيات، وكذلك قوله: «من حَفِظ عَشْرَ آياتٍ من أوَّل سورة الكَهْف عُصِم من الدَّجَّال»[١]. وأيضًا قوله: «إن سُورةً من القرآن ثلاثين آيةً شَفَعَت لرَجُلٍ حتى غُفِر له، وهي ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾»[٢].

ومن آثار الصحابة في النصِّ على عدد الآيات: حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، أنه باتَ عند خالته ميمونة أم المؤمنين رضي الله عنها، وفيه قوله: «... ثم استيقظ رسول الله ﷺ، فجلس، فمسَحَ النَّوم عن وجهه بيده، ثم قرأ العشر آيات خواتيم سورة آل عمران، ...» الحديث[٣].

كذلك كان الصَّحابة يعتمدون على عدد الآي في حساب بعض أمورهم، من ذلك حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: «أن النَّبي ﷺ كان يقرأ في صلاة الظهر في الركعتَين الأوليَيْن في كل ركعة قَدْرَ ثلاثين آية، وفي الأخريَيْن قدْرَ خمس عشرة آية، أو قال نصف ذلك، وفي العصر في الركعتَين الأوليَين في كل ركعة قدْرَ قراءة خمس عشرة آية، وفي الأخريَين قدْرَ نصف ذلك»[٤].

فهذه الآثار ونحوها[٥] تدلّ على أن لهذا العلم أصْلاً في السُّنة وعند السلَف، كما تدلّ من جهةٍ أخرى على أهميَّته.

مصدر علم عدِّ الآي:

علم العدَد توقيفيٌّ عن الرسول ﷺ[٦]، وعلى ذلك فالأصل فيه النَّقل والسَّماع.

الاختلاف في عدِّ الآي:

مع أن الأصل في هذا العلم أنه متلقَّى عن الرسول ﷺ؛ إلا أنَّه ورَدَ اختلاف في عدِّ آي أغلب السُّوَر وتحديد رأسها ومبدئِها، ويوَجّه بأن ذلك متلقَّى بهذا الاختلاف عن

---

(١) رواه مسلم برقم (٨٠٩) من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه.

(٢) أخرجه الإمام أحمد (٢/٣٢١)، من حديث أبي هريرة. وأخرجه أيضًا الترمذي (٢٨٩١) وحسّنه.

(٣) أخرجه البخاري برقم (١١٩٨)، وأخرجه أيضًا مسلم برقم (٧٦٣).

(٤) أخرجه مسلم برقم (٤٥٢).

(٥) ينظر: الإتقان (٢/٤٥٣-٤٥٧).

(٦) وقيل: أن أغلبه توقيفيٌّ وبعضه اجتهاديٌّ. يُنظر أدلّة القولَين ومناقشتها في الميسر في علم عد آي القرآن (ص٣٨-٤٦).

الرسول ﷺ[١]، وهو من باب اختلاف التَنوُّع ؛ لأنَّ هذا النوع من الاختلاف لا أثَر له في أصل القرآن[٢].

فوائد معرفة عدد الآيات[٣]:

اجتهد أهل العلم في بيان فوائد معرفة عدد آيات السُّوَر، لعلَّ من أهمّها:

١) اتّباع السُّنَّة في الوَقْف على رؤوس الآيِ[٤]، ولا يتأتّى معرفتها إلا من خلال هذا العلم.

٢) معرفة الآيات المحدَّد عددها لنيْل الأجر الموعود به في بعض الأحاديث[٥].

٣) معرفة ما يُبنى على تحديد رؤوس الآيِ من أحكام القراءات[٦].

أقسام السُّور من حيث الاتفاق والاختلاف في عدد آياتها:

يمكن تقسيم السور من حيث الاتفاق والاختلاف في عدد آياتها إلى ثلاثة أقسام[٧]:

القسم الأول: ما لم يُختلف فيه لا في إجمال ولا في تفصيل، وهو أربعون سورة.

---

(١) ينظر: البيان في عد آي القرآن (ص٣٩).

(٢) ينظر: المحرر في علوم القرآن (ص١٨٢).

(٣) ينظر: الإتقان (٢/٤٥١)، الميسر في علم عد آي القرآن (ص٥٩-٦٥).

(٤) يدلّ على ذلك حديث أم سلَمة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يقطع قراءته: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ وفي رواية: «يقطع قراءته آية آية ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ثم يقف، ﴿الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ ثم يقف، وفي رواية: ثم نعتت قراءته فإذا هي مفسرة حرفًا حرفًا». رواه أحمد في المسند، (٢٦٥٢٦، ٤٤/٢٤٨) (٢٦٥٨٣، ٤٤/٢٠٦)، وأبو داود (٤٠٠٣، ٤/٦٥)، والترمذي (٢٩٢٧، ٥/١٨٥)، والحاكم في المستدرك (٢٩٠٩، ٢/٢٠٢).

(٥) مثل الحديث المتقدِّم: **«من حفِظ عشر آيات من أوَّل سورة الكهف عُصِم من الدجَّال»**، وقوله ﷺ: **«من قام بعشر آياتٍ لم يُكتب من الغافلين، ومن قام بمِائة آية كُتب من القانتين، ومن قام بألْفِ آية كُتب من المقنْطِرين»**. رواه أبو داود (٢/ ٥٧)، وأورده الألباني في السلسلة الصحيحة (٦٤٢).

(٦) وذلك لما ورد في كتب القراءات من اختلاف حكم قراءة اللفظ إن كان رأس آية، مثل إمالة رؤوس آي سور خاصة في القرآن الكريم، فإن من القراء من يوجبها. ينظر بيان ذلك في: الميسر في علم عد آي القرآن (ص٦٣).

(٧) ينظر: الإتقان (٢/ ٤٣٩-٤٤٨).

القسم الثاني: ما اختُلف فيه تفصيلاً (موطن الآي) لا إجمالاً (عدد الآي جملة)[(١)]، وهو أربع سور.

القسم الثالث: ما اختُلف فيه إجمالًا وتفصيلًا، وهو بقية السُّور (سبعون سورة).

أقسام السور من حيث الاتفاق والاختلاف في عدد آياتها

لم يُختلف فيه لا في إجمال ولا في تفصيل
(٤٠ سورة)
وهي سور: يوسف مائة (١١١)، الحجر (٩٩)، النحل (١٢٨)، الفرقان (٧٧)، الأحزاب (٧٣)، الفتح (٢٩)، الحجرات والتغابن (١٨)، ق (٤٥)، الذاريات (٦٠)، القمر (٥٥)، الحشر (٢٤)، الممتحنة (١٣)، الصف (١٤)، الجمعة والمنافقون والضحى والعاديات (١١)، التحريم (١٢)، ن (٥٢)، الإنسان (٣١)، المرسلات (٥٠)، التكوير (٢٩)، الانفطار وسبح (١٩)، المطففين (٣٦)، البروج (٢٢)، الغاشية (٢٦)، البلد (٢٠)، الليل (٢١)، ألم نشرح والتين وألهاكم (٨)، الهمزة (٩)، الفيل والفلق وتبت (٥)، الكافرون (٦)، الكوثر والنصر (٣).

ما اختُلف فيه تفصيلا لا إجمالا
(٤ سور)
وهي سور: القصص، والعنكبوت، والجن، والعصر

ما اختُلف فيه إجمالاً وتفصيلاً
(٧٠ سورة)
وهي بقية السُّور

مذاهب علم العدَد والأمصار المنسوبة إليها:

الأعداد المتداولة المعمول بها ستة، وتُنسب إلى الأمصار التي أرسل إليها عثمان رضي الله عنه المصاحف، وهي: العدد المدنيّ -وفيه عددان: المدني الأول والمدني الأخير- والعدد المكّيّ والعدد الشاميّ والعدد البصريّ والعدد الكوفي، وقد ذكر أبو عمرو الداني (ت: ٤٤٤) في كتابه (البيان في عدِّ آي القرآن)[(٢)] سند كل واحد منها إلى من

(١) **مثاله**: سورة العصر، فقد اتفقوا على عدِّها ثلاث آيات إجمالًا، واختلفوا في تفصيل ذلك، فقد عدَّ المدني الأخير ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ﴾ آية دون ﴿وَالْعَصْرِ﴾، وعكس الباقون. ينظر: البيان في عد آي القرآن (ص٢٨٧).

(٢) (ص ٦٧ - ٧٠).

رُويَت عنه من الصحابة أو التابعين[١]، ثم قال: «وهذه الأعداد؛ وإن كانت موقوفة على هؤلاء الأئمَّة، فإن لها لا شكَّ مادةٌ تتَّصل بها، وإن لم نعلمها من طريق الرواية والتوقيف كعِلْمنا بمادة الحروف والاختلاف؛ إذ كان كل واحد منهم قد لَقِيَ غير واحد من الصحابة وشاهده وأخذ عنه وسمع منه، أو لَقِيَ من لَقِيَ الصحابة؛ مع أنهم لم يكونوا أهل رأي واختراع، بل كانوا أهل تمسُّك واتباع».

مجموع عدد آي القرآن:

أدَّى الاختلاف في عدِّ آي بعض سور القرآن إلى وقوع الخلاف في مجموع عدد آي القرآن بين هذه الأعداد المنقولة المتداولة، بعد اتفاقهم على أنه ستة آلاف ومئتا آية (٦٢٠٠)، حيث اختلفوا في ما فوق ذلك، فكان مجموع عدد آي القرآن في كل مذهب كما يلي[٢]:

١- في العدد المدني الأول: ٦٢١٧ آية.

٢- في العدد المدني الأخير: ٦٢١٤ آية.

٣- في العدد المكي: ٦٢١٩ آية.

٤- في العدد الكوفي: ٦٢٣٦ آية.

٥- في العدد البصري: ٦٢٠٤ آية.

٦- في العدد الشامي: ٦٢٢٦ آية.

مذاهب علم العدد
وعدد آيات القرآن في كل منها

- العدد المدني الأول: ٦٢١٧ آية
- العدد المدني الأخير: ٦٢١٤ آية
- العدد المكي: ٦٢١٩ آية
- العدد الكوفي: ٦٢٣٦ آية
- العدد البصري: ٦٢٠٤ آية
- العدد الشامي: ٦٢٢٦ آية

---

(١) ومن ذلك العدد الكوفي الذي عليه رواية حفص، قال الداني (ت: ٤٤٤): «وأما عدد أهل الكوفة، فرواه حمزة الزيات، عن ابن أبي ليلى، عن أبي عبد الرحمن السلمي، عن علي بن أبي طالب ﷺ مرفوعًا، ورواه عن حمزةَ الكسائيُّ وسليمُ بن عيسى وغيرهما».

(٢) ينظر: البيان في عدِّ آي القرآن (ص٧٩-٨١).

مراجع معرفة عدد آي السور:

لمعرفة عدد آي السور وبيان الخلاف في رأس كل آية ومبدئها حسب الأعداد المتداولة المنسوبة إلى الأمصار = يُرجع إلى المصنَّفات الخاصة في ذلك، ومن أهمها: كتاب (البيان في عد آي القرآن) لأبي عمر الدَّاني (ت:٤٤٤).

ومن أبرز المنظومات في هذا العلم:

- منظومة (ناظمة الزُّهر في أعداد آيات السور) لأبي القاسم الشاطبي (ت: ٥٩٠)[١].

- منظومة (الفرائد الحسان في عد آي القرآن) للشيخ عبد الفتاح القاضي (ت:١٤٠٣)[٢].

ج) تجزئة القرآن و تحزيبه[٣]

نظرًا لتفاوُت سُوَر القرآن في الطُّول فقد ذَهَب العلماء يقسِّمون المصحف إلى أجزاء متقاربة القَدْر، مجتَهدين في الوصول إلى تقسيم يُعِينُ الحافظ لتيسير حفظه، والقارئ ليختِم القرآن في وقت محدَّد، لذا عمِدوا إلى تجزئة المصحف إلى أقسام ليتسنَّى لهم قراءته بلا فتور ولا انقطاع، عملاً بالمنهج الذي رسَمه النبيُّ ﷺ لأمَّته حين قال: **«أَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللهِ تَعَالَى أَدْوَمُهَا، وَإِنْ قَلَّ»**[٤].

---

(١) وهي منظومة رائية، مطلعها:

بَـدَأتُ بحمـد الله نـاظمـة الزُّهر   لتجني بعون الله عينًـا من الزَّهر

ومن أهم شروحها المعاصرة: (بشير اليسر شرح ناظمة الزهر في علم الفواصل) للشيخ عبد الفتاح القاضي (ت:١٤٠٣)، ويمتاز بالإيجاز وحسن الترتيب والتركيز على المهمات؛ فقد درج فيه على أن يبدأ بشرح الكلمات لغة، ثم يبين معنى البيت وما فيه من مسائل هذا الفن؛ مفصلاً محل الاتفاق ومحل الاختلاف.

(٢) وقد شرحها الناظم في كتابه: (نفائس البيان شرح الفرائد الحسان).

(٣) التَّحزيب مشتَقٌّ من الحِزْب، قال السَّخاوي في جمال القراء (١/ ١٢٤): «يُقال: أجزاء القرآن، والأحزاب، والأوراد = بمعنى واحد، وأظنُّ الأحزاب مأخوذ من قولهم: حِزب فلان؛ أي: جماعته؛ لأن الحِزب طائفة من القرآن. والوِردُ؛ أظنُّه من الوِردِ الذي هو ضدُّ الصَّدْر؛ لأن القرآن يروي ظمأ القلب». وينظر في موضوع تحزيب القرآن: فنون الأفنان (ص١٠٧)، وجمال القراء (١/١٢٤)، وسنن القراء ومناهج المجودين (ص١٤٢)، والمحرر في علوم القرآن (ص٢٤٥- ٢٤٩)، وتحزيب القرآن، ومدخل إلى التعريف بالمصحف الشريف (ص١٩٩).

(٤) أخرجه البخاري (٦٤٦٥)، ومسلم (٧٨٢) من حديث عائشة رضي الله عنها.

وقد وقع في تقسيماتهم اختلاف بسبب النَّظر إلى عدد الأيام التي يريدون أن يقع فيها خَتْم القرآن، فمن قسَّمه على سبعة أيام ليس كمن سيقسِّمه على عشرة أيام، ولا كَمَنْ أراد قِسْمته على ثلاثين يومًا.

الأصل في تحزيب القرآن وتجزئته: الأصل في تحزيب القرآن حديثان[1]:

الأول: حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، قال: «كنت أصوم الدَّهر وأقرأ القرآن كلّ ليلة»... الحديث. وفي آخره أن النبي ﷺ قال له: «**واقْرَأ القرآنَ في كلِّ شهر**. قال: قلتُ: يا نبيّ الله إني أُطيق أفْضَل من ذلك. قال: **فاقْرَأْهُ في كلِّ عشرين**. قال: قلتُ: يا نبي الله إني أُطيق أفضل من ذلك. قال: **فاقْرَأْه في كلِّ عشرٍ**. قال: قلتُ: يا نبي الله إني أُطيق أكثر من ذلك. قال: **فاقْرَأْهُ في كلِّ سَبْعٍ، ولا تَزِدْ على ذلك، فإنَّ لزوجك عليك حقًّا، ولِزَورِكَ[2] عليك حقًّا، ولجَسَدك عليك حقًّا**»[3]. ففي هذا الحديث إشارة إلى أنَّ من أراد أن يختم القرآن فإنه يجوز له أن يختمه في سبعٍ، أو في عشرٍ أو في عشرين أو في شهرٍ[4]، وبطبيعة الحال فإنَّه سيختلف القَدْر المقروء بين هذه التقسيمات.

الثاني: حديث أوْس بن حُذيفة الثقفي رضي الله عنه المتقدِّم في قصة قدوم وفد ثقيف، وفيه أن الرسول ﷺ احتبَس عنهم ليلة عن الوقت الذي كان يأتيهم فيه، فقال ﷺ: «**طَرَأَ عَلَيَّ حِزْبٌ مِنَ الْقُرْآنِ، فَأَرَدْتُ أَنْ لَا أَخْرُجَ حَتَّى أَقْضِيَهُ**». قال: فسألنا أصحاب رسول الله ﷺ حين أصبحنا، قال: قلنا: كيف تحزِّبون القرآن؟ قالوا: نُحَزِّبُهُ ثَلَاثَ سُوَرٍ، وَخَمْسَ سُوَرٍ، وَسَبْعَ سُوَرٍ، وَتِسْعَ سُوَرٍ، وَإِحْدَى عَشْرَةَ سُورَةً، وَثَلَاثَ عَشْرَةَ سُورَةً، وَحِزْبَ الْمُفَصَّلِ مِنْ قَاف حَتَّى يُخْتَمَ»[5].

---

(١) ينظر: تحزيب القرآن (ص١٠٢).

(٢) أي: من يزورك من أصحابك وأضيافك.

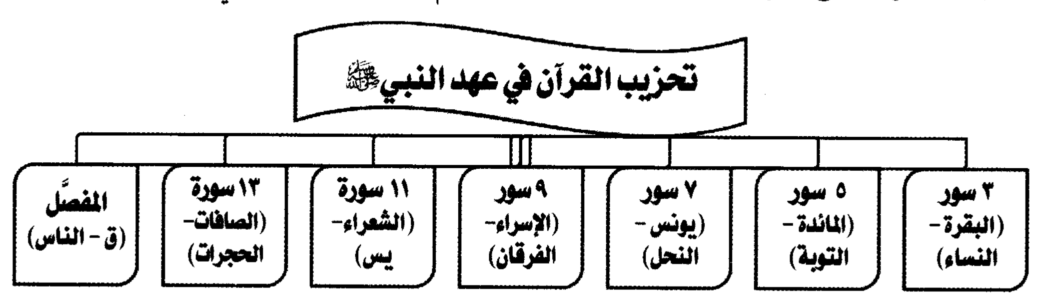
(٣) صحيح مسلم برقم (١١٥٩).

(٤) وقد استدلَّ ابن تيمية رحمه الله (ت: ٧٢٨) من هذا الحديث أن التحزيب المستحَبّ هو ما بين أسبوع إلى شهر. مجموع الفتاوى (١٣/ ٤٠٧-٤٠٨).

(٥) تقدم تخريجه ص٧٢.

تحزيب القرآن وتجزئته في عهد النبي ﷺ:

دلَّت إجابة الصحابة رضي الله عنهم في حديث أوس الثقفي السابق على طريقة تحزيب القرآن وتجزئته في عهد النبي ﷺ، وأنهم كانوا يعتمدون **القسمة الأسبوعية التي تعتمد التحزيب بالسُّوَر**، فقد كانوا يُحزِّبون بها، ولا يقطعون السورة؛ لأنَّه كان من سننهم إنفاذ القراءة إلى آخر السورة[1]، وبيان هذا التقسيم بسُوَر القرآن كالآتي[2]:



تحزيب القرآن وتجزئته بعد عصر الصحابة:

اعتنى العلماء بعد عصر الصحابة بموضوع تحزيب القرآن فعمدوا مجتَهدين إلى تقسيم القرآن تقسيمات متعدِّدة، تُناسب كل من أراد أن يختم في مدة معيَّنة تزيد على الأسبوع، ويظهر أن ختم القرآن في شهر كان مقصدًا أساسًا في هذه التقسيمات؛ لأن الغالب عليها تقسيمه **ثلاثين جزءًا**، لذا كان هذا أشهر أنواع تجزئة القرآن، وهو الذي جَرَت عليه المصاحف إلى اليوم.

ثم قسموه إلى أقلّ من الجزء، فجعلوا الجزء حزبَيْن، والحزب أربعة أرباع، كما هو مشهور في المصاحف المشرقيَّة اليوم.

---

(١) ينظر في هذا: سنن القراء ومناهج المجودين (ص١٧٣).

(٢) يلاحظ أن سورة الفاتحة ليست في هذا التقسيم؛ لشهرتها، ولكثرة تلاوتها في الصلاة وغيرها. وقد جمع بعضُ الحفَّاظ هذا التقسيم بعبارة: «فَمِي بشَوْقٍ»، فكلُّ حرف من أحرف هاتَين الكلمتين يدلُّ على بداية حزب من الأحزاب السَّبعة المذكورة، مع اعتبار البداءة بسورة الفاتحة: فالفاء تشير إلى سورة الفاتحة، والميم إلى سورة المائدة، والياء إلى سورة يونس، والباء تشير إلى سورة (بني إسرائيل)، وهي الإسراء، والشين إلى سورة الشعراء، والواو إلى سورة (والصافَّات)، والقاف تشير إلى حزب المُفَصَّل. ينظر: مدخل إلى التعريف بالمصحف الشريف (ص٢٠١، ٢٠٢).

وهذه القسمة لا تذهب إلى تقسيم المصحف بالسُّوَر، بل تقسِّمه إلى أجزاء قد تنتهي في وسط سورة أو في خاتمة سورة، والملاحظ أنه لم يُعتمد في هذه التقسيمات على علم الوقف والابتداء، لذا قد تقع نهاية الربع أو الحزب أو الجزء على موطن ناقص من جهة الوقف، فلا يكون وقفًا تامًّا، من ذلك نهاية الجزء الرابع بقوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَـٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ﴾ الآية، وبداية الجزء الخامس بقوله تعالى: ﴿وَٱلْمُحْصَنَـٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ﴾ [النساء: ٢٣ - ٢٤].

وسبب هذا الخلَل في هذا التحزيب أنه كان مبنيًّا على عد حروف القرآن وكلماته[١]، بخلاف تحزيب الصحابة الذي كان بمراعاة السُّور تامَّة[٢].

وهناك تقسيمات أخرى محكيَّة في كتب العلماء يمكن الرجوع إليها[٣].

مصادر معرفة تحزيب القرآن وتجزئته:

هذه التقسيمات -كما ترى- اجتهادية، وهي مذكورة في بعض كتب علوم القرآن وعدِّ آيه، والقراءات، وغيرها، ومن أبرز هذه الكتب:

١- البيان في عَدِّ آي القرآن، لأبي عَمْرو الدَّاني (ت: ٤٤٤).

٢- فنون الأفْنان في عيون علوم القرآن، لابن الجَوْزي (ت:٥٩٧).

٣- جمال القُرّاء وكمال الإقراء، لعلَم الدين السَّخاوي (ت: ٦٤٣).

٤- لطائف القراءات لفنون القراءات، للقَسْطلّاني (ت: ٩٢٣).

٥- غَيْث النَّفع في القراءات السَّبْع، للسَّفاقسي (ت: ١١١٧)[٤].

ومن أبرز الكتب المعاصرة: (تحزيب القرآن)، أ.د. عبد العزيز الحربي.

---

(١) الذي تمَّ في العراق بأمر الحجاج بن يوسف الثقفي والي بني أمية. ينظر: مدخل إلى التعريف بالمصحف الشريف (ص٢٠٢).

(٢) ولابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٧٢٨) في مجموع الفتاوى (١٣/٤٠٩-٤١٤) كلام نفيس في نقد تحزيب المتأخِّرين وترجيح الأخذ بتحزيب الصحابة.

(٣) ينظر: البيان في عد آي القرآن، وجمال القراء، وتحزيب القرآن.

(٤) وقد اعتمدت لجان مراجعة المصاحف في العالم الإسلامي على بعض هذه الكتب المذكورة في تحديد مواضع الأجزاء والأحزاب وأرباعها. ينظر: مدخل إلى التعريف بالمصحف الشريف (ص٢٠٥).

رابعًا: رَسْم المصحَف

يرتبط رسم المصحف بموضوع (جمع القرآن) الكتابي في عهد الرسول ﷺ، ثم في عهد أبي بكر رضي الله عنه، ثم في عهد عثمان رضي الله عنه. كما أن له علاقة بالقراءات؛ لأنه جاء للدلالة على المقروء، كما هو الأصل في الرسم عمومًا.

مفهوم رسم المصحَف:

الرَّسْم لغةً: الأثر، ومنه رسوم الديار وهي آثارها اللاصقة بالأرض، ورسَم على كذا: كتب[1]، والرَّسم الكتابة، وهو المقصود هنا.

ورسم المصحف: هو كتابته بالطريقة التي كتب الصحابة رضي الله عنهم المصاحف. ويُعرَف بـ«الرسم العثماني» نسبةً إلى عثمان بن عفان رضي الله عنه الذي أمر بنسخ المصاحف وإرسالها إلى الأمصار. وقد نشأ عن تتبُّع طريقتهم في كتابة المصحف ومعرفة ظواهرها عِلمٌ جليل قائم بذاته له مباحثه ومصنَّفاته هو «علم رسم المصحف»، ويطلق عليه أيضًا: كتابة المصحف، وهجاء المصحف، وخط المصحف[2].

وعلم رسم المصحف: علمٌ تُعْرَفُ به مخالفة رسم المصاحف العثمانية لأصول الرسم القياسي، من حذْفٍ وزيادةٍ وبدَلٍ وفَصْلٍ ووَصْل، ونحو ذلك[3].

أبرز معالم الرَّسم العثمانيّ:

١- كان الرَّسم العثماني مجرَّدًا من أيَّة علامة؛ فلا نقاط على الحروف ولا علامات شَكْل، ولا أيٍّ من علامات الضَّبط التي أُلحِقت فيما بعد[4].

---

(١) ينظر: لسان العرب (١٣٢/١٥) (رسم).

(٢) ينظر: الميسر في علم رسم المصحف وضبطه (ص٢٥-٢٦).

(٣) المرجع السابق (ص٢٧). والرسم القياسي: هو ما طابق فيه الخطُّ اللفظَ.

(٤) وهذه هي طريقة الكتابة في ذلك العصر، كما هو واضح من موازنة خط المصحف بما وُجِد من خطوط تعود إلى ذلك العهد ينظر: المرجع السابق (ص١٩-٢٠).

٢- يتوافق الرَّسم العثماني مع الرَّسم القياسي (الإملائي) كثيرًا، لكن يخالفه في جملة ظواهر منها بزيادة أو نقص أو بدَل أو غير ذلك، وهي التي نشأ عنها علم رسم المصحف، واستُنبط من خلالها قواعد الرسم العثماني.

قواعد الرسم العثماني:

وهي ست قواعد[1] هي:

١- **الحذف:** مثل حذف الألف في مواضع كثيرة، كحذفها في: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾ ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾.

٢- **الزيادة:** مثل زيادة الألف في قوله تعالى: ﴿لَأَاْذۡبَحَنَّهُۥٓ﴾.

٣- **الهمزات:** ولها أوضاع خاصة في أول الكلمة ووسطها وآخرها، مثل ﴿يُؤۡمِنُونَ، بِئۡسَ، سَأَلَ﴾، وهي من أوسَع أبواب الضبط وأشكلها.

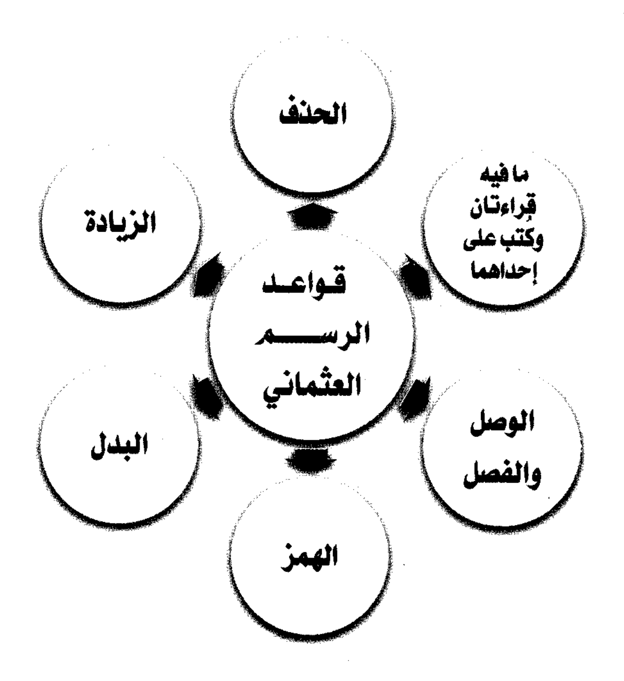
٤- **البدَل:** مثل كتابة الواو في ﴿ٱلصَّلَوٰةَ﴾ بدلاً عن الألف (الصلاة).

٥- **الوصل والفصل:** مثل فصل (إن) عن (ما) أو وصلهما، ففي قوله تعالى: ﴿إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَأٓتٍ﴾ [الأنعام: ١٣٤] كُتِبت مفصولة، وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ﴾ [الذاريات:٥] كُتِبت موصولة.

٦- **ما فيه قراءتان، وكُتب على إحداهما**، مثل قراءة (سُكارى) بالألف ودونها في قوله تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ﴾ [الحج: ٢]، فهي تحتمل الألف وعدمها.

= وخلوّ رسم مصاحف الصحابة من النَّقْط والشَّكل وغيرها لم يكن مُشْكلاً عندهم، لأنهم يحفظون القرآن في صدورهم، ولا يعتمدون على الرسم أوّلاً، وإنما جاء الرسم لضبط صورة الكلام، لا للانطلاق منه إلى القراءة، فالأصل في القرآن الاعتماد على المسموع المحفوظ في الصدور لا المرسوم. ينظر: المحرر في علوم القرآن (ص٢٢٥-٢٢٦).

(١) ينظر: الإتقان (٦/ ٢٢٠٠). وهذه القواعد مفصَّلة بالأمثلة في كتب الرسم، مع ضوابط واستثناءات مستنبَطة بالاستقراء والتتبُّع.



المصدر الأصل للرَّسم العثماني وطريقة نقله:

الأصل الذي يُعتمدُ في حكاية المرسوم هو المصاحف التي أمر عثمان ﷺ بنسخها، وكل ما حكاه علماء الرسم المتقدِّمون فهو عن هذه المصاحف، أو عن مصاحف أخذَت رسومها عن هذه المصاحف الأصيلة، ومن هنا فمصدر الرسم بالنسبة لنا هو نقل العلماء من هذه المصاحف المعتمدة.

المصنَّفات في علم (رسم المصحف):

صنّف عدد من العلماء كتبًا خاصة لوصف طريقة كتابة الكلمات في المصاحف العثمانية، من أبرزها:

١- الْمُقنع في معرفة مرسوم مصاحف أهل الأمصار، لأبي عمرو الدَّاني (ت: ٤٤٤).

٢- مختَصر التَّبيين لهجاء التنْزيل، لأبي داود سليمان بن نجاح (ت: ٤٩٦).

أما المنظومات في هذا العلم فمن أشهرها:

١- عَقيلة أتراب القصائد في أسْنى المقاصد[١]، نظم الإمام القاسم بن فيرُّه الشاطبي (ت: ٥٩٠).

٢- مورد الظمآن في رسم أحْرف القرآن[٢]، نظم الخرَّاز: محمد بن محمد بن إبراهيم (ت:٧١٨).

هل الرسم العثماني توقيفيّ؟

تقدم أن الصحابة ﷺ كتبوا المصاحف وفق طريقة الكتابة المعهودة في عصرهم، وعليه فإنهم لم يخترعوا رسمًا معيَّنًا قصدوا به كتابة القرآن الكريم، لذا لا يصحُّ ما قيل: إنه بتوقيف من النبي ﷺ، ويمكن الاستدلال لذلك بحديث جمع عثمان بن عفان للقرآن وأنه قال للملأ من قريش -وهم الثلاثة الذين مع زَيد-: «فإن اختلفتم أنتم وزيد في شيء فاكتبوه بلسان قريش...»[٣]. ولو كان للنبي ﷺ شأن في الرسم لما قال عثمان هذا ولما وافقه الصحابة، مما يوَضِّح أن الرسم كان باجتهاد من الصحابة مطلقاً.

هل تجوز كتابة المصحف بغير الرسم العثماني؟

ذهب علماء السلف إلى وجوب اتباع الرسم العثماني في كتابة المصاحف، لأن الرسم العثماني مما أجمَع عليه الصحابة، وذلك صيانةً للمصحف من أن يتعرَّض للتغيير بين حين وآخر. ومن هنا حُوفظ على رسمه الأول، ولم يسْرِ تطوُّر الرسم بعد الصحابة

---

(١) وهي نظم لكتاب المقنع لأبي عمرو الداني، تقع في (٢٩٨) بيتا مطلعها:

الحمد لله موصولًا كما أمرا ... مباركًا طيبًا يستنزل الدِّررا

وقد حظِيَت بعناية أهل العلم حفظًا وشرحًا، ومن أشهر شروحها شرح علم الدين السخاوي (ت:٦٤٣) تلميذ الشاطبي المسمَّى: (الوسيلة إلى كشف العقيلة).

(٢) وهي أرجوزة اعتمد فيها على كتابي أبي عمرو الداني وأبي داود بن نجاح، تقع في (٤٥٤) بيتًا، مطلعها:

الحمد لله العظيم المنَن ... ومرسل الرسل بأهدى سَنن

وقد ألحق بها أرجوزة أخرى في الضبط، وهي في «١٥٤» بيتًا، وهي من أشهر ما نُظم في ضبط المصحف، كما سيأتي.

(٣) تقدم الحديث بتمامه ص٦٦.

على رسمهم للقرآن، قال أبو عمرو الداني: «... سُئِلَ مالك رَحِمَهُ اللَّهُ هل يُكْتَبُ المصحف على ما أحدَثه الناس من الهجاء، فقال: لا، إلا على الكِتْبَةِ الأولى...، قال أبو عمرو: ولا مخالِف له في ذلك من علماء الأمة»[1].

ونُقِلَ عن بعض العلماء المتأخِّرين أنهم لم يوجبوا الالتزام برسم معيَّن في كتابة المصاحف، وتبعهم بعض المعاصرين[2].

لكن يمكن أن يُقال أنه في حالة كتابة مصحف كامل أو جزء منه فيجب الالتزام بالرسم العثماني، أما في حالة كتابة آيات أو كلمات محدودة في كتب أو صُحُف أو مقالات فالأمر أهوَن ولا يجِب الالتزام بالرسم العثماني[3].

وأخيرًا نبيِّن أنه ينبغي ألا يُخلط بين مسألتي القول بوجوب اتباع الرسم العثماني في كتابة المصحف، وبين القول أن الرسم العثماني توقيفي، «فجمهور علماء الأمة من المتقدِّمين والمتأخرين والمعاصرين يقولون بوجوب اتباع الرسم والمحافظة عليه في كتابة المصاحف، أما القول بأن الرسم توقيفيّ فإن المؤلفين في رسم المصحف من المتقدمين لم يتعرَّضوا لهذه المسألة في كتبهم، وظهرت عند المتأخرين والمعاصرين، وحملوا رأي الجمهور بوجوب اتباع الرسم على أنه دليل على التَّوقيف، وبين الأمرَين فرق، فلم يقصد القائلون بوجوب المحافظة على الرسم العثماني في كتابة المصحف هذا المعنى، ولم تكن هذه القضية مثار اهتمامهم»[4].



(١) المقنع (ص٩-١٠).

(٢) ينظر: مدخل إلى التعريف بالمصحف الشريف (ص١٤٨-١٤٩).

(٣) المحرر في علوم القرآن (ص٢٢٧- ٢٢٨).

(٤) الميسر في علم رسم المصحف وضبطه (ص٤٦).

خامسًا: ضَبْط المصحَف

تقدَّم في المبحث السابق أن المصحف الإمام كان خاليًا مما سوى رسم الكلمة، وليس فيه شيءٌ سوى ألفاظ القرآن، وقد استقرَّ أمر المصاحف على ما كان من رسم الصحابة في عهد عثمان ﷺ، ثم بدأ الخلَل يطرأ على لغة العرب بدخول العجم فيها، وذلك في أواخر جيل الصحابة، وكثر الخطأ في القراءة والكتابة، وظهَرت الحاجة إلى ضبط اللسان العربي، باستحداث قواعد تضبط اللغة، وتصون القراءة عن اللحن، وعلاماتٍ تضبط الخط وتصونه عن التصحيف، لا سيَّما في المصحف الشريف.

وأغلب الروايات تشير إلى أن أوَّل من ابتكر ذلك هو أبو الأسود ظالم بن عمرو الدؤلي (ت: ٦٩)، كما أنه هو أوَّل من نقط المصاحف، ومن ثَمَّ ظهر علم ضبط المصحف الذي صار عِلمًا قائمًا بذاته، وإليك أهم مبادئ هذ العلم.

مفهوم علم الضبط وأنواعه:

علم الضبط: هو إلحاق علاماتٍ مخصوصةٍ بالحرف لتمييزه عن غيره، أو للدلالة على حركته، أو نحو ذلك.

وقد كان هذا العلم ابتداء يعرف بعلم النَّقط والشَّكل، ثم غلَب مصطلح الضبط بعد ذلك.

واستُعمل مصطلح النَّقط في نوعَين:

الأول: نقط الإعجام: بمعنى وضع نقاط على بعض الحروف لتمييز الحروف المتشابهة منها في الرسم.

الثاني: نقط الإعراب: بمعنى وضع علامات معيَّنة على الحرف لضبط حركة إعرابه، وهو نوعان: النَّقط المدور والنقط المستطيل، وهذا تفصيل كل منها بحسب مراحلها التاريخية:

أولاً: النَّقْط المدوَّر (نقط أبي الأسود الدُّؤَلي (ت: ٦٩)): سمي باسم واضعه أبي الأسود الدُّؤَلي، وهو الذي اصطُلح عليه باسم (النقط المدوَّر)، وذكره بعضهم باسم (نقط الإعراب)، وخلاصة طريقته: هو ضبط أواخر الكلمات بوضع نقطة فوق الحرف علامة لفتحه، أو نقطة تحته علامة لكسره، أو نقطة أمامه علامة لضمه، أما في حال التنوين فتوضع

نقطتان، وهذا النَّقْط بمداد أحمر ليتميَّز عن رسم الحروف الذي كان باللون الأسود[١].

ثانياً: نقط الإعجام: المراد به تمييز الحروف المتشابهة في الرسم؛ كالباء والتاء والثاء (ب، ت، ث) حيث استُخدمت النُقط على الحروف أو تحتها للتمييز بينها، ويُذكر أن هذا النوع من النَّقط قد ظهر على يد اثنين من طلاب أبي الأسود الدُّؤلي (ت: ٦٩)، وهما نصر بن عاصم الليثي (ت: ٩٠) ويحيى بن يَعمر العَدواني (ت: قبل ٩٠)، وقد جُعل بمدادٍ أسوَد لكي لا يلتبس بنقط أبي الأسود الدُّؤلي، ولأن نقط الحرف جزء منه، وليس له صورة فيُتوَهَّم بسببها أن ما ليس بقرآن قرانًا[٢].

ثالثاً: الشكل المستطيل (نقط الخليل بن أحمد (ت: ١٧٠ تقريبًا)**):** استمر العمل بنقط أبي الأسود (ت: ٦٩) حتى جاء الخليل بن أحمد فعمد إلى حلِّ الإشكال القائم في النقط المدوَّر (الذي يعتمد الدائرة واللون الأحمر)، فهي تتخذ شكلاً واحدًا، ولا تتميَّز إلا باختلاف المكان فقط.

وقد أخذ الخليل بن أحمد شكلَ الحركاتِ - وهي رموز قصيرة - من صورِ الحروف، فالألف تناسبها الفتحة، لكن بدلاً من أن تكون قائمة كالألف بطَحها، ووضعها فوق الحرف (ـَـ)، وأخذ الضمة من الواو ، وجعلها فوق الحرف أيضًا (ـُـ)، وأخذ الكسرة من الياء، وجعلها تحت الحرف معقوفة هكذا (ے)، وجعل رمز الشدة (ـّـ) رأس شين من غير نقاط، وأخَذه من أول كلمة شديد، وجعل علامة السكون رأس خاء مهملة، وأخذها من كلمة خفيف «ح»[٣].

---

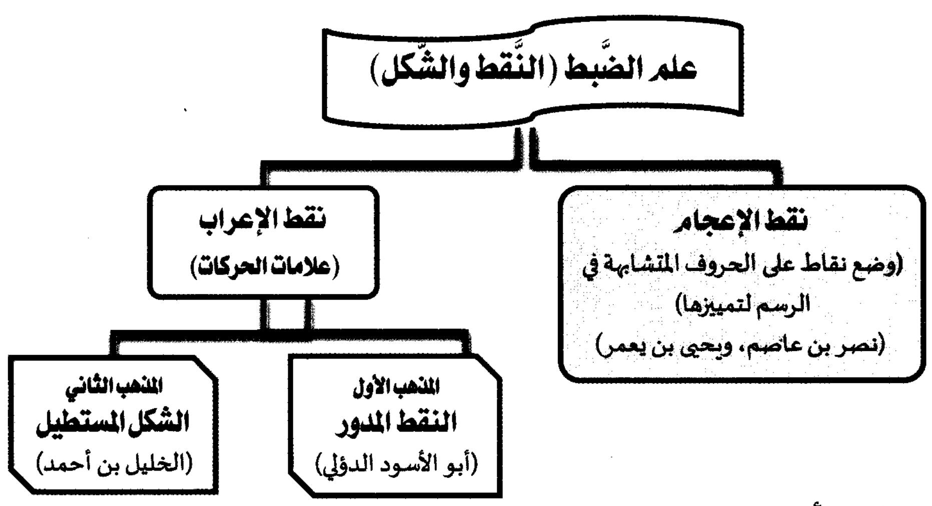
(١) ينظر: المحكم في نقط المصاحف (ص١١ - ١٢).

(٢) وقد كان في ضبط بعض الحروف اختلافٌ في كيفيَّة الإعجام، كالقاف التي وُضِع عليها نقطتان عند المشارقة، وهي المتَّبعة عندهم في رسم المصاحف، ووُضِع فوقها نقطة واحدة عند المغاربة، بينما الفاء وضعوا نقطة تحتها، وهي المتَّبعة عندهم في رسم مصحف ورش، وهو من أبرز الفروق في علامات ضبط الإعجام بين المشارقة والمغاربة.

(٣) ثم حصل لشكل الخليل شيءٌ من التعديل، فبدل علامة الكسرة (ے) صارت توضع كسر بخط ممتد تحت الحرف (ـِـ) كما هو مُتَّبع الآن.

كذلك استبدلت علامة الخليل للسكون (رأس الخاء) بدائرة صغيرة (ـْـ) عند أغلب الكُتّاب كما هو متَّبع الآن في الكتابة الدارجة، إلا أن العمل في المصحف المصري المطبوع ومصحف المدينة النبوية برواية حفص على استعمال علامة الخليل وهي رأس الخاء. وينظر: المحكم في علم نقط المصاحف (ص٧١)، ٧٤، الميسر في علم رسم المصحف وضبطه (ص٢٩٤، ٣٠٠، ٣٠٢).

وصار يُسمَّى (نقط الخليل)، أو (الشَّكل)، أو (الشَّكل المستطيل)[١]، ولما ظهر وانتشر بدأ الناس يتركون نقط أبي الأسود (ت: ٦٩)، ويستعملون نقط الخليل (ت: ١٧٠ تقريبًا)؛ لأنه أيسر للقارئ في الإدراك من النقط المدوَّر، وهو الذي استقرَّ العمل به في المصاحف وغيرها إلى اليوم.



مجالات أخرى في ضبط المصحف:

اعتنى علماء الضبط ببعض علامات الشَّكل في المصحف لبعض العلوم المتعلِّقة بالتلاوة، وذلك لتُعين القارئ على التلاوة الصحيحة، من ذلك:

١ - أحكام التجويد: حيث أثبتوا علامات ذات أوضاع معيَّنة تدل على الحكم التجويدي التطبيقي.

مثال ذلك: ما جاء في تقرير اللجنة العلمية الثانية لمصحف المدينة النبوية برواية حفص في اصطلاح ضبطه: «وتعرية الحرف من علامة السكون مع تشديد الحرف التالي تدل على إدغام الأول في الثاني إدغامًا كاملاً بحيث يذهب معه ذات المدغم وصفته، فالتشديد يدل على الإدغام، والتعرية تدل على كماله، نحو: ﴿مِّن لِّينَةٍ﴾ ﴿مِّن رَّبِّكَ﴾ ﴿مِن نُّورٍ﴾ ﴿مِن مَّآءٍ﴾ ﴿أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا﴾ ﴿عَصَواْ وَّكَانُواْ﴾ ﴿وَقَالَت طَّآئِفَةٌ﴾ ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ﴾ وكذا قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَخْلُقكُّم﴾. وتعريته مع عدم تشديد التالي تدل على إدغام

---

(١) ينظر: رسم المصحف دراسة لغوية تاريخية (ص٤٨٩).

الأول في الثاني إدغامًا ناقصًا بحيث يذهب معه ذات المدغَم مع بقاء صفته نحو: ﴿مَن يَقُولُ﴾ ﴿مِن وَالٍ﴾ ﴿فَرَّطتُمْ﴾ ﴿بَسَطتَ﴾ ﴿أَحَطتُ﴾، أو تدل على إخفاء الأول عند الثاني، فلا هو مظهَر حتى يقرعه اللسان، ولا هو مدغَم حتى يُقلب من جنس تاليه، سواء كان هذا الإخفاء حقيقيًّا نحو: ﴿مِن تَحْتِهَا﴾ أم شفويًّا نحو: ﴿جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ﴾ على ما جرى عليه أكثر أهل الأداء من إخفاء الميم عند الباء».

٢- رسم المصحف: كما اعتنَوا بضبط الحروف المحذوفة أو الزائدة في الرسم العثماني.

مثال ذلك: ما جاء في تقرير اللجنة العلمية الثانية لمصحف المدينة النبوية برواية حفص في اصطلاح ضبطه: «وضع دائرة خالية الوسط هكذا (٥) فوق أحد أحرف العلة الثلاثة المزيدة رسمًا يدلّ على زيادة ذلك الحرف، فلا يُنطَق به في الوصل ولا في الوقف نحو: ﴿ءَامَنُوا﴾ ﴿يَتْلُوا صُحُفًا﴾ ﴿لَأَاذْبَحَنَّهُۥ﴾ ﴿أُولَٰئِكَ﴾ ﴿نَبَإِي الْمُرْسَلِينَ﴾ ﴿بَنَيْنَٰهَا بِأَيْيْدٍ﴾.

٣- أنواع الوقوف ومراتبها: وسيأتي بيانها في مبحث علم الوقف والابتداء.

وغير ذلك من مظاهر العناية الفائقة، كعلامات السكتات، وعلامات انتهاء الآية ورقم الآية، وعلامات الأحزاب والأجزاء. ينظر مثال بيان ذلك: اصطلاح الضبط في آخر مصحف المدينة النبوية برواية حفص.

وفي بعض هذه العلامات خلاف بين مصاحف المشارقة ومصاحف المغاربة. وتفصيل ذلك في الكتب المصنَّفة في هذا العلم.

الكتب المصنَّفة في علم الضبط:

اعتنى العلماء بعلم الضبط وصنَّفوا فيه مصنفات عديدة، من أهمها: «المحكَم في نقط المصاحف» لأبي عمرو الداني (ت:٤٤٤)، و«أصول الضبط وكيفيَّته» لتلميذه أبي داود سليمان بن نجاح (ت: ٤٩٦).

كما اعتنَوا بنَظْم مسائل هذا العلم في منظومات رصينة، من أشهرها منظومة الخرّاز (ت: بعد ٧١١)[1]. كلُّ ما سبق يدل على مدى الجهد الذي بذله علماء الأمة لضبط رسم المصحف، صونًا من الوقوع في تحريف حروفه واللَّحن في قراءته.

---

(١) وأهم شروحها «الطراز في شرح ضبط الخراز» للتَّنسيّ (ت: ٨٩٩).

خلاصة الفصل الثاني (علوم جمع القرآن وتدوينه)

١- جمع القرآن

١/١ جمع القرآن نوعان: الأوّل: الجمع في الصُّدور، والمراد به حفْظُه واستظهاره. وقد كان الرسول ﷺ أول من جمَعَه وحفِظَه، وتنافس الصحابة فيه حتى كان معيارًا للتفاضل بينهم.

٢/١ النوع الثاني: هو الجمع في السُّطور، وقد مرَّ بثلاث مراحل: في عهد النبي ﷺ، وفي عهد أبي بكر رضي الله عنه، وفي عهد عثمان رضي الله عنه.

٣/١ المقصود بجمع السُّطور في عهد الرسول ﷺ هو مجرّد كتابته وتدوينه، حيث اعتنى النبي ' بكتابة القرآن في المدينة، واتَّخذ له كُتَّابًا للوحي معروفين.

٤/١ في عهد النبي ﷺ كان القرآن متفرقًا في العُسُبِ والرِّقاع واللِّخَاف وغيرها من الأدوات، ولم يكن القرآن مجموعًا في مصحفٍ واحدٍ، وكان من أبرز أسباب ذلك أمران: أن الحاجة لم تَدْعُ إلى ذلك، وأن الوحي لم ينْتَهِ ويستقِرّ إلى قُبَيل وفاته ﷺ.

٥/١ المقصود بالجمع في عهد أبي بكر رضي الله عنه جمع المكتوب المتفرِّق من القرآن في مصحفٍ واحدٍ، وكان سببه الخَوْف من ذهاب شيء من القرآن باشتِداد القتْل بالقُرّاء في المواطن.

٦/١ كلَّف أبو بكر رضي الله عنه زيد بن ثابت رضي الله عنه بجمْع القرآن، نظرًا لأنه شابٌّ عاقل، غيْر متَّهم، من أبرز كُتَّاب الوَحْي.

٧/١ المقصود بالجَمْع في عهد عثمان رضي الله عنه نَسْخ عِدَّة مصاحف من مصحَف أبي بكر رضي الله عنه. وكان سببه الخَوْف من الاختلاف في قراءة القرآن.

٨/١ كلَّف عثمان رضي الله عنه لَجْنةً لجمع القرآن مُكوَّنة من زيد بن ثابت، وعبد الله بن الزُّبير، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام، وقد نَسخوا ستَّة مصاحف -على الصحيح- أُرْسِلت إلى الأمصار، وألزم عثمان رضي الله عنه الناس بها، وأمر بتحريق ما سواها من المصاحف حسْمًا للخلاف.

٢- ترتيب سور القرآن وآياته

١/٢ يتألَّف القرآن من آيات وسُوَر، والآية: هي قرآن مركَّبٌ من جُمَل ولو تقديرًا، ذو مبدأ ومقطَع مندرَج في سورة، والسورة: قرآن يشتمل على آيات ذوات فاتِحةٍ وخاتِمةٍ.

٢/٢ لا خلاف أن **ترتيب الآيات** كان بتوْقيفٍ من النبي ﷺ، لكن وقع خلافٌ قويٌّ في مسألة **ترتيب السُّور**، هل كان بتَوقيف من النبي ﷺ أم باجتهاد من الصحابة؟

٣/٢ الراجح القول بأن ترتيب السور كان بتَوْقيفٍ من النبي ﷺ، لأدلَّةٍ عديدةٍ من أبرزها:

- ثبوت ذكر سُوَر القرآن المتوالية حسب ترتيب المصحف في أحاديث وآثار عَدِيدة.
- حديث أوْس بن حذيفة الثقفي ﷺ في تحزيب القرآن على عهد النبي ﷺ.
- حديث واثلة بن الأسْقع ﷺ في تقسيم سور القرآن إلى طُوَل ومِئِين ومثاني والمفصَّل.

٣- عدد سُوَر القرآن وآياته وتجزئته

١/٣ عدد سُوَر القرآن (١١٤) سورة بالإجماع، وهي أربعة أقسام: السبع الطُّوَل، والمِئون، والمثاني، والمفصَّل.

٢/٣ اختُلف في عدد آيات القرآن، لاختلافهم في تحديد رأس بعض الآيات من السُّورة الواحدة، مع اتفاقهم على ألفاظها وجُمْلة ما نزل من القرآن.

٣/٣ علم عدِّ الآي: هو العلم بأعداد آي سور القرآن وما اختُلف في عدِّه منها، معْزُوًّا لناقله. والأصل فيه النَّقل، لأنه تَوْقيف من الرسول ﷺ.

٤/٣ نشأ عدُّ الآيِ مع نزول القرآن الكريم، وقد أشار القرآن إلى هذا العلم، وكذلك السُّنَّة النبويَّة وآثار الصحابة.

٥/٣ لمعرِفة عدد الآيات فوائد من أبرزها: اتِّباع السُّنَّة في الوَقْف على رؤوس الآي، ومعرفة الآيات المحدَّد عددها لنَيْل الأجر الموعود به في بعض الأحاديث، ومعرفة ما يُبْنى على تحديد رؤوس الآي من أحكام القراءات.

٦/٣ ورد اختلاف في عدِّ آي أغلب السور، ويوَجّه بأن ذلك متلقًّى بهذا الاختلاف عن الرسول ﷺ، وهو من باب اختلاف التنوع.

٧/٣ مذاهب علم العدَد المتداولة المعمول بها ستَّة: العدَد المدَني الأوَّل، والمدَني الأخير، والعدَد المكِّي، والعدَد الشَّامي، والعدَد البصري، والعدد الكوفي.

٨/٣ السُّور من حيث الاتفاق والاختلاف في عدد آياتها ثلاثة أقسام: ما لَمْ يُختَلف فيه لا في إجمال ولا في تفصيل (٤٠ سورة)، ما اختُلف فيه تفصيلاً لا إجمالاً (٤ سور)، ما اختُلف فيه إجمالًا وتفصيلًا (بقية السُّور ٧٠سورة).

٩/٣ اتُّفق على أن عدد آيات القرآن ٦٢٠٠ آية واختَلفوا في ما فَوْق ذلك، فكان مجموع عدد آي القرآن في الأعداد المنقولة المتداولة كالتالي: العدد المدَني الأول: ٦٢١٧ آية، العدد المدني الأخير: ٦٢١٤، العدد المكّي: ٦٢١٩ آية، العدد الكوفي: ٦٢٣٦ آية، العدد الشامي: ٦٢٢٦ آية.

١٠/٣ مراجع معرفة عدد آي السُّور هي المصنَّفات الخاصَّة في ذلك، ومن أبرزها كتاب (البيان في عدِّ آي القرآن) لأبي عمر الداني (ت: ٤٤٤)، ومنظومة (ناظمة الزُّهر في أعداد آيات السُّور) للشاطبي (ت: ٥٩٠).

١١/٣ الأصل في تحزيب القرآن وتجزئته حديثان: حديث عبد الله بن عمرو بن العاص ﵄، وفيه أن النَّبي ﷺ أمره أن يختِم القرآن في سبعٍ أو في عشرٍ أو في عشرين أو في شهرٍ. وحديث أوْس بن حذيفة الثقفي وفيه أن تحزيب القرآن في عهد النبي ﷺ كان يعتمِد التَّجزئة الأسبوعية بالسُّور بحسب ترتيبها في القرآن كالتالي: (٣ - ٥ - ٧ - ٩ - ١١ - ١٣ - المفصَّل).

١٢/٣ أشهر أنواع تجزئة القرآن إلى اليوم هو تقسيمه ثلاثين جزءًا، وهي تجزئة اجتهادية لا تخلو من ملحوظاتٍ متعلِّقة بالوقف والابتداء.

١٣/٣ من أشهر مصادر معرفة تحزيب القرآن وتجزئته (البيان في عدِّ آي القرآن) لأبي عمرو الدَّاني (ت: ٤٤٤)، و(فنون الأفنان في عيون علوم القرآن)، لابن الجوزي (ت: ٥٩٧).

٤ - رسْم المصحف

١/٤ **رسم المصحَف**: هو كتابته بالطريقة التي كتَب الصحابة ﷺ المصاحف، وعُرف بالرسم العثماني. وعلم **رسْم المصحف**: علمٌ تُعْرَفُ به مخالفة رسم المصاحف العثمانية لأصول الرَّسم القياسي، من حذفٍ وزيادةٍ وبدَلٍ وفصْلٍ ووصْلٍ، ونحو ذلك.

٢/٤ الرَّسم الذي كتب به الصحابة كان مجرَّدًا من أيَّة علامة، وهو يتوافق مع الرَّسم القياسي (الإملائي) كثيرًا، لكن يخالفه في جُملة ظواهر هي التي نشأ عنها علم رسم المصحف، واستُنْبِط من خلالها قواعد الرَّسم العثماني.

٣/٤ قواعد الرسم العثماني ستَّة: الحَذْف، والزيادة، والهمْز، والبَدَل، والوصْل والفصْل، وما فيه قراءتان وكُتِب على إحداهما.

٤/٤ الأصل في علم الرَّسم هو المصاحف التي أمر بنسخها عثمان ﷺ، وما نُسخ عنها، ثم صار مصدر الرَّسم بالنسبة لنا هو نقل العلماء من هذه المصاحف المعتَمَدة.

٥/٤ من أبرز المصنَّفات في علم رسم المصحف: «المقنِع» لأبي عمرو الداني (ت: ٤٤٤)، و«مختصر التَّبيين لهجاء التَّنْزيل» لأبي داود سليمان بن نجاح (ت: ٤٩٦)، وأشهر منظوماته: «عَقيلة أتراب القصائد» للشاطبي (ت: ٥٩٠)، و«مورد الظمآن» للخرَّاز (ت:٧١٨).

٦/٤ الراجح أن الرسم العثماني ليس توقيفيًّا، وإنما كتَبَه الصحابة باجتهادهم وفق طريقة الكتابة المعهودة في عصْرهم.

٧/٤ ينبغي الالتزام بالرَّسم العثماني عند كتابة المصحف كامِلاً أو جُزء منه؛ لأنه مما أجمَع عليه الصحابة، ولا يَلزم عند كتابة آياتٍ أو كلماتٍ محدودة.

٥- ضَبْط المصحَف

١/٥ علم الضَّبْط هو إلحاق علامات مخصوصة بالحرف لتمييزه عن غيره أو للدّلالة على حركته أو نحو ذلك. ويعرف بعلم النَّقط والشَّكل.

٢/٥ استعمل مصطلح النَّقط في نوعَين: الأول نقط الإعجام: بمعنى وضع نقاط على بعض الحروف لتمييز الحروف المتشابهة منها في الرَّسم. الثاني: نقط الإعراب: بمعنى وضع علامات معيَّنة على الحرف لضبط حركة إعرابه، وهو نوعان: النَّقط المدوَّر والنَّقط المستطيل.

٣/٥ النَّقْط المدوَّر (أو نقط أبي الأسود الدُؤلي): هو ضبط أواخر الكلمات بوضع نقاط حُمْر للدلالة على الحركات والتَّنوين. والشكل المستطيل (نقط الخليل بن أحمد (ت: ١٧٠ تقريبًا)): وهو رموز الشَّكل المستَعملة اليوم في الفتحة والضمَّة والكسرة والتنوين والشَّدَّة والسُّكون.

٤/٥ اعتنى علماء الضبط ببعض علامات الشَّكل في المصحف لعلوم متعلِقة بالتلاوة، وذلك لتُعين القارئ على التلاوة الصحيحة، مثل أحكام التجويد، ورسم المصحف، وعلامات الوقوف.

٥/٥ أشهر المصنَّفات في علم ضبط المصحف: «المحكم في نقط المصاحف» لأبي عمرو الداني (ت:٤٤٤)، وأشهر منظوماته منظومة الخرّاز (ت: بعد ٧١١).

أسئلة تقويمية

١- وضّح نوعي جمع القرآن والمراد بكل منهما؟

٢- اذكر حديثًا في فضل حفَظَة القرآن؟

٣- عدّد سبعةً من الصحابة ممن حفِظ القرآن.

٤- مرَّ تدوين القرآن بثلاث مراحل، اذكرها.

٥- صِفْ مرحلة جمع القرآن في عهد النبي ﷺ.

٦- ما أبرز أسباب عدم جمع القرآن في مصحف واحد في عهد النبي ﷺ؟

٧- هل كتب القرآن في عهد النبي ﷺ؟ وضّح ذلك.

٨- بيّن المقصود بالجمع في عهد أبي بكر ﷺ؟ وما سببه؟

٩- من المكلف بالجَمع في عهد أبي بكر ﷺ؟ وما سبب ذلك؟

١٠- بيّن المقصود بالجمع في عهد عثمان ﷺ؟ وما سببه؟

١١- من المكلَّف بالجمع في عهد عثمان ﷺ؟

١٢- في الجمع العثماني وضّح المنهج المتَّبع في الرسم عند الاختلاف.

١٣- كم عدد المصاحف المنسوخة في الجمع العثماني؟ وأين أُرسلت؟

١٤- وازن بين الجمع البكْري والجمع العثماني من حيث: المقصود بالجمع - سبب الجمع - المكلَّف بالجمع -عدد المصاحف- الإلزام بما في المصحف.

١٥- ما الذي وقع الإجماع عليه مع التَّوضيح: ترتيب السور، ترتيب الآيات، عدد السور، عدد الآيات؟

١٦- ما الأقوال في مسألة ترتيب السور؟ وما الذي يترجَّح؟ استدِلّ لذلك.

١٧- حديث أوس الثقفي ﷺ في قصة قدوم وفد ثقيف فيه دلالة على مسألتَيْن من علوم القرآن، وضِّحهما مع بيان وجه الدلالة.

١٨- ما عدد سور القرآن؟ وما أقسامها؟

١٩- عرّف علم عد الآي.

٢٠- تحدَّث عن نشأة علم عد الآي.

٢١- ما مصدر علم عد الآي والأصل فيه؟

٢٢- كيف توجِّه الاختلاف الحاصل في عدِّ آي أغلب السور؟

٢٣- عدِّد ثلاثة من فوائد معرفة علم عد الآي.

٢٤- ما هي مذاهب علم العدد المعمول بها؟ وما مجموع عدد آيات القرآن في كل منها؟

٢٥- اذكر أقسام السور من حيث الاتفاق والاختلاف في عدد آياتها.

٢٦- عدِّد ثلاثة من مراجع معرفة عدد آي السور.

٢٧- ما معنى تحزيب القرآن؟ وما أصْلُه؟

٢٨- كيف كان تحزيب القرآن في عهد النبي ﷺ؟

٢٩- كيف كان تحزيب القرآن وتجزئته بعد عصر الصحابة؟ وما أشهر تلك التقسيمات؟

٣٠- اذكر بعض مراجع معرفة تحزيب القرآن وتجزئته.

٣١- ما المراد برسم المصحف؟ وما تعريف علم رسم المصحف؟

٣٢- وضِّح أبرز معالم الرسم العثماني.

٣٣- ما المصدر الأصل للرسم العثماني؟ وكيف وصلنا؟

٣٤- بيِّن قواعد الرسم العثماني، مع التمثيل.

٣٥- اذكر أبرز الكتب والمنظومات في علم رسم المصحف.

٣٦- هل الرسم العثماني توقيفي؟ ناقش المسألة.

٣٧- هل تجوز كتابة المصحف بغير الرسم العثماني؟ علِّل ودلِّل.

٣٨- اشرح المراد بعلم الضبط؟

٣٩- ما أنواع النقط؟

٤٠- بيِّن معنى النقط المدوَّر، ومن وضعه.

٤١- بيِّن معنى الشكل المستطيل، ومن وضعه.

٤٢- عدِّد أربعة من مجالات ضبط المصحف.

٤٣- ما أشهر المصنفات في علم الضبط؟ وما أشهر منظوماته؟

أسئلة إثرائية

١- كان للنبيّ ﷺ في المدينة كُتَّابٌ معروفون يدعوهم لكتابة ما ينْزل من القرآن، راجع كتب السيرة واستخرج ١٠ كُتَّاب منهم. هل كان ابن مسعود ﷺ من ضمنهم؟

٢- مما ذُكر في الجمع البَكْري أن سور القرآن لم تكن مرتَّبةً على الترتيب الذي استقرَّ عليه بعد ذلك. ناقش هذه المسألة في ضوء ما درست.

٣- مما ذُكر في الجمع العثماني أنه كُتِب على حرف واحد من الأحرف السبعة وألغى ما سواه. ناقش هذه المسألة في ضوء ما درست.

٤- أرسل عثمان ﷺ مع كل مصحَف من المصاحف المرسلَة إلى الأمصار الخمسة مقرئًا. وضِّح سبب ذلك، مع تعداد هؤلاء القُرّاء.

٥- في حديث ابن عباس مع عثمان ﷺ في ترتيب سورتي الأنفال والتوبة دلالة لكِلا القولَين في مسألة ترتيب السور. وضح ذلك.

٦- اذكر خمسة أحاديث رُتّب فيها أجرٌ معيَّن على عدَدٍ محدَّد من الآيات.

٧- خلا رسم مصاحف الصحابة من النِّقاط وعلامات الضبط وغيرها ولم يُشْكِل ذلك عليهم. كيف كان ذلك؟

٨- ذهب قوم إلى أن رسم القرآن مُعجِز، وله سِرٌّ لا نعلمُه. ناقش هذا الرأي، مبيِّنًا متى ظهر وأبرز من تبنَّاه.

٩- استخرج من تقرير لجنة مراجعة مصحف المدينة النبوية برواية حفص عن عاصم في آخره ما يلي:

- المراجع في: عد الآي، تحزيب المصحف، رسم المصحف، ضبط المصحف.

- علامات ضبط: الإدغام بنوعَيه الكامل والناقص، القلْب، المدود، المزيد من الحروف، المحذوف من الحروف، رؤوس الآيات.




الفصل الثالث
علوم خصائص القرآن وحُقوقه

أولاً: أسماء القرآن وأسماء سُوَره.

ثانيًا: فضائل القرآن.

ثالثًا: إعجاز القرآن.

رابعًا: تدبُّر القرآن.

خامسًا: الانْتصار للقرآن.

أهداف الفصل

يُتَوقَّع من الدارس في نهاية دراسته لهذا الفصل أن يكون قادرًا على أن:

١) يذكر أبرَز أسماء القرآن ويبيّن مصدرها.

٢) يوضِّح فضائل القرآن وسُوره ومصدرها.

٣) يشرح مفهوم إعجاز القرآن ويبيّن أبرز وجوهه.

٤) يُبيِّن كيفيَّة تدبُّر القرآن.

٥) يشرح كيفيَّة الانتصار للقرآن.



خصائص القرآن هي ما يتميَّز وينفرد به القرآن الكريم عن غيره من الكلام، حتى عن كلام الله تعالى في كتُبه السابقة، والأحاديث القدسيَّة.

وقد خصَّ الله ﷻ كتابه الكريم بخصائص عديدة دون سائر كتُبه المنْزَلَة، ففضَّله بكونه مُعجزةً باقيةً، وتعهَّد بحِفْظه، وجعَله نورًا وشفاءً وشفيعًا لأصحابه.

وفي هذا الفصل سنعرض لأبرز خصائصه، وهي أسماؤه وأسماء سوره، وفضائله، وإعجازه.

ولعِظَم منزلة هذا الكتاب الذي أنزله الله ﷻ هدًى للنَّاس؛ فقد استَلْزَم حُقوقًا له على المسلمين، من ذلك: تلاوته حقَّ تلاوته، وتفسيره ومعرفة معانيه، وتدبُّره والعمَل بما فيه، وتعظيمه والدِّفاع عنه، وفي آخر هذا الفصل نستعرض الحقَّيْن الأخيرَين من هذه الحقوق، وهما تدبُّر القرآن، والانتصار للقرآن.

بينما سنُرْجِئ الحديث عن علوم قراءة القرآن وتفسيره إلى الفصول التالية نظرًا لعِظَم أهميَّتها، وكثْرة مسائلها، وسَعة مباحثها. وبالله التوفيق.





مما هو معلوم أن كثرة الأسماء تدلُّ على شرف المسمَّى، ولا شكَّ في عِظَم منزلة القرآن وشرفه، ومن هنا فقد ذُكر للقرآن أسماء كثيرة، اعتنى العلماء ببيانها وشرحها، كذلك ذُكر لكثير من سور القرآن عدَّة أسماء، وفي هذا المبحث سنَتَناول ما يتعلَّق بذلك من خلال مطلبَيْن اثنَين: أسماء القرآن وأسماء سوره.

أ) أسماء القرآن

مصدر أسماء القرآن: أسماء القرآن توقيفيَّة، لذا اجتهد أهل العلم بجمعها واستخراجها من الكتاب والسُّنَّة.

عدد أسماء القرآن: اختُلف في عدد أسماء القرآن وتحديدها، فنقل الزركشي عن شيذلة (أبي المعالي عزيزي بن عبد الملك) (ت:٤٩٤) ٥٥ اسمًا[١]، وذكر ابن تيميَّة (ت:٧٢٨) ٤٧ اسمًا من القرآن و٦ من السُّنَّة[٢]، وأورد الفيروزابادي (ت:٨١٧) ٩١ اسمًا من القرآن و١٦ من السُّنَّة[٣]. ومن المعاصرين ألَّف الشيخ صالح البليهي (ت:١٤١٠) كتاب «الهدى والبيان في أسماء القرآن» ذكر فيه ٤٦ اسمًا [٤].

وسبب هذا التفاوت في عدد أسماء القرآن هو اختلافهم في التفريق بين صفات القرآن وأسمائه، فكثير مما ذكره هؤلاء يرى آخرون أنها أوصاف للقرآن وليست أسماءً، لذا فقد ذهب الإمام الطبريُّ (ت: ٣١٠) والماورديُّ (ت: ٤٥٠) وابنُ جُزَيّ (ت: ٧٤١) وغيرهم إلى حصر أسماء القرآن الكريم في أربعة أسماء[٥]. قال ابن جُزَيّ بعد ذكرها: «وسائر ما يُسمَّى

(١) البرهان (١/ ٢٧٣)، وأورد أن الحرالي (ت:٦٣٨) أنهى أساميه إلى نيّف وتسعين اسمًا، دون أن يذكرها.

(٢) مجموع الفتاوى (١٤/ ١-٢).

(٣) بصائر ذوي التمييز (١/ ٨٨-٩٦).

(٤) ينظر: دراسات في علوم القرآن، د. فهد الرومي (ص٢٦)، علوم القرآن بين البرهان والإتقان (ص٢٢٣)، أسماء القرن وأسماء سوره (ص٢٢-٣٥).

(٥) تفسير الطبري (١/ ٨٩)، تفسير الماوردي (١/٢٣)، تفسير ابن جزي (١/١٣).

صفاتٌ لا أسماء: كوصفه بالعظيم، والكريم، والمتين، والعزيز، والمجيد، وغير ذلك»[(١)].

وسنقتصر على ذكر هذه الأسماء المتَّفق عليها مع بيان وجه التَّسمية والتمثيل لها بإيجاز في ما يأتي:

١- القرآن: تقدَّم في مدخل الكتاب أنه لغةً مصدر قرأ بمعنى تلا، وقد جاء ذكره في مواضع عديدة من القرآن تدل على العَلَميَّة في سياقات مختلفة، منها: قوله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾ [البقرة: ١٨٥]، ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ [النساء: ٨٢، محمد: ٢٤]، ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟﴾ [الأعراف: ٢٠٤]، ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩].

٢- الكتاب: وهو لغة مصدر كَتَب، وأصل معناه: جَمَع[(٢)]، وسُمِّي القرآن الكتاب لأنه جمع أنواع العلوم والقصص والأخبار على أبلغ وجه[(٣)]، ومن أمثلة وروده في القرآن دالًّا على العَلَميَّة قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ [البقرة: ٢]، ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [الكهف: ٢]. ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ﴾ [يوسف: ١]، ﴿وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ﴾ [الدخان:٢].

وهذان الاسمان من أشهر أسماء القرآن وأكثرها ورودًا فيه، وفي بيان وجه التَّسمية بهما معًا يقول الدكتور محمد عبد الله دراز رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت١٣٧٧هـ): «رُوعي في تسميته قرآنًا كونه متلوًّا بالألسُن، كما رُوعي في تسميته كتابًا كونه مدوَّنًا بالأقلام، فكلتا التسميَتَيْن من تسمية الشيء بالمعنى الواقع عليه. وفي تسميته بهذين الاسمين إشارة إلى أن من حقِّه العناية بحفظه في موضعَيْن لا في موضع واحد، أعني أنه يجب حفظه في الصدور والسطور جميعًا»[(٤)].

---

(١) تفسير ابن جزي (١/ ١٣).

(٢) ينظر: مقاييس اللغة (٥/ ١٥٨)

(٣) البرهان (١/ ١٨١). الإتقان (٢/ ٣٣٩).

(٤) النبأ العظيم (ص٤١-٤٢). وينظر: تفسير ابن جزي (١/ ١٣).

١ - الفرقان: وهو مصدر فرَّق، سُمِّي القرآن بذلك لأنه فرَّق بين الحق والباطل[١]، وقد ورد في موضعَين من القرآن للدلالة على اسمه، قال تعالى: ﴿وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ﴾ [آل عمران: ٤]، ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ﴾ [الفرقان: ١].

٢ - الذكر: وهو مصدر ذكر، سُمِّي القرآن بذلك «لمَا فيه من المواعظ والتحذير وأخبار الأمم الماضية»[٢]. وقد ورد في مواضع معدودة في القرآن للدلالة على العلَميَّة، من ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]، ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ﴾ [يس: ١١]، ﴿وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا۟ ٱلذِّكْرَ﴾ [القلم: ٥١].

تسميَة الـمُصْحَف:

أما تسمية المُصحف فنِسبةً إلى الصُّحف التي يُكتب فيها القرآن الكريم الذي هو كلام الله المنزَّل على النبي محمد ﷺ.

وعليه **فالفرق بين القرآن والمصحَف**: أن القرآن: كلام الله تعالى، والمصحَف: هو الصُّحُف التي كُتِب فيها كلام الله تعالى.

لكن ورد في آثار الصَّحابة ما يُشير إلى صحَّة إطلاق أحدهما وإرادة الآخر[٣].

ب) أسماء السُّور

المقصود من التسمية تمييز المسمَّى عما يشابهه، لذا تفرَّدت كل سورة باسم أو أكثر يميِّزها عن بقيَّة السور، كما قد يكون فيه ملْمَح عن موضوع السورة.

هل تسميَة السُّوَر توقيفيَّة؟

قال السيوطي (ت٩١١): «...قد ثبت جميع أسماء السُّوَر بالتَّوقيف من الأحاديث

(١) تفسير الطبري (٥/ ١٨٢ -١٨٤)، تفسير ابن جزي (١/ ١٣)، البرهان (١/ ١٨٠)، الإتقان (٢/ ٣٤٢).

(٢) البرهان (١/ ٢٧٩)، وينظر: تفسير ابن جزي (١/ ١٣)، الإتقان (٢/ ٣٤٢).

(٣) كحديث ابن عمر رضي الله عنه من رواية الإمام أحمد في المسند (٢ / ٧، ٥٥): «سمعت رسول الله ﷺ ينهى أن يسافر بالمصحف إلى أرض العدو». وهو عند البخاري (برقم ٢٩٩٠) وغيره بلفظ: «أن رسول الله ﷺ نهى أن يسافر بالقرآن إلى أرض العدو». وقد عنون البخاري للباب بـ «باب كراهية السفر بالمصاحف إلى أرض العدو». وينظر: المحرر في علوم القرآن (ص٢١٩-٢٢٠).

والآثار...»[١]، ولكن لا يمنع ذلك أن تكون لبعض السُّوَر أسماء أخرى اجتهاديَّة[٢]، لورود ذلك عن الصحابة رضي الله عنهم كما سيأتي عن ابن عباس في الفقرة التالية، ولأنه «لم يرِدْ النهيُ عن تسمية السُّور بأسماء تدلُّ عليها، وعلى هذا مضى السلف والخلف، حتى صار ما نرى من تسمية السورة بحكاية أوَّلها»[٣].

تعدُّد أسماء السُّوَر:

يمكننا تقسيم السور باعتبار تعدُّد أسمائها إلى قسمَين:

الأول: ما لها اسم واحد، كسورة هود، والحجرات، والنَّجم، والقارعة.

الثاني: ما لها أكثر من اسمٍ.

وهي إمَّا أن تكون مما ثبت عن النبي ﷺ، أو مما أُخِذَ عن الصحابة.

فمن الوارد عن النبي ﷺ تسمية الفاتحة، حيث قال ﷺ: «**أُمُّ الْقُرْآنِ هِيَ السَّبْعُ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ**»[٤]. وهي أكثر سُوَر القرآن أسماءً[٥].

ومن الوارد عن الصحابة، ما جاء عن سعيد بن جبير أنه قال: «قُلْتُ لابن عباس: سورة التَّوبة؟ قال: آلتَّوْبة؟! قال: بل هي (الفاضحة) ما زالت تنْزل (ومنهم، ومنهم) حتى ظنوا أن لا يبقى منهم أحد إلا ذُكِرَ فيها. قال: قلتُ: سورة الأنفال؟ قال: تلك سورة بدر. قال: قلت: فالحشر؟ قال: نزَلت في بني النَّضير»[٦].

---

(١) الإتقان (٢/ ٣٤٧).

(٢) وقد أوضح السيوطي ذلك في كتابه التحبير في علم التفسير (ص٣٦٩) فقال عن تسمية السور: «ظاهره أنه لا يجوز إلا بتوْقيفٍ من النبي ﷺ، والمراد الاسم التي تُذكر به وتُشتَهر، وإلا فقد سمَّى جماعة من الصحابة والتابعين سُوَرًا بأسماء من عندهم، كما سمَّى حذيفة التوبة بالفاضحة وسورة العذاب...». وينظر: أسماء سور القرآن وفضائلها (ص٧٧).

(٣) المحرر في علوم القرآن (ص١٧٠)، بتصرف يسير.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة (٦/ ٨١) (٤٧٠٤). وفي رواية أبي داود في سننه (٢/ ٧١) (١٤٥٧): «**الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ أُمُّ الْقُرْآنِ، وَأُمُّ الْكِتَابِ، وَالسَّبْعُ الْمَثَانِي**».

(٥) أورد السيوطي لها في الإتقان (٢/٣٤٩-٣٥٥) أكثر من ٢٠ اسمًا مع تعليلها.

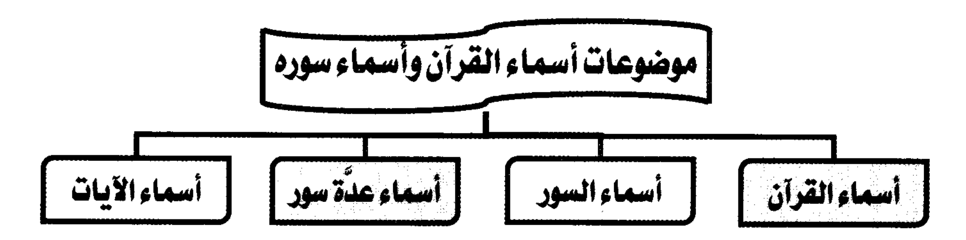
(٦) رواه البخاري (٤٠٢٩)، ومسلم (٣٠٣١)، واللفظ له. وفي رواية عند البخاري: «قلتُ لابن عباس رضي الله عنهما: سورة الحشر، قال: قُلْ: سورة النَّضير».

تسمية سور عِدَّة، وتسمية بعض الآيات:

كما جاءت تسمية السورة بأكثر من اسم كذلك جاءت **تسمية أكثر من سورة باسم واحد**، من ذلك: تسمية سورَتِي البقرة وآل عمران بالزهراوَيْن[1]، وتسمية سورَتي الفلق والناس بالمعوَّذَتَيْن[2].

ومن أجمع ما ورد في **تقسيم سور القرآن وتسمية كل قسم منها**؛ حديث واثلة بن الأسقع رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**أعطِيتُ مكان التَّوراةِ السبعَ الطُّوَل، وأعطيتُ مكان الزَّبور المِئِين، وأعطيتُ مكان الإنجيل المَثَاني، وفُضِّلت بالمفصَّل**»[3].

كذلك ورد **تسمية بعض الآيات**، ومن أشهرها آية الكرسي[4]، وآية الدين[5].



أسباب تسميَات السُّوَر:

قال الزَّركشي (ت:٧٩٤): «ينبغي النظَر في وجه اختصاص كل سورة بما سُمِّيت به،

---

(١) كما في قوله ﷺ قال: «... **اقرؤوا الزَّهراوَين: البقرة وسورة آل عمران** ...» الحديث. رواه مسلم (١/ ٥٣٣) (٨٠٤) من حديث أبي أمامة.

(٢) كما في قوله ﷺ : «**أُنزل -أو أُنزلت- علي آياتٌ لم يُرَ مثلهنَّ قَطْ، المعوَّذَتَين**». رواه مسلم (٨١٤) من حديث عقبة بن عامر.

(٣) تقدم تخريجه ص٧٢، ٧٥ مع بيان معنى كل قسم وسوره.

(٤) كما في قوله ﷺ: «**من قرأ آية الكُرسيِّ في دُبُر كل صلاةٍ مكتوبةٍ لم يمنَعْه من دخول الجنة إلا أن يموت**» من حديث أبي أمامة. أخرجه النسائي في السنن الكبرى (٩٨٤٨)، والطبراني (٨/١١٤) (٧٥٣٢)، وابن السني في عمل اليوم والليلة (١٢٤).

(٥) ينظر مَسْرد مُعجَمِيّ لتسميات آيات عديدة في كتاب «أسماء القرآن الكريم وأسماء سوره وآياته» (ص١٥٥-٣٩٠).

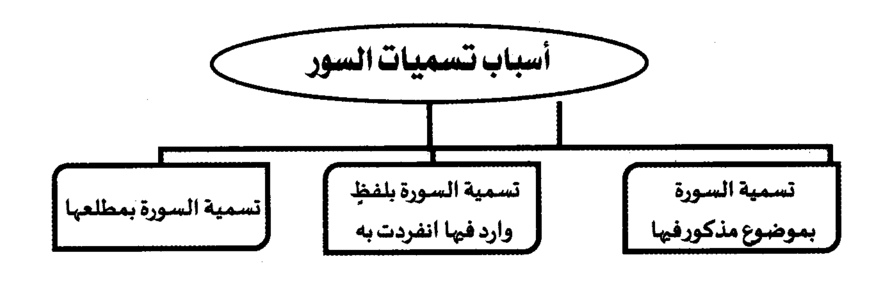
ولا شكَّ أن العرب تُراعي في الكثير من المسمَّيات أخْذ أسمائها من نادرٍ أو مستَغربٍ يكون في الشيء من خَلْقٍ أو صِفةٍ تخصُّه...، ويُسمُّون الجملة من الكلام أو القصيدة الطويلة بما هو أشهر فيها. وعلى ذلك جَرَت أسماء سُور الكتاب العزيز، كتسميَة سورة البقرة بهذا الاسم لقرينة ذكر قصَّة البقرة المذكورة فيها وعَجيب الحكمة فيها...»[1].

ويمكن أن نردّ أسباب تسميات السُّور إلى ثلاثة أسباب[2]:

١- تسمية السورة بموضوع أو قصَّة بارزة مذكورة في السورة، مثل سورة البقرة لورود قصة البقرة فيها-كما تقدَّم عن الزركشي-، وسورة الحج لورود موضوع الحج وبعض أحكامه فيها، ويندرج في ذلك السُّور المسمَّاة بأسماء أنبياء أو أشخاص أو أُمَم، كسورة نوح وسورة هود وسورة يوسف وسورة يونس، وسورة مريم، وسورة لقمان، وسورة سبأ.

٢- تسمية السورة بلفظ وارد فيها انفردَت به، كسورة الزمر، والشورى، والجاثية، والأحقاف، والحجرات، والتغابن، والفيل، والماعون.

٣- تسمية السورة بمطْلعِها، وذلك إما حكاية بنصِّ المطلَع، مثل: سورة براءة، طه، يسٓ، صٓ، ٱلرَّحْمَٰنُ، تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ[3]، قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ. أو اشتقاقًا من لفظ مطلَع السورة؛ مثل: سورة الإسراء، التكوير، الانفطار، الزلزلة.



(١) البرهان (١/ ٢٧٠).

(٢) ينظر: المحرر في علوم القرآن (ص١٧٠ -١٧١).

(٣) كما في قوله النبي ﷺ: «إنَّ سورةً من القرآن ثلاثين آيةً شَفَعت لرجلٍ حتى غُفِر له، وهي ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾». أخرجه الإمام أحمد (٢/٣٢١)، والترمذي (٢٨٩١) وحسّنه.

مصادر ومراجع معرفة أسماء السور:

يمكن الرجوع في معرفة أسماء السور إلى المصادر الآتية:

١- الأحاديث النبوية التي ترِد فيها أسماءٌ للسور، خصوصًا ما ورد في فضائل السور.

٢- الآثار الواردة عن الصحابة والتابعين وأتباعهم، خصوصًا ما ورد في ذكر السور المكيَّة والمدنيَّة.

٣- كتب الأحاديث المسندة، كالكتُب الستَّة، حيث يرِدُ فيها تسميات عديدة للسور.

٤- تفاسير العلماء، حيث يُقدِّمون السورة بذكر أسمائها، وتميَّزت بعض التفاسير باستقصاء أسماء السور المتعدِّدة مع تعليلها، كالتحرير والتنوير لابن عاشور (ت:١٣٩٣).

٥- كتب علوم القرآن الجامعة، ومن أبرزها: جمال القُرّاء لعلَم الدين السَّخاوي (ت: ٦٤٣)[١]، الإتقان لجلال الدين السُّيوطي (ت: ٩١١)[٢].

٦- كتب خاصة في الموضوع: كبعض الرسائل العلمية المعاصرة، مثل: «أسماء سور القرآن وفضائلها» للدكتورة منيرة الدوسري، «أسماء القرآن الكريم وأسماء سوره وآياته» للدكتور آدم بمبا.

ونختم ببيان أن أسماء السور لم تكن تُكتَب في المصاحف في صدر الإسلام أخْذًا بمبدأ تجريد المصحَف عما سواه، وإنما كُتبَت بعد ذلك[٣].



---

(١) حيث عقد مبحثًا عن تعدُّد أسماء السور وعن ألقاب سور القرآن (١/ ١٨٢ - ٢٠٢).

(٢) حيث عقد مبحثًا عنون له: «النوع السابع عشر: في معرفة أسمائه وأسماء سوره»، وجعله على قسمين: الأول عن أسماء القرآن ومسائلها (٢/٣٣٦)، والثاني في أسماء السور (٢/٣٤٦-٣٦٨)، تحدث فيه عن معنى السورة ومصدر تسميات السور، وتعدُّد أسماء السور، ثم سرد ما وقف عليه من أسماء للسور المتعدِّدة الأسماء مع بيان علل التسميات.

(٣) ينظر: محاضرات في علوم القرآن (ص٨٧).

ثانيًا: فضائل القرآن

للقرآن الكريم منزلةٌ كبيرةٌ ومكانةٌ عظيمةٌ، فهو خاتَم الكتُب المنزَّلة وأفضلها، جعله الله مباركًا ونورًا وهدًى للناس، وآيةً باقية، ومعجزةً خالدة، وقد أظهر الله فيه فضائل عظيمة، ومزايا جليلة، نابعة من عِظَم مكانته، وسمُوِّ منزلته، اعتنى أهل العلم ببيانها والتَّنْقيب عنها والتصنيف فيها، فظهر لدينا علم جليل من علوم القرآن هو علم فضائل القرآن.

مفهوم فضائل القرآن:

هي ما ورَد من مزايا للقرآن كلِّه أو بعضه، تُبيِّن شرَفه، وتُظهر منافعه في الدنيا والآخرة.

وهذا يشمل ما ورد من فضائل عامة للقرآن أو لبعض سوره أو لبعض آياته.

أهمية معرفة فضائل القرآن وثمرتها:

لمعرفة فضائل القرآن أهمية كبيرة، والوقوف عليها يثمر آثارًا جليلةً، من أبرزها:

١- تعزيز مكانة القرآن في النفس، وزيادة تعظيم قدره.

٢- الترغيب في تعلم القرآن وتعليمه وتدبره، ومعرفة معانيه، والعمل به، والاستكثار من تلاوته وحفظه والاستماع إليه.

٣- الإفادة منها في الدعوة إلى الله.

مصدر فضائل القرآن:

ذكر فضائل القرآن أمر توْقيفيٌّ نقليٌّ، لا مجال للاجتهاد فيه، لذا فإن مصدرها الأصل هو الكتاب والسُّنَّة[١].

موضوعات علم فضائل القرآن ومسائله:

اعتنى أهل العلم بجمع فضائل القرآن من خلال موضوعات ومسائل متعدِّدة، ويمكننا إجمالها في ثلاثة أقسام، إليك بيانها مع نماذج وأمثلة لها:

---

(١) أما ما يرد من بعض الصحابة من فضائل للقرآن أو بعض سوره وآياته فله حكم الرفع إن صح؛ لأنه مما لا يُقال بالرأي، والله أعلم. وينظر: النُّكَت على ابن الصلاح لابن حجر (٢/٥٣١).

١- فضائل القرآن العامَّة:

جاء في الكتاب والسنَّة أدلَّةٌ كثيرةٌ تدلُّ على شرف القرآن وكريم صفاته وعِظَم منزلته عمومًا، من ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]، وقوله سبحانه: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٤٨]، وقوله تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ﴾ [الزمر: ٢٣]، وقوله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩].

ومن السنَّة قول الرسول ﷺ: «...**إِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ**»[1]، وقوله: «**مَا مِنَ الأَنْبِيَاءِ نَبِيٌّ إِلَّا أُعْطِيَ مَا مِثْلُهُ آمَنَ عَلَيْهِ البَشَرُ، وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيتُ وَحْيًا أَوْحَاهُ اللَّهُ إِلَيَّ، فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعًا يَوْمَ القِيَامَةِ**»[2]، وقوله: «**أعطِيتُ مكان التوراةِ السبعَ الطُّوَل، وأعطيت مكان الزَّبور المِئِين، وأعطيتُ مكان الإنجيل المَثاني، وفُضِّلت بالمفصَّل**»[3].

٢- فضائل أهل القرآن وحَمَلته:

وفيه ذكر ما لحفَّاظه وقارئيه ومعلِّميه ومتَعلِّميه ومستَمعيه والعاملين به من المكانة العالية والثواب الجزيل في الدنيا والآخرة.

من أمثلته في القرآن: قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ ۚ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [فاطر: ٢٩، ٣٠][4].

ومن السُّنَّة: قول الرسول ﷺ: «**أَهْلُ الْقُرْآنِ هُمْ أَهْلُ اللهِ وَخَاصَّتُهُ**»[5]. وقوله: «**إِنَّ**

---

(١) أخرجه مسلم (٢/ ٥٩٢) (٨٦٧) من حديث جابر رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٦/ ١٨٢) (٤٩٨١)، ومسلم (١/ ١٣٤) (١٥٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) من حديث واثلة بن الأسقع رضي الله عنه، وقد تقدم تخريجه ص٧٢.

(٤) وكان مطرِّف بن عبد الله (ت: ٩) رحمه الله يقول: هذه آية القراء. ينظر: تفسير الطبري (١٩/ ٣٦٥)، تفسير ابن كثير (٦/٤٥٤).

(٥) أخرجه أحمد في المسند (١٢٢٧٩) من حديث أَنسٍ رضي الله عنه. وصحح المنذري إسناده في الترغيب والترهيب (٢٢٠٩)، وكذا الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١٤٣٢).

اللهَ يَرْفَعُ بِهَذَا الْكِتَابِ أَقْوَامًا، وَيَضَعُ بِهِ آخَرِينَ»[١].

وقوله: «اقرَؤُوا القُرآن فإنَّه يَأتي يومَ القِيامة شَفيعًا لأصْحابِه»[٢]. وقوله: «مَنْ قَرَأ حرفًا من كتاب الله تعالى فَلَهُ حَسَنَة، والحَسَنَة بِعشر أمثالها، لا أقول ﴿الٓمٓ﴾ حَرْف؛ ولكن أَلِفٌ حَرف، ولامٌ حَرْف، وميمٌ حَرْف»[٣].

وقوله: «الماهرُ بالقُرآن معَ السَّفَرَة الكِرَامِ البرَرَة، والَّذي يقرأُ القرآنَ ويَتَتَعْتَعُ فيه، وهُو عَليه شاقٌّ، لهُ أجْرانِ»[٤]. وقوله: «خيرُكم مَن تعلَّم القرآنَ وعلَّمه»[٥]. وقوله: «مَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ، يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ، إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمِ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِي مَنْ عِنْدَهُ»[٦]. والآثار في هذا الموضوع كثيرةٌ[٧].

٣- فضائل سُوَر القرآن وآياته:

ورد عن النبي ﷺ ما يدلُّ على فضائل خاصَّة لبعض السُّورِ أو الآيات، وكان منهج المصنَّفين في ذلك إيراد أقوال للرسول ﷺ في السور أو الآيات التي تصرِّح بفضلها، أو مواقف معيَّنة يُلمح منها بعض ذلك، من أهمّها:

- **بيان الرسول ﷺ لمنزلتها:** كقوله عن سورة الفاتحة: «**أَعْظَمَ سُورَةٍ فِي الْقُرْآنِ**»[٨]،

---

(١) أخرجه مسلم (٨١٧) من حديث عمر بن الخطاب ﷺ.

(٢) أخرجه مسلم (٨٠٤) من حديث أبي أمامة الباهلي ﷺ.

(٣) أخرجه الترمذي في سننه (٥/ ١٧٥) (٢٩١٠) -من حديث ابن مسعود ﷺ- وقال: حديث حسن صحيح. وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٣٣٢٧).

(٤) تقدم تخريجه وبيان ألفاظه ص٥٩.

(٥) رواه البخاري في صحيحه (٦/ ١٩٢) (٥٠٢٧) عن أبي عبد الرحمن السلمي عن عثمان ﷺ، قال الراوي: وأقرأ أبو عبد الرحمن في إمرة عثمان، حتى كان الحجاج قال: وذاك الذي أقعدَني مقعدي هذا.

(٦) أخرجه مسلم (٢٦٩٩) من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٧) ينظر مبحثًا موسَّعًا في كتاب «حلية أهل القرآن» الصادر عن مركز الدراسات والمعلومات القرآنية بمعهد الإمام الشاطبي، الفصل الأول: فضائل أهل القرآن، وفيه ثلاثون حديثًا من أصح الأحاديث الواردة في فضائل أهل القرآن مع شرحها (ص١٤-٧١).

(٨) أخرجه البخاري في (٦/ ٨١) (٤٧٠٣) من حديث أبي سعيد بن المعلى.

وقوله عن المعوَّذتين: «**أُنزل -أو أُنزلت- علي آيات لم يُرَ مثلهن قط: المعوَّذَتين**»[١].

ووصفه لآية الكُرسيِّ بأنها أعظَم آية في كتاب الله[٢].

- **ذكر الرسول ﷺ لأجرٍ أو دفع شرٍّ دُنيَوي أو أُخرَوي يترتَّب على قراءتها**: كقوله: «**أَيَعْجِزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَقْرَأَ فِي لَيْلَةٍ ثُلُثَ الْقُرْآنِ؟**» قَالُوا: وَكَيْفَ يَقْرَأُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ؟ قَالَ: «**قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ**»[٣]، وقوله: «**إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْفِرُ مِنَ الْبَيْتِ الَّذِي تُقْرَأُ فِيهِ سُورَةُ الْبَقَرَةِ**»[٤]، وقوله: «**مَنْ قَرَأَ بِالْآيَتَيْنِ مِنْ آخِرِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ فِي لَيْلَةٍ كَفَتَاهُ**»[٥].

- **قصد الرسول ﷺ قراءتها في وقت معيَّنٍ**: مثل ما ورد من قراءته سورَتي الكافرون والإخلاص في سنَّة الفجر[٦]، أو ركعَتي الطواف[٧]، أو في الركعتَين الثانية والثالثة من الوتر، وبسورة الأعلى في الركعة الأولى[٨].

- **بيان أثرها الحسِّي والمعنَوي على المسلم**[٩]، مثل ما ورد في الرُّقية بسورة الفاتحة[١٠]،

---

(١) أخرجه مسلم (٨١٤) من حديث عقبة بن عامر ﷺ.

(٢) أخرجه مسلم (١/ ٥٥٦) (٨١٠) من حديث أبي بن كعب ﷺ.

(٣) أخرجه مسلم (١/ ٥٥٦) (٨١١) من حديث أبي الدرداء ﷺ.

(٤) أخرجه مسلم (١/ ٥٣٩) (٧٨٠) من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٥) أخرجه البخاري (٦/ ١٨٨) (٥٠٠٩)، ومسلم (١/ ٥٥٤) (٨٠٧) من حديث أبي مسعود الأنصاري ﷺ.

(٦) أخرجه مسلم (٧٢٦) من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٧) أخرجه مسلم (١٢١٨) من حديث جابر ﷺ.

(٨) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٢٤/ ٧٢) (١٥٣٥٤) من حديث ابن أبزى، وحسّن ابن حجر إسناده في التلخيص الحبير (٢/ ١٩). كما أخرجه الترمذي (٤٦٢) عن ابن عباس، وابن ماجه (١١٧٣) عن عائشة ﷺ. وصححه ابن حبان (٢٤٤٨) والحاكم (١/ ٣٠٥) وسكت عنه الذهبي.

(٩) ما يتعلَّق ببيان تأثير القرآن من جلب المنافع أو دفع المضارّ والرُّقيَة به وبسوره وآياته = اعتنى به أهل العلم وأفردوه كنوع من أنواع علوم القرآن عُرف بـ«خواص القرآن»، كالزركشي في البرهان (١/ ٤٣٤) في النوع السابع والعشرين، والسيوطي في الإتقان (٦/ ٢١٧٦) في النوع الخامس والسبعين، كذلك أفرده البعض بتأليف مستقلّ، لكن وقع في بعضها نوع من الخُرافة والشطح والإلغاز. ينظر: علوم القرآن بين البرهان والإتقان (ص٢٧٤-٢٧٧). وكتاب «خواص القرآن: دراسة نظرية تطبيقية» د. تركي الهويمل.

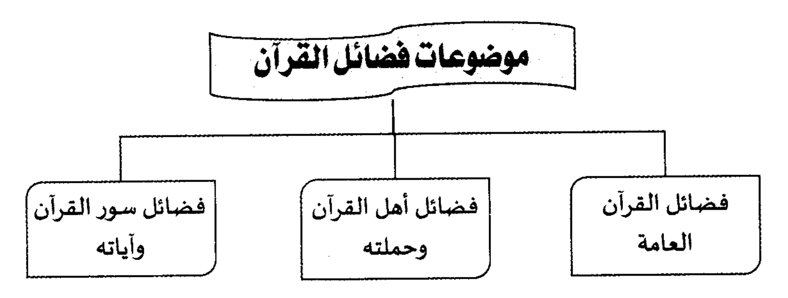
(١٠) أخرجه البخاري (٥٠١٤) عن أبي سعيد الخدري ﷺ وفيه أن سيّد حيٍّ من أحياء العرب لُدغ فرقاه أحد الصحابة بالفاتحة على جُعلٍ قطيع من غنم، فقام كأنما نشط من عِقال، فأوفوهم جُعْلَهم، فتردَّدوا في قسمته بينهم حتى يأتوا النبي ﷺ، وينظروا ما يأمرهم، فقدموا عليه فقال: «**وما يُدريك أنها رُقيَة؟**» ثم قال: «**قد أصبتم، اقسموا، واضربوا لي معكم سهمًا**»، فضحك رسول الله ﷺ.

وما جاء أنه ﷺ كان إذا اشْتَكى يَقْرَأُ على نَفْسِه بِالْمُعَوِّذَاتِ وَيَنْفُثُ[١].

وفضائل سور القرآن وآياته من أكبر موضوعات فضائل القرآن وأوسع أقسامه[٢]، والآثار فيها كثيرةٌ، **ويلزم التَّنْبيه فيها على أمرَيْن:**

الأول: أنَّ سور القرآن التي ثبت فيها فضائل أقلُّ من السور التي لم يثبُت فيها فضائل[٣].

الثاني: أنه كَثُر الوَضْع في فضائل السور -وفضائل القرآن عمومًا-، ومن أشهر تلك الأحاديث الموضوعة الحديث الطويل المروِيّ عن أُبيّ بن كعب ﷺ مرفوعًا في فضائل سور القرآن سورةً سورةً[٤]، فينبغي التنَبُّه لمثل تلك الأحاديث والتَّحذير منها ومن نشرها.



تفاضل سور القرآن وآياته[٥]:

ورَدت أحاديث عديدةٌ في فضائل عموم القرآن مما دلَّ على أن كلّ القرآن فاضل،

---

(١) أخرجه البخاري (٦/ ١٩٠) (٥٠١٦)، ومسلم (٤/ ١٧٢٣) (٢١٩٢) من حديث عائشة ﷺ.

(٢) ينظر: فضل القرآن الكريم: دراسة موضوعية، د. عبد السلام الجار الله (ص٥٩).

(٣) بل نبَّه بعض أهل العلم على أنها قليلة جدًّا ومحصورة معدودة، بلغت خمسًا عند ابن العربي، وعشرًا عند ابن القيم في كتابه المنار المنيف (ص ١١٣-١١٤)، وقريبًا من عشرين عند السيوطي في الإتقان (٦/ ٢١١١-٢١٣٧). وينظر: فضائل القرآن: دراسة موضوعية (ص١٩٩-٢٠١).

(٤) وقد ذُكر أن الذي وضَعه أحد الزهَّاد الذي أراد الترغيب في القرآن فاعتمَد الكذب في هذا الباب، والعياذ بالله. كما تساهل بعض المفسِّرين في إيداعه تفاسيرهم بذكر ما يتعلَّق منه بكل سورة في مقدمتها أو خاتمتها، كالثعلبي والواحدي، والزمخشري والبيضاوي. ينظر: الإتقان (٦/ ٢١٣٧- ٢١٣٨)، وبحث «حديث أبي ابن كعب ﷺ في فضائل السور وموقف المفسرين منه»، د.ناصر المنيع، مجلة معهد الإمام الشاطبي للدراسات القرآنية، ع٦، (ص٨٥-١٤٩).

(٥) أفرد المسألة الزركشي في البرهان (١/ ٤٣٨) في «النوع الثامن والعشرون: هل في القرآن شيء أفضل من شيء؟»، والسيوطي في الإتقان (٦/ ٢١٣٩) في «النوع الثالث والسبعون: في أفضل القرآن وفاضله».

كما وردت أحاديث خصَّت بعض الآيات والسور بمزيد فضل، وأُعطي على قراءتها مزيد أجر، وهذا يفيد إثبات التفاضل بين سور القرآن وآياته، لأنَّ زيادة الأجر دليل على زيادة الفضل، وجمهور أهل العلم على هذا القول، قال ابن تيمية رحمه الله (ت: ٧٢٨): «والقول بأن كلام الله بعضه أفضل من بعض هو القول المأثور عن السلف، وهو الذي عليه أئمة الفقهاء من الطوائف الأربعة وغيرهم»[1]. واستدلوا لذلك بآيات من القرآن كقوله تعالى: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ﴾ [البقرة: ١٠٦]، كما استدلُّوا بظاهر ما ورد من أحاديث في تفضيل بعض السور والآيات، نحو ما تقدَّم من أن سورة الفاتحة أعظم سورة في القرآن، وأن آية الكُرسيّ أعظم آية فيه.

مصادر معرفة فضائل القرآن وسُوره:

بما أن الأصل في فضائل القرآن وسوره النَّقل عن النبي ﷺ؛ فإن مصادر معرفتها الأساس هي القرآن وكتب الحديث النبَويّ، ويأتي بعدها مصادر أخرى فرعيّة.

أما **المصادر الأساسية** من كتب الحديث فهي على نوعَين:

أ- كتب الحديث الجامعة: حيث أفرد بعضها كتابًا خاصا ضِمنَها بعنوان «فضائل القرآن»، كصحيح البخاري، وسنن الترمذي، والسنن الكبرى للنَّسائي. كما أورد بعضها الآخر أحاديث فضائل القرآن ضمن كتبها الأخرى كصحيح مسلم وسنن أبي داود.

ب- كتب الحديث الخاصة بفضائل القرآن، ومن أبرزها:

١- فضائل القرآن ومعالمه وآدابه، لأبي عُبَيد القاسم بن سلَّام (ت: ٢٢٤)[2].

٢- فضائل القرآن، لأبي العباس جعفر بن محمد المستَغْفِري (ت٤٣٢)[3].

---

(١) مجموع الفتاوى (١٧/ ١٣).

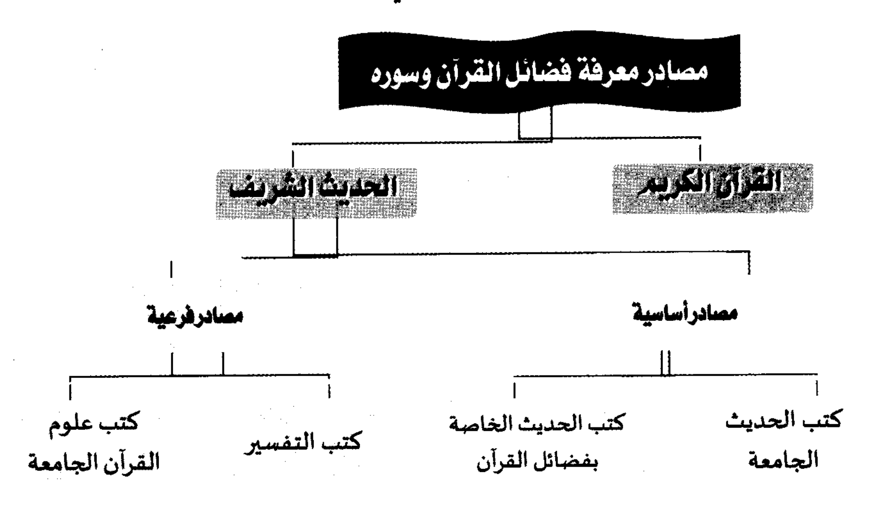
(٢) وهو كتاب مسند الآثار، من أنفس كتب فضائل القرآن، بل هو أوَّل كتاب وصلنا في هذا الفن، وأوَّل ما طُبع من مؤلفاته، كما تميَّز بوجود تعليقات نفيسة لأبي عُبيد، فهو ليس كتاب رواية فحسب. وقد اشتهر تصنيفه ضمن كتب فضائل القرآن؛ لكن في حقيقته هو ثلاثة أقسام كما يتبيَّن من عنوانه الدقيق، أوّلها في آداب القرآن، والثاني في الفضائل، بينما الثالث في أنواع علوم القرآن، ويمكننا القول أنه أول مؤلَّف وصلنا في كل فنٍّ من هذه الفنون الثلاثة. ينظر: ما تقدم في المدخل ص١٤، فضل القرآن الكريم: دراسة موضوعية (ص٦٤، ٦٧-٦٧)، المحرر في علوم القرآن (ص١٩٣).

(٣) وهو كتاب رواية من أوسع كتب فضائل القرآن. ومن الكتب الأخرى: فضائل القرآن، لابن الضريس =

أما **المصادر الفرعية** فمن أبرزها نوعان:

أ- **كتب التفسير**: حيث اعتنى كثير من المفسرين بذكر فضائل القرآن إما كمقدِّمة للكتاب، كابن كثير في تصنيفه الذي طُبع مستقلًّا بعنوان «فضائل القرآن»[١]، وكذلك القرطبي. أو في مقدمة تفسير السورة بذكر فضائلها كصنيع الثعلبي، وابن كثير، والسُّيوطي في الدر المنثور. أو آخرها كصنيع البَغوي والزمخشري والبيضاوي.

ب- كتب علوم القرآن الجامعة: حيث اعتنى بعضها بسرد الآثار العديدة في فضائل القرآن وسوره، مثل كتاب «جمال القُرَاء وكمال الإقراء» لعلَم الدين السَّخاوي (ت: ٦٤٣)[٢]، والإتقان لجلال الدين السُّيوطي[٣].



= (ت: ٢٩٤)، وفضائل القرآن لأبي بكر الفريابي (ت: ٣٠١)، وفضائل القرآن، للنسائي (ت: ٣٠٣)، وجميعها كتب رواية، وهي مطبوعة.

(١) وقيل إنه جعله خاتمةً لتفسيره، وأصله شرحٌ لكتاب الفضائل من صحيح البخاري، وهو من أنفس كتب الفضائل لما فيه من التحرير والترجيح، وبيان المسائل العلمية المتعلّقة بالفضائل. ينظر: فضل القرآن الكريم: دراسة موضوعية (ص١٦٧، ١٧٠).

(٢) حيث جعل له قسمًا من أقسام الكتاب السبعة سماه «منازل الإجلال والتعظيم في فضائل القرآن العظيم». ينظر: (١/ ٢٩٣ - ٣٨٠).

(٣) حيث أفرد فضائل القرآن في النوع الثاني والسبعين، من خلال فصلين اثنين: الأول فيما ورد في فضله على الجملة، والثاني: فيما ورد في فضل سورة بعينها. ينظر: الإتقان (٦/٢٠٩٩ - ٢١٣٨).

ثالثًا: إعْجاز القرآن

من أظهر خصائص القرآن التي تميَّز بها عن الكتُب السابقة، وصار حجَّةً باقيةً على الناس إلى قيام الساعة، وأوضح مزاياه الدالَّة على صدق النبي ﷺ؛ ما عُرِف بإعجاز القرآن.

مفهوم إعجاز القرآن:

الإعجاز مصدر الفعل (أعجز)، وهو بمعنى زوال القُدرة عن الإِتيان بالشيء[(١)]، والمراد بـ(إعجاز القرآن): **إثبات عَجْز البَشَر عن الإتيان بمثل القرآن أو معارَضته.**

ومنه وُصِف القرآن بأنه مُعجِزة، واشتهر في تعريف المُعجِزة بأنها: «**أمْرٌ خارقٌ للعادة، مقرونٌ بالتَّحدِّي، سالمٌ من المعارَضَة**»[(٢)]، والمقصود بكون القرآن مُعجزة الدَّلالة على صدْقه وأنه تنْزيلٌ من عند الله العزيز الحكيم.

نشْأة علم إعجاز القرآن وتاريخه:

أ) في عهد النُّبُوَّة وسلَف الأمَّة:

لم يرِد مصطلح المعجِزة في القرآن أو السُّنّة، لكن جاءت مصطلحاتٌ أخرى بمعناه مثل (الآية)، و(البيِّنة) و(البرهان) و(السُّلطان)، من ذلك قوله تعالى: ﴿وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخْرَىٰ﴾ [طه: ٢٢][(٣)]، وقول الرسول ﷺ: «**مَا مِنَ الأَنْبِيَاءِ نَبِيٌّ إِلَّا أُعْطِيَ مَا مِثْلُهُ آمَنَ عَلَيْهِ البَشَرُ، وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيتُ وَحْيًا أَوْحَاهُ اللهُ**

---

(١) بصائر ذوي التمييز (١/ ٦٥).

(٢) الإتقان (٥/ ١٨٣٧).

(٣) وقد جاءت جميع هذه المصطلحات في قصة موسى ﵇ في سياقات مختلفة كما في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰفِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ۝ قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ بِـَٔايَةٍ فَأْتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [الأعراف: ١٠٤، ١٠٦]، وقوله تعالى: ﴿فَذَٰنِكَ بُرْهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦٓ﴾، وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ۝ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ﴾ [هود: ٩٦، ٩٧].

إِلَيَّ، فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعًا يَوْمَ القِيَامَةِ»[١].

«قيل إنَ معناه أنَّ معجزات الأنبياء انقرَضَت بانقراض أعصارهم فلم يشاهدها إلا من حضَرها، ومعجِزة القرآن مستمرَّة إلى يوم القيامة»[٢]، وفي هذا دلالة على أن القرآن أكبر آيات النبي ﷺ، وأوضَح معجزاته[٣]، ويؤكِّد ذلك قول الله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ قُلْ إِنَّمَا ٱلْءَايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝٥٠ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ [العنكبوت: ٥٠، ٥١].

والمقصود أن كفار قريش انبهَروا من أمر القرآن وقوَّة تأثيره في النّفوس، لكن أبَوْا بمكابرتهم إلا أن يقِفُوا موقف المعانِد، فشنُّوا حملات التَّشكيك والطَّعن في القرآن، وادَّعوا أن الرَّسول ﷺ افتراه واختلَقه من عنده، ولم يَدَعِ الله ﷻ أقاويلهم الباطلة لترُوج، فردَّها عليهم من الباب الذي بَرَعُوا فيه وأحكموا أمْرَه، فهم أرباب الفصاحة والبلاغة والبيان، فتحدَّاهم أن يأتوا بمثل هذا القرآن، أو بعَشْر سُوَر مثله، أو بسورة مثله، ﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ۝٣٣ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ﴾ [الطور: ٣٣، ٣٤]، ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝١٣ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [هود: ١٣ - ١٤]، ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝٢٣ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٣، ٢٤]. «فقطَع لهم أنّهم لن يفعلوا، وهي كلمةٌ يستحيل أن تكون إلا مِنَ الله، ولا يقولها عربيٌّ في العَرب أبدًا، وقد سمعوها واستقرَّت فيهم ودارَت على الألسِنة، وعرفوا أنها تنفِي عنهم الدَّهر نفيًا، وتُعجِزهم آخر الأبَد، فما فعَلوا ولا طمعوا قَطّ أن يفعَلوا، وطارت الآية بعَجْزِهم وأسْجَلتُه عليهم ووَسَمتهم على ألسِنتهم، فلمَّا رأَوْا

---

(١) رواه البخاري (٦/ ١٨٢) (٤٩٨١)، ومسلم (١/ ١٣٤) (٢٣٩).

(٢) الإتقان (٥/ ١٨٧٤).

(٣) قال ابن حجر في شرح الحديث: «أي إن معجزتي التي تحدَّيتُ بها: الوحيُ الذي أنزل علَيَّ، وهو القرآن؛ لما اشتمل عليه من الإعجاز الواضح، وليس المراد حصر معجزاته فيه، ولا أنه لم يُؤتَ من المعجزات ما أوتي من تقدَّمه، بل المراد أنه المعجزة العُظمى التي اختصَّ بها دون غيره». فتح الباري (٩/ ٦).

هِمَمُهم لا تسْمُو إلى ذلك، ولا تُقارب الْمَطمَعَة فيه، وقد انقطعَت بهم كل سبيل إلى المعارضة؛ بذَلُوا له السيف، كما يبذل المُحرَجُ آخر وُسْعه، وأخطروا بأنفسهم وأموالهم، وانصرفوا عن توَهّن حجَّته إلى تهوينها على أنفسهم بكلام من الكلام، فقالوا: ساحر، [وكاهن]، وشاعر، ومجنون، ورجل يكتَتِب أساطير الأوَّلين، وإنما يعلِّمه بشر، وأمثال ذلك مما أخِذَت به الحجَّة عليهم، وكان إقرارًا منهم بالعجْز...»(١).

لقد عجز العرب في عصر النُّبوّة عن معارضة القرآن مع توفّر الدَّواعي، واستمرار البواعث، بل إنهم «لما عجزوا عن معارضته والإتيان بسورة تشبهه على كثرة الخطباء فيهم والبلغاء نادى عليهم بإظهار العَجْز وإعجاز القرآن فقال: ﴿لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٨]. هذا وهُمُ الفصحاء اللُّدّ، وقد كانوا أحرص شيء على إطفاء نوره وإخفاء أمره، فلو كان في مقدرتهم معارضته لعدلوا إليها قطعًا للحجَّة، ولم يُنقل عن أحد منهم أنه حدَّث نفسه بشيء من ذلك ولا رامه...»(٢). وها هو التحدِّي قائم، والإعجاز مستمرٌّ إلى أن تقوم الساعة، ولن تجِد من يعارضه، فهو المعجزة الخالدة، والآية الباقية، ليست كمعجزات الأنبياء السابقين التي انقرَضت بانقراض أعصارهم، مصداقًا لقوله ﷺ في الحديث السابق.

ب) إعجاز القرآن بعد عصر السَّلف:

أدرك العرب -مؤمنهم وكافرهم- في عهد نزول القرآن ما تميَّز به القرآن من ذَرْوَة الفصاحة، وعُلُوّ النَّظم، وغاية البلاغة، وذلك بفِطرتهم وبما كانوا عليه من الفصاحة والبيان، فملأت أنوار القرآن نفوس من آمن منهم، وزادهم هدى، وهكذا تلقَّاه التابعون وتابعوهم من بعدهم، ولم يُنقل عنهم أنهم ناقشوا قضيَّة إعجاز القرآن لأنهم أدركوه بفِطْرتهم، فلم يحتاجوا إلى إعمال فِكْرتهم(٣).

لكن نشأ بعد ذلك أجيالٌ قَصُرت معارفهم وأفهامهم عن إدراك معنى إعجاز القرآن

---

(١) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية للرافعي (ص١١٨) بتصرف يسير.

(٢) الإتقان (٥/ ١٨٧٥).

(٣) محاضرات في علوم القرآن (ص٢٤١).

وفَهْم حقيقته، فأُثيرت هذه القضيَّة في بحث سِرِّ الإعجاز وحقيقته، وبيان وجوهه وأنواعه[١]. ومن ثَمَّ اختَلَف الخائضون في ذلك على أقوال عديدة[٢]، فقيل: إن إعجازه في تضَمُّنه الأمور الغيبيَّة بمُختَلف أنواعها السابقة واللاحقة، وقيل: إعجازه في تضَمُّنه علومًا ومعارفَ متجدِّدة لم تعْهدها العرب من طِبٍّ وفلَكٍ وتشريعاتٍ وغير ذلك.

والأصح أن الوَجْه المتحَدَّى به المُعجِز إعجازًا تامًّا في جميع آيات القرآن هو **نَظْم القرآن البديع (لغةً وبلاغةً وأسلوبًا)**، وذلك لأمرَيْن:

١- أنه هو الوَجْه الذي برَع فيه العرب وتميَّزوا فيه، دون الأوْجُه الأخرى، لذا تحدّاهم الله على أن يأتوا بسورة من مثله.

٢- أنه الوَجْه الوحيد الذي ينتظِم في كل سورةْ بلا استِثْناء، بخلاف الأوجه الأخرى التي تُوجَد في بعض السور والآيات وتتخَلَّف في البعض الآخر.

وأما ما ذُكِر من وجوه أخرى كإعجازه الغيْبِي والتشريعي فهذه كلها تُعدّ من دلائل النبوَّة، وآيات صدق النبي ﷺ، وربانيّة القرآن، لكنها ليست مما تحدَّى الله به العرب.

لكن للجَمْع بين أقوال العلماء في قضيَّة إعجاز القرآن، وإزالة ما قد يبدو من تعارض، وعدم إهمال ما قيل من أسرار القرآن ودلائل صدقه = يمكن أن ننتهي «إلى نتيجة ملخصُّها أن إعجاز القرآن في عصر النبّوَّة الذي أعجَز العرب هو في نظْمِه وبيانه، وأنَّ ما أدركه العلماء بعد ذلك من وجوه أخرى جاءَ معزِّزًا للإعجاز ومؤكِّدًا صِدْق النُّبوَّة، وأن هذا القرآن تنْزيلٌ من الرحمن الرحيم»[٣].

---

(١) خصوصًا مع بروز المعتزلة في أواخر القرن الثاني ودخولهم في الجدال فيما بينهم أو مع الزنادقة الطاعنين في الإسلام، فظهر لديهم الحديث عن المعجزة، وعن وجوه إعجاز القرآن. ينظر: إعجاز القرآن والبلاغة النبوية (ص١٠١)، مباحث في إعجاز القرآن (ص٤٩)، الإعجاز العلمي إلى أين؟ (ص٨-٩).

(٢) أورد الزركشي منها ١٢ وجهًا في كتابه البرهان (٢/١٠٦)، وبلغت عند السيوطي ٣٥ وجهًا، وذلك في كتابه «معترك القران في إعجاز القرآن» الذي خصَّه بهذا الموضوع. وينظر: الإتقان (٥/ ١٨٧٩-١٨٩٥).

(٣) محاضرات في علوم القرآن (ص٢٥٣).

ج) إعجاز القرآن عند المعاصرين:

كما اعتنى المتقدمون بإعجاز القرن ووجوهه فقد كان للمعاصرين عناية كبيرة بهذا الميدان، بل توَسَّع لديهم مفهوم الإعجاز بصورة أكبر بسبب ما ظهر في العصر الراهن من مكتَشفات حديثة، وعلوم جديدة، مع توَفُّر طُرق البحث الحديثة التي أظهرت معطيَات جديدة ومفاهيم دقيقة، فتنوَّعت أساليبهم في تناول أوجه الإعجاز، وكان من أبرز الوجوه التي ظهرت عنايتهم بها حتى كادت أن تطغى على غيرها = ما يُعرف بالإعجاز العِلْمي (التَّجريبي). وهو يتناول آيات القرآن التي فيها إشارةٌ لبعض القضايا العلميَّة المتعلِّقة ببعض العلوم الكونيَّة والتجريبيَّة[1]، خصوصًا علم الفلك والطب وعلم النبات والحيوان، وقد شابَهُ شيء من الخلْط والتَّضْخيم والمبالغة، ممّا يستلزم تجليته بشيء من التفصيل، وذلك من خلال النقاط التالية[2]:

- أن المقصد الأوَّل لنزول القرآن هو معرفة ربهم وكيفيَّة عبادته، أما وجود إشارة في القرآن لبعض مسائل العلوم التجريبية فقد جاءت تبعًا وليست أصالة.
- أن كثيرًا ممن خاض في هذا الاتجاه ليس متخصِّصًا في العلم الشَّرعي فضلًا عن علم التفسير، وبالتالي عدم إتقانه الرَّبط بين معاني آيات القرآن وبين ما يظهر في البحث التجريبي، مما نتَج عنه محاولاتهم تأويل آيات القرآن لتتناسب مع النظريات والفرضيّات المكتَشفة دون مراعاة مصطلحات اللُّغة والشريعة، ومحاولاتهم تركيب ما ورد في البحوث التجريبيَّة في القرآن[3].
- أن أيّ تفسير جاء بعد تفسير السلف من الصحابة والتابعين وأتباعهم لا يُقبل إلا

(١) هنا ملحَظ مهم ينبغي التنَبُّه له! وهو أن نسبة هذا الوجه من الإعجاز إلى العلم دون غيره من أوجه الإعجاز الأخرى خطأٌ بيِّن، وهو مبنيٌّ على الأثر الناتج عن تقسيم أهل الغرب للعلوم إلى قسمَين: علميَّة: ويعنُونَ بها دراسة العلوم التجريبية، وأدَبية: ويعنُون بها دراسة الشرعيَّات واللُّغويات واللغات. ينظر: الإعجاز العلمي إلى أين؟ (ص٢١).

(٢) ينظر: المرجع السابق.

(٣) مثل من جعل السماوات السبع هي الكواكب السبع السيَّارة، والكُرسي هو المجرَّة، والعرش هو الكَوْن.

بضوابط، وهي:

١- أن تكون القضية المفسَّر بها صحيحة في ذاتها، فإن كانت باطلة فلا يصِحّ أن يُحمَل عليها القرآن. وتظهر صحَّتها من ثلاثة أَوْجُه:

- صحَّتها من جهة الوقوع(١).
- دلالة اللُّغة عليها(٢).
- عدم مناقضتها للشَّرع(٣).

٢- أن لا تناقض وتُبطِل قول السَّلف من الصحابة والتابعين وأتباعهم(٤).

٣- أن تحتَمل الآية القضيَّة المفسَّر بها(٥).

٤- أن لا يُقصَر معنى الآية على هذا التفسير المعاصر.

ثم إنه عند التأمُّل في الإعجاز العلمي تجدُه في الحقيقة فرعًا عن الإعجاز الغيبي السابق، إذ مآلُه ما غاب عن النّاس مدَّةً من الزمن ثم انكَشف للمعاصرين.

ومن الاتجاهات الجديدة في إعجاز القرآن التي ظهرت في الآونة الأخيرة وبدأت تشيع وتلقَى رواجًا كبيرًا لما فيها من إثارةٍ وجاذبيَّةٍ ما يُسمَّى **بالإعجاز العَدَدي**، والمقصود

---

(١) والذي يدرك ذلك هو المتخصِّص في العلم التجريبي، أما أن الشرْطَين الأخيرَين فيدركهما المتخصِّص في التفسير، ومن هنا لا بد من التكامل بين كِلا التخصّصَين حتى يصح التفسير بمثل تلك المعطيات.

(٢) فيُثبَت ابتداء من جهة اللغة فإن لم يُثبَت لغةً فهو تفسير مردود، كمن يفسِّر الذَرَّة الواردة في القرآن بالذرَّة في علم الكيمياء، لأنه مصطلَح حادث لا يثبت لغةً.

(٣) كمن فسَّر قوله تعالى: ﴿ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴾ بأنها أطوار النَّظرية الداروِنيَّة في النشوء والارتقاء، وهي نظرية مصادمة الشرع، فهي باطلة مردودة.

(٤) أما الزيادة عليه دون إبطاله فلا بأْس بذلك، ويصير قولًا مضافًا إلى أقوال السلف مما تحتَمله الآية ويوافق السِّياق.

(٥) فقد تكون تلك القضيَّة صحيحة في ذاتها، لا تناقض أقوال السَّلف، لكن لا تحتَمله الآية ولا دلالتها، نحو من فسَّر قوله تعالى: ﴿وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [الأنعام: ١٢٥] بما اكتُشف حديثًا أن الإنسان إذا صعَد في طبقات الجو العليا يضيقُ تنَفُّسه بسبب نقْص الأكسجين.

به: وجود علاقات بين أعداد وأرقام القرآن لها دلالات وإشارات ومعانٍ معيَّنة، وقد وقعت أخطاءٌ عديدةٌ ممن خاض فيه، أدَّت إلى الاستنباط من تلك العلاقات الحسابية أقوالًا غريبةً في تفسير الآيات، وادّعاء التوصُّل إلى معلومات غيبيَّة مستقبليَّة، والزعم بكشف أسرار القرآن الخفيَّة، مما يستلزِم الحذَر من تلك البحوث، وأخذ الحِيطة من نتائجها، وعدم قبولها مباشرةً قبل التأمُّل في مؤدَّاها وما تؤول إليه.

أبرز وجوه الإعجاز القرآني:

تقدَّم تبايُن أقوال العلماء في تحديد وجوه الإعجاز في القرآن الكريم، لكن يُمكن أن تُحدَّد أبرز هذه الأقوال وأشملها في أربعة وجوه هي: الإعجاز اللُّغَوِي، الإعجاز الغيبي، والإعجاز التشريعي، والإعجاز العلميّ (التجريبي)، وفي ما يأتي إشارةٌ لكل منها مع أمثلة توضيحيَّة، دون الخوْض في تفاصيلها:

١- **الإعجاز اللُّغَوِي**: من حيث نَظْمه وبلاغته وفصاحته وبدِيع أسلوبه، ولو استعرضنا آيات القرآن الكريم من أوَّل سورة الفاتحة إلى آخر سورة النَّاس على تعريف الفصاحة والبلاغة، وشروط الألفاظ الفصيحة والكلام البليغ؛ لوجدنا كلَّ آية قد تحققَّت فيها الفصاحة والبلاغة في أبسط أسلوب وأوضحَه وأقرَبه إلى الفهم والقلْب.

ولنضرب مثالًا لذلك بالآية الأولى من أقْصَر سُور القرآن الكريم؛ سورة الكوثر[1]، وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ﴾، التي تضمَّنت ثمانية معانٍ بلاغيَّة دقيقة مُعجزة من أسمَى المعاني البديعة والفصاحة والبلاغة على الرّغم من كلماتها القليلة المحدودة، وهي:

الأولى: أنه دلَّ على عطيَّةٍ كثيرةٍ مسندةٍ إلى مُعْطٍ كبيرٍ، ومن كان كذلك كانت النّعمة عظيمة عنده، وأراد بالكَوثر الخير الكثير، ومن ذلك الخير الكثير ينال أولاده إلى يوم القيامة من أمَّته...، ومن الخير الذي وُعِد به ما أعطاه الله في الدَّارَين من مزايا التعظيم

---

(١) ينظر: مقدمة تفسير ابن النَّقيب في علم البيان والمعاني والبديع وإعجاز القرآن، لابن النقيب المقدسي (ت٦٩٨) (ص٥٢١- ٥٢٢)، بتصرف يسير. وقد استخرج المؤلف من سورة الكوثر ٢١ نكتةً بلاغيَّةً مُعجزة.

والتقديم والثواب ما لم يعرفه إلا الله. وقيل: إن الكَوثر ما اختَصَّ به من النَّهر الذي ماؤه أحلى من العسل وعلى حافاته أواني الذهب والفضة كالنّجوم أو كعدَد النجوم.

الثانية: أنه جَمَع ضمير المتكلَّم، وهو يشعر بعِظَم الربوبية.

الثالثة: أنه بنى الفعل على المبتدأ فدلَّ على خصوصيَّةٍ وتحقيقٍ.

الرابعة: أنه صدَّر الجملة بحرْف التَّوكيد الجاري مَجرى القَسَم.

الخامسة: أنه أوْرد الفعل بلفظ الماضي دلالةً على أن الكوثر لم يتناول عَطاء العاجِلة دون عَطاء الآجِلة.

السادسة: جاء بالكَوْثر محذوف الموصوف؛ لأن المثبَت ليس فيه ما في المحذوف من فَرط الإيهام والشِّياع، والتناول على طريق الاتساع.

السابعة: اختيار الصفة المُؤذِنة بالكَثْرة (على وزن فَوْعل).

الثامنة: أتى بهذه الصَّفة مصدَّرة باللام المعروف بالاستِغراق لتَكون ما يُوصَف بها شاملة، وفي إعطاء معنى الكَثْرة كاملة.

٢- **الإعجاز التَّشريعي**: وهو يتناول ما تضمَّنه القرآن من أحكام وقضايا تشريعية مُحكَمَة، محقِّقة للعدالة، مَرِنة صالحة لكل زمان ومكان، شاملة لكل جوانب الحياة، في العقيدة والأخلاق، وفي العبادات والمعاملات، وفي السياسة والاقتصاد، والأحوال الشخصيَّة والمدنيَّة وغيرها، صالحة للفرد والأسرة والمجتمع، مما لا يصدُر إلا عن خالق الخلْق، العالم بما يُصلِحهم.

مثال ذلك: منظومة الأخلاق والقِيَم التي دعا إليها القرآن والتي تكفَل حِفظ أواصر الصِّلة بين أفراد المجتمع وتوثيقها، وفي المقابل نهى عن كلِّ ما يُفسد تلك الصِّلة ويقطعها، من ذلك قوله تعالى: ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾ [النساء: ٣٦]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠]، ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ

وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾ [المائدة: ٢]، ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۝١٠ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ۖ وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَٰبِ ۖ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۝١١ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُوا۟ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحجرات: ١٠-١٢]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ﴾ [النساء: ٢٩].

٣- **الإعجاز الغَيْبِي**: والمقصود به إخبار القرآن عن شتَّى المغَيَّبات؛ الماضِية والحاضِرة والمستقبَلة:

المغيَّبات الماضِية: كالإخبار عن بدء الخلق، وأخبار الأُمَم الغابرة والأنبياء وأقوامهم.

والمغيَّبات الحاضرة: التي كانت أثناء نزول القرآن كفَضْح المنافقين وكشْف سوء نِيَات اليهود.

والمغيَّبات المستقبليَّة: سواء التي حصَلت في العهد النبوي كانتصار المسلمين في بدر، وكغلَبة الروم على الفُرس، أو مما حصَل ويحصل بعد ذلك كانتشار الإسلام وفِتَن آخر الزمان، وإخباره عن أشراط السّاعة، والبعث بعد الموت، والحشْر والحساب، والمصير إلى الجنّة أو إلى النّار، بما لا سبيل للبَشر إلى معرفته إلّا بوَحْي الله ﷻ.

٤- **الإعجاز العِلمِيّ**: وهو الذي يتناول ما في بعض آيات القرآن التي من إشارة لبعض القضايا العلمية المتعلِّقة ببعض العلوم الكونيَّة والتجريبيَّة، من أمثلة ذلك[1]:

- في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ۝٦ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾ [النبأ: ٦، ٧] إشارةٌ إلى شَكْل الجبل الظاهر والباطن، وأدركه العلماء بعد ذلك.

- في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ

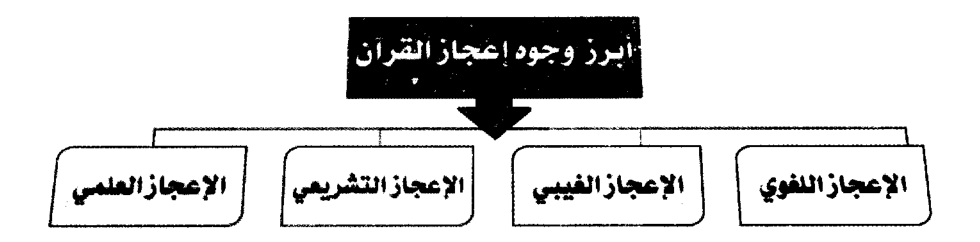
---

(١) ينظر: دراسات في علوم القرآن (ص٢٩٨ -٢٩٩).

عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴾ [المؤمنون: ١٤] إشارةٌ إلى مراحل خَلْق الإنسان في الرَّحِم ولم يُدركها العلماء إلا في العصور الحديثة.

- في قوله تعالى: ﴿بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّىَ بَنَانَهُۥ﴾ [القيامة: ٤] في تخصيص البنَان بالذكر صفة تميِّزه عن غيره من أعضاء الجسم لم يكتشفها العلم إلا حديثًا وهو علم البصَمات.

- وفي قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّٰرِبِينَ ﴾ [النحل: ٦٦] إشارةٌ إلى ما كان مجهولًا من تحديد مصدَر اللَّبن في الأنعام.



المصنَّفات في إعجاز القرآن:

صنَّف كثير من المتقدِّمين في إعجاز القرآن كالخطَّابي (ت: ٣٨٨)، والرُّمَّاني المعتزلي (ت: ٣٨٤)، ومن أشهَر وأنفَس ما كُتب فيه «إعجاز القرآن» لأبي بكر الباقلَّاني (ت: ٤٠٣)، وكذلك كتاب «دلائل الإعجاز» لعبد القاهر الجُرجاني (ت٤٧١هـ)، ولجَلال الدين السُّيوطي (ت ٩١١هـ) «معترَك الأقْران في إعجاز القرآن»، وجميعها مطبوعة.

أما مصنَّفات المعاصرين فمن أنفسها: «إعجاز القرآن والبلاغة النبويَّة» لمصطفى صادق الرافعي (ت١٣٥٦هـ)، و«النَّبأ العظيم»: د. محمد عبد الله دراز (ت١٣٧٧هـ).

وفي هذا العصر حين صار هذا العِلم يُدرس استقلالا كمادَّة دراسية أُلِّفت مقرَّرات دراسيَّة فيه من أهمها: «مباحث في إعجاز القرآن»: أ.د. مصطفى مسلم.

رابعًا: تدبُّر القرآن

تدبُّر القرآن من أهمِّ حقوق القرآن على العباد، فقد أمر الله به جميع المكلَّفين، كُلًّا بحسب طاقته، فقال سبحانه: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [ص: ٢٦]، وهو التفسير الذي لا يُعذر أحد بجهالته الذي جعله ابن عباس رضي الله عنهما أحد أقسام التفسير الأربعة[١].

وفي هذا المبحث مقدِّمة موجَزة عن التدبُّر، نتناول فيها مبادئ هذا العلم الشريف؛ من خلال بيان مفهومه، وأركانه، وشروطه، وموانعه، وأنواعه.

مفهوم تدبر القرآن:

التدبُّر في اللغة: مصدر (تَدَبَّر)، وأصل هذه المادة: (د ب ر) يدل على آخر الشيء وخَلْفِه[٢]؛ ودُبُر كل شيء: عَقِبُه ومُؤَخَّرُه. واشتقُّوا من (الدُّبُر) فعلًا، فقالوا: تَدَبَّر: إذا نظر في دُبُر الأمر؛ أي: في غائبِه أو عاقبتِه[٣].

«وتدبُّر الكلام: أن ينظر في أوَّله وآخره، ثم يعيد نظَره مرَّةً بعد مرَّةٍ، ولهذا جاء على بناء التفعُّل كالتجرُّع والتفهُّم والتبيُّن»[٤].

أما مفهوم تدبُّر القرآن: فهو النَّظر إلى ما وراء الألفاظ من المعاني والعِبَر والمقاصد، الذي يُثمر العلوم النَّافعة والأعمال الزَّاكية[٥].

شرح التعريف:

النظر إلى ما وراء الألفاظ: وهذا يستلزم معرفة معاني الألفاظ ابتداء، وهو التفسير.

الذي يُثمر العلوم النافعة والأعمال الزاكية: لأنه قد ورد عن جماعة من السلف

---

(١) ينظر: المقدمات الأساسية في علوم القرآن (ص٢٨٦، ٢٨٠).

(٢) ينظر: مقاييس اللغة (مادة دبر).

(٣) التحرير والتنوير (٥/ ١٣٧).

(٤) مفتاح دار السعادة (١/ ١٨٣).

(٥) ينظر: الخلاصة في تدبر القرآن، د. خالد السبت (ص٧-١٣٩).

تفسير التدبُّر بالعمل والامتثال وما إلى ذلك مما يقع في القلب، ويظهر على الجوارح، ولا رَيب أن هذا يكون أعلى مراتب التدبُّر، وإلا فقد يحصل ببعض ذلك كما لا يخفى.

مراحل التدبُّر:

من خلال التعريف السابق يتبيَّن أنه لا بدَّ للتدبُّر من مرحلتَين أساسيَّتَين، باجتماعهما يتميَّز التدبُّر عن غيره:

الأولى: المرحلة النظريَّة: وهي تمثِّل الوقوف مع الآيات والتأمُّل فيها، ويدخل في هذا الركن التفسير والاستنباط والتفكُّر والتأمُّل.

الثانية: المرحلة العملية: وهي تمثِّل التفاعل مع الآيات، وقصد الانتفاع والامتثال، ويدخل في هذا الركن الاعتبار والاتِّعاظ والتذكُّر[1].

أهمية تدبُّر القرآن وثمراته[2]:

يمكن أن نستبين أهمية تدبُّر القرآن من وجوه عدة؛ منها:

١- أن الله تعالى جعل ذلك مقصودًا من إنزاله؛ كما في قوله: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [ص: ٢٩].

٢- أن الله تعالى أنكر على من لم يتدبَّره؛ كما في قوله ﷻ: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢]، وقوله: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ [محمد: ٢٤].

٣- أن تدبُّره وتَفَهُّمه والإقبال عليه سبيل إلى تحصيل المطالب العالية.

٤- أنه الطريق إلى معرفة العبد لخالقه جل جلاله معرفة صحيحة بأسمائه وصفاته وأفعاله، وهو الطريق إلى معرفة صراطه المستقيم الذي أمر العباد بسلوكه.

٥- أن تدبّر القرآن من النصيحة لكتاب الله تعالى.

---

(١) مفهوم التدبر في ضوء القرآن والسنة وأقوال السلف وأحوالهم، الملتقى العلمي الأول لتدبر القرآن الكريم، ١٤٢٩هـ. د. محمد عبد الله الربيعة.

(٢) ينظر: الخلاصة في تدبر القرآن (ص٢١-٢٥).

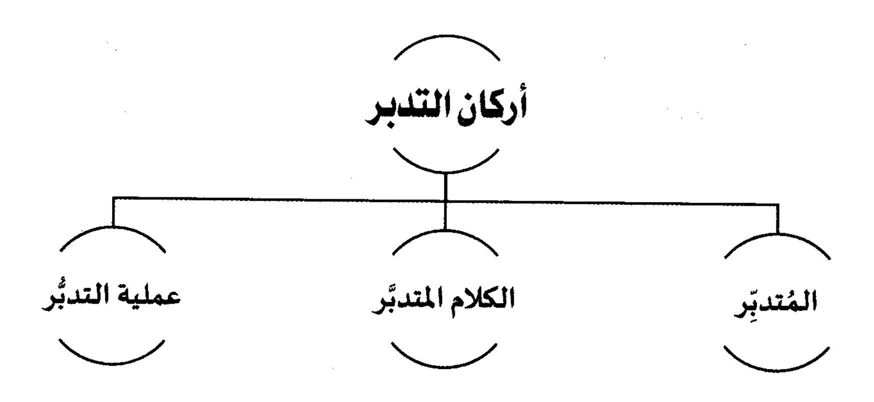
أركان التدبر[١]:

يقوم التدبُّر على أركان ثلاثة:

الأول: المُتَدَبِّر: وهذا لا بدَّ فيه من تحقّق شروط وانتفاء موانع، كما يُلحَظ فيه توفّر جملة من الآداب المُكَمِّلَة المُعِينة على التدبر؛ ليكون المَحَلُّ قابلًا كما سيأتي.

الثاني: الكلام المُتَدَبَّر: ولا يخفى أن القرآن الكريم بالغ التأثير في النفوس، كما أنه مُيَسَّر للفهم، غير أَنَّا نعلم أن القرآن يشتمل على العقائد والأحكام والقصص والأمثال والكلام على الدنيا والآخرة، وأهوال القيامة، فقد تكون بعض هذه القضايا أكثر تأثيرًا في بعض الناس، كما يكون غيرها أعمق تأثيرًا لدى آخَرين بحسب مقاصدهم، وعُمْق أفهامهم، ولطافة نظرهم.

الثالث: عمليَّة التدبُّر: وذلك يُطْلَب فيه جملة أمور تتعلق بالقَدْر المتْلُوّ، وطريقة التلاوة، ووقتها، وما إلى ذلك؛ ولذا قال النبي ﷺ: «**مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ فِي أَقَلَّ مِنْ ثَلَاثٍ لَمْ يَفْقَهْهُ**»[٢].



(١) ينظر: الخلاصة في تدبر القرآن (ص٣٧).

(٢) أخرجه أحمد (١١/ ٩١) (٦٥٣٥)، وأبو داود (١٣٩٤) من حديث عبد الله بن عمرو، بسند صحيح على شرط الشيخين.

شروط التدبر[١]:

التدبُّر قضية نسبيَّة يتفاوت الناس فيها، بل تتفاوت لدى الشَّخص الواحد في أحواله المختَلفة؛ وذلك للتفاوت الحاصل في مقدِّماتها.

لذا **فالشروط الأساسية في المُتَدَبِّر** التي يتوقَّف عليها حصول التدبُّر، تنحصر في ثلاثة أمور وذلك بحسب النظر الكُلِّي:

الأول: وجود المَحَلّ القَابِل، وهو القلب الحي: لأن «القلب إذا كان رقيقًا ليِّنًا كان قبوله للعلم سهلًا يسيرًا، ورسخ العلم فيه وثبت وأثَّر، وإن كان قاسيًا غليظًا كان قَبوله للعلم صعبًا عسيرًا...»[٢]. ومن هنا كان الصحابة ﭫ يتعلّمون الإيمان قبل القرآن. فعن جندب بن عبد الله ﭬ قال: «كنا مع النبي ﷺ ونحن فتيان حَزَاوِرَة، فتعلمنا الإيمان قبل أن نتعلم القرآن، ثم تعلمنا القرآن فازددنا به إيمانًا»[٣].

الثاني: العمل الذي يصدُر من المكلَّف (القراءة أو الاستماع، مع حضور القلب).

أما الاستماع: فيكفي في ذلك قول الله تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٤]. قال سفيان بن عيينة (ت: ١٩٨): «أوَّل العلم الاستماع، ثم الفهم، ثم الحفظ، ثم العمل، ثم النَّشر، فإذا استمع العبد إلى كتاب الله تعالى وسنَّة نبيِّه، ﷺ، بنية صادقة على ما يُحِب الله، أفهمه كما يُحِب، وجعل له في قلبه نورًا»[٤].

وأما القراءة: فإن القارئ إذا راعى ما ينبغي له عندها، فإن ذلك يكون أدعى للتدبُّر والانتفاع بها؛ ومن أهم تلك الأمور:

---

(١) ينظر: الخلاصة في تدبر القرآن (ص٣٨-٤٤).

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية (٩/ ٣١٥).

(٣) رواه ابن ماجه (٦١)، والطبراني في الكبير (١٦٧٨)، والبيهقي في السنن (٣/ ١٢٠)، وفي الشعب (٥٠)، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه (٥٢).

(٤) تفسير القرطبي (١١/ ١٧٦).

١- التهيُّؤ لها: باختيار الوقت المناسب لا سيَّما الليل، واختيار الحال الأصلح له، وأنفعه ما كان في حال قيام الليل، وتفريغ النفس من الشواغل المُشَوِّشَة للفكر والقلب.

٢- مراعاة ما يُطلب أثناء القراءة: فيختار ما هو أدعى لتدبُّره: الجهر أو الإسرار بالقراءة، من المصحَف أو عن ظهْر قلْبٍ، وأن يقرأ بترسُّل وترتيل، ويكرِّر الآية أو الآيات.

وفي كلا الحالَين (الاستماع أو القراءة) ينبغي التنبُّه لأمور تُعين على التدبر، من أبرزها:

١- إدراك أهمية التدبر وفائدته.

٢- استحضار عظَمَة المتكلِّم بالقرآن.

٣- استحضار أنك المُخَاطَب بهذا القرآن.

٤- صدق الطَّلب والرَّغبة، وقوَّة الإقبال على كتاب الله ﷻ.

٥- أن يقرأ ليمتَثِل.

الثالث: قَدْر من الفهم للكلام المقروء أو المسموع.

الفهم قضية نسبيَّة، يقع فيها التفاوت كثيرًا، والمقصود هنا حصول حَدٍّ أدنى من الفهم لما يقرأ أو يسمع؛ فإن من خُوطِب بما لا يفهم أصلًا، لا يمكن أن يتدبَّر مهما كان قلبه حيًّا وأحضره حال الاستماع أو التلاوة. والأمر بتدبُّر القرآن والحثّ عليه في قوله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [ص: ٢٩] = أمْرٌ عام لجميع الناس، ولم يخصّ ذلك بأهل العلم دون غيرهم؛ مع أن ما يحصل للعالم من ذلك لا يُقاس بما يحصل لغيره.

وقد جَمَعَت هذه الشروط آيةٌ في كتاب الله تعالى، وهي قوله: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق: ٣٧]، حيث صَرَّحَت بالشرطَين الأولين، وأما الثالث فهي دالة عليه لزومًا؛ وذلك أن إلقاء السمع لا بُدَّ أن يكون معه الكلام مفهومًا لدى السامع، وإلا فإن الإصغاء للكلام الذي لا يفهمه أصلًا - كالأعجميّ- لا يحصل به المقصود.

أما **موانع التدبُّر** فهي ناتِجة عن تخلُّف ما ذُكر من شروط التدبُّر أو شيء منها.



نماذج من تدبُّر السلَف والمفسِّرين:

١- قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما (ت:٦٨): «ثماني آيات نزلت في سورة النساء هُنَّ خيرٌ لهذه الأمَّة مما طلَعت عليه الشمس وغربت: أوَّلهن: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [٢٦]. والثانية: ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا﴾ [٢٧]. والثالثة: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾ [٢٨]. والرابعة: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا﴾ [٣١]. والخامسة: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ الآية [٤٠]. والسادسة: ﴿يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ﴾ الآية [١١٠]. والسابعة: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ الآية [٤٨]. والثامنة: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمْ يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُو۟لَٰٓئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ﴾ للذين عملوا الذنوب ﴿غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [١٥٢]»(١).

٢- قال القرطبي (ت:٦٧١) في قوله تعالى: ﴿وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ﴾ [الكهف: ١٨]: «إذا كان بعض الكلاب قد نال هذه الدرجة العليا بصُحبته ومخالطته الصلحاء والأولياء - حتى أخبر الله تعالى بذلك في كتابه - فما ظنُّك بالمؤمنين الموحِّدين، المخالِطين المحبِّين للأولياء والصالحين؟ بل في هذا تسليةٌ وأُنسٌ للمقصِّرين، المحبِّين للنبي ﷺ وآله خير آل»(٢).

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٦/٦٦٠-٦٦١)، والبيهقي في الشعب (٧١٤٥). وعزاه السيوطي إلى ابن أبي الدنيا في التوبة. وأخرج الطبري (٦/٦٦٠) نحوه عن ابن مسعود رضي الله عنه لكن قال في أوَّله: «خمسُ آيات من سورة النساء لهنَّ أحبّ إليَّ من الدنيا جميعًا».

(٢) تفسير القرطبي (١٠/٣٧١-٣٧٢).

٣- قال ابن القيِّم (ت:٧٥١) في قوله تعالى: ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦٨]: «... فهذا وعد الله وذاك وعد الشيطان، فلينظُر البخيل والمنفِق أيُّ الوعدَيْن هو أوثق؟ وإلى أيهما يطمئنُّ قلبه وتسكُن نفسه؟»[١].

٤- قال الزَّركشِيّ (ت:٧٩٤): «.. وقوله حاكيًا عن يوسف ﷺ: ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِيٓ إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجْنِ﴾ [يوسف: ١٠٠] فلم يذكر خروجه من الجُبِّ مع أن النعمة فيه أعظم، لوجهَين: أحدهما: لئلا يستحيِي إخوته، والكريم يُغضِي عن اللَّوم، ولا سيَّما في وقت الصفاء. والثاني: لأن السّجن كان باختياره، فكان الخروج منه أعظم بخلاف الجُبِّ»[٢].

٥- قال ابن عاشور (ت:١٣٩٣): عقب تفسير قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوٓا۟﴾ [النساء: ٩٤]: «... وهذه تربية عظيمة، وهي أن يستشعر الإنسان عند مؤاخذته غيرَه أحوالًا كان هو عليها تساوي أحوال من يؤاخذه، كمؤاخذة المعلِّم التلميذ بسوءٍ إذا لم يُقصِّر في إعمال جهده، وكذلك هي عظيمة لمن يمتحنون طلبة العلم فيعتادون التشديد عليهم وتطلّب عثراتهم، وكذلك ولاة الأمور وكبار الموظَّفين في معاملة من لنظرهم من صغار الموظفين، وكذلك الآباء مع أبنائهم...»[٣].

وأخيرًا ينبغي التَّنبيه على أن من التدبُّر ما يصلح لعموم الناس، ومنه ما لا يُحسِنُه إلا العلماء، وبناء على ذلك فإن من الخطأ أن تتوجَّه الأذهان عند الحديث عن التدبُّر إلى استخراج المعاني واللطائف والنُّكات الدقيقة التي لم نُسْبَق إليها فحسب!! فإن ذلك لا يصلح إلا للعلماء، لكنَّ المؤمن -أيًّا كان- يتدبَّر ليُرَقِّق قلبه، ويتعرَّف مواطنَ العِبَر، ويَعْرِض نفسَه على ما ذكره الله تعالى في القرآن الكريم من أوصاف المؤمنين، ويحذَر من الاتِّصاف بصفات غيرهم، إلى غير ذلك مما ينتفع به، ويمكن حصوله لكلِّ من تدبر كتاب الله ﷻ[٤].

---

(١) طريق الهجرتين وباب السعادتين (ص٣٧٥).

(٢) البرهان (٣/٦٦-٦٧).

(٣) التحرير والتنوير (٥/ ١٦٨).

(٤) ينظر: الخلاصة في تدبر القرآن (ص٣٦).

خامسًا: الانْتِصار للقُرآن

تعرَّض القرآن الكريم منذ نزوله لحملاتٍ من التَّشكيك والطَّعن فيه، وتنوَّعَت أساليب وشُبُهات الطاعنين، وقد انبَرى أهل العلم لردِّ تلك الشُّبهات ونَقْدها، في مختَلف المواقف وشتَّى المصنَّفات، كما تنادى المعاصرون لتأسيس عِلم مستقَلٍّ من علوم القرآن يُعنى بهذا الجانب.

مفهوم علم «الانتصار للقرآن الكريم» وموضوعه:

هو العلم الذي يُبحث في معرفة الشُّبهات المثارة حول القرآن الكريم، والرَّدّ عليها بالحُجَّة الصحيحة[١].

أما موضوعه ففي أمرَين كما يظهر من التعريف:

١- معرفة الشُّبُهات المثارة حول القرآن الكريم، وتحديد أصولها، ومحصَّلتها.

٢- معرفة طريقة الردّ عليها بالحُجَّة الصحيحة ببيان الحق والصواب، وذلك باتباع منهج النَّقد العلمي المتَّصف بالموضوعيَّة الذي يبحث في أساس الشبهة، مع الالتزام بآداب الحوار وطُرق البحث والمناظرة.

نشأة الشُّبهات حول القرآن والانتصار له:

أُثيرت الشبهات حول القرآن منذ نزوله، حيث ادَّعى كفار قريش أنه مختَلَق وليس من عند الله: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ إِفۡكٌ ٱفۡتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيۡهِ قَوۡمٌ ءَاخَرُونَۖ فَقَدۡ جَآءُو ظُلۡمٗا وَزُورٗا ۝٤ وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٱكۡتَتَبَهَا فَهِيَ تُمۡلَىٰ عَلَيۡهِ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا﴾ [الفرقان: ٤، ٥]، ﴿وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٖ قَالُواْ مَا هَٰذَآ إِلَّا رَجُلٞ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمۡ عَمَّا كَانَ يَعۡبُدُ ءَابَآؤُكُمۡ وَقَالُواْ مَا هَٰذَآ إِلَّآ إِفۡكٞ مُّفۡتَرٗىۚ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمۡ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّبِينٞ﴾ [سبأ: ٤٣] ﴿بَلۡ قَالُوٓاْ أَضۡغَٰثُ أَحۡلَٰمِۭ بَلِ ٱفۡتَرَىٰهُ بَلۡ هُوَ شَاعِرٞ فَلۡيَأۡتِنَا بِـَٔايَةٖ كَمَآ أُرۡسِلَ ٱلۡأَوَّلُونَ﴾ [الأنبياء: ٥]،

---

(١) علم الانتصار للقرآن الكريم وموقعه بين مباحث القرآن، د.عبد الرحمن خير الله الشريف، مجلة تبيان/ ع١٣، ١٤٣٤هـ، (ص٢٠).

وكما تقدَّم في المبحث السابق جاء الردُّ عليهم بتحدِّيهم أن يأتُوا بسورةٍ من مثله إن كانوا صادقين في دعواهم.

ثم لما ساد الإسلام ودخل الناس في دين الله أفواجًا من مختلَف الشعوب؛ برز من أراد هدمَه من الداخل بالطَّعن في أصوله والتَّشكيك فيها لا سيَّما القرآن الكريم، خصوصًا بعد دخول علم الكلام والفلْسَفة وبروزها في القرن الثالث الهجرى، فظهر فِئام من الزَّنادقة والفلاسفة والفِرَق المنحَرفة وممن ادَّعى الإسلام زورًا للطَّعن فيه، يشكِّكون في القرآن بدَعوى تحريفه وتغييره، ودخول الخلَل فيه، وذهاب شيءٍ منه أو زيادة أمورٍ فيه أو تناقض كثيرٍ منه، أو عدم تناسُبه، فانبرى علماء المسلمين للردِّ عليها ونقْضها، وظهرت عدة مؤلَّفات، من أهمِّها: «تأويل مشكل القرآن» لابن قُتَيبة (ت٢٧٦)، و«الانتصار للقرآن» للباقلّاني (ت٤٠٣).

ومع ضَعف المسلمين في القرون المتأخِّرة وسيْطَرة الغرب برز المستشرقون الذين اعتَنَوْا بعلوم المسلمين بهدف إثارة التَّشكيك في دينهم، فظهروا بلَبوس النَّقد العلمي للقرآن، وسوَّدوا مئات الكتب والمقالات في ذلك، لعلَّ من أشهرها: «تاريخ القرآن» للمستشرق الألماني نولدكه (ت ١٣٤٩/١٩٣١م)، و«مذاهب التفسير الإسلامي» للمستشرق المجرَي جولدتسيهر (ت ١٣٣٩/١٩٢١م).

وقد ظَهرت العديد من الكتُب التي ترُدُّ على دعاويهم وتدفَع مطاعنهم في القرآن في ثنايا موضوعها العام، كـ«النَّبأ العظيم» للدكتور محمد عبد الله دراز (ت١٣٧٧هـ)، و«مناهل العرفان في علوم القرآن» للزُّرقاني (ت: ١٣٦٧)، أو تخصيصها لذاك مثل: «دفاعٌ عن القرآن ضدّ منتَقديه» د. عبد الرحمن بدوي، و«شبهات حول القرآن الكريم» د. محمد عمارة، و«نقض مطاعن في القرآن الكريم» د. محمد عرَفة، و«آراء المستشرقين حول القرآن الكريم وتفسيره: دراسة ونقد» د. عُمر إبراهيم رضوان، و«دعاوى الطَّاعنين في القرآن الكريم في القرن الرابع عشر» د. عبد المحسن بن زبن المطيري.

وفي السَّنوات الأخيرة برَز بعضُ العلمانيِّين من تلاميذ المستشرقين بدعاوى تطبيق المنهجيَّات الحديثة على القرآن، وإخضاعه لها كالنُّصوص البشرية، وهو ما عُرف بالقراءات المعاصِرة للنَّص الشرعي، مثل: محمد أركون، ونصر حامد أبو زيد، ومحمد شحرور.

وقد انبرى كثير من الكُتَّاب لتفنيد شُبَههم، ودفع شُبَهاتهم، من ذلك: «العلمانيون والقرآن الكريم: تاريخية النص» د. أحمد إدريس الطعان، و«القراءات المعاصرة للقرآن الكريم في ضوء ضوابط التفسير» د. محمَّد كالو.

موضوعات الشُّبُهات الْمُثارة للطَّعن في القرآن وأبرزها:

تدور أبرز الشُّبهات المثارة على القرآن حول تاريخ نزوله وتدوينه، ونظمه ومعانيه، ويُمكننا ردّ المطاعن والشُّبهات إلى أربعة أصول يتفرَّع من بعضها فروع[1]؛ وهي:

١ - **الشُّبُهات حول مَصدَر القرآن**: من خلال نفي نسبة القرآن لله تعالى وادِّعاء أنه من تأليف النبي ﷺ، أو أَخَذه من غيره، وهذه المطاعن هي أوَّل ما وُجِّه إلى القرآن حين نزوله: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ إِفۡكٌ ٱفۡتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيۡهِ قَوۡمٌ ءَاخَرُونَۖ فَقَدۡ جَآءُو ظُلۡمٗا وَزُورٗا ۝٤ وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٱكۡتَتَبَهَا فَهِيَ تُمۡلَىٰ عَلَيۡهِ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا﴾ [الفرقان: ٤، ٥]. وقد كان الانتصار للقرآن من هذه المطاعن في القرآن نفسه، حيث تولَّى الله تعالى الردّ على هذه الفِرية في آيات كثيرة كما تقدَّم في مبحث إعجاز القرآن.

وقد ردَّد هذه الفِرية المستشرقون في العصر الحاضر وزعموا أنه مُقتَبس من الكتب السابقة كالتوراة والإنجيل، وأن الإسلام دين مُحرَّف منهما.

وهذه الشُّبهة الخطيرة ينتُج عنها شُبهة أخرى؛ وهي دعوى عدم قُدْسيَّة القرآن وإمكانيَّة نقده ومخالفته، وهذه الذي قَصَده المستشرقون وتولَّى كبره أذنابهم من العلمانيِّين من خلال دعوى إخضاع القرآن للمقاييس النقديَّة التي تُحاكَم بها النصوص البشرية.

٢ - **الشُّبُهات حول نقْل القرآن**، من خلال دعوى عدم حِفْظه، وأن القرآن الذي بين أيدينا ليس الذي أُنزل على النبي ﷺ، بزعم أنه حُرِّف وزِيدَ فيه أو نُقِص منه، وهي دعوى قديمة أثارَها الزنادقة والفِرَق المنحرفة متَّهمين الصحابة أنهم لم ينقلوا لنا القرآن نقلًا صحيحًا. وقد أثاروا شُبُهات عديدة حول الموضوعات المتعلِّقة بتاريخ القرآن كالأحْرُف السَّبعة والمكِّي والمدَني، وجمع القرآن، والرَّسم العثماني، والقراءات وتواترها، والنَّسخ في القرآن، ونحو ذلك.

---

(١) ينظر: دعاوى الطاعنين في القرآن الكريم في القرن الرابع عشر (ص٨٦- ٨٩).

وجاء المستشرقون في العصر ليردِّدوا هذه الشبهات ويشيعوا هذه المطاعن بدعوى الدراسة المتجرِّدة والنَّقد الموضوعي الْمُنْبَني على البحث والتحليل، وقد انتصر للقرآن علماء الأمَّة منذ ذلك العهد إلى يومنا هذا، وتولَّوا الرَّدَّ عليهم في ثنايا كُتبهم أو بمؤلَّفات خاصَّة كما تقدَّم، لعلَّ من أهمِّها كتاب «الانتصار للقرآن» للباقلَّاني (ت٤٠٣)[١].

٣- **اتهام القرآن بالتَّناقض في آياته بعضها مع بعض:** أيضًا هذه فِرية قديمة منذ صدر الإسلام، حيث ظهَر في عهد الصحابة من يسأل عن متشابِه القرآن إما طلبًا للحقِّ وإما تعنُّتًا[٢]، وكلما تقدَّم الزمن كثُر مثل هؤلاء وازدادت سؤالاتهم واستشكالاتهم في بعض معاني الآيات، ومن هنا ظهر علم «مشكل القرآن» أو «موهم الاختلاف والتناقض» كما سيأتي، وصُنِّفت فيه التصانيف العديدة، لعل من أشهرها وأقدم ما وصلنا منها: «تأويل مشكل القرآن» لابن قُتيبة (ت٢٧٦)[٣].

---

(١) قال الباقلَّاني في مقدمة كتابه (١/ ٥٦): «فقد وقفتُ - تولَّى الله عصمتكم، وأحسن هدايتكم وتوفيقكم - على ما ذكرتموه من شدَّة حاجتكم إلى الكلام في نقل القُرآن، وإقامة البرهان على استفاضة أمره وإحاطة السلف بعلمه، وانقطاع العُذر في نقله وقيام الحُجَّة على الخلق به، وإبطال ما يدعيه أهلُ الضلال، من تحريفه وتغييره ودخول الخَلَل فيه، وذهاب شيءٍ كثيرٍ منه، وزيادة أمور فيه، وما يدّعيه أهلُ الإلحاد وشيعتُهم من منتحلي الإسلام، من تناقُض كثيرٍ منه، وخلوّ بعضه من الفائدة، وكونه غير متناسب، وما ذكروه من فساد النَّظم، ودخول اللَّحن به، وركاكة التّكرار، وقلّة البيان، وتأخّر المقدَّم، وتقديم المؤخَّر، إلى غير ذلك من وجوه مطاعنهم، وذكر جُمَلٍ مما رُوي من الحروف الزائدة، والقراءات المخالفة لمصحف الجماعة، والإبانة عن وَهَاءِ نقل ذلك وضعفه، وأن الحجَّة لم تقُمْ بشيءٍ منه، وعرفتُ ما وصفتموه من كثرة استطراد الضعفاء بتمويههم وعِظَم موقع الاستبصار والانتفاع ببعضِ شبههم، ونحن بحول الله وعونه نأتي في ذلك بجُمَلٍ تزيل الرِّيَبَ والشبهة، وتُوقف على الواضحة».

(٢) مثل صَبيغ بن عَسَل الذي كان يسأل عن مُتَشابِهِ القُرْآن في عهد عمر بن الخطاب، تُنظر قصَّته في سنن الدارمي (١/ ٢٥٤). وكذلك ابن الكوَّاء الذي كان يسأل علي بن أبي طالب بتعنُّت. ينظر: تفسير عبد الرزاق (٣/ ٢٣٤)، وتفسير ابن جرير الطبري (٢١/ ٤٨١). وأيضا أسئلة نافع ابن الأزرق لابن عبَّاس، وقصَّته مشهورة مستفيضة.

(٣) يقول ابن قُتيبة في مقدمة كتابه (ص٢٣): «قد اعترض كتاب الله بالطَّعن ملحِدون، ولَغوا فيه وهجَروا، واتَّبعوا ما تَشابَهَ مِنْهُ ابْتِغاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغاءَ تَأْوِيلِهِ بأفهام كليلة، وأبصار عليلة، ونظر مدخول، فحرّفوا الكلام عن مواضعه، وعدَلوه عن سُبُله، ثم قضَوا عليه بالتَّناقض، والاستحالة في اللَّحن، وفساد النَّظم، والاختلاف، =

٤ - **اتهام القرآن بمعارضة الحقائق التاريخيَّة والكَوْنية**. أيضا هي شُبهة قديمة، منذ عصر النبوة، وحديث المغيرة بن شعبة مثال واضح في ذلك، وهو أنه رضي الله عنه لَمَّا قَدِم نَجْرَانَ سُئل: إِنَّكُمْ تَقْرَؤُونَ: ﴿يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ﴾ [مريم: ٢٨] وَمُوسَى قَبْلَ عِيسَى بِكَذَا وَكَذَا. قال المغيرة: فَلَمَّا قَدِمْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ سَأَلْتُهُ عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ: «**إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَمُّونَ بِأَنْبِيَائِهِمْ وَالصَّالِحِينَ قَبْلَهُمْ**»[1].

ولا يزال هذا النَّوع من المطاعن يتردَّد على ألْسِنة المستشرقين وأذنابهم من بني جلدتنا، حيث طعنُوا في قصص القرآن وادعوا أنها أساطير غير واقعيَّة، وشخصيَّاتها ليست حقيقيَّة.

ومع ظهور المكتَشفات الحديثة ولجَوا في مطاعنهم من ثَغرة جديدة، فادَّعوا تعارض القرآن مع الحقائق الكوْنيَّة، وكل هذه الشُّبهات وتلك المطاعن التي هي أوْهَى من خيوط العنكبوت قد تصدَّى لها أهل الغيرة على الدِّين من المسلمين؛ فأتَوْا بنيانها من القواعد، فتهاوَت أركانها، وتهافتَت كتهافت الفراش في النار. ﴿يُرِيدُونَ لِيُطۡفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ [الصف: ٨].

أبرز موضوعات الشُّبهات المثارة للطَّعن في القرآن الكريم

- الشبهات حول مصدر القرآن
- الشبهات حول نقل القرآن
- اتهام القرآن بالتناقض في آياته
- اتهام القرآن بمعارضة الحقائق التاريخية والكونية

= وأدْلَوْا في ذلك بعِلَل ربَّما أسالت الضعيف الغَمْر، والحدَث الغِرّ، واعترضت بالشُّبَه في القلوب، وقدَحت بالشُّكوك في الصُّدور... فأحبَبْت أن أنضَحَ عن كتاب الله، وأرْمي من ورائه بالحُجَج النيِّرة، والبراهين البيِّنة، وأكشف للناس ما يُلبِّسون، فألّفت هذا الكتاب جامعًا لتأويل مشكل القرآن، مستنبطًا ذلك من التفسير بزيادة في الشرح والإيضاح، ...».

(١) رواه مسلم (٣/ ١٦٨٥) (٢١٣٥).

خلاصة الفصل الثالث (علوم خصائِص القرآن وحُقوقه)

١ - أسماء القرآن وأسماء سُوَره

١/ ١ أسماء القرآن توقيفيَّة، لذا اجتهد أهل العلم بجمْعها واستخراجها من الكتاب والسنَّة.

١/ ٢ اختُلف في عدد أسماء القرآن وتحديدها لاختلافهم في التَّفريق بين أسماء القرآن وصفاته، لذا حصَر بعض أهل العلم أسماءه في أربعة: القرآن، الكتَاب، الفُرقان، الذِكر، وعدُّوا ما سوى ذلك من صفاته.

١/ ٣ الفرْق بين القرآن والمصحَف أن القرآن كلام الله تعالى، والمصحَف: هو الصُّحُف التي كُتِب فيها كلام الله تعالى.

١/ ٤ ذُكر أن تسميَة السور توْقيفيَّة، ولا يمنع أن تكون لبعض السُّور أسماء أخرى اجتهادية، لوروده عن الصَّحابة.

١/ ٥ يمكن تقسيم السور باعتبار تعدِّد أسمائها إلى قسمَين: ما لها اسمٌ واحد، وما لها أكثر من اسمٍ.

١/ ٦ ورد تسميَة أكثر من سورة باسْمٍ واحد، كذلك تسمية بعض الآيات.

١/ ٧ أسباب تسميات السور: إما بموضوعٍ مذكور فيها، أو بلَفظٍ انفرَدت به، أو بمَطْلعها.

١/ ٨ من أبرز مصادر معرفة أسماء السُّور: الأحاديث النبوية التي ترِد فيها أسماءٌ للسور، والآثار الواردة عن السَّلف، وكُتُب الأحاديث المسنَدة، وكتب التَّفسير، وكتب علوم القرآن الجامعة، والكتُب الخاصَّة في الموضوع.

٢ - فضائل القرآن وسُوَره

٢/ ١ فضائل القرآن: هي ما ورد من مزايا للقرآن كلِّه أو بعضِه، تُبيِّن شرَفه، وتظهر منافِعه في الدُّنيا والآخرة.

٢/ ٢ فضائل القرآن أمر توْقيفيٌّ؛ لذا فإن مصدَرها الأصْل هو الكتاب والسُّنَّة.

٢/ ٣ يمكن إجمال موضوعات علم فضائل القرآن في ثلاثة: فضائل القرآن العامَّة، وفضائل أهْلِه وحمَلتِه، وفضائل سُوَره وآياته.

٢/ ٤ ورد عن النبي ﷺ ما يدلُّ على فضائل خاصَّة لبعض السُّورِ، وذلك إما بذكر أجْرٍ يترتَّب على قراءتها، أو بقَصْد قراءتها في وقت معيَّنٍ، أو ببيان أثرها الحسِّي والمعنَوي على المسلم. وهي أقلُّ من السُّور التي لم يثبُت فيها فضائل.

٢/ ٥ التفاضل بين سُوَر القرآن وآياته أمرٌ ثابتٌ؛ لوُرود أحاديث خَصَّت بعض الآيات والسُّوَر بمزيدِ فضْلٍ.

٢/ ٦ مصادر معرفة فضائل القرآن وسُوره نوعان: أساسيَّة: وهي القرآن والسُّنَّة من كُتُب الحديث الجامعة أو الخاصَّة بفضائل القرآن، وفرعيَّة: وهي كُتُب التفسير وكتب علوم القرآن الجامعة.

٣- إعجاز القرآن

٣/ ١ **إعجاز القرآن**: هو إثبات عَجْز البَشَر عن الإتيان بمِثْله أو معارَضته.

٣/ ٢ **والمعْجِزة**: أمرٌ خارق للعادة، مقرونٌ بالتَّحدِّي، سالمٌ من المعارضة. ولم يرِدْ مصطَلحها في القرآن أو السُّنَّة، لكن جاءت مُصطلحات أخرى بمعْناه مثل (الآية)، و(البيِّنة) و(البُرهان) و(السُّلطان).

٣/ ٣ اختُلف في وجوه إعجاز القرآن، والأصحّ أنَّ الوَجْه المتَحدَّى به المعجِز إعجازا تامًّا هو نَظْم القرآن البديع (لغةً وبلاغةً وأسلوبًا)، لأنه الوَّجه الذي بَرع فيه العَرَبُ، وينتَظِم في كل سُوَر القرآن.

٣/ ٤ أبرز وجوه الإعجاز في بحوث المعاصَرين أربعة: الإعجاز اللُّغوي، والإعجاز التَّشريعي، والإعجاز الغَيْبي، والإعجاز العِلْمي.

٣/ ٥ يتناول الإعجاز العلْمي: آيات القرآن التي فيها إشارة لبعْض القضايا العلميَّة المتعلِّقة ببعض العلوم الكونيَّة والتَّجريبيَّة، وقد شابَهُ شَيءٌ من التَّضخيم والمبالَغة لدى المعاصرين.

٣/ ٦ أيُّ تفسيرٍ جاء بعد تفسير السَّلَف من الصحابة والتابعين وأتباعهم لا يُقبَل إلا بضَوابط: أن تكون القضيَّة المفسَّر بها صحيحةً في ذاتها، وأن لا تُبطِل قول السَّلف، وأن تحتَمل الآية القضيَّة المفسَّر بها، وأن لا يُقصَر معنى الآية على هذا التَّفسير المعاصر.

٣/ ٧ من أبرز مصنَّفات المتقدِّمين في إعْجاز القرآن «إعْجاز القرآن» للباقلاني (ت: ٤٠٣هـ)، و«دلائل الإعجاز» لعبد القاهر الجُرجاني (ت: ٤٧١هـ)، وللمعاصرين: «إعجاز القرآن والبلاغة النَّبويَّة» لمصطفى صادق الرَّافعي (ت: ١٣٥٦هـ)، و «النَّبأ العظيم» لمحمد عبد الله دراز (ت: ١٣٧٧هـ).

٤ - الانْتِصار للقرآن

٤/ ١ علم الانتصار للقرآن الكريم: هو العِلم الذي يُبحَث في معرفة الشُّبهات المثارة حول القرآن الكريم، والردّ عليها بالحُجَّة الصَّحيحة. ومن هنا فموضوعه: معرفة الشُّبهات حول القرآن ومعرفة كيفيَّة الردّ عليها.

٤/ ٢ أُثيرت الشُّبهات حول القرآن منذ نزوله، حيث ادَّعى كفّار قُريش أنّه ليس من عند الله فَجَاء الردّ عليهم بتحدِّيهم أن يأتُوا بسُورة من مثله.

٤/ ٣ ظهَر في القرون الأولى بعض الزَّنادقة والفلاسفة والفِرق المنْحَرِفة ممن يطْعَن في الإسلام ويشكِّك في القرآن فظهَرت مصنَّفات تَرُدُّ عليهم وتنْقُض دَعاويهم، من أشهرها: «تأويل مُشكل القرآن» لابن قُتَيبة (ت: ٢٧٦هـ)، و«الانْتصار للقرآن» للباقلّاني (ت: ٤٠٣هـ).

٤/ ٤ مع ضَعف المسلمين في القرون المتأخِّرة بَرز المستشرقون الذين اعتَنَوْا بعلوم المسلمين للتَّشكيك في دينهم، فصُنِّفت كتَب تدفع مطاعنهم في القرآن، كـ«النَّبأ العظيم» لمحمد عبد الله دراز (ت: ١٣٧٧هـ)، و«دفاعٌ عن القرآن ضد مُنتَقديه» لعبد الرحمن بدوي.

٤/ ٥ في السَّنَوات الأخيرة برَز بعض العلمانيِّين من تلاميذ المستشرِقين بدعاوَى تطبيق المنهجيَّات الحديثة على القرآن، وقد صُنِّفت العَديد من الكتُب للرَدِّ عليهم مثل كتاب «العلمانيّون والقرآن الكريم: تاريخيَّة النص»، لأحمد إدريس الطعَّان.

٤/ ٦ يُمكن ردّ المطاعن والشُّبُهات حَول القرآن إلى أربعة أصول: الشُّبُهات حول مصدَر القرآن، الشُّبهات حول نقل القرآن، اتّهام القرآن بالتناقُض في آياته، اتّهام القرآن بمعارَضة الحقائق التاريخيَّة والكونيَّة.



أسئلة تقويمية

١- عدِّد أسماء القرآن.

٢- اذكر الفرق بين القرآن والمصحف.

٣- هل تسميَة السور توقيفيَّة؟ ناقش المسألة في ضَوء ما دَرَسْتَ.

٤- ما هي أقسام السُّور باعتبار تعدُّد أسمائها؟

٥- عدِّد أقسام القرآن الواردة عن النبي ﷺ.

٦- وَضِّح علل تسميات السور.

٧- عدِّد خمسًا من مصادر معرفة أسماء السُّور.

٨- ما المراد بفضائل القرآن؟

٩- هل فضائل القرآن أمر توقيفيٌّ أم اجتهاديٌّ؟ وما مصدرها الأصْل؟

١٠- اذكر موضوعات علم فضائل القرآن.

١١- هل تتفاضَل آيات القرآن وسُوره؟ وضِّح ذلك.

١٢- هل السورَ التي ثبت فيها فضائل أكثر من السور التي لم يثبت فيها فضائل؟ وضِّح ذلك.

١٣- ما هي مصادر معرفة فضائل القرآن وسُوره؟ اذكر مثالًا لكلِّ صنف.

١٤- وضِّح المقصود بإعجاز القرآن.

١٥- عرِّف المعجِزة.

١٦- تحدَّث عن نشأة موضوع إعجاز القرآن باختصار.

١٧- ما الوَجه الصَّحيح لإعجاز القرآن؟ علِّل ذلك.

١٨- عدِّد أبرز وجوه الإعجاز في بحوث المعاصرين.

١٩- ما المقصود بالإعجاز العلمي؟

٢٠- شابَ دراسة الإعجاز العلمي لدى المعاصِرين شيء من التضخيم والمبالغة. وضِّح ذلك.

٢١- ما هي ضوابط قَبول التفسير الذي جاء بعد تفسير السلف؟

٢٢- ما المراد بالإعجاز العددي؟ وما رأيك فيه؟

٢٣- اذكر اثنين من أبرز المصنَّفات في إعجاز القرآن لدى المتقدمين، وآخرين للمعاصرين.

٢٤- ما المراد بتدبُّر القرآن؟

٢٥- تحدَّث عن أهميَّة تدبُّر القرآن.

٢٦- ما هي الأركان التي يقوم عليها التدبُّر؟

٢٧- اذكر الشُّروط الأساسيَّة في المُتَدَبِّر.

٢٨- عرِّف علم الانتصار للقرآن.

٢٩- اشرح موضوع علم الانتصار للقرآن.

٣٠- تحدَّث عن تاريخ إثارة الشُّبهات حول القرآن منذ نزوله إلى العصر الحاضر ودَور علماء المسلمين في ردِّها.

٣١- تُرَدُّ المطاعن والشُّبهات حول القرآن إلى أربعة أصول، اذكرها.

أسئلة إثرائية

١- استخرج ثلاثًا مما يلي:

آيات ذُكر فيها القرآن باسم الكتاب.	سُور لها أكثر من اسم.
آيات ذُكر فيها القرآن باسم الذِّكر.	من أسماء سورة الفاتحة.
آيات لها تسميات خاصّة.	سور سُمِّيت لقصّة ذُكرت فيها.

٢- ما علَّة تسمية كل من السُّور التالية: المائدة، الأنفال، يوسف، الأحزاب، سبأ، فاطر، الحديد؟

٣- حاول حصْر السور التي ثبَت وصحَّ فيها فضائل خاصَّة.

٤- اذكر ثلاثة أحاديث في كلٍّ ممّا يلي:

فضل تلاوة القرآن - فضل تعلم القرآن - فضل حفظ القرآن -فضائل خاصَّة لسور بذِكْر أجرٍ يترتَّب على قراءتها- فضائل خاصَّة لسور قصَد الرسول ﷺ قراءتها في وقت معيَّنٍ.

٥- عُدْ إلى كتاب «معترك القران في إعجاز القرآن» للسُّيوطي، واستخرج منه ١٥ وجهًا مما ذكره من وجوه إعجاز القرآن.






الفصل الرابع
علوم قِراءة القرآن

أولًا: الأحرُف السَّبعة.

ثانيًا: علم القِراءات.

ثالثًا: علم التَّجويد.

رابعًا: علم الوَقْف والابتداء.

خامسًا: آداب قراءة القرآن.

أهداف الفصل

يُتَوقَّع من الدارس في نهاية دراسته لهذا الفصل أن يكون قادرًا على أن:

١) يوضِّح المراد بالأحرف السبعة.

٢) يعرِّف بالقراءات العشر.

٣) يتحدَّث عن علم التَّجويد ومراحل نشأته.

٤) يبيّن علم الوقف والابتداء ومصطلحاته في المصحف.

٥) يذكر أبرز آداب تلاوة القرآن.

القرآن كلام الله ﷻ، أنزله هدىً للناس ونورًا مبينًا، ومنجاةً من الضلالة، وهاديًا إلى الحقّ، ورتّب على تلاوته فضلًا كبيرًا: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ يَرۡجُونَ تِجَٰرَةٗ لَّن تَبُورَ ۝٢٩ لِيُوَفِّيَهُمۡ أُجُورَهُمۡ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ غَفُورٞ شَكُورٞ﴾ [فاطر: ٢٩، ٣٠].

وجعل على تلاوة حرف منه أضعافًا مضاعفة من الحسَنات: **«مَنْ قَرَأ حرفًا من كتاب الله تعالى فَلَهُ حَسَنَة، والحَسَنَة بِعشر أمثالها، لا أقول ﴿الٓمٓ﴾ حَرْف؛ ولكن أَلِفٌ حَرف، ولامٌ حَرْف، وميمٌ حَرْف»**(١).

لذا كانت قراءته من أهمِّ ما يحرص عليه المسلمون، حتى ينْهلوا من هذا الموْرد العَذْب، وينالوا ذلك الفضْل الكبير، ويبلغوا تلك المنزلة السَّامية، ولا شكَّ أن بلوغ ذلك إنما يحصل بقراءة القرآن قراءةً صحيحة كما أُنزل، لذا أقبل المسلمون على تعلّمه وتعليمه والمداومة عليه، وتنافسوا في ذلك، ومن هنا نشأت أنواع من علوم القرآن ومسائله يُعين الإلمام بها على الوصول إلى تلك المنزلة العالية في هذه العبادة الجليلة، ومن أهمِّها:

١- الأحرُف السَّبْعة.

٢- علم القراءات.

٣- علم التَّجويد.

٤- علم الوَقْف والابتداء.

٥- آداب قراءة القرآن.

وفي هذا الفصل بيان موجَز لمبادئ كلٍّ منها، وتوضيح لأهمِّ مسائله:

---

(١) أخرجه الترمذي من حديث ابن مسعود (٢٩١٠) وقال: حديث حسن صحيح، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٣٣٢٧).

أولاً: الأحْرُف السَّبْعة

نزل القرآن الكريم ميسَّرًا على الأمَّة، كما قال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [القمر: ١٧]، وكان من صُور تيسيره نزوله على سبعَة أحْرُف، وقد تواترت الأحاديث النبويَّة بذلك[١]، منها قوله ﷺ: «**إِنَّ الْقُرْآنَ أُنْزِلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ، فَاقْرَؤوا مِنْهُ مَا تَيَسَّر**»[٢]، وقوله ﷺ «**أَقْرَأَنِي جِبْرِيلُ عَلَى حَرْفٍ، فَلَمْ أَزَلْ أَسْتَزِيدُهُ حَتَّى انْتَهَى إِلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ**»[٣].

فما المراد بالأحْرُف السَّبْعة؟ وهل بقيَت؟ هذا ما ستناوله بإيجاز في هذا المبحث.

أولًا: مفهوم الأحْرُف السَّبعة:

اختُلف كثيرا في المراد بالأحْرُف السَّبْعة[٤]، غير أن ظاهر الأحاديث يدلُّ على أنها متعلِّقة بالألفاظ القرآنيَّة في جانب الأداء وأوْجُه التلاوة، كالإدغام والإظهار، والمدِّ والقصر، والفتح والإمالة، وتحقيق الهمز وتسهيله وإبداله، والإبدال بين الحروف، واختلاف الإعراب والتَّذكير والتأنيث، ونحو ذلك، لذا فإن الأقرب في بيان المراد بالأحْرُف السَّبْعة أنها: **وجوهٌ قرائيَّةٌ مُنَزَّلة متَغايِرة، أقصَى حدٍّ يُمكن أن تبلُغه هو سَبْعة أوْجُه في الكلمَة القرآنيَّة الواحدة**[٥].

---

(١) ينظر: الإتقان (١/٣٠٨).

(٢) متفق عليه من حديث عمر ﷺ صحيح البخاري (٣/ ١٢٢) (٢٤١٩)، وصحيح مسلم (١/ ٥٦٠) (٨١٨). وسبب ورود الحديث فيما رواه عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ ﷺ، قال: سَمِعْتُ هِشَامَ بْنَ حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ، يَقْرَأُ سُورَةَ الفُرْقَانِ عَلَى غَيْرِ مَا أَقْرَؤُهَا، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَقْرَأَنِيهَا، وَكِدْتُ أَنْ أَعْجَلَ عَلَيْهِ، ثُمَّ أَمْهَلْتُهُ حَتَّى انْصَرَفَ، ثُمَّ لَبَّبْتُهُ بِرِدَائِهِ، فَجِئْتُ بِهِ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَقُلْتُ: إِنِّي سَمِعْتُ هَذَا يَقْرَأُ عَلَى غَيْرِ مَا أَقْرَأْتَنِيهَا، فَقَالَ لِي: «**أَرْسِلْهُ**»، ثُمَّ قَالَ لَهُ: «**اقْرَأْ**»، فَقَرَأَ، قَالَ: «**هَكَذَا أُنْزِلَتْ**»، ثُمَّ قَالَ لِي: «**اقْرَأْ**»، فَقَرَأْتُ، فَقَالَ: «**هَكَذَا أُنْزِلَتْ إِنَّ القُرْآنَ أُنْزِلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ، فَاقْرَؤوا مِنْهُ مَا تَيَسَّرَ**».

(٣) متفق عليه من حديث ابن عباس ﷺ، صحيح البخاري (٤/ ١١٣) (٣٢١٩)، صحيح مسلم (١/ ٥٦١) (٨١٩).

(٤) أوصلها السيوطي في الإتقان (١/٣٠٩-٣٣٣) إلى أربعين قولاً.

(٥) ينظر: حديث الأحرف السبعة (ص٦٥).

شرح التَّعريف[١]:

- **وجوه قرائيَّة**: وهذا ظاهر من ألفاظ الأحاديث حيث دلَّت على أن هذه الأحرُف شيء متعلِّق بالقراءة، نحو: «**فَاقْرَؤوا مِنْهُ مَا تَيَسَّر**»، «**أَقْرَأَنِي جِبْرِيلُ**».

- **منزَّلة**: من عند الله، كما دلَّت عليه الأحاديث كقوله ﷺ: «**هكذا أُنْزلت**»، وهذا يتضمَّن منع التصرُّف في الألفاظ دون تقيُّد بما أُنزل.

- **متغايِرة**: إشارة إلى وجود الاختلاف بين هذه الوجوه.

- **أقصى حدٍّ يمكن أن تبلُغَه هو سبعة أوْجه في الكلمة القرآنيَّة الواحدة**: الوجوه القرائيَّة -فيما يظهر- أكثر من سبعة وجوه كما تقدَّم في تعداد بعضها قبل التَّعريف، لكن المقصود هنا أنه لم يجتمع في الكلمة الواحدة ضِمْن نَوْع واحد من أنواع الاختلاف أكثر من سبْعة أوجه، لأن ذلك أقصى ما تصل إليه هذه الوجوه المنَزَّلة، فقد يكون في الكلمة الواحدة وَجه أو وَجهان أو ثلاثة إلى سبعة أوجُه قرائيَّة، ولا يمكن أن تزيد؛ والعدد سَبْعة مقصودٌ في التَّحديد كما نصَّت عليه الأحاديث، وليس المراد به التَّكثير.

مثال ذلك في سورة الفاتحة[٢]:

﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾: قُرِئت في القراءات العَشْر على وجهَين: مَلِك ومَالك.

﴿ٱلصِّرَٰطَ، صِرَٰطَ﴾ قُرِئت في القراءات العَشْر على ثلاثة أوْجه: بالصَّاد والسِّين، وبين الصَّاد والزَّاي (صاد مجهورة).

﴿عَلَيۡهِمۡ﴾: فيها نوْعان من أنواع الاختلاف:

١- الهاء: وفيها وجْهان قرائيَّان: الكَسْر والضمّ.

٢- ميم الجَمع: قُرِئت بوجْهَين: الإسكان، أو الضمّ مع وصلها بواو لفظًا.

هل اشتملت المصاحف العثمانية على الأحرُف السَّبْعة؟

ذهب جمهور السَّلف والخلَف إلى أن المصاحف العثمانيَّة في مجموعها تشتمل

---

(١) ينظر: حديث الأحرف السبعة (ص٦٥- ٧٧).

(٢) ينظر: النشر في القراءات العشر (١/ ٢٧١).

على ما ثبت في العَرْضة الأخيرة من الأحرُف السَّبعة [١]، مما يحتمله رسم هذه المصاحف، فليس كل مصحف بمفرده يشتمل على جميع الأحرف السَّبعة، بل الثابت من الأحرف السَّبعة منتَشِر في المصاحف العثمانيَّة كلِّها [٢].

الحِكْمة من رُخصة الأحرف السَّبعة:

نصَّت الأحاديث على أظهر الحِكَم من رخصة الأحرُف السَّبعة وأهمّها وهو **التَّيسير على الأمَّة**، لأن القرآن نزل على أمَّة عربيَّة ذات قبائل متعدِّدة مختلِفة اللَّهَجات، مما يوقع بعضهم في المشقَّة والحرَج إذا أُلزم بأن يقرأ بما يخالف لهْجَته [٣]، فجاء التيسير بأن يقرؤوا بما يتيَسَّر من الأحرف السبعة، فعن أُبَيّ بن كعب، قال: لَقِي رسول الله ﷺ جِبريل، فقال: **يا جبريل إني بُعِثْت إلى أمَّةٍ أمّيين: منهم العجوز، والشَّيْخ الكبير، والغُلام، والجارية، والرَّجُل الذي لم يَقرأْ كتابًا قَطّ، قال: يا محمَّد إن القرآن أُنزل على سبْعة أحرُف»** [٤].



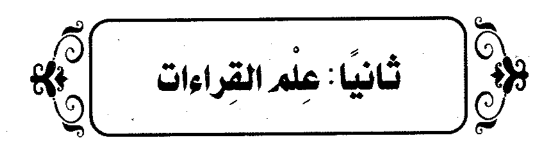
---

(١) القراءات التي وصَلَت إلينا تدلُّ على أنَّه قد تُرِك بعض القراءات التي كان يُقرأ بها؛ لأن أعلى ما وصلَنا من الوجوه القرائيَّة المتواترة في الكلمة الواحدة لا تصل إلى سَبْعة أوْجه، وهذا التَّرْك لبعض الأوْجُه وقع في العَرْضة الأخيرة، مثل كثيرٍ من أفراد القراءات التي ثبتت بأسانيد مُفردة، كقراءة (وَالذَّكَرُ وَالأُنثَى) التي ثبتَت عن ابن مسعود وأبي الدرداء ﵄ كما تقدَّم ص٦٥، ح٣. وينظر: حديث الأحرف السبعة (ص٧٦، ١١٦ - ١١٧)، المحرر في علوم القرآن (ص٩٥).

(٢) ينظر: النشر (١/٣١)، الإتقان (١/٣٣٤).

(٣) ينظر: تأويل مشكل القرآن (ص٣٨)، النشر (١/ ٢١).

(٤) أخرجه أحمد (٣٥/ ١٣٢) (٢١٢٠٤)، والترمذي (٥/ ٤٤) (٢٩٤٤)، وقال: حسن صحيح.



ثانيًا: عِلم القِراءات

مفهوم القراءات:

القراءات جمع قراءة، وهي مصدَر «قرأ»، بمعنى تلا.

وعلم القراءات: هو علْمٌ بكيفيَّة أداء كلمات القرآن واختلافها، مَعزُوًّا لنَاقِله[1].

وموضوع هذا العلم -كما في التعريف- يتَناول كلمات القرآن من حيث النُّطق بها، وكيفيَّة قراءتها على اختلاف ذلك ما بين مَدٍّ وقَصْر، وإدغام وفَكٍّ، وفتْح وإمالة، وتسهيل وتحقيق، إلى غير ذلك من أصول القراءة، إضافة إلى الفَرْش.

ومعنى «مَعزُوًّا لنَاقِله» أي: نِسبة هذه الكيفيَّة إلى من قرأ بها من القُرَّاء، والنِّسبة إليه لدوامه على تلك القراءة ولزومه لها، وليْسَت نِسبة اختراع واجتهاد.

مصدَر القِراءات والعلاقة بينها وبين والأحرُف السَّبعة:

القراءات هي جُمْلة ما بَقي من الأحْرُف السَّبْعة، والوجوه المتَكاثِرة في القراءات إنما تشعَّبَت من الأحْرُف السَّبْعة التي نزلت على النبي ﷺ، فمصدَر القراءات هو الوَحْي[2]، فهي مما نَزل على النبيِّ ﷺ فأقرَأه أصحابَه، الذين أقرؤوا مَنْ بعدَهم، ومَن ثَمَّ تَمَّ نقلها بالتلقِّي والسَّماع والمشافَهة حتى وصَلت إلينا، لأن «القِراءة سُنَّةٌ، يأخذها الآخِر عن الأوَّل»[3].

تاريخ القراءات:

يمكن القَوْل بأن القراءات مرَّت بثلاث مراحل أساسيَّة:

١) **مرحلة التلقِّي:** تلقَّى الصحابةُ رضي الله عنهم القرآنَ عن النبي ﷺ، وحين تُوُفِّي ﷺ تفرَّقوا في البلاد فاتحين ومعلِّمين، فأقرأ كلٌّ منهم في البلَد الذي نزل فيه بما قرأ على النبي ﷺ، وحين حصَل اختلافٌ في القِراءة بيْن بعض تلامذتهم وحَّدَهم عثمان رضي الله عنه على ما

---

(١) منجد المقرئين (ص٤٩).

(٢) المدخل إلى علم القراءات، د. عبد القيوم السندي (ص٢٠-٢٢).

(٣) السبعة في القراءات (ص٤٧)، النشر في القراءات العشر (١/ ٤٢٩)، منجد المقرئين (ص٥٣).

اشتَمَلَت عليه العَرْضة الأخيرة، وألزَمَهم بما في المصاحف التي وجَّهها إليهم كما تقدَّم في مبْحَث جمْع القرآن، وهكذا مضى جيل الصحابة والنَّاس يُقْرِؤون بما في المصاحف على ما أقرَأهم الصحابة رضي الله عنهم، وكثُر الآخذون عنهم مع تعدُّد الأوْجه التي تضمَّنتها العَرْضة الأخيرة مما بقِي من الأحْرُف السَّبْعة.

٢) **مرحلة الاختِيار:** كانت القراءة تُنسَب ابتداءً إلى بعض الصَّحابة أو إلى الأمصار التي نَزلوا بها، فيُقال قِراءة زيد أو قِراءة أهل المدينة، ثم صارت تُنسَب إلى بعض أعلام نَقَلتها من التَّابعين وأتباعهم، وذلك لأن هؤلاء القُرَّاء درَسوا القراءات واختار كلٌّ منهم قراءةً مما درَس فداوَم عليها ولزِمَها فنُسِبت إليه، فقيل قراءة عاصم، وقراءة نافع، وقراءة ابن كثير، وتلك نِسبة اختيارٍ ومداومةٍ، وليست نِسبة اختراعٍ وإنشاءٍ، لأن أصولها مستمَدَّة من قراءات الصَّحابة الذين قرؤوا على النبي ﷺ.

٣) **مرحلة تحديد القِراءات وتدوينها:** مع مُضِيّ القرن الثاني ثم الثالث كثُر القُرَّاء وتعدَّدَت اختياراتهم وكثُرت القراءات المنسوبة إليهم، فتصدَّى بعض الأئمَّة لضبْط ما رُوِي من القراءات، فكان أوَّل إمام معتبَر جَمَعها في كتابٍ أبو عُبيد القاسم بن سلَّام (ت: ٢٢٤)، وجعلهم خمسةً وعشرين قارئًا مع السَّبعة[1]، ثم في مَطْلع القرن الرابع صنَّف الإمام أبو بكر بن مجاهد (ت: ٣٢٤) كتابه «السَّبعة»، مقتصرًا فيه على سبْعَة قُرَّاء أجمَع الناس على قراءاتهم[2]، وذلك من الأمصار الخَمْسة التي أرسل إليها عثمان رضي الله عنه المصاحف، واختار لكل قارئ منهم راويَيْن اثنَيْن ممن اشتُهروا بالضَّبط والعَدالة والإتقان، وهؤلاء القُرّاء هم:

١- **نافِع المدَنيّ:** نافع بن عبد الرحمن بن أبي نُعَيم (ت: ١٦٩)، وراوياه هما: **قالُونُ** (عيسى بن مِينَا ت: ٢٢٠)، و**وَرْشٌ** (عثمان بن سعيد المِصْري ت: ١٩٧).

٢- **ابن كَثِيرٍ المكِّيّ:** عبد الله بن كَثير الدَّارِيّ (ت: ١٢٠)، وراوياه هما: **البَزِّيّ** (أحمد ابن محمّد بن عبد الله بن القاسم ابن أبي بَزَّة، ت ٢٥٠)، و**قُنْبُل** (محمّد بن عبد الرحمن المخزومي مولاهم، ت:٢٩١).

---

(١) النشر في القراءات العشر (١/ ٣٤).

(٢) ومن هنا ظهر مصطلح القراءات السَّبع، التي هي جُزء مما بقي من الأحْرُف السَّبْعة اختارها هؤلاء الأئمة السَّبعة وضبطوها وداوموا عليها وأقرأوا بها فنُسبت إليهم.

٣- **أبو عَمْرو البَصريّ**: زَبَّان بن العلاء المازنيّ البَصري (ت:١٥٤)، وراوياه **الدُّورِيّ** (حَفص بن عُمر الدُّوري، ت: ٢٥٦)، **والسُّوسِي** (صالح بن زياد السُّوسيّ، ت: ٢٦١).

٣- **ابن عامر الشَّامي**: عبد الله بن عامر اليَحْصُبِيّ (ت: ١١٨)، وراوياه: **هِشام** (بن عمَّار الدِّمشقي، ت: ٢٤٥) **وابن ذَكْوان** (عبد الله بن أحمد بن بشر بن ذَكْوان القُرَشي الدِّمشقي، ت: ٢٤٢).

٤- **عاصِم الكُوفيّ**: عاصم بن أبي النَّجود الأسَديّ مولاهم (ت:١٢٧)، وراوياه **شُعبْة** (أبو بكر بن عيَّاش الكُوفي، ت:١٩٣)، **وحَفْص** (بن سليمان بن المغِيرة الأسَدِي، ت: ١٨٠).

٥- **حَمْزة الكُوفيّ**: حَمْزة بن حَبيب الزيَّات (ت: ١٥٨)، وراوياه **خَلَف** (بن هشام البزَّاز، ت: ٢٢٩)، **وخلَّاد** (بن خالد الصَّيْرَفي، ت:٢٢٠).

٦- **الكِسائِيُ الكُوفيّ**: عَليٌّ بن حَمزة الأسَدي مولاهم (ت: ١٨٩)، وراوياه: **أبو الحارث** (اللَّيث بن خالد المروَزِي البغدادي، ت: ٢٤٠)، **والدُّوري** (حَفص بن عمر الدُّوري راوي أبي عمرو المتقدِّم، ت: ٢٥٦).

فهؤلاء سبْعةُ قُرَّاء وأربعة عشر راويًا.

وتبع ابنَ مجاهد في الاقتصار على السَّبعة كثيرٌ ممن صنَّف في القراءات، من أبرزهم أبو عَمْرو الدَّاني (ت:٤٤٤) في كتابه (التَّيْسير في القراءات السَّبع).

وقد استدرك بعض المصنِّفين[1] على ابن مجاهد ثلاثة قُرّاء آخَرين هُمْ على شرط ابن مجاهد، ولقراءاتهم من الشُّهرة والاستفاضة والقَبول والاعتبار ما للسَّبعة، وهم:

٧- **أبو جَعْفر المدَني**: يزيد بن القَعْقاع المخزوميّ مولاهم (ت:١٣٠)، وراوياه هما: **ابن وَرْدان** (عيسى بن وَرْدان، ت: ١٦٠)، **وابن جمَّاز** (سليمان بن محمد بن مسلم بن جمّاز، ت: ١٧٠).

٨- **يعقوب البَصري**: يعقوب بن إسحاق بن زيد بن عبد الله بن أبي إسحاق الحَضْرمي مولاهم (ت: ٢٠٥)، وراوياه **رُوَيس** (محمد بن المتوكِّل اللُّؤلؤي البصري، ت: ٢٣٨)، **ورَوْح** (بن عبد المؤمن البَصري، ت: ٢٣٤).

---

(١) ومن أبرزهم ابن الجزري (ت:٨٣٣).

٩- **خَلَف العاشر**: خَلَف بن هشام البزَّار البغدادي، راوي حَمْزة المتقدِّم (ت: ٢٢٩)، وراوياه **إسحاق** (بن إبراهيم المرْوَزي البغدادي، ت: ٢٨٦)، و**إدرِيس** (بن عبد الكريم الحدَّاد البغدادي، ت: ٢٩٢).

فهؤلاء ثلاثة قُرَّاء متمِّمون للعَشْرة[1]، وسِتَّة رُواةٍ تمام العِشْرين.

وهكذا في القرون المتأخِّرة انحصَرت القراءات الصحيحة المعتَبَرة في القراءات العَشْر، وهي ما بقي بين أيدينا اليوم من القراءات الصَّحيحة المتواتِرة، وعُدَّ ما سواها شاذًّا لا تصِحُّ القراءة به؛ لعدم توَفُّر شروط القراءة الصحيحة بها.

القُرَّاء العشرة ورواتهم

القارئ	الراوي الأول	الراوي الثاني
نافع المدني	قالون	ورش
ابن كثير المكي	البزي	قنبل
أبو عمرو البصري	الدوري	السوسي
ابن عامر الشامي	هشام	ابن ذكوان
عاصم الكوفي	شعبة	حفص
حمزة الكوفي	خلف	خلاد
الكسائي الكوفي	أبو الحارث	الدوري
أبو جعفر المدني	ابن وردان	ابن جماز
يعقوب البصري	رويس	روح
خلف العاشر	إسحاق	إدريس

القراءة الصحيحة والقراءة الشَّاذَّة:

عندما بدأ العلماء التَّصنيف في القراءات والتمييز بينها استَنَدوا في اختيارهم إلى شروط معتَبَرة، وأركان لا بُدَّ أن تتضمَّنها القراءة حتى تصِحّ، ومن ثَمَّ صارت كُلُّ قراءةٍ توفَّرت فيها تلك الشروط قراءةً صحيحةً مقبولةً، يُقرأ ويُتعبَّد بها، ولا يجوز ردَّها، وما خالف تلك الشروط فهي قراءةٌ شاذَّةٌ، لا تصِحّ القراءة والتَّعبُّد بها، وشروط القراءة الصَّحيحة هي:

١- صحة السَّند إلى الرسول ﷺ.

٢- موافقة خطِّ المصحف ولو احتمالًا.

٣- موافقة اللُّغة العربية ولو بوَجْهٍ من الوُجوه[2].

---

(١) ومن هنا ظهر مصطلَح القراءات العشر، والقُرّاء العشرة.

(٢) وقد جمعها ابن الجَزَري في منظومته طيِّبة النَّشر بقوله:

=

أبرز كُتُب القراءات ومنظوماتها:

ظل كتاب «السَّبْعة» لابن مجاهد هو العُمْدة في القراءات حتى ظهر كتاب «التَّيْسير في القراءات السّبع» لأبي عَمْرو الدّاني الأندلسي (ت: ٤٤٤) فاشتُهر واعتَنى به أهلُ العلم وطلَبته، وكان من أكبر مظاهر العناية به نَظْم أبي القاسم بن فيرُّه الشَّاطبي (ت: ٥٩٠) له في قصيدته اللاميَّة الموسومة بـ: «حِرْز الأماني ووجْه التَّهاني»[١] المشهورة بـ«الشَّاطبية»، التي صارت عُمْدةً في تلقِّي القراءات السَّبع إلى يومنا هذا، ونالَت عنايةً كبيرةً من القُرَّاء وطلَبة العلم حفظًا واستظهارًا، وشرحًا وتحريرًا[٢].

وفي أواخر القرن الثامن برز ابن الجَزَرِي (ت: ٨٣٣) فاستدرك على تيسير أبي عَمرو الدّاني القراءات الثلاث المتمِّمة للعَشْر في كتابه «تحبير التَّيسير»، ونَظَم القراءات الثلاث في منظومته الموسومة بـ«الدُّرَّة المُضِيَّة في القراءات الثلاث المرضِيَّة»[٣].

ثم اجتهد رَحِمَهُ ٱللَّهُ في العناية بالقراءات العَشْر، وتتبَّع أسانيدها وحرَّر طُرُقها، واستخلَص أوجهًا أخرى مما لم يذكره أبو عمرو الداني والشَّاطبي، واستوعَب ذلك في كتابه «النَّشْر في القراءات العَشْر»، ثم نظَمَه في منظومته «طيِّبة النَّشر في القراءات العَشْر»[٤].

فكُلُّ مَا وَافَقَ وَجْهَ نَحْوِ ... وَكَانَ لِلرَّسْمِ احْتِمَالًا يَحْوِي

وَصَحَّ إسْنَادًا هُوَ الْقُرآنُ ... فَهَذِهِ الثَّلاثَةُ الأَرْكَانُ

وحَيْثُمَا يَخْتَلُّ رُكْنٌ أَثْبِتِ ... شُذُوذَهُ لَوْ أَنَّهُ فِي السَّبعَةِ

(١) وهي في (١١٧٣) بيتًا، جمَعت أصول القراءات السَّبع وفَرْشها، مطلعها:

بَدَأْتُ بِبِسْمِ اللهِ فِي النَّظْمِ أَوَّلاَ ... تَبَارَكَ رَحْمَانًا رَحِيمًا وَمَوْئِلَا

(٢) ومن أشهر شروحها: فتْح الوَصيد لعلَم الدين السخاوي تلميذ الشَّاطبي (ت: ٦٤٣)، وكَنْز المعاني لشُعلة الموصلي (ت ٦٥٦)، وإبراز المعاني لأبي شَامة المقدسي (ت: ٦٦٥)، ومن الشروح المعاصرة: الوافي لعبد الفتاح القاضي (ت: ١٤٠٣).

(٣) وهي في (٢٤١) بيتًا، نظمها على وزن الشاطبية وقافيتها، مطلعها:

قُلِ الْحَمْدُ للهِ الَّذِي وَحْدَهُ عَلاَ ... وَمَجِّدْهُ وَاسْأَلْ عَوْنَهُ وَتَوَسَّلَا

(٤) وهي في (١٠١٥) بيتًا، مطلعها:

قَالَ مُحَمَّدٌ هُوَ ابْنُ الْجَزَرِي ... يَاذَا الجَلالِ ارْحَمْهُ وَاسْتُر وَاغْفِرِ

وهكذا صارت مؤلفات ابن الجَزَري عُمْدة المتأخِّرين في القراءات إلى العصر الحاضر، ومن ثَمَّ تحدَّد تلقِّي القراءات العَشْر في مستوَيَيْن: القراءات العَشْر الصُّغرى، وذلك من طريق منظومَتَي الشَّاطبية والدُّرَّة المضِيَّة، والقراءات العَشْر الكُبرى من طريق النَّشر.

القراءات المشهورة في العصر الحاضر:

تلقَّت الأمَّة القراءات الصحيحة بالقبول على درجة واحدة في الثُّبوت والصِحَّة والفصاحة، ولم يُوجِب أحَدٌ القراءة بقراءة معيَّنة منها أو بجميعها، وإنما كان أهل العلم يجمعون عددًا من القراءات ويعتَنُون بذلك، أما عامَّة الناس فكانوا يكتَفون بقراءةٍ واحدةٍ يتعبَّدون بها، لذا انتشرت قراءاتٌ معيَّنة في بعض البلاد، وظلَّ الحال ما بين انتِشار قراءةٍ وانحِسارِ أخرى حتى سادَت في القرون المتأخِّرة أربع رِواياتٍ من ثلاثِ قراءاتٍ هي:

١- قراءة نافع المدني بروايَتَيْه عن قالونَ ووَرْش: وذلك في بلاد المغرب العربي عمومًا، وأغلب مصاحفهم تُطبع بإحداهما.

٢- قراءة أبي عمرو البصري برواية الدُّورِي، وذلك في السُّودان وبعض الدُّوَل الإفريقية الأخرى.

٣- قراءة عاصم الكوفي برواية حفص، وهي أكثر الروايات انتشارًا اليوم على الإطلاق، يُقرأ بها في البلاد العربيَّة المشرقيَّة، وجميع الدول الإسلامية الآسيويَّة كتركيا والهند وباكستان وأفغانستان وأندونيسيا، وأغلب المصاحف المطبوعة اليوم وَفق هذه الرِّواية.

فوائد تعدُّد القراءات واختلافها:

اختلاف القراءات هو اختلاف تَنَوُّع وتغايُر لا اختلاف تضادٍّ وتناقُضٍ، فإن هذا مُحالٌ أن يكون في كلام الله تعالى، وقد قال سبحانه: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢]، وقد ذكر أهل العلم فوائدَ عدِيدةً لتنَوُّع القراءات واختلافها، فمن ذلك[١]:

١- التَّخفيف على الناس بالقراءة على الوجْه المتيَسِّر لهم، وهذا تبع لرُخْصة الأحْرُف السَّبعة.

---

(١) ينظر في ذلك: النشر في القراءات العشر (١/ ٤٩-٥٢).

٢- إعظام أجور هذه الأمَّة من حيث إنهم يُفرغون جهدهم في دراسة القراءات وإحكام أوجُهها، وتتبُّع معانيها، واستنباط الحِكَم والأحكام من دلالات ألفاظها.

٣- قال ابن الجَزَري: «في ذلك من نهاية البلاغة، وكمال الإعجاز وغاية الاختصار، وجمال الإيجاز، إذ كُلُّ قراءةٍ بمنزلة الآية، إذ كان تَنَوُّع اللَّفظ بكلمة تقوم مقام آيات، ولو جُعِلت دلالة كلِّ لفظ آيةٍ على حِدَتها لم يَخْفَ ما كان في ذلك من التَّطويل»[1].

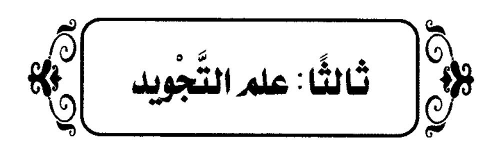
٤- الاستفادة منها في التَّفسير بتبيين المجْمَل[2]، أو تعدُّد المعاني[3]، أو غير ذلك، إذ كُلُّ قراءةٍ بمنزلة الآية كما هو مُتَقَرِّر عند أهل العلم، وهذا من كمال الإعجاز كما تقدَّم في كلام ابن الجَزَريّ.



(١) المرجع السابق (١/ ٥٢)، ومن أمثلة ذلك: اختلاف القراءة في كلمة ﴿وَأَرْجُلَكُمْ﴾ من قوله تعالى: ﴿وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ [المائدة: ٦] بالنصب ﴿وَأَرْجُلَكُمْ﴾ والجرّ ﴿وأرجلِكم﴾، ففي قراءة النصب بيان لحكم غسل الرِّجل حيث يكون العَطْف على معمول فِعْل الغسل ﴿فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ﴾، وفي قراءة الجرِّ بيان لحكم المسْح على الخُفَّين عند وجود ما يقتضيه؛ حيث يكون العطف على معمول فعل المسْح ﴿وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ﴾.

(٢) كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ﴾ [البقرة:٢٢٢]، قُرِئت ﴿يَطْهُرْنَ﴾ بالتشديد والتخفيف، فقراءة التشديد مبيِّنة لمعنى قراءة التخفيف، عند الجمهور، فالحائض لا يحلُّ وطْؤها لزوجها بالطُّهر من الحَيْض، أي بانقطاع الدَّم، حتى تتطهَّر اغتسالاً بالماء.

(٣) كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾ [التكوير: ٢٤] أي ببَخِيل في تبليغ الوحي، بمعنى أن النبي ﷺ مؤتَمَنٌ على الوَحي ما ضَنَّ به على الناس بل نَشَره وبلَّغه وبذَلَه لكل من أراده، وقُرئت أيضا ﴿بظَنين﴾ بالظاء، أي بمتَّهَم على ما يُخبِر به من الوحي.



ثالثًا: علم التَّجْويد

مفهوم علم التَّجويد وبيان موضوعاته:

عِلْم التَّجويد: هو العِلم الذي يُعرَف به إعطاء الحروف حقَّها ومستحَقَّها من المخارج والصِّفات.

موضوعات عِلْم التَّجويد: تتضمَّن موضوعات علم التجويد مبْحَثين أساسيَّين: مخارج الحروف وصفاتها، والأحكام النَّاشئة عن التركيب بينها، وهذا يشمل ترقيق الحروف وتفخيمها، والإدغام بينها - ومن ضِمْنه أحكام النُّون الساكنة والتَّنوين-، والمدّ وأحكامه.

وألحقوا بهما مبحثًا ثالثًا يتعلَّق بالوَقْف والابتداء [1]، وموضِع تفصيل ذلك هو كُتُب التَّجويد.

حكم التَّجْويد والغاية منه:

الغاية من علم التَّجويد هو صَوْن اللِّسان عن الخطأ في تلاوة كتاب الله، واجتناب اللَّحن الَخِفيّ المتمثِّل في عدم إعطاء الحروف حقَّها من الصفات اللَّازمة فيها أو العارضة لها، لذا لا بُدَّ لقارئ القرآن أن يُلِمَّ بأحكامه حتى يقرأ القرآن بصورةٍ صحيحةٍ كما أُنزل، وحتى يكون ماهرًا في القرآن فينال أجْر ذلك، ومن ثَمَّ أَوْجَب جمهور أهل العلم على القارئ تعلُّم التَّجْويد، قال ابن الجَزَريّ:

وَالأَخْذُ بِالتَّجْوِيدِ حَتْمٌ لازِمُ		مَنْ لَمْ يُجَوِّدِ الْقُرَانَ آثِمُ
لأَنَّهُ بِهِ الإِلَهُ أَنْزَلاَ		وَهَكَذَا مِنْهُ إِلَيْنَا وَصَلاَ
وَهُوَ أَيْضًا حِلْيَةُ التِّلاَوَةِ		وَزِينَةُ الأَدَاءِ وَالْقِرَاءَةِ

---

(١) يتضمَّن كيفيَّة الوَقف والابتداء وبعض الأحكام المتعلِّقة بمواضع الوَقف والابتداء، وكذلك ما يتعلَّق بالقِراءة من أحكام رَسْم المصحف. والأقرب أن ذلك ليس من أصول علم التجويد الذي يُعنى بنُطق الحروف، وإن كان متمِّمًا لفنِّ الأداء القرآني، وسيأتي أن الوَقف والابتداء مرتبِطٌ بالمعنى والتفسير.

الفرق بين علم التَّجويد وبين علم القراءات:

يمكننا تجْلية الفرق بين القراءات والتَّجويد بما يلي:

١- كان علم التَّجويد ابتداء قبل أن يستقلَّ جُزءًا من علم القراءات، حيث إنَّ علم القراءات ينقسم إلى قسمَيْن: الأصول والفَرْش؛ وعلم التَّجويد في كثير من مباحثه يُعتبَر من الأصول التي بحثَها القُرَّاء.

٢- علم التَّجويد يُعنى بحقائق نُطْق الحروف وقواعدها من خلال معرفة مخارجها وصفاتها وإعطاء كل حرف حقَّه ومستحقَّه، وما يتْبع ذلك في التَّركيب من أحكام، بصرف النَّظر عن اختلاف القُرّاء ونسبته إليهم، بينما علم القراءات يُعنى بضَبْط وجوه النُّطق بألفاظ القرآن ومعرفة اختلاف الروايات مع نِسبة ذلك إلى رواتها.

٣- أحكام التجويد في معظمها موضع اتّفاق بين أهل الأداء، بخلاف علم القراءات، ومن هنا وصَفوا كُتُب التَّجويد بأنها كُتُب دراية واتّفاق، بينما كتب القراءات كتب رواية واختلاف[1].

نشأة علم التَّجويد:

يمكن القول بأن علم التَّجويد مر بثلاث مراحل أساسيَّة:

١) **مرحلة التلقِّي الشَّفهي:** وذلك قبل عصر التَّدوين، حيث اعتنى القُرَّاء من الصحابة والتابعين بالظواهر الصوتيَّة المتعلِّقة بمخارج الحروف وصفاتها وضَبْطها والتَّمييز بينها أثناء التلقِّي الشَّفهي حال القِراءة والإقراء.

٢) **مرحلة التَّدوين ضِمنًا في كُتُب اللُّغة والقراءات:** حيث ظهر البحث في مخارج الحروف وصفاتها في وقت مبكِّر وذلك من خلال كُتب اللُّغة، ومن أقدمها وأبرزها «الكِتاب» لسِيبَويه (ت: ١٨٠) الذي خصَّص بابًا لدراسة الأصوات اللُّغوية.

كذلك اعتنى بها بعض القُرَّاء في مصنفاتهم في علم القراءات، لكن لم يفردوا ذلك بكتب خاصَّة ابتداء.

---

(١) ينظر: شرح المقدمة الجزرية، أ.د. غانم قدوري الحمد (ص١٠٧).

٣) **مرحلة بروز علم التَّجويد كَفنٍّ مستَقِلّ**: مع مطلع القرن الرابع ظهر من علماء القراءة من حاول إفراد تلك المباحث في مصنَّف مستقِلّ، أُطلق عليه لاحِقًا علم التَّجويد[1]، وذكروا أن أوَّل مؤلَّف فيه هو القصيدة «الخاقانية» التي نظمها أبو مزاحم موسى بن عُبيد الله الخاقاني البَغدادي (ت: ٣٢٥).

ثم في مطلع القرن الخامس بدأت تبرز معالم هذا العلم وعنوانه وتتحدَّد من خلال مؤلَفين نفيسَين جامعَين، لإمامَين جليلَين من أبرز علماء القراءات في ذلك القرن، هما: كتاب «الرِّعاية لتَجويد القراءة وتحقيق ألفاظ التِّلاوة» لمكِّي بن أبي طالب (ت: ٤٣٧)، وكتاب «التَّحديد في الإتقان والتَّجويد» لأبي عَمْرو الدَّاني (ت: ٤٤٤).

ثم تتابعت مؤلَّفات هذا العلم عبر القرون، حتى عصرنا الحالي الذي شهد عنايةً كبيرةً واهتمامًا واضحًا بعلم التَّجويد، تعلُّمًا وتعليمًا ونشْرًا وتأليفًا، وذلك ثَمَرة لما تشهده الأمَّة من عَوْدة إلى كتاب الله ﷻ وتلاوته وتعلّمه، يظهر ذلك جليًّا من خلال حَلَقات تحفيظ القرآن في المساجد والمعاهد والدُّور القرآنيّة، وكان من نَتَاج ذلك العشَرات من المؤلَّفات في علم التَّجويد، حتى صار أبرز علوم القرآن عنايةً من مختَلَف فئات المسلمين؛ كبارًا وصغارًا، رجالًا ونساءً، عَرَبًا وعَجَمًا.

أبرز مصنَّفات التَّجويد:

من المصنفات المتقدِّمة كتابا مكِّي بن أبي طالب (ت: ٤٣٧)، وأبي عَمْرو الدَّاني (ت: ٤٤٤) المتقدِّم ذكرهما، وكذلك كتاب «التَّمهيد في علم التَّجويد» لابن الجَزَري (ت: ٨٣٣).

ومن المصنَّفات المعاصرة: «أحكام قراءة القرآن» لمحمود خليل الحُصَريّ (ت:١٤٠١)، «هدايَة القاري لتجوِيد كلام الباري» لعبد الفتّاح المرصَفِيّ (ت: ١٤٠٩)، «فنُّ التَّرتيل وعلومُه» لأحمد الطويل.

أما المنْظومات في علم التَّجويد فأبرزها على الإطلاق منظومة «المقدِّمة في ما عَلى

---

(١) على خلاف في تحديد من أوَّل من أطلَق هذا الاسم على هذا العلم.

قارئ القرآن أن يَعْلَمَه» لابن الجَزَريّ (ت: ٨٣٣) المشهورة بالمقدِّمة الجَزَريّة[١]، التي طارت شُهْرتها في الآفاق، واعتنى بها أهل العلم -المتقدِّمون منهم والمعاصرون- حفظًا واستظهارًا وشرحًا وتحريرًا وتعلُّمًا وتعليمًا[٢]، تليها منظومة «تُحفة الأطفال والغِلْمان في تجويد القرآن» لسُليمان الجَمْزُوري (ت: بعد١١٩٨)[٣].



(١) وهي في (١٠٧) أبيات، مطلعها:

يَقُولُ رَاجِي عَفْوِ رَبٍّ سَامِعِ		مُحَمَّدُ بْنُ الْجَزَرِيِّ الشَّافِعِي

(٢) وقد حظِيَت بالعشَرات من الشُّروح والحواشِي، ومن أشهرها: «الدَّقائق المحكَمة في شرح المقدِّمة» لزكريّا الأنصاري (ت:٩٢٦)، و«المِنَح الفِكْرية في شرح المقدِّمة الجزريَّة» لمُلَّا علي القاريّ (ت: ١٠١٤)، ومن أوسع الشُّروح المعاصرة «شرح المقدِّمة الجزرية» للأستاذ الدكتور غانم قدُّوري الحمَد الصادر عن معهد الإمام الشاطبي في ٧١٠ صفحات.

(٣) وهي في (٦١) بيتًا، مطلعها:

يَقُولُ رَاجِي رَحْمَةِ الغَفُورِ		دَوْمًا سُلَيْمانُ هُوَ الجَمْزُورِي

وقد شرحها النَّاظم في كتابه «فتح الأقفال بشرح متْن تحفة الأطفال».



رابعًا: علم الوَقْف والابْتِداء

مفهوم الوقْف والابتداء:

للوقف والابتداء عند القُرّاء مفهومان:

الأوَّل: معرفة كيفيَّة الوقوف في القراءة وكيفيَّة الابتداء، وهذا متعلِّق بكيفيَّة الأداء، ومحلّه كُتُب علم التَّجويد والقراءات.

الثاني: معرفة ما يُوقف عليه وما يُبتدأ به، وهو متعلِّق بالمعنى، وهو المراد بهذا العِلم إذا أُفْرِد بالتَّصنيف غالبًا(١)، وهو الذي سنتناوله في هذا المبحث بالتَّفصيل.

لذا يمكن تعريف **علم الوَقْف والابتداء** بأنه: عِلْم يُعرف به القارئ المواضِع التي يصلُح الوقوف عليها أو لا يصلُح، والمواضِع التي يصلح الابتداء بها أو لا يصْلح(٢).

والمراد **بالوَقْف في قراءة القرآن**: قطْع الصَّوت على الكلِمة زمنًا يُتنَفَّس فيه عادةً بِنِيَة استئناف القراءة(٣).

أما **الابتِداء**: فهو الشُّروع في القراءة بعد قَطْعٍ أو وَقْفٍ(٤).

أهميَّة علم الوَقْف والابتداء:

علم الوَقْف والابتداء من العلوم المهمَّة للمُقرئ والقارئ(٥)، إذ به تتبَيَّن المعاني، وهذا هو الهَدَف من هذا العلم، قال أبو جَعْفر النَّحّاس (ت: ٣٣٨): «... فقد صار في معرفة القَطْع والائتِناف [أي الوَقْف والابتداء] التَّفريق بين المعاني، فينبغي لقارئ القرآن أن يتَفهَّم ما يقرؤه، ويشغل قَلْبه به، ويتفَقَّد القطْع والائتِناف، ويحرِص على أن يُفهِم

---

(١) ينظر: النَّشر (١/ ٢٢٤)، ووقوف القرآن وأثرها في التَّفسير (ص١٤).

(٢) ينظر: وقوف القرآن وأثرها في التفسير (ص١٨).

(٣) أما إذا لم ينْوِ الاستئناف فهو القطع في اصطلاح المتأخِّرين.

(٤) ينظر: النَّشر (١/ ٢٣٩، ٢٤٠).

(٥) كذلك صار له علاقة بكتابة المصاحف وضَبْطها، إذ دَخَلت رموز أنواع الوَقف في المصحَف كما سيأتي.

المستَمِعين في الصَّلاة وغيرها، وأن يكون وقْفُه عند كلام مستَغْنٍ أو شَبَهه، وأن يكون ابتداؤه حَسَنًا، ولا يَقِف على الموتى في قوله: ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَٱلْمَوْتَىٰ﴾ [الأنعام: ٣٦]، ولا أمثاله؛ لأن الوَّقف ههنا قد أشرك بين السامعين والموتى، والموتى لا يسمَعون ولا يستَجيبون، وإنما أخبر عنهم أنهم يُبعَثون...»[١].

أصْل علم الوَقْف والابتداء وأبرز العلوم لمعرِفَته:

مواضع وقوف القرآن مبنيَّة على الاجتهاد، وأساس علم الوقف والابتداء هو علم التَّفسير واختلافات المفسِّرين التي يُعرف بها المعنى، فيعرف الواقف أين يقف بناءً على أقوال التَّفسير.

ومن أشهر الأمثلة في بيان ذلك تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾ [آل عمران: ٧]، فمن فسَّر «التأويل» بما تؤول إليه حقائق القرآن فإنه يقِفُ على لفظ الجلالة[٢]؛ لأن علم الحقائق مما يختَصُّ به الله. ومن فسَّر «التأويل» بالتَّفسير جاز له أن يصل لفظ الجلالة بما بعده ويقِفَ على لفظ (العلم)؛ لأن الرَّاسخين في العلم يعلَمون تفسيره.

فاختلاف الوَقْف هنا ترتَّب على اختلاف التفسير، وأصل ذلك راجع إلى المعنى المراد بالتأويل، فالمعنى أوَّلاً، ثمَّ يجيء الوقف تبعًا للمعنى، فمعرفة المعنى هي التي تُرشد إلى مكان الوقف من عدَمِه، وليس كغيره من مسائل التَّجويد مما يحتاج إلى رياضة لسان[٣].

---

(١) القطع والائتناف (ص٩٧).

(٢) وهذا هو الراجح الذي عليه جمهور العلماء، إذ هو المعنى الغالب في إطلاق القرآن، كقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩]. ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ ۚ يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ...﴾ الآية [الأعراف: ٥٣]، ﴿وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ﴾ [يونس: ٣٩]. والحمل على الغالب أولى من الحمل على غيره كما حققه الشنقيطي في أضواء البيان (١/ ٣٢٨). وعلى هذا القول جاء ضبط المصاحف بوضع علامة الوقف اللازم (م) على لفظ الجلالة، أو وضع علامة (قلى) أي: الوقف أولى.

(٣) ينظر: المحرر في علوم القرآن (ص٢٥٣).

مصادر الوقف والابتداء:

علم الوقف والابتداء قديم النَّشأة، بدأ مع نزول القرآن، واعتنى به الصحابة والتابعون في إقرائهم وقراءتهم، كما ظهر التَّدوين فيه منذ وقتٍ مبكِّر، ومن هنا يمكن القول بأن مصادر الوقف والابتداء نوعان:

الأول: المصادر الشَّفَويَّة: وهي التلقِّي عن المشايخ الأثبات حال القراءة عليهم، قال ابن الجَزَريّ: «وكان أئمَّتنا يوقفوننا عند كلِّ حَرْف ويشيرون إلينا فيه بالأصابع، سُنَّةً أخذوها كذلك عن شُيوخهم الأوَّلين...»(١).

الثاني: المصادر المدوَّنة: وقد ظهرت ثلاثة طُرُق لتدوين مواضع الوقوف:

أ) **التَّدْوين الضِّمْني**: وذلك ضِمْن كُتُب علوم أخرى، من أبرزها كُتُب التفسير والقراءات، فمن أمثلة كتب التفسير: تفسير الأُدْفُوي (ت ٣٨٨) المسمَّى «الاستغناء في علوم القرآن» وتفسير المهدَوي (ت نحو ٤٤٠) المسمَّى «التَّحصيل لفوائد كتاب التَّفصيل الجامع لعلوم التَّنْزيل»، ومن كتب القراءات: «التَّذكرة في القراءات الثَّمانِ» لطاهر بن غَلبون (ت٣٩٩)، و«لطائف الإشارات في فنون القراءات» للقسطلاني (ت ٩٢٣).

ب) **التَّدْوين المستقِلّ**: حيث اعتنى أهل العلم منذ عهد أتباع التابعين بتصنيف الكتُب الخاصَّة التي تحدِّد وقوف القرآن، فقد ذكرت المصادر أنه صنَّف فيه عددٌ من أئمّة القُرّاء؛ كنافع المدَنِيّ (ت ١٦٩)، ويعقوب الحَضْرَمي (ت: ٢٠٥). ومن أبرز ما وصلَنا من تلك المصنَّفات:

١- «إيضاح الوَقْف والابتداء»، لأبي بكر ابن الأنْباري (ت: ٣٢٨).

٢- «القَطْع والائتِناف»، لأبي جَعْفر النحَّاس (ت: ٣٣٨).

٣- «المُكتَفَى في الوَقْف والابتِدا»، لأبي عَمْرو الدَّاني (ت: ٤٤٤).

٤- «منار الهُدَى في الوَقْف والابتِدا»، للأشْمُوني (من أعيان القرن الحادي عشر).

ج) **تحديد الوقوف في المصاحف**: من كمال عناية العلماء بالمصاحف وتيسير

---

(١) النَّشر في القراءات العشر (١/ ٢٢٥).

التِّلاوة فيها بطريقةٍ صحيحةٍ إدْخال علامات الوَقْف فيها برموزٍ خاصَّة؛ للدلالة على مواضع الوقوف التي ينبغي الوَقْف عليها، وسيأتي بيان مثال لذلك في الفقرة التالية، أما بداية وضْعها في المصاحِف فيظهر أنه كان في أوائل القَرْن السَّادس الهجري[١].

مصطلَحات العلماء في الوَقْف ومناهِجهم:

اختَلَفت مناهج ومصطلَحات المصنِّفين في وقوف القرآن، ويمكننا تقسيم مصطَلحاتهم إلى قِسْمَين رئيسَيْن[٢]:

الأول: تحديد مواضِع الوقوف الجائزة دون مراتِب: وعلى ذلك كتاب (التَّمام) لنافع (ت ١٦٩)، ويعقوب الحَضْرمي (ت: ٢٠٥)، وعلى هذا سار المغاربَةُ حتى اليوم، فهم لا يدوِّنون في مصاحفهم إلا المكان الصالح للوَقْف دون تقسيمٍ له إلى مراتب، وذلك باعتماد علامة وَقْفٍ واحدة هي (ص) أو (صه)، وقد عمِلُوا بوقوف محمد بن جُمعة المعروف بالهبطيّ (ت: ٩٣٠).

والكتابة على هذا النَّحو قليلة مقارنةٍ بالقسم الثاني.

الثاني: تقسيم الوقوف إلى مراتب: وهي تقسيمات مبنيَّة على المعنى من حيث تمامه أو نقصه، وبين التَّمام والنَّقص مراتِب اختلف العلماء في تقديرها اختلافًا كثيرًا، وأشهر هذه التَّقسيمات نوْعان:

أ) **القِسْمَة الرُّباعيَّة**، وهي: الوقف التَّامّ، والوقف الكافي، والوقف الحَسَن، والوقف القَبيح، وهو تقسيم مبنيٌّ على اللَّفظ والمعنى، ويُنظرُ فيه إلى تمام الانقطاع من عدَمِه.

فالتَّامّ: ما انقطَع عنه ما بعدَه لفظًا (إعرابًا) ومَعْنى[٣].

---

(١) ينظر: مدخل إلى التعريف بالمصحف الشريف (ص١٧٥).

(٢) ينظر: المحرر في علوم القرآن (ص٢٥٤-٢٦٠).

(٣) كالوقف على ﴿ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ من قوله تعالى: ﴿وَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [البقرة: ٥]؛ لأنَّ قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: ٦] لا علاقة لها بما قبلها لا من جهة المعنى ولا من جهة اللفظ، فلو ابتدأتَ بالقراءة بها لأفهمتَ معنى تامًّا، ولا حاجة لك بأن تبدأ بما قبلها.

والكافي: ما تعلَّق به ما بعده من جِهة المعنى دون اللَّفظ (الإعراب)(١).

والحَسَن: ما تعلَّق به ما بعده من جِهة اللفظ (الإعراب)، مع كَون الجملة الموقوف عليها تامَّةً في ذاتها(٢).

والقَبيح: ما اشتَدَّ تعلُّقه بما بعده الذي لا يُفهَم إلا به، أو ما أُدخل في جملةٍ تامَّةٍ فصار في حكمها وهو ليس منها(٣).

وهذا التقسيم هو الذي سار عليه أغلبُ المصنِّفين في الوَقْف والابتداء كالأنْباري (ت: ٣٢٨)، والنحَّاس (ت: ٣٣٨)، والدَّاني (ت: ٤٤٤)، والأشْموني (من أعيان القرن الحادي عشر).

ب) وُقوف المصحَف المصري ومن تَبِعه ورموزها:

من أشهر أنواع الوقوف في المصاحف المعاصرة؛ الوقوف التي اختيرَت في المصحف

---

(١) من أمثلته الوقف على رأس الآية من قوله تعالى: ﴿أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: ٦]، ثمَّ البدء بقوله تعالى: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ﴾ [البقرة: ٧]، فالجملة الأولى من قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: ٦]مستقلَّة بمعناها بحيث لو قطع السامع قراءته عليها لأفهم معنى واضحًا مستقلاً، فلو قرأ بقوله تعالى: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ﴾ [البقرة: ٧] ابتداءً، لظهر للسامع أن هذه الجملة مرتبطة بما قبلها من جهة المعنى دون الإعراب، فهي مستقلة إعرابًا، ومرتبطة معنى بدلالة الضمير في قوله ﴿قُلُوبِهِمْ﴾، حيث يعود على ظاهر سابق، وهو قوله: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا﴾.

(٢) من أمثلته: الوقف على قوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾، ثم البدء بقوله تعالى: ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢]، فجملة ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ مستقلَّة بنفسها مَعنًى وإعرابًا، بحيث لو لم يكن بعدها كلام لكان الوقف تامًّا، لكن جملة ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ مرتبطة إعرابًا بالجملة قبلها، فـ﴿رَبِّ﴾ صفة للفظ الجلالة، ولا يُوقَف على الموصوف دون الصفة؛ لأنَّ البدء بها يدلّ على انقطاعها عما قبلها مع أنها تامَّة الاتصال.

(٣) من أمثلة ما اشتدَّ تعلّقه بما قبله بحيث لا يُفهم منه معنى: الوقف على قوله تعالى: ﴿كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا﴾ [البقرة: ٢٥]؛ فإن الكلام ناقصٌ؛ لأن قوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ﴾ هو تمام الكلام.

ومن أمثلة ما أدخل في جملة تامَّة فصار في حُكمها وهو ليس منها عدم الوقف في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَٱلْمَوْتَىٰ﴾ [الأنعام: ٣٦]؛ لأن الموتى لا يسمعون، بل لهم حكم آخر، وهو ﴿وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ﴾.

المصري الذي صدَرت طبعته الأولى عام ١٣٤٢هـ[١]، وهي ستَّة مراتب كما يلي:

١- **الوَقْف اللَّازم**، ورمزه (م): وهو ما لو وصل فيه طرفاه لأدى إلى فساد المعنى أو أَوْهَم غير المراد.

٢- **الوَقْف الجائز**، ورمزه (ج): وهو ما يجوز فيه الوصل والفصل لتساوي الطَّرَفين.

٣- **الوَقْف أَوْلى**، وعلامته (قلى)، وهو الوقف الجائز مع كون الوقف أولى، إذ فيه موجِبان، موجِب الوقْف وموجِب الوَصل، وموجِب الوقف هو المترجِّح، فيقدَّمُ هذا الموجِب، ويكون الوقف أولى لهذا السبب.

٤- **الوَصْل أولى**، وعلامته (صلى)، وهو الوَقف الجائز مع كون الوَصْل أولى، ويقابل الوَقْف أولى[٢].

٥- **الوقف الممْنوع**، ورمزه (لا): وهو ما يمنع الوَقف عليه؛ لاشتداد تعلُّق الطَّرَفَين ببعضهما، بحيث لا يُفهم منه معنى عند الوقوف عليه[٣].

٦- **وقف التعانُق**، وهو الذي يكون فيه وقفان متغايران في المعنى، بحيث إذا وُقِف على الموضِع الأول أعطى معنى غير المعنى الذي يكون على الوقف في الموضع

---

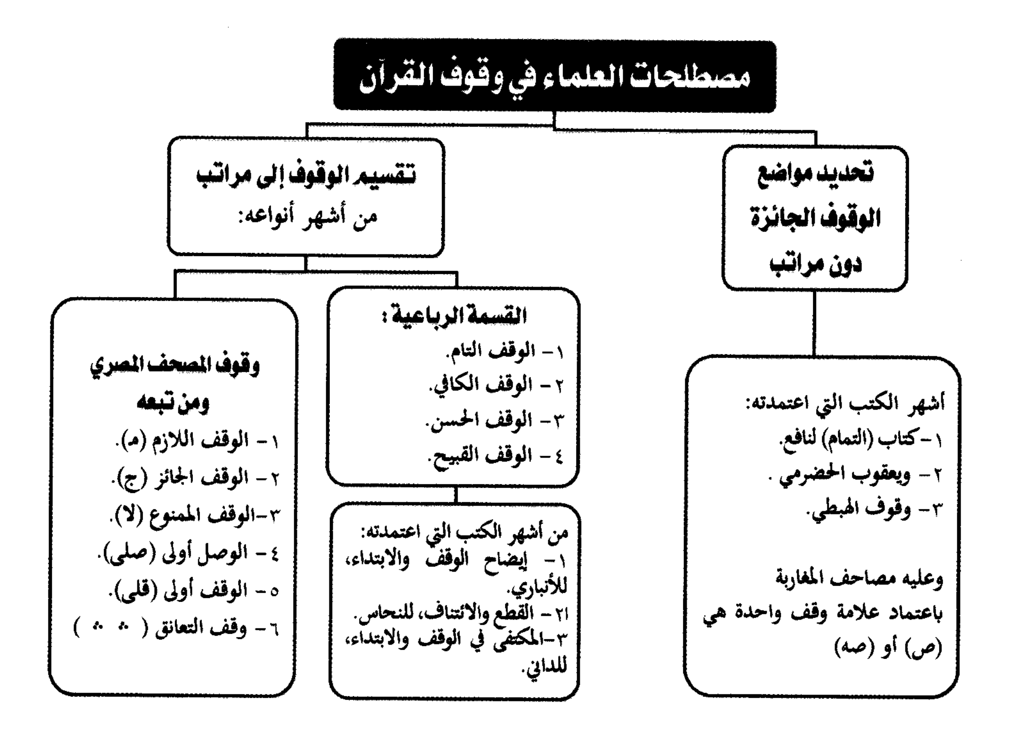
(١) جاء في التَّعريف بهذا المصحف أن بيان وقوفه وعلاماتها أُخِذت مما قرَّره الأستاذ محمد بن علي الحُسيني شيخ المقارئ المصرية في وقته. ويظهر أن الحُسيني قد استفاد من وقوف السجاوندي (ت: ٥٦٠)؛ ومن كتاب «كنوز ألطاف البرهان في رموز أوقاف القرآن» لمحمد الصادق الهندي، والله أعلم. ينظر: المحرر في علوم القرآن (ص٢٥٩).

(٢) ومن أمثلة الرّموز السابقة في مصحف المدينة النبوية -الإصدار الأول- قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ لَوۡلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوۡ تَأۡتِينَآ ءَايَةٞۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّثۡلَ قَوۡلِهِمۡۘ تَشَٰبَهَتۡ قُلُوبُهُمۡۘ قَدۡ بَيَّنَّا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ١١٨ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗاۖ وَلَا تُسۡـَٔلُ عَنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَحِيمِ﴾ [البقرة: ١١٨ - ١١٩].

(٣) كأن يُوقَف بين الشَّرط وجزائه، وبين المبدَل وبدله، وبين المبتدأ وخبره، وبين المنعوت ونعته... إلخ. ومن أمثلة علامة الوقف الممنوع في مصحف المدينة النبوية -الإصدار الأول- قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلۡنَآ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةٗۙ وَمَا جَعَلۡنَا عِدَّتَهُمۡ إِلَّا فِتۡنَةٗ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيَسۡتَيۡقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ وَيَزۡدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِيمَٰنٗاۙ وَلَا يَرۡتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۙ وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ وَٱلۡكَٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلٗاۚ﴾ [المدثر: ٣١].

الثاني، وعلامته (∴ ∴)، فالكلمة التي تكون بين هذه النّقاط هي التي يقع عليها التعانُق(١).

وقد تبِعت لجنة مصحف المدينة النبويّة برواية حَفص لجنة المصحَف المصري في هذه الرُّموز، وإن خالفوها في بعض مواطن الوقف(٢)، أما الإصدار الثاني من مصحف المدينة النبوية فقد حذَفَت لجنته الوَقْف الممنوع(٣).



---

(١) مثل كلمة ﴿فِيهِ﴾ من قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٢].

(٢) ينظر: المحرر في علوم القرآن (ص٢٥٩، ٢٨٩).

(٣) وقع الخلاف في الوقوف بين الإصدارَين الثاني والأوّل من مصحف المدينة برواية حفص في الأمور الآتية:

١ـ حذف الوقف الممنوع بالكلّية.

٢ـ حذف بعض المواضع من بعض الوقوف.

٣ـ إضافة بعض مواضع جديدة في الوقوف. ينظر: المحرر في علوم القرآن (ص٢٨٩).



خامسًا: آدابُ قِراءة القرآن

كما يلزم من أراد أن يقرأ القرآن أن يتعلَّم ألفاظه ويُقيم حُروفه؛ كذلك ينْبغي له أن يتأدَّب بآداب تلاوته، ويتحلَّى بسُنَن قراءته، ويراعي أحكامه، حتى يُقيم هذه العبادة الجَليلة على الصورة الأتَمّ، والوجْه الأكمَل، ولا يتأتّى ذلك إلا بعد تعلّم تلك الآداب، ومعرفة هذه الأحكام من مظانّها.

مفهوم آداب قراءة القرآن:

هي جُمْلةٌ من الأخْلاق والسِّمات المحمودة التي ينْبغي لقارئ القرآن أو مُقْرِئِه أو مستمِعِه أن يتحلَّى بها ظاهرًا وباطنًا[١].

مصادر آداب تلاوة القرآن:

أصل هذا النَّوْع من أنواع علوم القرآن عبارة عن أحكام فقهيَّة، وآداب شرعيَّة، وسُنَن نَبَويَّة، متعلِّقة بعبادة تلاوة القرآن وتعلُّم أدائه. مصادرها هي كتاب الله ﷻ، وسُنَّة رسوله ﷺ، وأقوال صحابته ﭫ، وأقوال أهل العلم[٢].

مظانُّ وجود آداب تلاوة القرآن والمؤلَّفات فيها:

مسائل آداب تلاوة القرآن منثورة في بعض كتب القراءات، وفضائل القرآن، والأذكار، وكتب الفقه، وشروح الحديث، والآداب الشرعية، وغيرها[٣].

كما جَرَت عادة المصنِّفين في علوم القرآن إفرادها بنوعٍ مستقلٍّ من أنواع علوم القرآن تُجمع فيه تلك الآداب والأحكام، كالزَّرْكَشي (ت: ٧٩١) في كتابه «البرهان في علوم القرآن»[٤]، وأيضًا السُّيوطي (ت: ٩١١) في كتابه «الإتقان في علوم

---

(١) ينظر: حلية أهل القرآن (ص١٠).

(٢) كذا أصَّل الآجري رحمه الله مصادر تشريع آداب حملة القرآن في كتابه «أخلاق حملة القرآن» (ص٦).

(٣) ينظر: حلية أهل القرآن (ص١١- ١٢).

(٤) في النوع التاسع والعشرين: الذي عنون له بـ «في آداب تلاوته وكيفيتها» (١/ ٤٤٩-٤٨١).

القرآن»[١].

ولما لهذا النوع من أنواع علوم القرآن من أهميَّة كونه متعلِّقًا بأشرَف الكُتُب وأعظم الكلام؛ وأرجى العبادات، فقد أفرده بعض أهل العلم بمؤلَّفات خاصَّة شَملَت آدابَه واستوْعبَت أحكامه، من أبرزها: كتاب «فضائل القرآن ومعالمه وآدابه» لأبي عُبيد القاسم بن سلّام (ت:٢٢٤)[٢]، وكتاب «أخلاق حَمَلة القرآن» لأبي بكر الآجُرِّيُّ (ت: ٣٦٠)، وكتاب «التِّبيان في آداب حَمَلة القرآن» لمحيي الدين النَّووي (ت: ٦٧٦)، ومن المؤلَّفات المعاصرة كتاب «حِلية أهل القرآن في آداب حَمَلة القرآن» من إعداد مركز الدراسات والمعلومات القرآنية بمعهد الإمام الشاطبي.

موضوعات آداب حَمَلة القرآن:

تدور آداب حملة القرآن حول مسائل يمكن إجمالها في ثلاثة موضوعات:

١- آداب تعلُّم القرآن وتعليمه.

٢- الآداب العامّة مع القرآن، من حيث تلاوته، وتعاهده، وتدارسه وتدبُّره، وتعظيمه.

٣- أحكام التَّعامل مع المصحَف الشَّريف.

ولعله يحسُن أن نُورد في ما يأتي مختصرًا لأبرز مسائل آداب تلاوة القرآن وأحكامها ليسهُل تناولها، ومن أراد التفاصيل والاستزادة فعليه بالمؤلَّفات السابقة.

١- **يُستَحَبُّ الإكثار من قراءة القرآن وتلاوَته**، لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ كِتَٰبَ

---

(١) في النوع الخامس والثلاثين الذي عنون له بـ «آداب تلاوته وتاليه» (٢/ ٦٥٧-٧٢٦)، وقد قال في مقدمته: «أفرده بالتصنيف جماعةٌ منهم النووي في التِّبيان، وقد ذكر فيه وفي شرح المهذَّب وفي الأذكار جملة من الآداب، وأنا ألخِّصها هنا وأزيد عليها أضعافها وأفصِّلها مسألةً مسألةً ليسهل تناولها».

(٢) تقدم معنا في المدخل أن هذا الكتاب اشتهر تصنيفه ضمن كتب فضائل القرآن؛ لكن الأولى أن يُعدَّ من كتب علوم القرآن الجامعة، لأنه في حقيقته يتضمن ثلاثة أقسام كما يتبين من عنوانه الدقيق، أولها في آداب القرآن، لذا يمكننا القول أيضًا أنه من أول المصنفات التي أفردت آداب القرآن. وينظر: ص١٤، ١٥، ١١٥.

ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴾ [فاطر: ٢٩، ٣٠].

والأَوْلى أن يَختِم القرآن في أسبوع وهو الأفْضَل[١]، إلى شَهْر[٢].

٢ - **تعلُّم القرآن وتعليمه وحِفْظه من أعظَم الطاعات وأجلِّها**؛ لقوله ﷺ في حديث عثمان رضي الله عنه: «**خيرُكُم من تَعلَّم القرآن وعلَّمه**»[٣].

٣- **ينْبغي لمن حَفِظ القرآن تعاهُدُه ومراجَعَتُه**؛ لقوله ﷺ في حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه: «**تَعَاهَدُوا الْقُرْآنَ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَهُوَ أَشَدُّ تَفَصِّيًا مِنَ الإِبِلِ فِي عُقُلِهَا**»[٤].

آدابُ ما قبل القِراءة[٥]:

٤ - **قراءة القرآن على طَهارَةٍ:** يُستحَبُّ للقارئ أن يقرأ القرآن على طَهارة، فإن قرأ مُحْدِثًا حَدَثًا أصغَرَ جاز ذلك بالإجماع، لكن لا ينْبغي أن يحمِل المصحف إلا على طهارة، على رأي جمهور أهل العلم، أما إن كان مُحدِثًا حَدَثًا أكبرَ فلا يجوز له قراءة القرآن سَواءً كان من مُصحَف أو من حِفْظه، والعَمَل عليه عند جمهور أهل العلم[٦].

٥ - **تحرِّي الأوقات الفاضِلَة للقِراءة:** تُشرَع قراءة القرآن في كلِ وقتٍ من ليلٍ أو نهار، لكن ينبغي على القارئ أن يتحرَّى الأوقات الفُضْلى التي تتضاعف فيها الحسَنات، كرمضان، والعَشْر الأُوَل من ذي الحجة، وآخِر اللَّيل.

٦ - **اختِيار المكان المناسِب للْقِراءة:** يَنْبغي لقارئ القرآن أن يقرأ في موْضِع طاهر نَظيف، ولهذا استَحَبَّ جَمْعٌ من العلماء القِراءة في المسجد، لشَرَفِه وطهارته وعِظَم

---

(١) كما تقدَّم في حديث عبد الله بن عمرو وحديث أوس الثقفي رضي الله عنهما، في مبحث تحزيب القرآن ص٨٢.

(٢) كما يُستفاد من حديث عبد الله بن عمرو المتقدِّم. وينظر: مجموع فتاوى ابن تيمية (١٣/ ٤٠٧).

(٣) تقدم تخريجه ص١١٢. وينظر مبحثًا موَسَّعًا في حلية أهل القرآن (ص٣٨- ٥٧، ٦٢-٦٧).

(٤) أخرجه البخاري (٥٠٣٣). وينظر تفاصيل المسألة في المرجع السابق (ص١٥٧-١٥٨).

(٥) ينظر تفاصيل المسألة في المرجع السابق (ص١٢٥- ١٣٠).

(٦) ينظر تفاصيل المسألة في المرجع السابق (ص١٨٣- ١٩٠).

مكانته، كما يُستَحَبّ له أن يعْمُر بيته بقراءة القرآن[١].

الآداب أثناء القراءة[٢]:

٧- **الاستعاذة والبَسْمَلة:** تُسنُّ الاستعاذة قبل القراءة؛ لقوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْءَانَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [النحل: ٩٨]، أي: أردت قراءته، كما تُسنُّ البسْمَلَة بعد الاستِعاذة في أوّل كل سورة، سوى سورة التوبة.

٨- **القراءة بأحكام التَّجويد:** ينبغي على قارئ القرآن أن يُجوِّد القراءة، ويراعي شروط الأداء وقواعد التِّلاوة.

٩- **معرفة أحكام الوَقْف والابتداء:** وقد تقدَّم بيان مدى أهميَّته.

١٠- **تحسِين الصَّوْت والترتيل مع التدبُّر:** يُستَحَب للقارئ أن يحسِّن صَوْته حال القراءة ما استطاع[٣]؛ كما يُسنُّ له الترتيل أثناء قراءة القرآن، لقوله تعالى: ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾ [المزمل: ٤][٤]، مع التَدبُّر والتفَهُّم، إذْ هو المقصود الأعظَم الذي تنْشرح له الصُّدور وتستَنير به القلوب، قال تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَاتِهِۦ﴾ [ص: ٢٩].

١١- **الاستِماع لِقراءة القرآن:** كذلك يُسنُّ الاستماع لقراءة القرآن، والإصْغاء لتلاوته، وتَرْك اللَّغط والحديث بحُضور القراءة، قال تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْءَانُ فَاسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٤].

---

(١) لقوله ﷺ: «**لا تجعلُوا بيوتَكم مقابِرَ، إن الشَّيطان ينْفِر من البيت الذي يُقرأ فيه سُورة البَقرة**». رواه مسلم. وينظر تفاصيل المسألَتيْن في حلية أهل القرآن (ص ٦٨-٧١، ١٢٨- ١٢٩).

(٢) ينظر تفاصيل المسألة في المرجع السابق (ص١٣٠-١٤٤).

(٣) لقوله ﷺ: «**لم يأذَنِ اللهُ لشَيءٍ ما أذِنَ للنّبيّ أن يتغنّى بالقُرآنِ**». أخرجه البخاريّ (٤٧٣٥، ٤٧٣٦، ٧٠٤٤، ٧١٠٥) ومسلم (٧٩٢).

(٤) قال ابن عباس ﷺ وقتادة في تفسير الآية: بَيِّنه تَبْيينًا، وقال سعيد بن جُبَير: فَسِّره تفسيرًا، وقال مجاهد: تَرسَّل فيه تَرسِيلًا. ينظر: تفسير الطبري (٣٦٣/٢٣، ٣٦٤). موسوعة التفسير المأثور: (٣٣٧/٢٢-٣٣٨). وروى أبو داود وغيره عن أمِّ سلَمة أنها نعتَت قراءة النبي ﷺ: قراءة مفسَّرة حرفًا حرفًا. وفي البخاري عن أنسٍ أنه سُئل عن قراءة ﷺ فقال: كانت مَدًّا، ثم قرأ: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ يمدُّ ﴿اللَّهِ﴾ ويمدُّ ﴿الرَّحْمَٰنِ﴾ ويمدُّ ﴿الرَّحِيمِ﴾.

١٢- **سُجود التِّلاوة:** يُسنُّ السُّجود للقارئ والمستَمِع بعد تلاوة آيات سَجْدة التلاوة، ولا يُشتَرط له ما يُشتَرط للصّلاة على الصَّحيح.

وآيات سَجْدة التلاوة أربعُ عَشْرة آية، هي: الآية (٢٠٦) من الأعْراف، و(١٥) من الرّعد، و(٤٩ - ٥٠) من النّحل، و (١٠٧ - ١٠٩) من الإسراء، و(٥٨) من مريم، والآيتان (١٨) و (٧٧) من سورة الحجّ -وهي السّورة الوحيدة المفضَّلة بسجْدَتَين-، و(٦٠) من الفُرقان، و (٢٥ - ٢٦) من النّمل، و (١٥) من السَّجدة، و (٣٧ - ٣٨) من فصِّلت، و (٦٢) من النّجم، و (٢١) من الانشقاق، و (١٩) من العلَق. وأما الآية (٢٤) من سورة (ص) فاختُلف في كونها من عزائم السجود، أي: متأكَّداته[1].



(١) وممّا ورد في فضْل سحود التلاوة: حديث أبي هريرة ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِذَا قَرَأَ ابْنُ آدَمَ السَّجْدَةَ فَسَجَدَ اعْتَزَلَ الشَّيْطَانُ يَبْكِي، يَقُولُ: يَا وَيْلَهُ أُمِرَ ابْنُ آدَمَ بِالسُّجُودِ فَسَجَدَ فَلَهُ الْجَنَّةُ، وَأُمِرْتُ بِالسُّجُودِ فَأَبَيْتُ فَلِيَ النَّارُ**» أخرجه مسلم (١/ ٨٧) (٨١).

خلاصة الفصل الرابع (علوم قراءة القرآن)

١- الأحرُف السَّبعة

١/١ الأحرُف السَّبْعة هي وجوهٌ قرائيَّةٌ مُنَزَّلة متَغايِرة، أقصَى حدٍّ يُمكن أن تبلُغَه هو سَبْعة أوْجُه في الكلمَة القرآنيَّة الواحدة.

٢/١ المصاحف العثمانيَّة في مجموعها تشتَمِل على ما ثَبَت في العَرْضَة الأخيرة من الأحْرُف السَّبْعة، مما يحتَمِله رسْم هذه المصاحف.

٣/١ الحِكْمة من رُخصة الأحرُف السَّبعة هو التَّيْسير على الأمَّة.

٢- القراءات

١/٢ علم القراءات: هو علْمٌ بكيفيَّة أداء كلمات القرآن واختلافها، مَعزُوًّا لنَاقِله.

٢/٢ مصدر القراءات هو الوَحْي.

٣/٢ مرَّ علم القراءات بثلاثة مراحل أساسيَّة: مرحلة التلقِّي، ومرحلة الاختِيار، ومرحلة تحديد القراءات وتدوينها.

٤/٢ أوَّل من حدّد القراءات السَّبْع هو أبو بكر بن مجاهد (ت: ٣٢٤) في كتابه «السَّبْعة».

٥/٢ استدرَك بعض المصنِّفين على ابن مجاهد القراءات الثلاث المتمِّمة للعَشر.

٦/٢ القُرَّاء العَشْرة هم: أبو جعفر ونافع المدنيَّان، وابن كثير المكِّي، وابن عامر الشَّامي، وأبو عمرو ويعقوب البصريَّان، وعاصم وحَمْزة والكِسائي وخَلْف الكوفيّون.

٧/٢ شروط القراءة الصَّحيحة: صحَّة السَنَد إلى الرسول ﷺ، وموافقة خطِّ المصحف ولو احتمالًا، وموافقة اللُّغة العربية ولو بوجه من الوجوه.

٨/٢ تُعدُّ اليوم ما سوى القراءات العشر قراءاتٌ شاذَّة لا تصِحّ القراءة بها؛ لعدَم توفّر شروط القراءة الصَّحيحة بها.

٩/٢ أشهر كُتُب القراءات: «السَّبعة» لابن مجاهد (ت: ٣٢٤)، و«التَّيسير في القراءات السبع» لأبي عمرو الدّاني (ت: ٤٤٤)، «النَّشر في القراءات العَشْر» لابن الجزري (ت: ٨٣٣). وأشهر منظوماتها: «حِرْز الأماني ووجْه التَّهاني» في القراءات السَّبع للشاطبي (ت: ٥٩٠)، و«الدُّرَّة المضيّة في القراءات الثلاث المرْضيَّة»، و«طيِّبة النَّشر في القراءات العشْر» كلاهما لابن الجَزَري (ت: ٨٣٣).

١٠/٢ القراءات المنتشِرة اليوم هي: قراءة نافع المدني بروايَتَيْه عن قالون ووَرْش، وقراءة أبي عَمْرو البصْري برواية الدُّوري، وقراءة عاصم الكوفي برواية حَفْص، وهي الأوسع انتِشارًا.

١١/٢ من فوائد تعدُّد القراءات واختلافها: التّخفيف على الناس بالقراءة على الوجْه المتيَسِّر لهم، وإعظام أجور هذه الأمّة في دراسة القراءات، والاستفادة منها في التَّفسير.

٣- التَّجويد

١/٣ علم التَّجويد: هو العلم الذي يُعرَف به إعطاء الحروف حقَّها ومستحقَّها من المخارج والصِّفات.

٢/٣ تتضمَّن موضوعات علم التَّجويد مبحثَين أساسيَّين: مخارج الحروف وصفاتها، والأحكام الناشئة عن التركيب بينها، وألحقوا بهما مبحثًا ثالثًا يتعلَّق بالوقف والابتداء.

٣/٣ الغاية من علم التَّجويد هو صَوْن اللِّسان عن الخَطأ في تلاوة كتاب الله، لذا وَجَب تعلُّمه على القارئ عند جمهور أهل العلم.

٤/٣ كان علم التَّجويد جُزءًا من علم القراءات ابتداءً قبل أن يستقلّ، وهو يُعنى بحقائق نُطْق الحروف وقواعدها، بصرف النَّظر عن اختلاف القُرّاء ونِسبته إليهم.

٥/٣ مرَّ علم التَّجويد بثلاثة مراحل أساسيَّة: مرحلة التلقِّي الشَّفهي، ومرحلة التَّدوين ضمنًا في كُتُب اللغة والقراءات، ومرحلة بروزه كفنٍّ مدوَّنٍ مستَقِلّ، في أوَّل مؤلَّف فيه وهو القصيدة الخاقانية، وذلك في مطلع القرن الرابع.

٦/٣ أبرز مصنَّفات المتقدِّمين في التجويد: كتاب «الرِّعاية» لمكّي بن أبي طالب (ت: ٤٣٧)، وكتاب «التَّحديد في الإتقان والتَّجويد» لأبي عمرو الدَّاني (ت: ٤٤٤)، وأبرز منظوماته: «المقدِّمة الجَزريَّة» لابن الجَزري (ت: ٨٣٣)، و«تُحْفة الأطفال» للجَمْزوري (ت: بعد١١٩٨).

٤- علم الوَقْف والابتداء

١/٤ علم الوقف والابتداء: عِلْم يُعرف به القارئ المواضِع التي يصلُح الوقوف عليها أو لا يصلُح، والمواضِع التي يصلح الابتداء بها أو لا يصلُح.

٢/٤ الوقف في قراءة القرآن: قطْع الصَّوت على الكلِمة زمنًا يُتنَفَّس فيه عادةً بِنِيَة استئناف القراءة، أما الابتداء: فهو الشُّروع في القراءة بعد قَطْعٍ أو وَقْفٍ.

٣/٤ مواضع وقوف القرآن مبنيَّة على الاجتهاد، ومصدرها الأساس هو علم التَّفسير.

٤/٤ مصادر الوقف والابتداء نوْعان: الأول: المصادر الشفويَّة، الثاني: المصادر المدوَّنة: وفيها ثلاثة طرق: التَّدوين الضِّمني. والتدوين المستَقِلّ: ومن أشهر كتبه «المكتفى في الوَقف والابتدا» لأبي عمْرو الدَّاني (ت:٤٤٤). وتحديد الوقوف في المصاحف.

٤/٥ مصطلحات العلماء في الوَقْف قسمان: الأوَّل: بيان أماكن الوقوف الجائزة دون النَّظر إلى مراتبها، الثَّاني: تقسيم الوقوف إلى مراتب، بناءً على اللَّفظ والمعنى.

٤/٦ أشهر التَّقسيمات المبنيَّة على اللَّفظ والمعنى هي القسمة الرباعيَّة: الوقف التام، والوقف الكافي، والوقف الحَسَن، والوقف القبيح.

٤/٧ أشهر أنواع الوقوف في المصاحِف المعاصرة الوقوف التي اختيرت في المصحف المصري، وهي ستَّة مراتب: الوقف اللازم (م)، الوقف الجائز (ج)، الوَصْل أولى (صلى)، الوقف أوْلى (قلى)، الوقف الممنوع (لا)، وقف التعانق (∴ ∴).

٥- آداب قِراءة القرآن

٥/١ آداب قِراءة القرآن: جُمْلةٌ من الأخْلاق والسِّمات المحمودة التي ينْبغي لقارئ القرآن أو مُقْرئه أو مستمِعِه أن يتحلَّى بها ظاهرًا وباطنًا.

٥/٢ مصادر آداب قراءة القرآن هي كتاب الله ﷻ، وسُنَّة رسوله ﷺ، وأقوال صحابته ﷺ، وأقوال أهلم العلم.

٥/٣ مسائل آداب قراءة القرآن منثورة في بعض كُتب القراءات، وفضائل القرآن، والأذكار، وكتب الفقه، وشروح الحديث، والآداب الشرعية، وقد أُفردت في كتب علوم القرآن الجامعة كنوع من أنواعه، كما أُفردت ببعض التصانيف، من أبرزها: «التبيان في آداب حَمَلة القرآن» للنووي (ت: ٦٧٦).

٥/٤ تدور آداب حملة القرآن حول ثلاثة موضوعات: آداب تعلُّم القرآن وتعليمه، الآداب العامَّة مع القرآن، أحكام التعامل مع المصحَف الشريف.

٥/٥ يُستحَبّ الإكثار من قراءة القرآن وتلاوته.

٥/٦ من أعظم الأعمال تعلُّم القرآن وتعليمه وحِفْظه.

٥/٧ يُستحَبّ للقارئ أن يقرأ القرآن على طهارة، ويجوز على كل حال إلا أن يكون محدِثًا حدثًا أكبر، ولا ينبغي أن يمسّ المصحف بلا طهارة.

٥/٨ تُسنُّ الاستعاذة ثم البسملة قبل القراءة، كما ينبغي أثناء القراءة العناية بأحكام التَّجويد ومراعاة أحكام الوقف والابتداء.

٥/٩ يُستحَب للقارئ أن يحسّن صوته بالقراءة، كما يُسنّ الاستماع لتلاوته، وسجود كل من القارئ والمستَمع بعد تلاوة آيات سجدة التلاوة.

أسئلة تقويمية

١- اشرح المراد بالأحرُف السَّبْعة.
٢- هل تشتمل المصاحف العثمانية على الأحرُف السَّبْعة؟
٣- ما الحكمة من رخصة الأحرُف السَّبْعة؟
٤- عرِّف علم القراءات.
٥- ما مصدَر علم القراءات؟
٦- تحدَّث عن مراحل نشأة علم القراءات.
٧- من أوَّل من حدّد القراءات السبع؟
٨- اذكر القُرّاء العشرة. وعدِّد رواتهم.
٩- عدِّد شروط القراءة الصحيحة.
١٠- بِمَ تُوصَف اليوم قراءات ما بَعْد العشر؟
١١- ما أشهر الكتُب والمنظومات في: القراءات السَّبع، القراءات الثلاث، القراءات العشر.
١٢- ما هي القراءات والروايات المنتشِرة اليوم؟
١٣- اذكر ثلاثة فوائد لعِلْم القراءات.
١٤- عرِّف علْم التَّجويد.
١٥- وضِّح موضوعات علم التَّجويد الأساسيَّة.
١٦- ما حُكْم تعلّم علم التَّجويد والغاية منه؟
١٧- وضِّح الفرق بين علم القراءات والتَّجويد.
١٨- تحدَّث عن مراحل نشأة علم التَّجويد.
١٩- ما أوَّل مؤلف في علم التَّجويد؟
٢٠- عدِّد ثلاثة من أبرز كتب التجويد.
٢١- اذكر أبرز منظومات علم التجويد.
٢٢- ما المراد بعلم الوقف والابتداء؟
٢٣- اشرح معنى الوقف والابتداء في قراءة القرآن.
٢٤- تحدَّث عن أهميَّة علم الوقف والابتداء في قراءة القرآن.

٢٥- للوّقْف عند القراء مفهومان، وضِّحْهما.

٢٦- هل مواضع وقوف القرآن مبنيَّة على الاجتهاد أم التَّوقيف؟ وضِّحْ ذلك.

٢٧- ما العلم الأساسي في معرفة وقوف القرآن؟ وضِّح بمثال.

٢٨- مصادر الوقف والابتداء نَوْعان. اشرح ذلك مع التمثيل.

٢٩- ما الأقسام الرئيسية لمصطلحات العلماء في الوَقْف؟ مثِّل بكتابَيْن لكل منها.

٣٠- من أشهر مراتب الوقف القسمة الرُّباعية. وضِّحها مع ذكر مثال لكل منها.

٣١- عدّد أنواع وقوف المصحف المصري مع ذكر رموزها.

٣٢- وضِّح المراد بالرموز التالية في وقوف بعض المصاحف: مـ، ج، قلى، صلى، لا، (... ...)؟

٣٣- ما المراد بآداب قراءة القرآن؟

٣٤- ما مصادر آداب قراءة القرآن؟ عدّد أربعة منها.

٣٥- في أي المصنَّفات تجدُ آداب قراءة القرآن؟ اذكر أبرز ما صُنِّف فيها.

٣٦- تدور آداب حَمَلة القرآن حول ثلاثة موضوعات، اذكرها.

٣٧- عدّد خمْسَةً من مستحبَّات تلاوة القرآن.

٣٨- هل تجوز قراءة القرآن دون طهارة؟ فصِّل القول في ذلك.

٣٩- ما حكم الاستعاذة والبَسْمَلة عند القراءة؟ ومتى تكون؟

٤٠- ما الذي ينبغي لقارئ القرآن العناية به من أحكام؟

أسئلة إثرائية

١- من أشهر الأقوال في الأحرُف السَّبْعة أن المراد بها سبْع لغات (لهجات) من لُغات العرب المشهورة. وضِّح ذلك مع بيان هل تلك اللُّغات متفرِّقة في القرآن أم مجتمعة في الكلمة الواحدة.

٢- من القراءات المشهورة: القراءات الأربع المتمِّمة للأربع عشرة، ما هي هذه القراءات وما حكمها؟

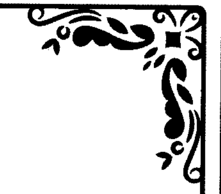
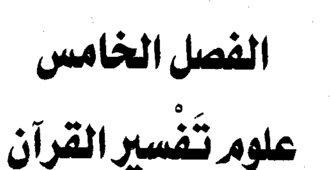
٣- ابحث أسباب انتشار رواية حفص عن عاصم اليوْم في أغلب بلاد المسلمين.

٤- عدِّد ١٠ مصنَّفات معاصرة في علم التجويد.

٥- استأثرت منظومة المقدمة الجزريَّة بمعظم جهود علماء التَّجويد المتأخِّرين، عدّد ٥ شروح لها.

٦- عُدْ إلى تقرير لجنة مراجعة مصحف المدينة النبوية في كل من روايتي حفص عن عاصم ووَرْش عن نافع، واستخرج ما يلي: سند القراءة، مصادر الوقوف، أنواع الوقوف ورموزها، بيان سجَدَات التلاوة ومواضعها.



أولًا: عِلْم التفسير.

ثانيًا: عِلْم أصول التَّفسير.

ثالثًا: عِلْم مناهج المُفسِّرين.

رابعًا: عِلْم أحكام القرآن.

خامسًا: عِلْم النَّاسخ والمنْسوخ في القرآن.

سادسًا: عِلْم متشابه القرآن.

سابعًا: عِلْم مُشْكل القرآن.

ثامنًا: عِلْم مبهمات القرآن.

تاسعًا: عِلْم المناسَبات في القرآن.

عاشرًا: تَرْجمة القرآن.

أهداف الفصل

أهم ما يهدف إليه هذا الفصل أن يكون الدارس قادرا على أن:

١) يفرِّق بين التفسير والتأويل والاستِنْباط والتدبُّر.
٢) يُحدِّد مسائل علم أصول التفسير.
٣) يُميِّز بين اتِّجاهات المفسِّرين في التفسير.
٤) يُبيِّن علاقة علم أحكام القرآن بتفسير القرآن.
٥) يُبيِّن أنواع النسخ في القرآن.
٦) يُفرِّق بين متشابه القرآن ومشكله.
٧) يُعلِّل وجود المتشابه والمشْكِل والمبْهَم في القرآن.
٨) يوضِّح معنى المناسبات في القرآن.
٩) يُبيِّن حكم ترجمة القرآن.



التَّفسير من أبرز علوم القرآن وأوْسعها، وهو متعلِّق بدلالات ألفاظ القرآن ومعانيها، بخلاف علوم التلاوة التي تتعلَّق بطريقة أداء ألفاظ القرآن وقراءتها.

وفي هذا الفصل سيتمّ الحديث مفصَّلًا عن مبادئ علم تفسير القرآن من حيث تعريفه، وبيان نشْأته وتاريخه ومراحِل تدوِينه، وأبرز تصانِيفه.

ثم ننْتقل للحديث عن علوم التَّفسير الأخرى، وهذه العلوم مبْثوثةٌ في كتب التَّفسير حيث يتَفاوت المفسِّرون في إيرادها والعناية بها، وتتَفاوت أهميَّة هذه العلوم ومدى الحاجة إليها في بيان معاني آيات القرآن، ولهذا يلزم المبتَدئ دراسة أبرز هذه العلوم دراسة تأصيليَّة ليقف على أهميَّتها ومكانتها والمصنَّفات فيها[1].

وقبل الحديث عنها يحسُنُ أن يَعْقُب مبادئ علم التَّفسير علمان تأصيليَّان من علوم التَّفسير اكتملَت العناية بهما لدى المعاصرين، وإن كانت بداياتهما وأطرافهما وملامحهما مبثوثةً في كتب المتقدِّمين، وهما أصول التَّفسير، ومناهج المفسِّرين.

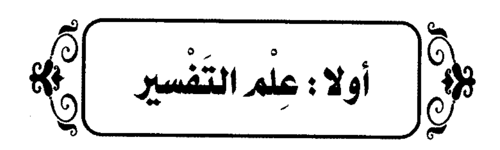
ومن هنا سَوْف ينْتظِم هذا الفصل على النحو التالي:

١- عِلْم التفسير.
٢- عِلْم أصول التَّفسير.
٣- عِلْم مناهج المُفسِّرين.
٤- عِلْم أحكام القرآن.
٥- عِلْم النَّاسخ والمنْسوخ في القرآن.
٦- عِلْم مُتَشابِه القرآن.
٧- عِلْم مُشْكل القرآن.
٨- عِلْم مُبْهمات القرآن.
٩- عِلْم المناسَبات في القرآن.
١٠- ترْجَمة القرآن.

ومما يجْدُر ذكره أن أكبر مصادر تفسير القرآن هو اللُّغة، ومن ثَمَّ ظَهَرت علوم عديدة انبثَقَت من التَّفسير اللُّغوي وكانت خادِمَةً له، لذا رَأَينا إفراد أبْرزها في الفصل التَّالي الذي خُصِّص لِلُغة القرآن وأساليبه.

---

(١) يجدر التَّنبيه إلى أن من أهمِّ علوم التَّفسير عِلم أسباب النُّزول الذي تَقدَّم الحديث عنه في الفَصل الأوَّل بما يُغني عن إعادته في هذا الفصل. ينظر: ص٤٢.



أولا: عِلْم التَفْسير

تعريف التَّفسير:

التَّفْسير من مادة (فسر)، ومعانيها تدور حول الكَشْف والإيضاح والبيان.

والمراد بالتَّفْسير هنا (تفْسير القرآن)[1]، وعلى هذا **فالتَّفْسير في الاصْطلاح: بيَان معاني القرآن الكَريم.**

خرج بقوْلنا: (بيان مَعاني) ما كان بيانًا لغير المعاني، كبيان كيْفيَّة الأداء الذي هو من علم القراءات، أو بيان عدد آيِ السُّورة الذي هو من علم عَدِّ الآي، أو بيان الفوائد المستَنْبطة، الذي يدخل في باب الاستِنْباط.

الفَرْق بين التَّفْسير وعلوم القرآن:

تقدَّم في التَّمهيد أن التَّفْسير وعلومه جُزْء من علوم القرآن، ولكي نُدرك الفَرْق بين علوم التَّفْسير وما سواها من علوم القرآن نَنْظر إن كانت المعلومَة القرآنيَّة تؤثِّر في فَهْم معنى آيات القرآن فهي من علوم التفسير، ومن علوم القرآن من باب أوْلى، مثل معرفة مفردات القرآن، كلفظ ﴿ٱلصَّمَدُ﴾ في سورة الإخلاص.

أما إن كانت المعلومة القرآنية لا أثَر لها في فهم المعنى، فهي من علوم القرآن وليسَت من علوم التَّفسير؛ كمعرفة فضائل سورة الإخلاص.

الفَرْق بين التَّفسير والتَّأويل والاستِنْباط والتَّدبُّر:

التَّأويل: من الأَوْل، ومعناه لغةً يدور على معنى الرُّجوع[2]، وتأويل الكلام هو الرجوع به إلى مُراد المتكلِّم، وهو في الكتاب والسنَّة على معنيَيْن:

---

(١) غلب استخدام لفظ (التَّفسير) على بيان معنى كلام الله، ولفظ (الشَّرح) على شرح كلام رسول الله ﷺ، وعلى شرح الأشعار، وعلى شرح الكتب.

(٢) ينظر: مقاييس اللغة (١/١٥٨).

١- الحقيقة التي يؤول إليها الكلام، ومنه قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ﴾ [الأعراف: ٥٣].

٢- بيان مراد المتكلِّم، وهذا هو التَّفسير[١]، ومنه قول الرسول ﷺ في حديث ابن عباس رضي الله عنهما: «**اللهُمَّ فقِّهْه في الدِّينَ وعلِّمه التَّأويل**»[٢].

وعلى هذا يتبيَّن أن المفهوم الثاني للتَّأويل يوافق معنى التَّفسير[٣].

الاستِنْباط: من مادة «نبط»، التي تدور على أصل واحد وهو استخراج الشيء وتطلُّبه لأجْل حصوله[٤].

و«الاستنْباط من القرآن»: هو استخراج المعاني المترتِّبةِ على المعنى المرادِ من الآية بطريقٍ صحيح[٥].

وعلى هذا فالاستنباط من الآية مرْتَبَةٌ تأتي بعد تفسيرها وبيان معناها والمراد منها، وذلك من خلال رَبْط كلام له معنى بمدلول الآية، بأي نَوْع من أنواع الرَّبط، كدلالة الإشارة أو دلالة المفهوم ونحو ذلك من دلالات الألفاظ كما سيأتي في الفصل الأخير.

ومن هنا يتبيَّن لنا أن الاستنباط غير التَّفسير، وحَدُّه خارج عن حدِّ التفسير الذي هو بيان المعنى المراد من الآية، لذا تجِد كثيرًا مما يرِدُ في كتب التَّفسير من نِكاتٍ بلاغيَّة، ولطائف لُغويَّة، ومُلَح علميَّة، وآداب ترْبويَّة، وأحكام فقهيَّة خفيَّة، وهدايات قرآنيَّة = خارج عن حَدِّ البيان الذي هو التَّفسير، لكنه داخل ضِمْن علم الاستِنباط من القرآن،

---

(١) وبكلا المعنيين فسَّر السلف التأويل في قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٧]. وتقدم بيانه في مبحث الوقف والابتداء ص١٦٢.

(٢) أخرجه أحمد (٤/ ٢٢٥) (٢٣٩٧)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٦/١٧٣) (٢٥٨٩).

(٣) أما ما شاع لدى المتأخِّرين من التفريق بينهما بكون التأويل صَرْف اللفظ عن ظاهره، أو عن الاحتمال الراجح إلى المرجوح، ونحو ذلك = فليس بسَديد؛ لاعتماده على مُصطَلح حادث عند المتأخِّرين في معنى التأويل، ولم يرِدْ في الكتاب والسنة واللغة وتفسير السلف. ينظر كتاب «مفهوم التفسير والتأويل والاستنباط والتدبر»، (ص٩١- ١٥٥).

(٤) ينظر: مقاييس اللغة (٥/ ٣٨١).

(٥) ينظر: منهج الاستنباط من القرآن الكريم (ص٤٥)، علم الاستنباط من القرآن: المفهوم والمنهج (ص١٤).

الذي لا حَدَّ له، وقد يفتح الله به على عباده في عصرٍ ما لم يفْتَحه على من قَبْلهم[١].

التَّدبُّر: تقدّم في مبحث تدبُّر القرآن أن معناه: النظر إلى ما وراء الألفاظ من المعاني والعِبَر والمقاصد، الذي يثمر العلوم النَّافعة والأعمال الزاكية. وهذا صريحٌ بأن تدبُّر القرآن غير تفسيره الذي هو بيان معانيه، بينما التدبُّر هو النَّظر إلى ما وراء المعاني من العِبَر والمقاصد، ثم التَّفاعل مع الآيات، وقَصْد الانتفاع والامتِثال، فهو مرحلة تأتي بعد الفَهْم والتفسير، إذ لا يمكن أن يُطلَب منك تدبُّر ما لا تعقله.

نشْأة علم التَّفسير ومراحله:

الأصل في العلوم الإسلامية -خصوصًا المتعلِّقة بالقرآن- أن يكون منشؤها منذ عهد الرسول ﷺ، ثم تبدأ في النمو شيئًا فشيئًا حتى تكتمل وتُؤَلَّف فيها المؤلفات، ومن ثَمَّ فأوَّل المفسِّرين هو الرسول ﷺ، ويدلُّ على ذلك قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤].

ثم جاء بعده الصِّحابة الكرام رضي الله عنهم الذين نزل القرآن بلُغَتهم، وشهدوا التَّنْزيل، وعرَفوا أحوال من نزل فيهم الخطاب من المشركين وأهل الكتاب، فتصدَّى بعضهم لعِلْم التفسير، وتميَّزوا به، وعقدوا المجالس العلميَّة الخاصّة فيه، كعبد الله بن مسعود (ت: ٣٢)، وعبد الله بن عباس (ت: ٦٨) رضي الله عنهما، مما يدلُّ على أن **التَّفسير علمٌ قائم بذاتِه منذ عهد الصَّحابة** رضي الله عنهم[٢].

ثم لحق بالصحابة أعلام التابعين ممَّن تَتلمَذ عليهم، وبرز في علم التفسير؛ كسعيد ابن جُبير (ت: ٩٥)، ومجاهد بن جَبْر (ت: ١٠٢)، وعِكْرمة مولى ابن عباس (ت: ١٠٥)، وقَتادة بن دعامة (ت: ١١٧)، وغيرهم.

ثم حمَل التفسير بعدهم في جيل أتباع التابعين عدَدٌ من أعلام المفسِّرين؛ كمقاتِل ابن سليمان (ت: ١٥٠)، وعبد الرَّحمن بن زيد بن أَسْلَم (ت: ١٨٢)، ويحي بن سلَّام (ت: ٢٠٠)، وغيرهم.

---

(١) ينظر كتاب «مفهوم التفسير والتأويل والاستنباط والتدبر» (ص١٥٩- ١٨٢).

(٢) وهذا خلاف ما اشتُهِر لدى المعاصرين من أن التفسير بدأ كَبَابٍ من أبواب الحديث، ثم استقَلَّ.

وهذا هو تفسير **السَّلف** الذي تضمَّن تفسير هذه الطبقات الثَّلاث (الصَّحابة والتَّابعين وأتباعهم) إضافة إلى التَّفسير النَّبوي، وقد عُرف بالتَّفسير المأْثور، واعتَنى بنَقْله المتقدِّمون من نقَلة التفسير وقَصَروا التَّفسير المأثور عليه[١]، وعلى هذا **فالتَّفسير المأْثور**: ما أُثِر من تفسيرٍ عن رسول الله ﷺ وعن صحابَتِه والتابعين وعن أتْباع التابعين، وبه تُختَم **المرحلة الأولى** من مراحِل التَّفسير، وذلك في القَرْن الأوَّل والثاني، أما القرن الثالث فاقتُصِر فيه على نَقْل تفسير السَّلف، وقَلَّ أن تجِدَ فيه من كان مشهورًا بالتَّفسير والاجتهاد.

ثم جاءت **المرحلة الثانية**؛ مرحلة توسُّع التَّفسير واختلاف مناهِجه، وذلك أنَّه لمَّا تنَوَّعت المعارف والعلوم، وتشكَّلت مسائل كلِّ عِلم؛ كالفِقْه، وأصوله، والنَّحو، واللُّغة والبلاغة، والتَّاريخ وغيرها= شارك في التَّأليف في التَّفسير من تميَّز بعلْمٍ من هذه العلوم، وصبَغ تفسيره بتخصُّصِه الذي بَرز فيه، يساعده في ذلك إمكانيَّة التوسُّع في كتابة التَّفسير، مما لا ضابط له، وهذا ما جعل كُتُب التفسير تفتَرق في المناهج، وتتوَسَّع توَسُّعًا كبيرًا وتزيد أحجامها بسبب الاستطرادات الواردة في مسائل متعلِّقة بتلك العلوم[٢]، وسيأتي تفصيل ذلك في مبْحث مناهج المفسرين.

تدوين التَّفسير وأبرز تصانيفه:

يمكن تقسيم مرْحلة تدوين التَّفسير إلى الأقسام الآتية:

أولًا: تدوين التَّفسير في عَصْر السَّلف:

١- **عصْر الصَّحابة والتَّابعين:** لم يعتنِ الصحابة بالتدوين، لكن تلاميذهم من

---

(١) كابن أبي حاتم (ت: ٣٢٧)، الذي قال في مقدمة تفسيره (١/ ١٤): «... فإن لم أجِدْ عن الصحابة ووَجَدْتُه عن التابعين عَمِلت فيما أجِدُ عنهم ما ذكرته من المثال في الصحابة، وكذا أجعل المثال في أتباع التَّابعين وأتباعهم». وعلى هذا سار جُلُّ من نقَل تفسير السَّلف كعَبْد بن حُمَيد (ت: ٢٤٩)، والطَّبري (ت: ٣١٠)، وابن المنْذر (ت: ٣١٨)، ومن المتأخِّرين السُّيوطي (ت: ٩١١) الذي ظهر مصطلَح (المأثور) في عنوان كتابه (الدُّرُّ المنثور في التَّفسير بالمأثور).

(٢) ينظر كلام السُّيوطي في الإتقان (٤/ ٢٤٣) حَوْل هذه المرحلة مع أمثلة لتفاسير استَطْردت في بعض تلك العلوم.

التابعين المعاصرين لهم بَدؤوا بالتَّدوين، لذا يمكن القَول بأن تدوين التَّفسير بَدَأ في أواخر عهد الصَّحابة، وعلى ذلك فإن التَّفسير من أوائل العلوم الشرعيَّة تدوينًا، فقد جاءت روايات تُفيد أن مجاهد بن جَبر (ت: ١٠٤) كَتَبَ التفسير بين يَدَي شَيْخه ابن عبّاس (ت:٦٨) رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا[١]، وكذا كَتَبه سعيد بن جُبير (ت: ٩٥) بناء على طلب الخليفة عبد الملك بن مروان (ت: ٨٦)[٢]. ثم تتابع التابعون على التَّدوين في التفسير. وقد كانت غالب تلك التفاسير صُحُفا ونُسَخا غير شاملة للقرآن تُروى بالأسانيد، وقد استَوْعَبَتها أمّهات كُتُب التَّفسير المأثور اللاحقة.

٢- **عصر أتْباع التابعين**: شهد عصر أتباع التابعين نشاطًا كبيرًا في تدوين مختَلَف العلوم، حيث تطوَّر من مجرَّد الجَمْع والتدوين إلى مرحلة التَّصنيف والترتيب والجَمْع والتَّبويب، ومن ثَمَّ كان أتباع التابعين أكثر تدوينًا للتّفسير ممن سبقهم من التابعين، ومن أشهر من رُوِي عنهم الكتابة فيه: ابن جُرَيْج (ت: ١٥٠)، ومقاتل بن سُليمان (ت: ١٥٠)، ويحيى بن سلَّام (ت: ٢٠٠).

ويمكن تصنيف الكتابة في التَّفسير في مرحلة تفسير السَّلف من الصحابة والتابعين وأتباعهم إلى قِسْمَين:

أ) **الكتابات الجُزئيَّة للتَّفسير**: ومِمَّا وصلنا منها: تفسير مجاهِد بن جَبْر[٣] (ت: ١٠٤)، وتفسير سُفْيان الثَّوْري (ت: ١٦١)، وتفسير عبد الرزَّاق الصَّنْعاني (ت: ٢١١).

ب) **الكتابة الشَّاملة لجميع القرآن**، ومما طُبِع من تفاسير هذا النَّوْع: تفسير مقاتِل بن سُليمان (ت: ١٥٠)، وهو أقدم تفسير كاملٌ مطبوع، وتفسير يحيى بن سلَّام البَصْري (ت: ٢٠٠).

---

(١) ينظر: تفسير الطبري (١/ ٨٥).

(٢) ينظر: الجرح والتعديل لابن أبي حاتم (٦/ ٣٣٢) في ترجمة عطاء بن دينار.

(٣) يرى البعض أن تفسيره المطبوع الموسوم بـ«تفسير مجاهد» هو تفسير آدم بن أبي إياس (ت:٢٢٠) -وهو من طبقة اتباع التابعين- لأن أغلب رواياته من طريق آدم، الجدير بالذكر أن أغلب آثار هذا التَّفسير تدور حول تفسير مجاهد. ينظر: استدراكات على تاريخ التراث العربي (قسم التفسير)، للأستاذ الدكتور حِكْمَتْ بَشِير ياسين (٢/ ٢٣، ١٠٣).

ثانيًا: ما بعد عَصْر أتباع التَّابعين إلى عصر ابن جَرِير الطَّبْري (ت: ٣١٠):

من أبرز أنواع الكتابة في التفسير التي ظَهَرت في هذه الحِقْبة ما يلي:

١- **كُتُب التّفسير المأْثور**: لا يزال التَّصنيف من علماء السُّنة قائمًا في التفسير، لكنه اتَّخذ طابع الرِّواية، وغَلَب عليه كما تقدَّم، ومن أبرز تلك التَّفاسير: تفسير عَبْد بن حُمَيد (ت:٢٤٩).

٢- **التَّفسير في تصانيف المحَدِّثين**: في هذه المدَّة شارك بعض المحدِّثين في تدوين التفسير في كتبهم الحديثيَّة، فجعلوا التَّفسير في أبواب تضمَّنَتها كُتُبهم، ومن أبرزهم:

- سعيد بن منصور (ت: ٢٢٤)، وقد جعل كتاب التَّفسير جزءًا من كتاب السُّنن له، وهو مطبوع.

- البخاري (ت: ٢٥٦) في كتابه الصحيح، وقد جعل كتاب التفسير أحَد كُتُب مصَنَّفه.

٣- **التَّفسير اللُّغوي**: حيث ظهر بعض علماء العربية في عصر أتباع التابعين ومن بَعْدَهم ممن فسَّر القرآن من جَانبٍ لُغَوي، ومن أبرز تلك المدوَّنات المطبوعة:

- معاني القرآن، للفرَّاء (ت: ٢٠٧).
- مجاز القرآن، لأبي عُبَيدة مَعْمَر بن المثَنَّى (ت: ٢٠٨).
- غريب القرآن، لابن قُتَيْبة (ت: ٢٧٦).

ثالثًا: عصر الإمام محمد بن جَرير الطَّبري (ت: ٣١٠):

إمام المفسِّرين حقًّا، ومُقدَّمهم، وتفسيره الموسوم بـ«جامع البَيان في تأويل القرآن» من أبرز كُتب التَّفسير على الإطلاق، وقد شهد كثير من أهل العلم أنه لم يُصنَّف مثله، وقد نهج فيه التَّوسُّع في ذِكْر روايات التفسير المأثور مُسْنَدةً مع التّرجيح بينها، عَبْر قواعد منْضَبِطة، ومعايِير واضحة، كما اعتَنى بذكر القراءات وتوْجيهها، وإيراد الأعاريب والأساليب العربيَّة، والشواهد اللُّغويَّة.

كذلك بَرز في عصر الطَّبري وبعده بقليل عدَدٌ من كتب التَّفسير المأثور، من أهمِّها: تفسير ابن المنْذِر (ت: ٣١٨)، وتفسير ابن أبي حاتِم (ت: ٣٢٧).

رابعًا: ما بعد عصر ابن جَرير الطَّبري:

بعد عصر ابن جرير الطَّبري (ت: ٣١٠) تتابع التَّصنيف في التفسير، وكَثُرت كُتُبه حتى صارت تُعدُّ بالمئات، وتضمَّنت ما صفَى وما كَدَر، وكَثُر القول بالرَّأي، واعتماد المذهَب الذي ينتمي إليه المفسِّر، إضافة إلى اصطباغ تفسيره بتخصُّصه الذي بَرَز فيه. كذلك ظهَرت أقوال كثيرة مخالفة لما عليه سَلَف الأمة، واستمرَّ التَّأليف إلى يومنا هذا، وكل واحد يحرص على أن يندرج في سلك المبيِّنين عن كتاب الله، والموصِلين معانيه لجمهور الأمَّة بما يراه أمْثَل السُّبُل في ذلك.

وما كَتبه العلماء في التفسير يفُوق الحَصْر، لكن يحْسُن أن نذكر أهَمَّ هذه الكُتُب في ما يأتي:

١ - **تَفْسير ابن عطِيَّة (المحرَّر الوَجيز في تفسير الكِتاب العزيز)**، لأبي محمد عبد الحقِّ ابن غالب بن عطيَّة الأندلسي (ت: ٥٤٢)، وهو كتاب قد حمَل من عنوانه الشيء الكثير، وفيه من التَّحرير ما لا تَجِده في غيره، ومن توْجيه عبارات السَّلف في التفسير وبيان ما فيها من الفِقْه التَّفسيري.

٢ - **تَفْسير القُرْطبيّ (الجامِع لأحْكام القُرآن)**، لأبي عبد الله محمد بن أحمد القُرْطبي (ت: ٦٧١)، وهذا الكتاب فيه عناية بنُقول أقوال السلف، ومن أهمّ ما يتميَّز به حسن التَّنظيم والترتيب، وعنايته بالأحكام القرآنية إلى حدِّ الاستطراد في ذكر مسائل الفقه في كتابه، حتى إنه لا يكاد يُوجَد باب من أبواب الفقه، وليس له فيه كلام.

٣- **تَفْسير البَيْضاوي (أنوار التَّنْزيل وأسرار التَّأْويل)**، للقاضي ناصر الدين البَيْضاوي (ت: ٦٨٥)، وقد استفاد من تفسير الزَّمَخْشري، ومن تفسير الرَّاغب الأصفهانيّ، ومن غيرهما، وليس فيه عناية بالآثار، لكن فيه عناية في حلّ المشْكِلات بالإشارة إليها إشارةً وجيزة مُخْتَصرة.

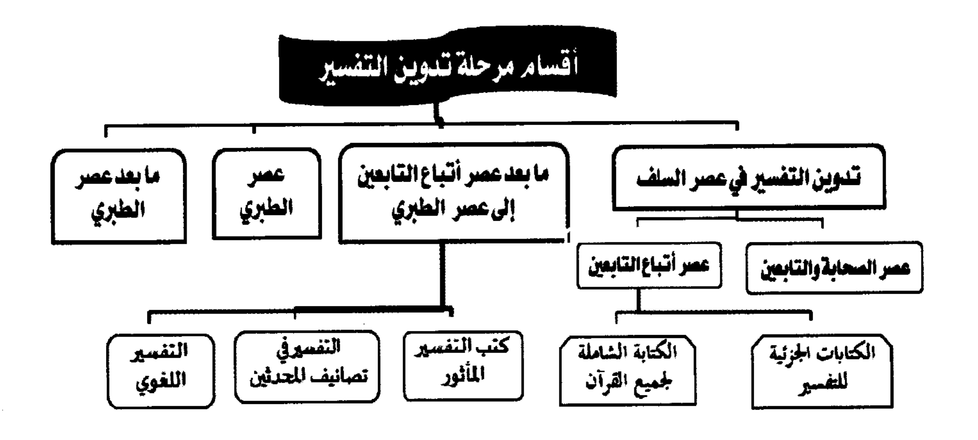
٤ - **تَفْسير ابن كَثِير (تفسير القُرآن العَظيم)**، لإسماعيل ابن كَثير الدِّمَشقي (ت: ٧٧٤)، وهو من أشهر كُتُب التَّفسير وأنْفَسها، وله عناية ببَيان القرآن بالقرآن، وبالسُّنّة بطُرُقٍ بدِيعةٍ، حتى لا يكاد يقاربه في ذلك مُفسِّر، كما أن له عناية بأقاويل السَّلف، ولم يتوَسَّع

في الأحكام الفقهيَّة، بل يغلِب عليه بيان الحُكْم المنْصوص عليه في الآية، وبيان المذاهب فيها باختِصار، مع بيان الرَّاجح أحيانًا، كذلك لم يَعْتَنِ بالقراءات أو الإعراب أو البلاغة، ونحوها.

وقد استفاد طريقة التفسير من شيخه ابن تيميَّة (ت: ٧٢٨)، وذكر من رسالته في أصول التَّفسير طرَفًا في مقدِّمة تفسيره، ثمَّ قام بتطبيقها في تفسيره هذا.

وله عناية بسَرد أسانيد الحديث، ويبيِّن دَرَجتها في بعض الأحيان، وينتَقِد بعض الإسرائيليَّات، وبعْض القصص الوارد في كُتُب التفسير. وقد طرَحَ الله لهذا التَّفسير القَبول، وكَثُرت طَبَعاته وتعدَّدت.

٥ - **تَفْسير ابن عاشُور (التَّحْرير والتَّنْوير)**، لمحمد الطَّاهر بن عاشور التُّونسيّ (ت: ١٣٩٣)، وهو أنْفس تفاسير المعاصِرين، وفيه من العِناية بالمفْرَدة، والبَلاغة القرآنيَّة، وحَلِّ مُشْكلات التَّفسير الشَّيء الكثير الذي لا يكاد أن يجتَمع في كتاب.





ثانيًا: عِلْم أصُول التَّفسير

مفهوم أصول التَّفْسير[١]:

يتكَوَّن مصطلح أصول التَّفسير من كلِمتَي: أصول، وتفسير، والأصول جمع أصْل، وهو لغةً: أسفل الشَّيء، واصطِلاحًا: ما يُبنى عليه غَيْرُه. ومن هذا التَّعريف أُخذ تعريف «الأصول» في العلوم، إذ هي الأُسُس التي يعتَمد عليها عِلْمٌ ما بحسب إضافته إلى عِلمٍ من العلوم.

وإذا كان التَّفسير هو: «بيان معاني القرآن» -كما تقدم- **فأصول التَّفسير**: هي الأُسُس العلميَّة التي يرجع إليها المفسِّر حال بيانه لمعاني القرآن، وتحريرِه للاختِلاف في التَّفسير[٢].

أهميَّة أصول التَّفسير:

من خلال التعريف يتبيَّن أهمية أصول التفسير، لأنها تقِي المفسِّر للقرآن من الخطَأ في الفَهْم، وتمنعه من أن يأتي بمعنى غير صحيحٍ، وتُمَكِّنه من رَدِّ القول الضَّعيف فما دونَه بأسلوب علمِيٍّ.

مسائل أصول التَّفسير ومَوْضوعاته:

أهم مسائل هذا العلم ثلاثة أمور كُلِّية[٣]:

الأول: مصادر التفسير (وهي القرآن والسُّنَّة وأقوال السَّلف واللُّغة)، وطُرُقه (وتشمل طريقي النَّقل والاجتهاد).

الثاني: الاختلاف في التَّفسير (ويشمَل أسبابه، وأنواعه).

الثالث: قواعد التَّفسير (وهي قِسمان: القواعد العامة، وقواعد التَّرجيح).

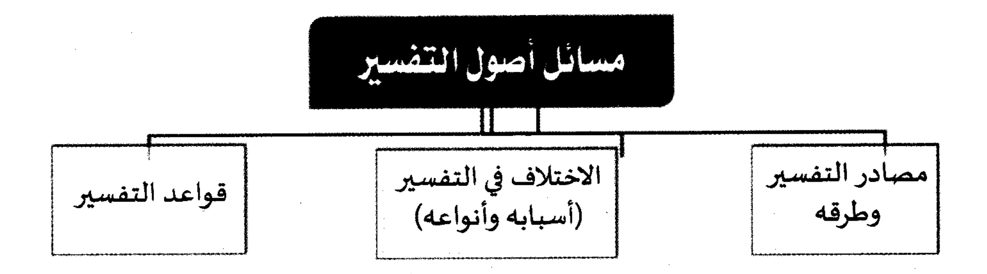
وليس المقام هنا لتفصيل تلك المسائل، لكن يحسُن بنا الحديث بإيجاز عن كيفيَّة تفسير القرآن نظرًا لأهميّته ولما شابَ بعض مسائله من خَلْط عند بعض المعاصرين، وذلك بعد الحديث عن نشْأة علم أصول التَّفسير والمصنَّفات فيه.

---

(١) تقدم في التمهيد بيان الفرق بين أصول التفسير وعلوم التفسير وعلوم القرآن بما يغني عن إعادته.

(٢) ينظر: التحرير في أصول التفسير (ص١٥-١٧).

(٣) ينظر: المرجع السابق (ص١٩).



نشأة عِلم أصول التَّفسير والمصنَّفات فيه:

ورَدَت في الأحاديث النبويَّة وآثار السَّلف الكرام إشاراتٌ إلى مسائل أصول التَّفسير، وحين بدأ عصْر التدوين دُوِّنت مسائل أصول التفسير ضِمْن عدَدٍ من علوم الشريعة، وكانت منثورة في عدَدٍ من الكُتُب، من أبرزها: كُتب التَّفسير سواء في مقدِّماتها أو بُطونها، ويتبَوَّأ تفسير ابن جرير الطبري (ت:٣١٠) مكانةً كبيرةً في هذا الشأن، كذلك انتَشَرت في كُتب علوم القرآن، خصوصًا كتابي البُرهان والإتْقان(١).

وهكذا بدأ علم أصول التفسير يتكوَنّ شيئًا فشيئًا؛ حتى صار علمًا متميِّزًا له كتُبه الخاصَّة، لكن تأخَّر استقلاله كعلمٍ مقارنة بالعلوم الأخرى، ومن أبرز تلك الكُتُب وأكثرها تأثيرًا: «**مقدِّمة في أُصول التَّفسير**»، لابن تيميَّة (ت: ٧٢٨)(٢).

أيضًا كان للمعاصرين اعتناءٌ كبير بالتَّأليف في هذا العلم وجَمْع شتاته، فمن ذلك:

١- أصول التَّفسير وقواعده، خالد بن عبد الرحمن العكّ (ت: ١٤٢٠).

٢- أصول التَّفسير ومناهجه، أ.د. فَهْد بن عبد الرحمن الرُّومي.

٣- التَّفسير: أصوله وضوابطه، أ.د. عليّ بن سليمان العُبَيد.

---

(١) فالزَّركشي في البرهان (٢/ ١٤٧- ٢١٤) ذكر في النوع الحادي والأربعين (معرِفة تفسيره وتأويله) جُملةً من مسائل أصول التفسير، مثل: الفرق بين التفسير والتأويل، وأمّهات مآخذ التفسير، وأحسَن طُرُق التفسير. والسُّيوطي في الإتقان (٤ /١٢٦٦، ٦/ ٢٢٧٤، ٢٢٦١، ٢٣٢٥) أورد مسائل عديدة، خصوصًا في عناوين بعض الأنواع، مثل: النوع الثاني والأربعين: قواعد مهمَّة يحتاج إليها المفسِّر. والنوع السابع والسبعين: معرفة تأويله وتفسيره وبيان شرفه والحاجة إليه. والنوع الثامن والسبعين: شروط المفسِّر وآدابه، والنوع الثمانين: طبقات المفسِّرين.

(٢) وهو أوَّل كتاب يمكن أن يكون من هذا النوَّع، وفي الأصل هو جوابٌ على سؤالٍ وُجِّه لابن تيميّة.

٤- فصول في أصول التَّفسير.

٥- التحرير في أصول التَّفسير، كلاهما للأستاذ الدكتور مساعد بن سليمان الطيَّار.

كيفيَّة تفسير القرآن[١]:

لتفسير القرآن طريقان رئيسان في كيفيَّته: النَّقل والاجتهاد.

أوّلاً: النَّقل عن الغير:

ولا يخرج النَّقل عن طريقين: الإسناد الشِّفَاهي، وهو ما يعتمِد على الحفظ كما كان لدى متقدِّمِي السَّلف. أو النَّقل من الكُتب.

ثانيا: الاجتهاد (التَّفسير بالرَّأي[٢]):

التفسير بالرأي قديم، وبذُوره منذ عهد رسول الله ﷺ[٣]، وقد استمَرَّ بعد ذلك؛ لأن علماء الصحابة صاروا هم المرجع للمسلمين الجُدُد، فوقع منهم الاجتهاد حسَب

---

(١) ينظر: التحرير في أصول التفسير (ص١٩٥- ٢١٨).

(٢) هنا يلزم التَّنبيه إلى ما تتابع عليه كثيرٌ من المعاصرين في عَدِّ التفسير بالرَّأي مقابل التفسير المأثور، باعتبار أن التفسير المأثور (هو تفسير القرآن بالقرآن، وبالسنة، وبأقوال الصحابة وبأقوال التابعين)، وهو مسْلَك غير صحيح؛ لأن التفسير المأثور هو: بيان معاني القرآن الكريم الوارد عن رسول الله ﷺ أو صحابته وتابعيهم وتابعي تابعيهم، وعليه عمل نَقَلة التفسير المأثور كما تقدَّم، أما إدراج تفسير القرآن بالقرآن ضِمْنه فليس بواردٍ عنهم، كما أنه طريق يكتَنفه الاجتهاد والرَّأي -في أغلبه- من خلال ربط آية بآية، وهذا الربط على سبيل التفسير والبيان هو من اجتهاد المفسر. ينظر: مبحث «التفسير المأثور: تعريفه وبيان مصادره». للدكتور مساعد الطيار في موسوعة التفسير المأثور – المدخل (١/١٠٧-١١٧).

(٣) ومن أشهر الأمثلة على الاجتهاد في فهْم المعنى المراد في عهد الرسول ﷺ ما وقع من عَدِيّ بن حاتم رضي الله عنه (ت: ٦٦)، وذلك أنه لما نـزلت ﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾ [البقرة: ١٨٧]، قال عَديّ ابن حاتم: يا رسول الله، إني أجعل تحت وسادتي عقالَيْن؛ عقالاً أبيض وعقالاً أسود؛ أعرف الليل من النهار، فقال رسول الله ﷺ: «إن وسادتَك لعَرِيض، إنما هو سَواد الليل وبياض النهار» رواه مسلم في صحيحه (١٠٩٠). فعَدِيٌّ رضي الله عنه فهم المعنى وفسَّره، ثم طبَّق الحكم الفقهي كما فهِمه من المعنى، ولم ينْهَهُ الرسول ﷺ عن أن يفهمَ القرآن برأيه، وأن يجتهدَ فيه برأيه، بل بيَّن له المعنى الصحيح للآية.

ما بين أيديهم من المعلومات(١).

وقد برز في جيل صغار الصَّحابة مفسِّرون من التَّابعين كانت لهم آراؤهم المستقِلّة، وكان لهم بالتفسير عناية من جِهة الرِّواية أو التَّدوين؛ كسعيد بن جُبَير (ت: ٩٥)، ومجاهد ابن جَبْر (ت: ١٠٤)، وعِكرمة (ت: ١٠٥)، والحسَن البصري (ت: ١١٠)، وغيرهم. وكذا الحال في جيل أتباع التابعين، فقد برز منهم جماعة، وصغار التابعين متوافرون.

أنواع الرَّأي:

الرأي من حيث المستَنَد نَوْعان: رأيٌ محمود، ورأيٌ مذْموم.

والرَّأي المحمود: ما كان عن عِلمٍ أو غَلَبَة ظنٍّ، وهذا هو الرَّأي الذي كان في طبقات السَّلف الثَّلاث من الصحابة والتَّابعين وأتباعهم.

والرَّأي المذموم: ما كان عن جَهْلٍ أو هَوَى.

وهو من المحرَّمات التي عدَّها الله في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٣].

ومفسِّرو السَّلف لم يكن رأيُهم من قَبِيل الرأي المذموم - الذي يقول به صاحبه دون علم -، بل هو الذي وَقع نهيهم عليه، كقول أبي بكر الصديق ﷺ: «أيُّ سماء تُظِلُّني، وأيُّ أرض تُقِلُّني إذا قلتُ في كتاب الله برأْيٍ»، وقال ابن مسعود ﷺ: «القرآن كلام الله فمن قال فليعْلَم ما يقول، فإنما يقول على الله ﷻ»(٢).

متى ظهر الرَّأي المذْموم؟

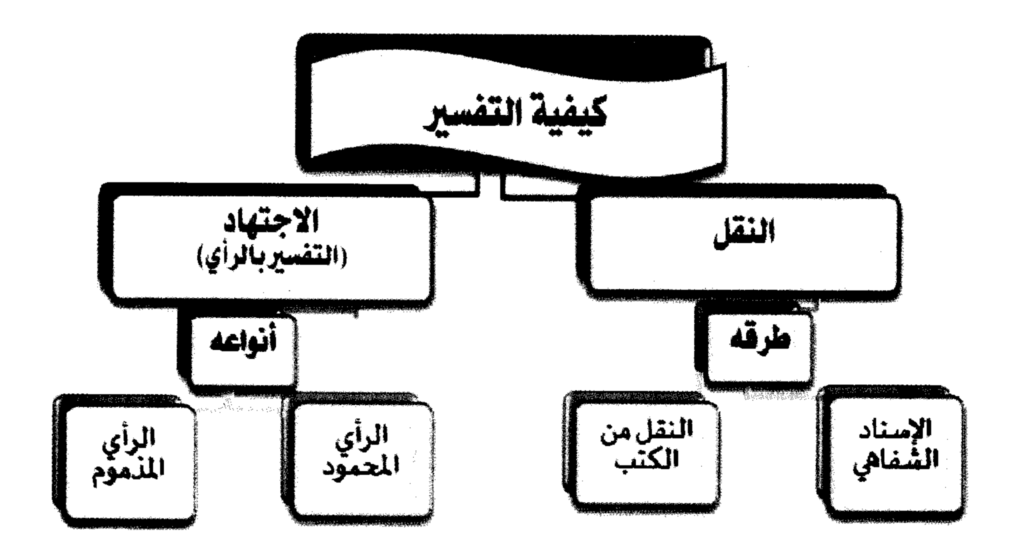
ظهر الرأي المذموم وانتَشر لما ظهرت البِدَع، لأن أهل البِدَع يعتقدون رأيًا، ثم يكون لهم مع نصوص القرآن طريقان:

(١) مثال ذلك ما رواه الطبري في تفسيره (٦/٤٧٥) عن الشعبي (ت:١٠٤): «أن أبا بَكْر قال في الكلالة: أقول فيها برأيي، فإن كان صوابًا فمِنَ الله: هو ما دون الوَلَد والوالد. قال: فلمَّا كان عمر قال: إنِّي لأستحْيي من الله أن أخالف أبا بكر».

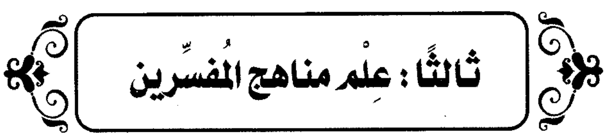
(٢) ينظر القولان في شُعَب الإيمان (٥/٢٩٢ - ٢٩٤).

الأول: نَفْي الدّلالة الظاهرة التي تُخالف مذهَبهم.

الثاني: حَمْل المعْنى على ما يعتَقدون، وإن لم يكن يُراد به المعنى الذي ذَهبوا إليه.







ثالثًا: عِلم مناهج المُفسِّرين

مفهوم مناهج المُفسِّرين:

المناهج جمع منْهج، وهو مشتَقّ من نهج، والنَّهج والمنْهَج والمِنْهاج: الطريق الواضح[1]، قال تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨].

وعند تأمّل لفظة (المنْهج) عند المعاصَرين يظهر أنهم يقصدون بها: الطَّريقة الواضحة المنَظَّمة المؤدِّية إلى نتيجةٍ علميَّةٍ.

وعليه **فمَنْهج المفسِّر**: هو الطريقة الواضحة المنظَّمة ذات القواعد والأُسُس التي سار عليها المفسِّر في تفسيره للقرآن.

نشأة علم (مناهج المفسِّرين) وأبرز مصنَّفاته:

البحث في مناهج المفسِّرين له أصلٌ لدى السَّابقين، تظهر ملامحه في ثنايا كلام أئمَّة التفسير عن كتاب من كُتب التفسير في جانبٍ من الجوانب، إما بمدحٍ من خلال التَّنبيهات اللّطيفة على حُسْن التأليف والترتيب، ودِقَّة النَّظر والتحرير، ومدى البَسْط والاستيعاب أو الاختِصار والإيجاز، أو بِذمٍّ من خلال بيان معتَقَد مؤلِّفها، ومسالك إظهار عقيدته فيها، إلى غير ذلك، وهذا التَّقويم الإجمالي هو الغالب على عمل علمائنا المتقدِّمين، وكثيرًا ما تجده في مقدِّمات بعض التَّفاسير[2]، أو كُتُب علوم القرآن

---

(١) القاموس المحيط (نهج).

(٢) مثاله: قول ابن جُزَي الكَلْبي (ت: ٧٤١) في مقدمة تفسيره «التّسهيل لعلوم التّنْزيل» (ص٦٤): «... وأما ابن عطيَّة، فكتابه في التفسير أحسن التآليف وأعْدَلها، فإنه اطَّلع على تآليف من كان قبله، فهذَّبها ولخَّصها، وهو مع ذلك: حَسَن العِبارة، مسدَّد النَّظر، مُحافظ على السُّنة، .... ومما بأيدينا من تآليف أهل المشرِق؛ تفسير أبي القاسم الزَّمخشري وأبي الفضل الغَزْنوي وأبي الفضل ابن الخَطيب. فأما الزَّمَخشري: فمسدَّد النَّظر، بارع في الإعراب، مُتقن في علم البيان، إلا أنه ملأ كتابه من مذهب المعتزلة وشرِّهم، وحَمْل آيات القرآن على طريقتهم، فتكدَّر صفوُه، وتَمَرَّرَ حلوُه، فَخُذْ منه ما صَفَا، ودع ما كَدَرَ. وأما الغَزْنوي: فكتابه مختَصَر، وفيه من التصوُّف نُكَت بديعة. وأما ابن الخَطيب: فتضمَّن كتابه ما في كتاب الزَّمخشري، وزاد عليه إشباع في قواعد علم الكلام، ونَمَّقَه بترتيب المسائل، وتدقيق النَّظر في بعض المواضع، وهو على الجُملة كتاب كبير الجِرْمِ؛ ربما يحتاج إلى تلخيص. والله ينفع الجميع بخدمة كتابه، ويجزيهم أفضل ثوابه».

المبسوطة، وعملهم هذا أصل لما يُسمَّى اليوم بـ(مناهج المفسرين)، لكن المعاصرين أطَّروه بأُطُر بَحثيَّة معاصرة، وأضافوا إليه إضافات مهمَّة، وجعلوا له قواعد وأُسُسًا خاصَّة، وأفردوه كعلم مستقِلٍّ له مسائله النَّظرية، ومعالمه التطبيقيَّة، ومصنَّفاته الخاصَّة، التي من أبرزها: كتاب «التَّفسير والمفسِّرون» للدكتور محمد حسين الذَّهبي (ت: ١٣٩٧) الذي صار عُمدة الكاتبين في مناهج المفسِّرين. ومن الكتب الأخرى:

٢- التَّفسير ورجاله، محمد الفاضل بن عاشور (ت: ١٣٩٠).

٣- المفسِّرون: مناهجهم واتّجاهاتهم. أ.د. فضل حسن عباس (ت: ١٤٣٢).

٤- أصول التَّفسير ومناهجه، أ.د. فهد بن عبد الرحمن الرومي.

٥- تعريف الدَّارسين بمناهج المفسِّرين، أ.د. صلاح الخالدي.

وقد كان من آثار تأصيل هذا العلم: تطبيق مسائله وأصوله على كُتب التَّفاسير من خلال الأُطروحات العلميّة الجامعية، حتى لا تكاد تجِد تفسيرًا إلا ودُرِس منْهَجه.

موضوعات دراسة منهج المفسِّر[1]:

تشمل دراسة منهج مفسِّر الموضوعات التَّالية:

أولًا: العوامل المؤثِّرة في تفسير المفسِّر: تتضمَّن: (مكانة المفسِّر العلمية، مذهبه الفقهيّ والعقديّ، عصر المؤلِّف، مصادره في التَّفسير، كيفيَّة تعامله مع أقوال المفسِّرين).

ثانيًا: طريقته في تأليف كتابه: تتضمَّن: (ترتيب الكتاب، أسلوب كتابة التفسير، أبرز العلوم التي تميَّز بها وقصدها في كتابه، كيفيَّة تعامله مع مصادر التَّفسير).

ثالثًا: قيمة التَّفسير العلميَّة: تتضمَّن:

أ) **مميَّزاته وحسَنَاته** (كحُسْن الترتيب، وحُسْن التَّعبير، والقواعد العلميَّة التي يسير عليها المفسِّر، والترجيح عنده، وآراؤه في أنواع علوم القرآن، وأثره في من بَعْدَه).

ب) **المآخِذ علَيْه** (مثل: مخالفة أصول معتبَرة، أو مخالفة منهجه الذي ارتضاه، أو الإكثار مما ليس من علوم التَّفسير في كتابه، أو الخلَل في التَّنْظيم والتَّرتيب، وغيرها من المآخذ الفنِّية والعلميَّة).

---

(١) ينظر: مذكرة في أصول التفسير ومناهجه للأستاذ الدكتور مساعد الطيار (غير مطبوعة).

أساليب كتابة التَّفسير:

من موضوعات مناهج المفسِّرين التي يذكرها بعض المعاصرين: أساليب كتابة التفسير، وهي أربعة أساليب[1]: الأسلوب التَّحليلي، والأسلوب المقارن، والأسلوب الإجمالي، والأسلوب الموْضوعي، ويُعرف بالتَّفسير الموْضوعي.

أما **الأسلوب التَّحليلي**: فهو التَّفسير الذي يستَوْعب ما قيل في الآية، ويناقش ما فيها من معاني ألفاظ وإعراب وقراءات وأحكام وأقوال ونحو ذلك.

وأما **الأسلوب المقارن**: فهو الموازنة بين أقوال المفسرين لإخراج الراجح من المرجوح.

وأما **الأسلوب الإجمالي (أو الجُمْلي)**: فهو أن يفسِّر المفسر الآية جُمْلةً واحدةً، دون تفكيك ألفاظها وتفسيرها لفظًا لفظًا كما في التَّفسير التحليلي[2].

وأما ما يُسمَّى **بالتَّفسير الموْضوعي** فإنه أسلوب معاصر[3]، ويُعرَّف بأنه: «بيان موضوع ما من خلال آيات القرآن الكريم في سُورةٍ واحدةٍ أو سُوَر متَعَدِّدة»[4]، وذكر بعض من كَتَب فيه أنه ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

الأول: دراسة موضوع من خلال القرآن، مثل: الجهاد في القرآن.

ثانيًا: دراسة لَفْظةٍ أو مصْطَلَح من خلال القرآن، مثل: ﴿الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ في

---

(١) ينظر: بحوث في أصول التفسير ومناهجه (ص ٥٧).

(٢) والواقع أن هذه تقسيمات فنية ليس لها أي أثر علمي من حيث مدى التزام المفسرين بأحدها، فكثيرا ما تجد هذه الأنواع الثلاثة في الكتاب الواحد مع شيء من التداخل خصوصا التفاسير المطولة، ولكن تتفاوت مقاديرها حسب منهج المفسر، ومن ذلك تفسير ابن جرير الطبري، فهو أحياناً يحلل الآية، ثم يذكر المعنى الجُملي لها، ثم يذكر أقوال السلف ثم يرجح، ففيه تحليل، وفيه معنى إجمالي، وفيه أيضاً مقارنة وموازنة، لكن قد توجد تفاسير تكاد تكون كلها ذات أسلوب جُملي كتفسير السعدي، والتفسير الميسر، والتفسير المختصر، ولكنها قليلة جدا. وينظر: مذكرة في أصول التفسير ومناهجه.

(٣) ويرى البعض أن لَبِنات هذا اللون من التفسير ظهرت عند المتقدمين وذلك في بعض علوم التفسير، كتفسير القرآن بالقرآن، وأحكام القرآن، والوجوه والنظائر، ومشكل القرآن، ونحوها. ينظر: مباحث في التفسير الموضوعي (ص ١٧)، بحوث في أصول التفسير ومناهجه (ص ٦٣).

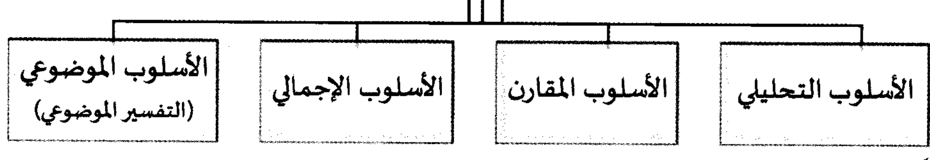
(٤) ينظر: مباحث في التفسير الموضوعي (ص ١٦).

القرآن، أو يأخذ لَفْظة مثل لَفْظة: ﴿ءَامَنُوا﴾ في القرآن، فيدرسُها كصيغة.

ثالثًا: دراسة موْضوع من خلال سورة، مثل: غَزْوة بَدْر من خلال سورة الأنفال، أو غَزْوة تبوك من خلال سورة التوبة... وهكذا[١].

وللتفسير الموضوعي ضوابط محدَّدة مذكورة في كتب التفسير الموضوعيّ التأصيليَّة.

أساليب كتابة التفسير



اتَّجاهات المفسِّرين:

من المصطَلحات التي ظهرت عند المعاصرين (اتجاهات التَّفسير) أو (اتّجاهات المفسِّرين)، وهو غير (مناهج المفسِّرين)، فما المراد باتجاهات المفسِّرين؟

الاتِّجاه مأخوذ من مادة (وجه)، أي: الوَجْه الذي تقْصِده[٢]، كما قال تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا﴾ [البقرة: ١٤٨]، واتَّجه إلى كذا؛ أي: قَصَده وذهب إليه.

والمقصود بالاتِّجاه في التفسير: **المسْلَك العِلْميّ الذي قَصَد المفسِّر إبرازه في تفسيره**. وقد يكون للمفسِّر أكثر من مقْصِد، وهو يؤلِّف تفسيره.

والمقصود أن بعض المفسِّرين توجَّهَ إلى إبراز علم من العلوم، أو إبراز مذهبه، فيُسمَّى هذا اتجاه، ويمكن تقسيم **الاتِّجاهات إلى قِسمَين عامَّين**[٣]:

القِسم الأوَّل: **الاتِّجاه العلمي**، ويشمل: الاتِّجاه الأثري، والاتِّجاه النَّحوي، والاتّجاه البلاغي، والاتّجاه اللُّغوي، ونحوها. وسيأتي توضيح بعضها في الفصْل التالي.

القِسم الثاني: **الاتِّجاه المذْهَبي**، ويشمل:

١ ـ الاتجاه الفِقهي؛ كالاتِّجاه الحنَفيّ والمالكي والشَّافعي والحنْبلي وغيرها.

---

(١) ينظر: المرجع السابق (ص ٢٣-٢٩).

(٢) ينظر: لسان العرب (١٣/ ٥٥٧) مادة (وجه).

(٣) ينظر: مذكرة في أصول التفسير ومناهجه.

٢ ـ الاتجاه العَقَدي؛ كالاتِّجاه المعتَزِلي والرَّافضي والصوفي والباطني وغيرها.

متى ظهرت هذه الاتِّجاهات؟

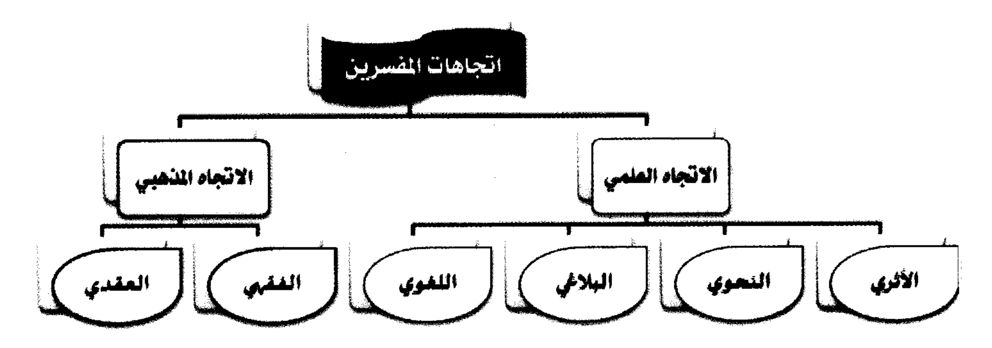
إن ظهور الاتجاهات مرتَبط بتاريخ التفسير، والأصل أنَّ هذه الاتجاهات ظَهَرت مع بدايات ظهور التفسير؛ لأن الاتِّجاهات تخرج من المعلومات التي يذكرها المفسِّر في تفسيره، غير أن الذي غلب على أسباب ظهور الاتجاهات أمران:

الأول: ظهور المذاهب (العقَديَّة والفقهيَّة)، وكان لهما أثر في اختلاف اعتماد المصادر، وهو جزء مما سيبرزه البحث في اتجاهات التفسير.

الثاني: تكوُّن العلوم الإسلامية (الفقه والنحو والبلاغة واللُّغة).

وهذا يعني أنه عند البحث في تفسير السَّلف (الصحابة والتابعين وأتباعهم)؛ لن يخرج من الاتِّجاهات ما سيخرج في تفسيرات من بعدهم، فعلى سبيل المثال: الاتّجاه النَّحوي: لا تكاد تجد ذكر لمعلومات النَّحو في تفسيرات السَّلف؛ وذلك لأنّ هذا العلم كانت بدايته الفعليَّة في جيل أتباع التَّابعين، وقد ظهر في كُتُب (إعراب القرآن)، وكُتُب (معاني القرآن)، والتأليف فيهما كان في أواخر عصر أتباع التابعين، ثمَّ دخل هذا العلم في كتب التَّفسير بدءاً بتفسير ابن جرير الطبري (ت:٣١٠).

وختامًا يحسُن التَّنَبُّه إلى أن بعض هذه الاتجّاهات لا أثَرَ له في صُلْب التفسير، بل هي تأتي بعد بيان المعنى؛ ككثير من الاستنْباطات العلميَّة، وهذه وإن كانت ليسَتْ من صُلب التفسير إلا أن لها أثرًا في منْهج المؤلِّف وكتابه.



رابعًا: علم أحكام القُرآن

المراد بأحْكام القرآن:

من اتّجاهات التَّفسير الاتّجاه الفقهي، والمراد به قَصْدُ المفسِّر في تفسيره إبراز الأحكام الفقهيَّة التي تدلُّ عليها آيات القرآن، وهو ما عُرف بأحكام القرآن، ويُسمِّيه البعض التَّفسير الفقهي[(١)].

ويمكن **تعريف علم أحكام القرآن** بأنَّه: العلم الذي يُعنى بِبَيان الأحكام الشَّرعيَّة التي تدلُّ عليها آيات القرآن نصًّا، أو استنْباطًا.

عدد آيات الأحْكام في القرآن وأقسامها:

اجتَهد العلماء في عدِّ آيات الأحكام واختَلفوا في ذلك، فقيل: مائةٌ وخمسون آيةً، وقيل: خَمْس مِائة آية، وهو أشهر ما قيل في عددها[(٢)]، وعلَّل الزركشي هذا القول باحتمال أن يكون مرادهم الآيات الصَّريحة في الأحكام، وإلا ففي آيات القَصَص والأمثال وغيرها ما يُستَنْبط منها كثير من الأحكام[(٣)].

ومن هنا يتبيَّن لنا أن آيات الأحكام من حيث دلالتها على الأحكام قِسْمان:

١- آياتٌ صريحةٌ في الأحكام، فتُؤخذ الأحكام من تفسير الآية الظاهر.

٢- ما تُؤخذ منها الأحكام بطريق الاستِنْباط[(٤)].

وتقدَّم معنا في أول الفصل أن الاستِنْباط من الآيات القرآنية هو استخراج المعاني المترتِّبةِ على المعنى المرادِ من الآية بطريقٍ صحيح، وأنه مرتَبَةٌ تأتي بعد مرتبة التفسير.

---

(١) ينظر: تفاسير الأحكام ومناهجها (١/٣٩).

(٢) قال الشيخ محمد الخضر حسين: «واقتصروا في تقديرها على هذا العدَد لأنهم رأوا مقاتل بن سليمان -وهو أوَّل من أفرد آيات الأحكام في تصنيف- قد جعلها خمس مائة آية». ينظر: تفاسير آيات الأحكام (١/٤٧).

(٣) البرهان (٢/٣٢٠). وينظر: الإتقان (٦/ ١٩٢٨).

(٤) ونقل الزرَّكشي عن العزِّ بن عبد السلام أنها نَوْعان: ما يُستَنبط من غير ضميمةِ آيةٍ إلى أخرى، وما يُحتاج إلى الضمِّ إلى غيره. ينظر: البرهان (٢/٣٢٠).

مثالٌ لقِسْمي الآيات من حيث دلالتها على الأحكام: في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ۝ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾ [المؤمنون: ٥ - ٧، المعارج: ٢٩ - ٣١].

- الحكم الصَّريح في الآيات: إباحة قضاء شَهْوة النكاح بطريقَين: الزَّواج ومُلْك اليمين، وتحريم ما سوى ذلك.

- حُكْم مستَنْبط من الآيات: قال ابن كثير: «استدلَّ الإمام الشَّافعي رَحِمَهُ اللَّهُ ومن وافقه على تحريم الاستِمْناء باليدِ بهذه الآية الكريمة ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ۝ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾ قال: فهذا الصَّنيع خارج عن هَذين القِسمَين، وقد قال: ﴿فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾»[١].

مما مضى يتبين لنا أن **آيات الأحْكام** هي: الآيات التي تدلّ على الأحكام الشَّرعيَّة نصًّا، أو استنباطًا.

نشْأة علم أحْكام القرآن وتدْوينه[٢]:

مَرَّ تفسير أحكام القرآن بمرحلتَين أساسيَّتَيْن:

المرْحَلة الأولى: عهد النُّبوَّة والصَّحابة والتَّابعين: نزل القرآن متضمِّنًا أحْكامًا فقهيَّة تتَّصل بمصالح العباد في دنياهم وأخراهم، وكان الصَّحابة يدرْكون تلك الأحكام ويعملون بها، وما أشْكل عليهم يرجعون فيه إلى الرسول ﷺ، وفي قصَّة عَدِيّ بن حاتم المتقدِّمة مثال صَريح في ذلك[٣].

وبعد وفاة الرسول ﷺ وتوسُّع الفتوحات الإسلامية جَدَّت حوادث اقتَضَت اجتهاد الصحابة في الفتاوى والأقضيَة، وكان اعتمادهم في استنْباط الأحكام الشرعيَّة على القرآن ثم السُّنَّة، فإن لم يجدوا فيهما اجتهدوا برأيهم، وهم في تلك الحال قد يُجمِعون على الحكم المستَنْبَط، وأحيانًا قد يختلِفون في فَهْم الآية، وبالتالي اختلافهم في الحُكْم

---

(١) تفسير ابن كثير (٥/ ٤٦٣)، وينظر: المرجع السابق.

(٢) ينظر: تفاسير الأحكام ومناهجها (١/ ٤٠-٤٤).

(٣) ينظر: ص١٩١ ح٣.

المترتِّب عليه، ومن أوْضح الأمثلة على ذلك اختلافهم في معنى (القَرْء) في قوله تعالى: ﴿ وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ ﴾ [البقرة: ٢٢٨] أهو (الحيْضَة) أم (الطُّهْر)؟ مما ترتَّب عليه اختلافهم في عِدَّة المطلَّقة.

وكان هذا الخلاف في فَهْم نصوص القرآن هو نواة الخلاف في فَهْم آيات الأحكام. ومن هنا لا يكاد يخلُو تفسير أيٍّ من مفسِّريِّ السَّلف من بيان أحكام القرآن، لكن هذا الاختلاف لم يكن ظاهرةً واضحةً، وبالتالي لم يظهر الاتجّاه الفقهي في تفسيرهم.

المرحلة الثانية: مرحلة المذاهب الفقهيَّة: في القرن الثاني الهجري ظَهَرت المذاهب الفقهيَّة، التي كان أَوَّل فقهائها المعتبَرين أبا حَنِيفة النُّعمان (ت: ١٥٠)، ثم مالك (ت: ١٩٣)، ثم الشَّافعي (ت: ٢٠٤)، ثم أحمد بن حنْبل (ت: ٢٤١). لكن مع اختلافهم في الأحكام لم يظهر التعصُّب للمذْهب؛ بل كانوا ينبذونه ويَدْعون للتَّمسُّك بالحق والدليل. واستمرَّ ذلك الاعتدال حتى ظهر من بعدهم خَلْفٌ سَرَت فيهم رُوح التَّقليد والتعصُّب للأئمَّة والمذْهَب، وكان من أثر ذلك التعصُّب أن نظر بعضهم إلى آيات الأحكام فأوَّلها وفْق مذهبه؛ إلا أنه مع ذلك فقد ظهر فقهاء أئمَّةٌ أعلامٌ منْصِفون يتَّبعون الدليل، وينبُذون التعصُّب، ويُرجِّحون القول ولو خالف المذْهب.

والخلاصة أنه مع ظهور هذه المذاهب الفقهيَّة وتكوُّن مدارسها وتعدُّد أتباع كل منها= برز الاتجاه الفقهيُّ في تدوين التفسير بشكل واضح، وقد كان هذا الاتجاه الفقهي في التفسير على ضَرْبَين:

الأوّل: ألّا يقصد المفسِّر إبراز الأحكام الفقهيَّة، لكنه سيعرض للأحكام القرآنية من خلال تفسيره بلا شكٍّ، ومن هنا سيظهر أثَر مذهبه من خلال تفسيره آيات الأحكام، كما هو الحال في بعض كتب التفسير المطوَّلة كتفسير الطبري، وابن عطيَّة.

الثاني: أن يكون إبراز الأحكام الفقهية من مقاصد تفسيره، إما يكون ذلك أثناء تفسيره للقرآن كاملًا، وذلك بالتوَسُّع والاستطراد في ذكر مسائل الأحكام المتعلِّقة بالآية وإن لم تُشِر إليها، وهذا النَّوع قليل في التَّفاسير، ومن أشهرها كتاب «الجامِع لأحكام القرآن» للقُرْطِبّي (ت: ٦٧١).

أو بتخصيص كتاب في أحكام القرآن، يقتَصِر فيه على تفسير آيات الأحكام فحسْب، وهو الأغلب في كُتُب أحكام القرآن.

أبرز المصنَّفات في أحكام القرآن

ألّف العلماء في هذا العلم قديمًا، وكان من أوائلهم مقاتِل بن سُليمان (ت:١٥٠) بكتابه «تفسير الخَمْس مائة آية من القرآن في الأمر والنَّهي والحلال والحرام»[١]، ثم تتابعت المؤلَّفات بعد ذلك بحسب المذاهب الفقهية، ومن أبرز ما طُبع منها:

في المذهب الحنفي:

١- أحْكام القُرآن، لأبي جعْفر الطَّحاوي (ت: ٣٢١).

٢- أحْكام القُرآن، لأبي بكر الرَّازي الجصّاص (ت: ٣٧٠).

وفي المذهب المالكي:

٣- أحْكام القُرآن، لأبي بكر ابن العَرَبيّ (ت: ٥٤٣).

٤- أحْكام القُرآن، لعبد المنعم ابن الفَرَس الأندلُسِي (ت: ٥٩٧).

٥- الجامع لأحْكام القرآن، للقُرْطِبي (ت: ٦٧١).

وفي المذهب الشافعي:

٦- أحْكام القُرآن للشَّافعي، جمع أبي بكر البَيْهَقي (ت: ٤٥٨).

٧- أحْكام القُرآن، لأبي الحسن إلكيا الهرّاسِي (ت: ٥٠٤).

٨- تيسير البَيان لأحْكام القرآن، لابن نُور الدِّين الموزعيّ (ت: ٨٢٠).

ومن كتب المتأخِّرين والمعاصرين:

٩- نَيْل المرام من تفسير آيات الأحكام، لصِدِّيق حسن خان (ت: ١٣٠٧).

١٠- تفسير آيات الأحكام، المنسوب لمحمّد علي السايس (ت: ١٣٩٦).

١١- أحْكام القُرآن، الشيخ محمد ابن عُثَيْمين (ت: ١٤٢١).

١٢- روائع البيان في تفسير آيات الأحْكام، محمد علي الصَّابوني.

---

(١) وصلنا في مخطوطةٍ وحيدةٍ له، وحُقِّق أكثر من تحقيق، وطُبع مؤخَّرا في العراق طبعةً محدودةً.

وللسُّيوطي (ت: ٩١١) «الإكليل في استِنْباط التنْزيل» وهو كتاب لطيف في استِنْباط عموم العلوم من القرآن، وليس مختصًّا بالأحكام الفقهية.

منهج ترتيب كتُب أحكام القرآن وما يُلحَظ عليها:

جَرَى ترتيب كُتُب أحكام القرآن على منهَجَيْن:

الأول: التَّرتيب على الموضوعات الفقهيَّة، وعلى هذا سار مُقاتل بن سليمان، وأبو جعفر الطَّحاوي، والبيهقيُّ.

الثاني: التَّرتيب على سُوَر القرآن، وعلى هذا أغلب المصنِّفين في أحكام القرآن كالجصَّاص، وابن العربيّ، وإلكيا الهراسيّ.

ومن أبرز ما يُلحَظ على هذه الكتب ما يلي(١):

١- ظهور التعصُّب المذهبي على بعض أصحابها، بل قد يتعدَّى الأمر إلى غَمْط المخالف والاستطالة عليه بما لا داعي له، وإن كان بعضهم أظهر اعتدالًا وإنصافًا كالقُرطبيّ.

٢- الأصل أن المفسِّر معنيٌّ بمعرفة الحُكْم المنصوص عليه في الآية، فإذا مرَّ به حُكْم فسَّره، وبين الحكْم الشَّرعي في ذلك. لكن ظهر في منْهج بعض من حَرِص على ذكر أحكام القرآن من المفسِّرين أو من كُتُب في أحكام القرآن خاصة = الاستطراد في ذكر المسائل المتعلِّقة في حكم الآية وإن لم تُشِرْ إليها(٢).



(١) ينظر: أنواع التَّصنيف المتعلِّقة بتفسير القرآن (ص١٣٣- ١٣٧).

(٢) وقد أشار إلى ذلك بعض المفسِّرين كأبي حيّان (ت: ٧٤٥) حيث قال في تفسيره البحر المحيط (١/ ٣٢): «وقد تعرض المفسِّرون في كتبهم لحُكم التَّسمية في الصلاة، وذكروا اختلاف العلماء في ذلك، وأطالوا التَّفاريع في ذلك، وكذلك فعلوا في غير ما آية، وموضوع هذا كُتب الفقه، وكذلك تكلَّم بعضهم على التعوُّذ، وعلى حُكْمه، وليس من القرآن بإجماع، ونحن في كتابنا هذا لا نتعرَّض لحُكم شرعيٍّ، إلا إذا كان لفظ القرآن يدلُّ على ذلك الحكم، أو يمكن استنْباطه منه بوجهٍ من وجوه الاستِنْباطات».

خامسًا: عِلْم النَّاسِخ والمنْسُوخ في القُرآن

مفهوم النَّسْخ:

النَّسْخ لُغةً(١): يُطلق على الإزالة، ومنه قوله تعالى: ﴿فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ [الحج: ٥٢]، أو النَّقل، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الجاثية: ٢٩].

النَّسْخ اصطلاحًا:

النسخ على **اصطلاح المتأخِّرين**: رَفْع حُكم دليلٍ شَرعيٍّ، أو لَفْظه، بدليلٍ من الكتاب أو السُّنَّة(٢).

مثال ذلك: قوله تعالى: ﴿وَٱلَّٰتِى يَأْتِينَ ٱلْفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمْ فَٱسْتَشْهِدُوا۟ عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنكُمْ ۖ فَإِن شَهِدُوا۟ فَأَمْسِكُوهُنَّ فِى ٱلْبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا ﴿١٥﴾ وَٱلَّذَانِ يَأْتِيَٰنِهَا مِنكُمْ فَـَٔاذُوهُمَا ۖ فَإِن تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا۟ عَنْهُمَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ١٥ - ١٦]؛ نُسخ بقوله تعالى: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور: ٢]. قال ابن الجَوْزي (ت: ٥٩٧): «فدلَّت الآية الأولى على أنَّ حدَّ الزانية في ابتداء الإسلام الحَبْس إلى أن تموتَ أو يجعلَ اللهُ لهنَّ سبيلاً، وهو عامٌّ في البِكر والثَّيِّب، والثانية إلى أن حدَّ الزانيَيْن الأذى، فظهر من الآيتَيْن أن حدَّ المرأة الحَبْس والأذى جميعًا، وحَدُّ الرجل كان الأذى فقط، ونُسِخَ الحُكْمان بقوله: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور: ٢]»(٣).

أما النَّسْخ على **اصطِلاح السَّلف والمتقدِّمين** فله معنى أوسع، فهو عندهم رَفْع أيِّ معنى في النَّص بنصٍّ آخر، سواءً كان كليًا لجميع الحكم كما في اصطلاح المتأخِّرين، أو جُزئيًّا كرفع العُموم بالتَّخصيص، ورفع الإطلاق بالتَّقييد، ورفع الإجمال بالبيان،

---

(١) ينظر: الإتقان (٤/١٤٣٥).

(٢) ينظر: الأصول من علم الأصول، لابن عثيمين (ص٥١).

(٣) المصفى في علم الناسخ والمنسوخ (ص٢٦).

والرفع بالاستِثناء[١]. فالسَّلَف كانوا يُطلقون على كل هذه الأنواع مسمَّى النَّسخ بلا تفرِقة؛ لذا يحتاج المتأمِّل في كلامهم إلى إعمال النَّظر فيه، ومعرفة أي أنواع النَّسخ مرادهم[٢].

من **أمثلة ذلك**: ما رُوي عن ابن عباس أنه قال في قوله تعالى: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا﴾ [الإسراء: ١٨]: إنه ناسخ لقوله تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْـَٔاخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ﴾ [الشورى: ٢٠]، قال الشاطبي (ت:٧٩٠): «وهذا على التَّحقيق تقييد لمطلَق؛ إذا كان قوله: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا﴾ مطلقًا، ومعناه مقيَّد بالمشيئة، وهو قوله في الأخرى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْـَٔاخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ﴾...»[٣].

أهميَّة علم النَّاسخ والمنسوخ والحِكْمة منه:

لمعرفة النّاسخ والمنسوخ أهميَّة كبيرة عند أهل العلم من الفقهاء والأصوليِّين والمفسِّرين حتى لا تختَلط الأحكام، ولذلك وَردت آثارٌ كثيرة في الحثِّ على معرفته، من ذلك ما رُوي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه مر بقاصٍّ يقصُّ في المسجد فقال له: أتعرف النَّاسخ والمنسوخ؟ قال: لا، قال: هَلَكْتَ وأهْلَكْتَ[٤].

وتعظُم تلك الأهميَّة من خلال المعنى الواسع في اصطِلاح السَّلف، بل هو ألْصق بعلم التَّفسير، ومن أبرز العلوم التي يحتاج إليها المفسِّر[٥].

---

(١) ينظر: الموافقات، (٣ / ٣٤٤)، البرهان (٢/ ٤٤)، مفهوم النسخ عند المتقدمين والمتأخرين: نظرة تقويمية، أ.د. مساعد الطيار، مجلة تبيان، ع١٨ (ص٢٧٥).

(٢) ومن هنا أخطأ كثير من المفسِّرين في اعتراضهم على حكم بعض السلف على آيات في الأخبار أنها منسوخة، وذلك لأنهم حملوا ألفاظ السلف على المصطلحات المتأخرة. ينظر: المرجع السابق.

(٣) الموافقات (٣/ ٣٤٥).

(٤) ينظر: البرهان (٢/ ٢٩). قال الذهبيُّ في سير أعلام النبلاء (٤/ ٢٧٥): «قد كان القاصُّ في الزمن الأول يكون له صورة عظيمة في العلم والعمل».

(٥) ينظر: الموافقات، (٣ /٣٤٤)، البرهان (٢/ ٤٤)، مفهوم النَّسخ عند المتقدِّمين والمتأخِّرين: نَظْرة تقويميَّة (ص٢٧٥)، التحرير في أصول التفسير (ص٢١٨).

كما أن لورود النَّسخ في مسائل الشرع حِكم عَدِيدة من أهمِّها[١]:

١- مراعاة مصالح العباد، وذلك بتشريع حُكْم في حينٍ وتشريع غيره في حينٍ آخر بما يوافقها.

٢- ابتلاء المكلَّف واختباره بالامتِثال وعدمه.

٣- إرادة الخيْر للأمَّة والتَّيسير عليها؛ لأن النَّسخ إن كان إلى أشقَّ ففيه زيادة الثواب، وإن كان إلى أخَفَّ ففيه سهولة ويُسر.

شروط النَّسْخ[٢]:

من خلال ما أورده الأصوليّون نستَخلِص أن لتحقُّق النَّسخ أربعة شروط:

١- أن يكون الحكم المنسوخ شرعيًّا.

٢- أن يكون دليل رفع الحكم دليلًا شرعيًّا.

٣- أن يكون هذا الدليل الرافع متراخيًا عن دليل الحكم الأوّل غير متَّصل به.

٤- أن يكون بين هذين الدَّليلَين تعارض حقيقيّ بحيث لا يمكن الجَمْع بينهما.

ما يقعُ به النَّسْخ[٣]:

من خلال تعريف النَّسخ يتبين لنا أنه يقع بالقرآن وبالسُّنَّة، وعلى هذا يتحصَّل لدينا أربعة أقسام:

١- **نسْخ القرآن بالقرآن:** وهو متَّفق على جواز وقوعه، وسيأتي بيان أنواعه وأمثلته.

٢- **نسخ السُّنَّة بالقرآن:** الجمهور على جواز وقوعه، ومن أمثلته: استقبال بيت المقدِس في الصلاة الذي ثَبَت في السُّنّة دون القرآن، وقد جاء نسخُه بالقرآن في قوله تعالى: ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ﴾ [البقرة: ١٤٤].

٣- **نسْخ القرآن بالسُّنّة:** والجمهور على عَدَم جواز وقوعه؛ إلا أن تكون السُّنّة متواترة، على خلاف في ذلك.

---

(١) ينظر: التحرير في أصول التفسير (ص٢١٨-٢٢١).

(٢) ينظر: مناهل العرفان (١/١٦٦).

(٣) ينظر: الإتقان (٤/١٤٣٦)، مناهل العرفان (٢/٢١٦)، مباحث في علوم القرآن (ص٢٣٦).

٤ - **نسْخ السُّنَّة بالسُّنَّة**: اتُّفق على جواز وقوعه؛ إلا نسخ السُّنَّة المتواتِرة بالسُّنَّة الآحاد فالجمهور على عدَم جواز وقوعه.

أما النَّسخ بما سوى الكتاب والسُّنة كالإجماع والاجتهاد فالصَّحيح عدم جوازه.

أنواع النَّسخ في القرآن:

النّسخ في القرآن ثلاثة أنواع، وذلك باعتبار بقاء التلاوة والحكم؛ كما يلي:

١- **نَسْخ الحُكْم مع بقاء التلاوة**: مثاله: نسْخ الحُكم في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِۚ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُواْ مِاْئَتَيْنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ يَغْلِبُوٓاْ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴾ [الأنفال: ٦٥] بقوله تعالى بعده: ﴿ ٱلْـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًاۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُواْ مِاْئَتَيْنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓاْ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [الأنفال: ٦٦].

قال السُّيوطي: «وهذا الضَّرب هو الذي فيه الكُتُب المؤلَّفة، وهو على الحقيقة قليل جدًّا، وإن أكْثرَ النّاسُ من تِعداد الآيات فيه»[١]. ثم استعرض ٢١ آيةً منْسوخة ذَكر أنّه لا يَصِحّ دعوى النَّسخ في غيرها على خلافٍ في بعضها[٢].

٢- **نسْخ التِّلاوة مع بقاء الحُكْم**: من أشهر أمثلته حُكْم الرَّجم للزاني المحْصَن، وقد نزل فيه قرآن ثم رُفع لفظه، وبقيَ حكمه، وفي ذلك أخرج البخاري ومسلم حديث عبد الله بن عباس ﵄، أنه سمع عمر بن الخطاب يقول على المنبَر: «إن الله بعث محمّدًا ﷺ بالحقّ، وأنزل عليه الكتاب، فكان مما أنْزَل الله آية الرَّجم، فقرأناها وعقلناها ووَعَيْناها، رَجَم رسول الله ﷺ ورَجَمنا بعده، فأخشى إن طال بالنَّاس زمان أن يقول قائل: والله ما نَجِد آية الرَّجْم في كتاب الله، فيَضلُّوا بتَرْك فريضة أنْزلها الله، والرَّجم في كتاب الله حَقٌّ على من زَنى إذا أحصَن من الرِّجال والنِّساء، إذا قامت البيِّنة، أو كان الحَبَل أو الاعتراف [زاد ابن ماجه في روايته: «وقد قرأْتُها: (الشَّيْخ والشَّيْخة إذا زَنَيا

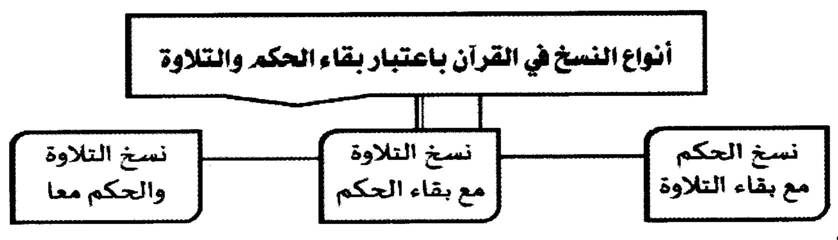
---

(١) ينظر: الإتقان (٤/ ١٤٤١).

(٢) ينظر: المرجع السابق (٤/ ١٤٤٣- ١٤٤٨).

فارجُموهما البَتَّة)[١]] . ثم إنا كنا نقرأ في ما نقرأ من كتاب الله: (أن لا تَرْغبُوا عن آبائكم، فإنَّه كُفْرٌ بِكُم أن ترغَبوا عن آبائِكُم)، أو (إنَّ كفرًا بكم أن ترغَبوا عن آبائِكم))»[٢]. وقد تضمَّن هذا الحديث -كما ترى- آيتَيْن مما نُسخت فيهما التِّلاوة وبقيَ الحُكم.

٣- **نسْخ التِّلاوة والحُكْم معًا: مثاله:** نَسْخ الرَّضَعات العَشْر التي تُحرِّم ما يحرُم بالنَّسب، وذلك في حديث عائشة رضي الله عنها، أنها قالت: «كان في ما أُنزل من القرآن: عَشْر رَضَعات معلومات يُحرِّمن، ثم نُسخْن، بخَمسٍ معلومات، فتُوفِّي رسول الله ﷺ، وهُنَّ في ما يُقرأُ من القُرآن»[٣].



طُرُق معرفة النَّاسخ والمنْسوخ:

القَوْل بوقوع النَّسخ لآيَةٍ في كتاب الله أمرٌ عَظيم لا يجوز إلا بيَقين، قال أبو جعْفر النحَّاس (ت: ٣٣٨): «ولا يُقال منسوخٌ لما ثبَت في التَّنْزيل وصحَّ فيه التَّأويل إلا بتَوْقيف أو بدليلٍ قاطع»[٤]، لذا ذَكر أهل العلم أن طُرُق معرفة النَّاسخ والمنسوخ هي[٥]:

(١) سنن ابن ماجه (٢/ ٨٥٣) (٢٥٥٣). وفي مسند أحمد (٣٥/ ١٣٤) (٢١٢٠٧) عن زرّ قال: قال لي أُبَيّ بن كعب: كأيِّن تقرأ سورة الأحزاب؟ أو كأيِّن تعدها؟ قلت: له ثلاثًا وسبعين آية، فقال: قَط! لقد رأيتُها وإنها لتعادل سورة البقرة، ولقد قرأنا فيها: (الشَّيخ والشَّيخة إذا زَنَيا فارجُمُوهُما البتَّة نَكالًا منَ اللهِ واللهُ عَليمٌ حَكيمٌ).

(٢) صحيح البخاري (٨/ ١٦٨) (٦٨٣٠)، وصحيح مسلم (٣/ ١٣١٧) (١٦٩١).

(٣) أخرجه مسلم (٢/ ١٠٧٥) (١٤٥٢). قال السيوطي: «وقد تكلَّموا في قولها: «وهنَّ مما يُقرأ» فإن ظاهره بقاء التِّلاوة، وليس كذلك، وأُجيب بأن المراد: قارَب الوفاة، أو أن التّلاوة نُسخَت أيضًا ولم يبلُغ ذلك كلَّ الناس إلا بعد وفاة رسول الله ﷺ، فتُوُفّي وبعض النّاس يقرؤها». الإتقان (٤/ ١٤٤٠).

(٤) الناسخ والمنسوخ للنحاس (ص٣٥٥).

(٥) ينظر: مباحث في علوم القرآن (ص٢٣٤)، دراسات في علوم القرآن (ص٤٠٨)، المقدمات الأساسية في علوم القرآن (ص٢٥٥).

١- أن يأتي في أحد النَّصَّين ما يدلُّ على النَّسخ، مثاله ما تقدَّم من نسخ الحُكْم في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ﴾ الآية [الأنفال: ٦٥] بالآية بعده: ﴿ٱلْـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ﴾ [الأنفال: ٦٦].

٢- أن يُعرف المتقدِّم من المتأخِّر في التاريخ.

٣- إجماع الأمة على أن هذا ناسخ وذاك منسوخ.

ولا يُعتَمَد في النَّسخ على الاجتهاد، أو قول المفسِّرين، أو التَّعارض بين الأدلَّة ظاهرًا، أو تأخُّر إسلام أحَد الرَّاويَيْن.

مصادر النَّاسخ والمنسوخ وأبرز المصنَّفات فيه[1]:

تحصيل ناسخ القرآن ومنسوخه يكون بالرجوع إلى الكُتُب، وخاصة كُتُب تفسير السَّلف وكتُب النَّاسخ والمنسوخ، وقد دُوِّنت في وقت مبكِّر جدًّا وذلك في عهد التَّابعين، ومن المطبوع مما أُثر عنهم من مدوَّنات فيه: النَّاسخ والمنسوخ لقتادة (ت: ١١٧)، والزُّهْريّ (ت: ١٢٤)، وقد توالَت المصنَّفات فيه بعد ذلك إلى يومنا، ومن أهَمّ ما طُبع منها:

١- النَّاسخ والمنْسوخ، لأبي عُبَيد القاسم بن سلَّام (ت:٢٢٤).

٢- النَّاسخ والمنْسوخ في كتاب الله ﷻ، لأبي جعْفر النحَّاس (ت:٣٣٨).

٣- الإيضاح لناسخ القرآن ومنْسوخه، لمكِّيّ بن أبي طالب (ت:٤٣٧).

٤- النَّاسخ والمنْسوخ في القرآن الكريم، لابن العَربيّ (ت:٥٤٣).

٥- نواسِخ القرآن، لابن الجَوْزي (ت:٥٩٧).

ومن كتب المعاصرين:

٦- النَّسخ في القرآن الكريم: دراسة تشريعيَّة تاريخيّة نقديَّة، د.مصطفى زيد.

٧- الآيات المنْسوخة في القرآن الكريم، د.عبد الله بن محمد الأمين الشنقيطي.

---

(١) ينظر: أنواع التصنيف المتعلقة بتفسير القرآن (ص١١٤- ١١٧).

سادسًا: عِلْم متَشَابِه القرآن

المتشابِه مصطلح يُطلَق في علوم القرآن على نوْعَين، هما:

١- المتَشابه اللَّفْظي: الذي يُشكِل على حفَّاظ القرآن.

٢- المتشَابه المعْنَوي: الذي يُقابل المحْكَم.

وإليك بيان كلٍّ منهما:

أولا: المتشابِه اللفظي:

المراد بالمتَشابِه اللَّفظي: الآيات القرآنيَّة التي تحوي ألفاظًا متَّفِقةً في صُوَرٍ شتَّى(١).

مثال ذلك آيتا الأمْر بدخول القَرْية في سُورتي البقرة والأعراف، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَٰذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ [البقرة: ٥٨، ٥٩]، ﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُوا هَٰذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ ۚ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٦١﴾ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ﴾ [الأعراف: ١٦١، ١٦٢].

وقد حاول الزرَّكشيّ (ت: ٧٩٤) استخلاص **الحِكْمة العامَّة من ورود هذا النَّوع في القرآن** فقال: «وحِكْمته: التَّصرُّف في الكلام، وإتيانه على ضُروب؛ ليُعلِمَهم عجْزَهم عن جميع طُرُق ذلك؛ مبتدأً به ومتكرِّرًا»(٢).

وقد أفرده بالتَّصنيف كثير من العلماء، وجاءت تصانيفهم فيه على ضَرْبَين:

أ) مصنَّفات تُعنى ببيان مواضع المتَشابه اللَّفظي وكيفيَّة التَّمييز بينها دون توْجِيه، والمقصود منها إعانة حَفَظة القرآن على ضَبْط تلك المواضع التي تَتَشابه عليهم، وتثبيت حفظها، وصَوْنهم عن الوقوع في اللَّبس والخَطأ فيها.

---

(١) ينظر: مشكل القرآن الكريم، د. عبد الله حمد المنصور (ص٢٤٢).

(٢) البرهان (١/ ١١٢).

والتَّأليف في هذا النَّوع قديم، كتَب فيه جماعة من العلماء، منهم: أبو الحسن الكِسائي (ت: ١٨٣)[١]، وأبو الحسين أحمد بن جعْفر بن المنادي (ت: ٣٣٦) وعنوان كتابه «متشابه القرآن العظيم»، ولعلَم الدِّين السَّخاوي (ت: ٦٤٣) منظومة «هداية المُرتاب وغاية الحفَّاظ والطلّاب في متشابِه الكتاب»، وكلُّها مطبوع.

كذلك كان للمعاصرين عناية فائقة بالتَّصنيف في هذا النَّوع، ما بين مختصِر ومتوَسِّع، مع تنوّع في الترتيب والتبويب والتَّقعيد، وهذا نتيجة لما نلمَسه من إقبالٍ كبيرٍ على حِفظ القرآن من مختَلَف فئات المسلمين في هذا العصر.

وهذا النَّوع بهذه الصِّفة مرتَبط بعلم الأداء ولا علاقة له بعلم التَّفسير، طالما أنَّه لا يُعنى بالمعاني وإنما يقتَصر على سرْد الآيات المتشابهات للتَّمييز بينها.

ب) **مصنَّفات تُعنى بتوجيه المتشابه اللَّفظي**، وقد أفرَده بالتّأليف كثير من العلماء، ومن أبرز المطبوع منها:

١- دُرَّة التنزيل وغُرَّة التأويل، للخطيب الإسْكافي (ت: ٤٢٠).

٢- البرهان في متَشابه القرآن، لمحمود بن حَمْزة الكرماني (ت: بعد ٥٠٠).

٣- مِلاك التَّأويل القاطع بذوي الإلحاد والتَّعطيل في توجيه المتَشابه من اللَّفظ من آي التَّنْزيل، لأبي جعْفر بن الزُّبير الغرناطي (ت: ٧٠٨).

ومن أبرز المعاصرين الذين اعتَنَوْا بهذا النَّوع الدكتور فاضل السامرّائي، وله عِدّة كُتُب ولقاءات في ذلك.

علاقة توْجيه المتشابه اللَّفظي بالتَّفسير[٢]:

توجيه المتشابه اللَّفظي من العلوم الصَّعبة التي تحتاج إلى طُول تفكّر ودقَّة نَظَر، وتعتَمد على قرائن سياقيَّة، أو قرائن حاليَّة، أو نظر إلى دلالات الألفاظ ومعانيها، ودقائق البلاغة والتَّعبير فيها، وكلّها مما يحتاج إلى النَّظَر العقلي؛ الذي يكون بعد

---

(١) صدر بعنوان «متشابه القرآن» بتحقيق: د.صبيح التميمي، وكذلك بتحقيق محمد الشعباني، كما صدر بعنوان «مشتبهات القرآن»، بتحقيق: د.محمد محمد داود.

(٢) ينظر: أنواع التصنيف المتعلِّقة بتفسير القرآن (ص١١٤- ١١٧).

المعنى، لكن بعضها يكون مرتبطًا بالمعنى؛ لذا فتوجيه المتشابِه قد يكون من علم التَّفسير، وقد يكون مما وراء التفسير، ومن ثَمَّ لا تخلو كُتُبه من الـمُلَح والطرائف في توْجيه بعض المواطن المتشابهة.

من ذلك ما ورد فيه قوله تعالى: ﴿وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَـٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٠]، وقوله تعالى: ﴿فَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَـٰهُمُ ٱلْأَسْفَلِينَ﴾ [الصافات: ٩٨]، حيث اختلَفت الفاصِلتان مع أنَّهما واردتان في قصَّة تكسير إبراهيم عليه السلام لأصنام قومه، ومناظرته لهم في شأنها، ومما وُجِّه به هذا الاختلاف: أنه في سورة الأنبياء ذكر المكايدة بينه وبين قومه، فقال لهم: ﴿وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَـٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ﴾ [الأنبياء: ٥٧]، وهم أرادوا به كيْدًا فانتهى كَيْده إلى النَّجاح، حيث كَسَر أصنامهم، ونَجَى من نارهم، وانتهى كيدهم إلى الخسران، حيث خسروا أصنامهم، ولم ينتقموا ممن كَسَرها، فناسب ذكر الخسارة سورة الأنبياء.

وفي سورة الصافات ذُكر البُنيان الذي بَنَوْه له، وذلك في قوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ ٱبْنُوا۟ لَهُۥ بُنْيَـٰنًا فَأَلْقُوهُ فِى ٱلْجَحِيمِ﴾ [الصافات: ٩٧]، أي في أسفل البُنيان، فخرج منه معافى لم يُصبْه أذى، فكانوا أحقّ بالسُّفول منه، وفي ذكر السُّفول مناسبة لغرَضهم من هذا البنيان العالي الذي أرادوا أن يجعلوه في أسْفله، والله أعلم(١).

ثانيًا: المتَشابه المعْنَوي:

جاء في وصف القرآن بأنه مُحْكَم كلُّه، كما في قوله تعالى: ﴿كِتَـٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَـٰتُهُۥ﴾ [هود:١]، كما جاء وصْفه بأنه متشَابه كلُّه، وذلك في قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَـٰبًا مُّتَشَـٰبِهًا﴾ [الزمر:٢٣]، كذلك جاء وصفه بأن بعضه مُحكَم وبعضه متَشابِه في قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ مِنْهُ ءَايَـٰتٌ مُّحْكَمَـٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَـٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَـٰبِهَـٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَـٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [آل عمران:٧]، فما معنى المحْكَم والمتشابِه في هذه الآيات؟

---

(١) ينظر: درة التنزيل وغرة التأويل (ص٢٩٩-٣٠٠)، وقد تَبِعه من جاء بعده فذكر معنى كلامه، ينظر: البرهان في متشابه القرآن (ص٢٦٨)، وملاك التأويل (٢/٨٤٢).

أما قوله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ﴾ [هود:١]، وقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا﴾ [الزمر:٢٣]، فلا تعارُض بين الآيَتَيْن، إذ المقصود بالإحكام في الآية الأولى **الإحكام العامّ**، بمعنى: أن الله سبحانه وتعالى قد أحكَم القرآن آيةً آيةً، أي أتْقنه إتقانًا يمتَنع عنه النقص والخلَل في ألفاظه ومعانيه، ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢].

ويقابله **المتشابه العامّ**، وهو المذكور في قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا﴾ [الزمر:٢٣]، أي: يُشبه بعضه بعضًا في البلاغة والمتانة والإتْقان، والفصاحة والنَّظم والإعجاز وعدم التَّناقض، فهو تشابُهٌ عام، فالقرآن محْكَم كلُّه ومتشابه كلُّه، ولا تعارُض بين الوصْفَين.

وأما معنى المحكَم والمتشابِه في قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ﴾ [آل عمران:٧]، فهو مبنيٌّ على معنى التَّأويل في قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [آل عمران:٧]، وقد تقدَّم في مبحث الوقف والابتداء(١) أن السَّلف اختلفوا فيه على قولَين:

الأول: أن المراد بتأويله أي: الحقيقة التي تؤول إليها أخبار القرآن ومغيَّباته(٢)، فهذه لا يعلمُها إلا الله، وعلى هذا القول يكون معنى ﴿مُتَشَٰبِهَٰتٌ﴾ في أوَّل الآية هو **المتشابه الكلِّي**، ومعنى ﴿مُّحْكَمَٰتٌ﴾ أي: المعلومات من جِهة المعنى أو غيره التي لا يقع فيها خلاف مما أخبَر به الله سبحانه وتعالى، وهو **المحكَم الكلِّي**(٣)، وعلى هذا القول يكون الوقف على لفظ الجلالة في قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾، والواو بعده مستأْنفة.

الثاني: أن المراد بتأويله أي: تفسيره وبيان معناه(٤)، وتفسير القرآن من المتشابِه الذي

---

(١) ينظر: ص١٦٢.

(٢) وتقدّم أن هذا هو الرَّاجح الذي عليه جمهور العلماء، وهو المعنى الغالبُ في إطلاق القرآن.

(٣) وهو الذي سمَّاه الإمام أحمد وغيره معلوماً، مثل قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا﴾ [الملك:٣]، لا يقع خلاف في أن عدد السماوات سبع، لذا لا يمكن أن يدخله التشابه؛ لأنه عدد.

(٤) وتقدم ص١٨٢ أن من هذا المعنى دعاؤه ﷺ لابن عباس: **«اللّهم فقّهه في الدِّين وعلِّمه التأويل»**.

يعلمه أيضًا غير الله، فيكون المعنى: وما يعلم تفسيره على الحقيقة إلا الله والرّاسخون في العلم، فصار الوَقْف على ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ﴾، وعليه فإن معنى ﴿مُتَشَٰبِهَٰتٌ﴾ هو **المتشابه النِّسْبي**، وهو ما يَشْتَبه على قومٍ دون قوم[١]، وهو أوسَع أنواع المتَشابه، ويقع فيه الإشكال عادةً، وهو المقصود غالبًا عند ذكر مصْطلح (المُحكَم والمتشَابه).

علاقة صفات الله تعالى بمفهوم المحكَم والمتشابِه:

صفات الله تعالى عند أهل السُّنَّة والجماعة فيها جانبان:

الأول: المعنى، وهذا معلوم، ومحمولٌ على ما يَليق بجلال الله تعالى وعَظَمته.

والثاني: الكَيْف، وهذا غير معلوم؛ لأن الله لم يُطلِعْنا عليه، وهذا من المتَشابه الكلِّي بسبب الجهْل التامّ به.

والمخالفون لمذهب أهل السُّنة والجماعة لا يفرِّقون بين المعنى والكَيْف، بل يجعلونها كلّها من المتَشابه[٢].

علاقة متَشابه القرآن بالتَّفسير:

تبيَّن لنا مما سبَق أن **المتشابه المعنَوي** قسمان:

الأوّل: **المتشابه الكُلِّي**: وهو ما استأثَر الله بعلمه، ويكون المحكَم بهذا الاعتبار: ما علمه الناس على وجه العموم، وإن وقع لبعضهم عدَم فهم معانيه.

وهذا القِسم لا علاقة له بالتَّفسير، لأن التفسير مرتَبط بالمعاني المعلومة للناس التي قد تخفى على بعضهم، وهذا المتَشابه الذي استأثر الله بعلمه مرتَبِط بالمغيَّبات، من

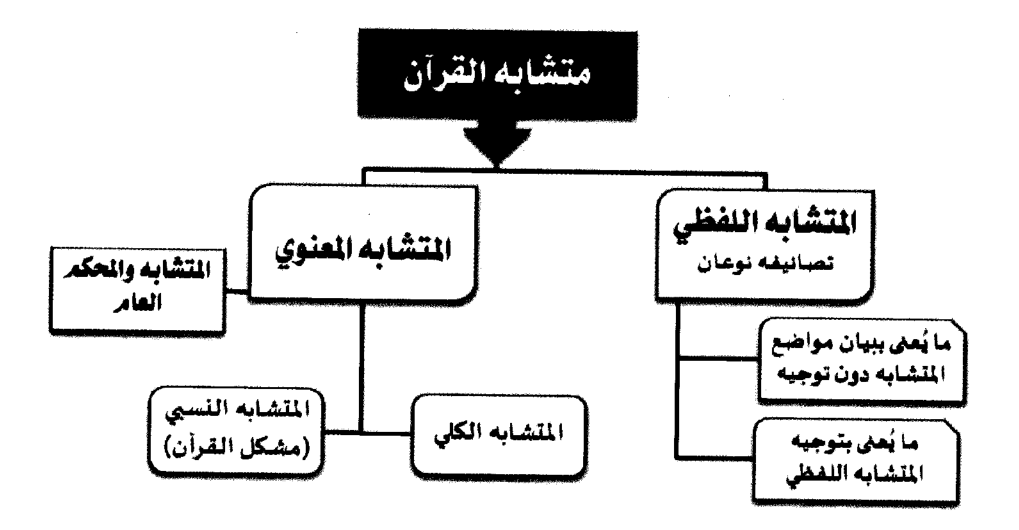
---

(١) والفرْق بينه وبين الأوَّل، أن الأوَّل يشتبه على الكُلّ، فسُمّي متشابهًا كليًّا، وهذا يشتبه على قوم دون قوم فسُمّي متشابهًا نسبيًّا، فمثلاً: إذا كانت آية أو لفظة بالنسبة لك من المتشابه، فلا يلزم أنها متشابهة عند كل الناس، بل هي متشابه بالنِّسبة لك، ولكن قد يكون آخرون يعلمون معنى هذه الكلمة ومعنى هذه الجملة.

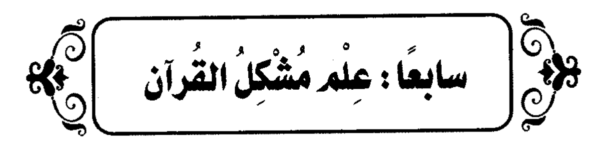
(٢) ومن أشهر الكتب التي حمَلت هذا العنوان، وكَتَبت فيه على هذا المفهوم المخالف: كتابه «متشابه القرآن» للقاضي عبد الجبَّار الهمذاني المعتزلي (ت: ٤١٥)، كذلك عقد السيوطي في الإتقان (٤/١٣٥٤-١٣٧١) مبحثًا عن آيات الصِّفات وأنها من المتشابه ثم أورد عددًا منها مع ذكر الأقوال في تأويلها خلافًا لطريقة السَّلف.

وقت وقوع الحوادث، وكيفيَّات هذه المغيَّبات، وما إلى ذلك مما لا يعلمه إلا الله، ومن ادَّعى علمه فقد كذَب.

الثَّاني: **المتشابه النِّسبي**: وهو ما يخفى معناه الحقيقي على بعض الناس مع علمهم بمعناه في الظَّاهر، ويعلم غيرهم معناه الحقيقي. وعلى هذا فالمتشابه النِّسبي من علوم التَّفسير، وقد عُرِف عند علماء التفسير وعلوم القرآن بإطلاق آخر هو «مُشْكِل القرآن»، أو «مُوهم الاختِلاف والتَّعارض»، وفي المبحث التالي تفْصيله.







سابعًا: عِلْم مُشْكِلُ القُرآن

وهو من أبرز علوم التَّفسير، وقد أورده الزَّركشي في البرهان بعنوان: «معرفة مُوهِم المختَلف»، وكذلك السُّيوطي في الإتقان بعنوان: «النَّوع الثامن والأربعون: في مشْكِله ومُوهم الاختلاف والتَّناقُض»(١).

مفهوم «مُشْكِل القرآن»:

المشْكِل لُغةً: قال ابن فارس: «الشين والكاف واللام معظَم بابه المماثلة. تقول: هذا شَكْل هذا، أي مِثْله. ومن ذلك يُقال أمر مُشْكِل، كما يقال أمْر مشْتَبِه، أي هذا شابَهَ هذا، وهذا دَخَل في شَكْل هذا»(٢).

اصطلاحًا: المقصود بالمشْكِل عند علماء التَّفسير وعلوم القرآن: الآيات التي التَبَسَ معناها واشْتَبَه فلَمْ يُعرَف المرادُ منها عند الكَثير(٣).

وقد يكون المشْكِل في فَهم المعنى المراد، وقد يكون في غير المعنى؛ أي أنَّه يكون في التَّفسير، وفي المسائل المتعلِّقة بالتَّفسير، وقد يكون الإشكال في آية، أو في جَمْع آية مع غيرها، كما في أثَر ابن عباس الآتي في مبْحث نشْأة علم مُشْكِل القرآن.

الفَرْق بين مَتشابِه القرآن ومُشْكِله:

قال ابن قُتَيْبة (ت:٢٧٦): «أصْل (التّشابه): أن يُشبِه اللَّفظُ اللَّفظَ في الظَّاهر، والمعنيان مُختَلِفان، قال الله ﷻ في وصْف ثَمر الجنَّة: ﴿وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا﴾ [البقرة: ٢٥]، أي متّفق المناظر، مختَلِف الطّعوم...، ثم قد يُقال لكلّ ما غَمُض ودَقّ: (مَتشابِه)، وإن لم تَقع الحِيرَة فيه من جهة الشَّبه بغيره، ألا ترى أنه قد قيل للحروف المقطَّعة في أوائل السّور: متشابِه، وليس الشكُّ فيها، والوقوف عندها لمشاكَلَتها غيرها، والتباسِها بها.

---

(١) البرهان (٢/١٧٦)، الإتقان (٤/١٤٧٠).

(٢) مقاييس اللغة (٣/ ٢٠٤).

(٣) مشكل القرآن الكريم، د.عبد الله حمد المنصور (ص٦٨). بتصرف يسير.

ومثل المتشابِه (المُشْكِل)، وسمي مُشْكِلًا: لأنه أشْكَل، أي دَخَل في شَكْل غيره فأشْبَهَه وشاكَلَه، ثم قد يُقال لما غَمُض -وإن لم يكن غُموضه من هذه الجِهة-: مُشْكِلًا»[١].

فالمتشابه النِّسبي والمشْكِل مصطَلَحان مترادِفان، كلٌّ يؤدِّي معنى الآخِر[٢]، فإذا جُعِل اسم المشْكِل لما غَمُض ودَقَّ عن الفَهم، وقُصِر اسم المتَشابه على ما تشابَه في الظَّاهر، واختلَف في المعنى والحقيقة؛ حصل التَّفريق بين المتشابه والمشْكِل، وإلا فهُما متماثلان.

وهذا ما حصَل بالفِعل... ومن ثَمَّ اشتهر هذا العلم بـ«مُشْكِل القرآن» أكثر من مرادِفه في ما يَظهر.

أهمية معرفة علم «مُشْكِل القرآن» وعلاقَته بالتَّفسير:

علم مُشْكِل القرآن من أبرز علوم التفسير التي يحتاجها من أراد معرفة معاني القرآن وأحكامه، وتنبُع هذه الأهميَّة من أنَّ الإشكال الطارئ على قارئ القرآن يحولُ دون معرفة معانيه، كما أن في دراسة هذا العلم سبيلٌ إلى زيادة الإيمان والاطمئنان إلى معاني كتاب الله وأنها حقٌّ لا اختلاف فيها، كذلك في تعلِّمه رَدٌّ على الزنادقة والمشكِّكين في كتاب الله[٣].

الحِكْمة من وجود المُشْكِل في القرآن:

مما ذكره العلماء في ذلك[٤]:

١- الحَثُّ على تدبُّر القرآن والنَّظر الموجِب للعلم بغوامضه والبحْث عن دقائق معانيه.

٢- إظهار فضْل العالم على الجاهل.

---

(١) تأويل مشكل القرآن (ص٦٧- ٦٨).

(٢) فمن خَفِي عليه المراد فهو متشابِه ومُشْكِل عنده، ومن علم المراد منه زال عنه الإشكال وانتفى التشابه، وصار مُحكمًا عنده.

(٣) ينظر: مشكل القرآن الكريم (ص٢٣-٢٥).

(٤) ينظر: البرهان (٢/ ٧٥).

٣- اختبار العباد وابتلاؤهم، فالمؤمن يُوقن بكلام الله ولا يدخله شكٌّ وإن لم يتبيَّن له معناه، فتعظُم مثوبَتُه، بخلاف المنافقين ومن في قلوبهم زيغ كالمبتَدعة فيتّبعون المتشابِه منه فيَفْتِنون ويُفتَنون ولا يزيدهم إلا خسارًا.

نشأة علم «مُشْكل القرآن» وأبرز المصنَّفات فيه[1]:

السؤال عن مُشْكِل القرآن قديم، إذ كلُّ ما لا يُفهم مُشْكلٌ، ويدخل فيه ما أشْكَل فَهْمُه على الصحابة؛ كسؤالهم عن معنى قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ [الأنعام: ٨٢]، وما وقع لعديٍّ بن حاتم الطائي رضي الله عنه في فَهْمه قوله تعالى: ﴿وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾ [البقرة: ١٨٧]، وغيرها من الآيات التي سأل الصَّحابةُ الرسولَ ﷺ عنها.

وكذا يدخل فيها ما أشْكَل على التابعين وسألوا الصَّحابة عن معناه، ومن ذلك ما أخرجه البخاريُّ عن سعيد بن جُبَير، قال: «قال رجلٌ لابن عبَّاس: إني أجِدُ في القرآن أشياء تختلف علَيَّ، قال: ﴿فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠١]، ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ﴾ [الصافات: ٢٧]. ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٤٢]، ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٢٣]، فقد كتَمُوا في هذه الآية!.

وقال: ﴿أَمِ ٱلسَّمَآءُ ۚ بَنَىٰهَا﴾ إلى قوله: ﴿دَحَىٰهَآ﴾ [النازعات: ٢٧- ٣٠]، فذَكَر خَلْق السماء قبل خَلْق الأرض، ثم قال: ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ﴾ إلى قوله: ﴿طَآئِعِينَ﴾ [فصلت: ٩- ١١] فذَكَر في هذه خَلْق الأرض قبل خَلْق السماء! وقال: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾، ﴿عَزِيزًا حَكِيمًا﴾، ﴿سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ فكأنَّه كان ثُمَّ مضَى!

فقال [أي ابن عباس]: «﴿فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ﴾ [المؤمنون: ١٠١] في النَّفخة الأولى، ثم يُنفخ في الصُّور، فصَعِق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله، فلا أنساب بينهم عند ذلك ولا يتساءلون، ثم في النَّفخة الآخرة، ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ﴾ [الصافات: ٢٧].

---

(١) ينظر: أنواع التصنيف المتعلقة بتفسير القرآن (ص٩٨-٩٩)، مشكل القرآن الكريم (ص٢٣-٢٥).

وأما قوله: ﴿مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٢٣]، ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٤٢]، فإنَّ الله يغفر لأهل الإخلاص ذنوبهم، وقال المشركون: تعالَوْا نقول: لم نكُن مشركين، فختَم على أفواههم، فتَنْطق أيديهم، فعند ذلك عُرِف أن الله لا يُكتَم حديثًا، وعنده: ﴿يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ الآية [النساء: ٤٢][(١)].

وخَلَق الأرض في يومين، ثم خَلَق السماء، ثم استوى إلى السَّماء فسوَّاهن في يَوْمين آخرين، ثم دَحا الأرض، ودَحْوُها: أن أخرج منها الماء والمرْعَى، وخَلَق الجبال والجمال والآكامَ وما بينهما في يَوْمَين آخَرين، فذلك قوله: ﴿دَحَىٰهَآ﴾ [النازعات: ٣٠]، وقوله: ﴿خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ﴾ [فصلت: ٩]، فجُعِلت الأرض وما فيها من شيءٍ في أربعة أيام، وخُلِقَت السموات في يوْمَين.

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ سمَّى نفسه ذلك، وذلك قوله، أيْ لم يَزَلْ كذلك، فإن الله لم يُرِدْ شيئًا إلا أصاب به الذي أراد، فلا يختَلِف عليك القرآن، فإن كُلًّا منْ عند الله»[(٢)].

ثم ظهرت في القرن الثاني موْجَةٌ من الزَّنْدَقة تشكِّك بالقرآن الكريم في نَظْمِه، أو أسلوبه، أو أخباره[(٣)]، مما كان **سببًا للتأليف في مُشْكِل القرآن**، حيث كَتَب مقاتل بن سليمان (ت: ١٥٠) كتابا في «متشابه القرآن» ردَّ فيه على بعض شُبَه الزَّنادقة في بعض الآيات التي زعموا تعارضها واختلافها[(٤)].

---

(١) تمام الآية: ﴿يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَعَصَوُا۟ ٱلرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا﴾.

(٢) صحيح البخاري (٦/ ١٢٧).

(٣) يراجع مبحث الانتصار للقرآن في الفصل الثالث.

(٤) وقد نقل منه أبو الحسين محمد بن أحمد المَلْطِي الشَّافعي (ت: ٣٧٧) في كتابه «التَّنبيه والردّ على أهل الأهواء والبدع (ص٥٥)، في الباب الذي عَنْوَن له «باب ذكر متشابه القرآن»، فقال: «قال مقاتِل: أما ما شكَّت فيه الزَّنادقة في مثل هذه الآية ونحوها من قوله جل ثناؤه: ﴿هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ۝٣٥ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ﴾ [المرسلات: ٣٥-٣٦]، ثم قال في آية أخرى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾ [الزمر: ٣١]، فهذا عند من يجهل التَّفسير ينقضُ بعضُه بعضًا، وليس بمُنْتَقِضٍ، ولكنهما في تفسير الخواصّ في المواطن المختَلفة. أما تفسير ﴿هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ۝٣٥ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ﴾ [المرسلات: ٣٥-٣٦] فأوَّل ما يجتمع الخلائق بعد البعث، فهم لا ينْطقون في ذلك الموْطن، ﴿وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ﴾ قال: مقدار ستِّين سنة، ثم يُؤْذَن لهم في الكلام فيُكلِّم بعضُهم بعضًا، ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾ [الزمر: ٣١] عند الحساب، ثم يُقال لهم: ﴿قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا۟ لَدَىَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِٱلْوَعِيدِ﴾ [ق: ٢٨] بعد الحِساب».

كذلك صنَّف في القرن الثالث ابن قُتيبة (ت:٢٧٦) كتابه: «تَأوِيل مُشْكِل القرآن» في الرَدِّ على قوم من الْمُلحدين تكلَّموا في نَظْم القرآن ومقاصد معانيه كما ذكر في مقدِّمته[١].

ولئن كانت هذه بداية التأليف في هذا الموضوع فإنَّ الأمر بعد ذلك صار أعمّ في البَحث، ولم يكن المقصود بالتَّأليف رد الطَّاعنين وإلحاداتهم، بل كان المراد بيان ما يُشْكِل فهْمُه على القارئين، أيًّا كان هذا المُشْكِل: في معنى أو مناسبةٍ أو نَظْمٍ، أو غيرها. كما أدخَل المصنِّفون في تصنيفاتهم كثيرًا من اللَّطائف والمُلَح التي تتعلَّق بالتفسير[٢].

ومن المؤلَّفات المطبوعة في مشكِلات القرآن -على هذا النَّحو- ما يأتي:

١- وضْح البرهان في مُشْكِلات القرآن، لبيان الحقّ محمود بن أبي الحسن النَّيْسابوري (ت: ٥٥٥ تقريبا).

٢- فوائد في مُشْكِل القرآن، لعزِّ الدِّين بن عبد السلام (ت: ٦٦٠).

٣- تفسير آيات أشْكَلَت على كثير من العلماء، لتقي الدين ابن تَيْميَّة (ت٧٢٨).

٤- مُشْكِلات القرآن، لمحمد أنوَر شاه الكَشميري (ت: ١٣٥٢).

٥- دَفْع إيهام الاضْطراب عن آياتِ الكتاب، لمحمد الأمين الشنقيطي (ت: ١٣٩٢).

أسباب الاختِلاف ووقوع الإشْكال في القرآن:

يرِدُ المُشْكِل على العقول بسبب قُصورٍ في إدراك المعنى المراد. وأعظَم سبب لذلك هو ضَعْف العلم وقِلَّة المعرفة والفَهْم. قال ابن تَيميَّة: «قد يكون في القرآن آياتٌ لا يعلم معناها كثيرٌ من العلماء فضلًا عن غيرهم، وليس ذلك في آيةٍ معيَّنة بل قد يُشكل على هذا ما يعرِفُه هذا، وذلك تارةً يكون لغَرابة اللَّفظ، وتارةً لاشتِباه المعنى بغَيْره، وتارةً لشُبْهة في نفس الإنسان تمنَعُه من معرفة الحقِّ، وتارةً لعدم التَّدبُّر التامّ، وتارةً لغير ذلك من الأسبَاب»[٣]. وأسباب الاختِلاف ووقوع الإشكال في القرآن كثيرة،

(١) ينظر: تأويل مشكل القرآن (ص٢٢).

(٢) ينظر: أنواع التصنيف المتعلقة بتفسير القرآن (ص١٠٢).

(٣) مجموع الفتاوى (١٧/ ٤٠٠).

لعلَّنا نُوجِز في ما يأتي بعضًا من أبرزها مع التَّمثيل لها(١):

١- **وقوع المُخْبَر به على أحوالٍ مُخْتَلفة**: كقوله تعالى في خَلْق آدم: ﴿مِن تُرَابٍ﴾ [آل عمران:٥٩]، ومرَّةً: ﴿مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾ [الحجر: ٢٦]، ومرَّةً ﴿مِّن طِينٍ لَّازِبٍ﴾ [الصافات: ١١]، ومرَّةً ﴿مِن صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ﴾ [الرحمن: ١٤]. فهذه ألفاظٌ مختَلِفة ومعانيها في أحوال مُختَلفة لأن الصَّلصال غير الحَمَإ، والحَمَأُ غير التراب، إلا أنَّ مَرْجعها كلّها إلى التُّراب، ومن التراب تدرَّجت هذه الأحوال.

٢- **اختِلاف المكان والحال**: مثل ما تقدَّم في أثر ابن عباس عن قوله تعالى: ﴿فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠١] مع قوله تعالى: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ﴾ [الصافات: ٢٧].

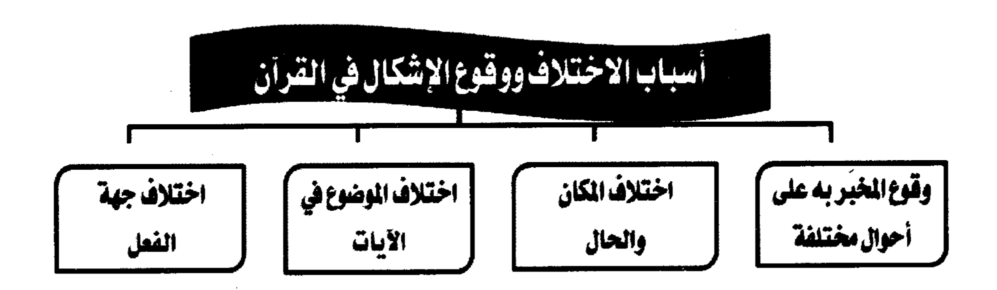
٣- **اختِلاف الموْضوع في الآيات**: مثل قوله: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُواْ فَوَاحِدَةً﴾ مع قوله: ﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوٓاْ أَن تَعْدِلُواْ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ﴾ فالأُولى تُفْهِم إمكان العَدْل والثانية تَنْفيه. والجواب: أن الأُولى في العَدْل بين الزوجات في تَوْفِية حقوقهِنّ، والثانية في المَيْل القَلْبي، وليس في قُدْرة الإنسان.

٤- **اختِلاف جهة الفعل**: مثل قوله تعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ﴾ [السجدة: ١١]، مع قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ [الزمر: ٤٢]، وقوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا﴾ [الأنعام: ٦١]. فجِهة الفعل (الفاعِل) هنا اختلَفَت مع اتِّحاد الفعل (التَّوَفِّي)، وفي جواب هذا الإشكال قال الشَّيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله (ت: ١٣٩٣): «والجواب عن هذا ظاهرٌ، وهو أنَّ إسناده التَّوَفِّي إلى نفسه، لأن ملَكَ الموت لا يقدِر أن يقبِض رُوح أحدٍ إلا بإذنه ومشيئته تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا﴾ [آل عمران: ١٤٥]، وأسْنَده لملَك الموْت لأنَّه هو المأمور بقَبْض الأرْواح، وأسنَده للملائكة لأن مَلَك الموت له أعْوانٌ من الملائكة تحت رئاسَته، يفعلون بأمره

---

(١) ينظر: البرهان للزركشي (٢/ ١٩٢)، الإتقان (٤/ ١٤٧٨)، مشكل القرآن الكريم (ص١١٩).

وينْزعون الرُّوح إلى الحَلْقوم، فيأخذها ملَك الموْت، والعِلم عند الله تعالى»[١]. وهناك أسبابٌ أخرى يضيق المقام عن بَيانها[٢].





(١) دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب (ص١٨٤).

(٢) ينظر: مشكل القرآن الكريم (ص١١٩ - ٢٢٥).

ثامنًا: عِلم مُبْهمات القُرآن

مفهوم مُبْهَمات القرآن:

الإبْهام لُغةً: استِغْلاق الشَّيء وخفاؤه. والمبْهَم من الكلام، ما خَفي واحتاج لبيان لفَتْح انْغلاقه[١].

والمراد بمُبْهمات القرآن: ما لَمْ يُصَرَّح به في القُرآن الكريم من الأعْلام والأزْمِنة والأمْكِنة ونحوها[٢].

فقد يكون الإبهام لعَلَم؛ رجُلٍ أو امْرأةٍ أو مَلَكٍ، واحدٍ أو أكْثر، أو قَوْمٍ، أو نباتٍ، أو حيوانٍ أو مكانٍ أو زمانٍ أو عددٍ. كقوله تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠]، ﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ﴾ [البقرة: ٣٥]، ﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ﴾ [النجم: ٥]، ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَيْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ﴾ [المائدة: ٢٧]، ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الفاتحة: ٧] ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ﴾ [البقرة: ٣٥]، ﴿وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾ [الصافات: ١٠٧]، ﴿أَوْ كَٱلَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ﴾ [البقرة: ٢٥٩]، ﴿مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ﴾ [التوبة: ٣٦].

أهميَّة هذا العِلْم والأصْل فيه:

تحدَّث المصنِّفون في هذا العِلْم عن أهميَّته، وحِرْص السَّلَف على معرِفة ما أُبْهِم في القرآن الكريم، وذكَروا أن الأصْل فيه[٣] ما وَرَد عن ابن عباس رضي الله عنهما أنَّه قال: «مَكَثْتُ سنَةً أُريد أن أسأل عُمر بن الخطاب عن آيةٍ، فما أستطيع أن أسأله هَيْبَةً له، حتى خَرَج حاجًّا فخرجتُ معه، فلما رجعنا وكنَّا ببعض الطريق عَدَل إلى الأراك لحاجَةٍ له، قال: فَوَقَفْتُ له

---

(١) لسان العرب (بهم) (١٢/ ٥٦)، أنواع التصنيف المتعلقة بتفسير القرآن (ص١٩١).

(٢) ينظر: أنواع التصنيف المتعلقة بتفسير القرآن (ص١٩١)، علوم القرآن بين البرهان والإتقان (ص١٧٢).

(٣) ينظر: مفحمات الأقران في مبهمات القرآن (ص ٨).

حتى فَرَغ ثم سِرْتُ معه، فقلتُ: يا أمير المؤمنين مَنِ اللَّتان تظاهرَتا على النبي ﷺ من أزْواجه؟ فقال: تلْك حَفْصة وعائشة...»(١). كذلك مِمَّا يدلُّ على اعتناء السَّلف به ما وَرَد عن عِكرمة مولى ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [النساء: ١٠٠]. قال: طلبت اسم هذا الرجل أربع عشرة سنة حتى وقفت عليه(٢).

كيفيَّة مَعرِفة المبْهَم:

قال السُّيوطي: «مَرْجع هذا العِلمُ النَّقْل المحْض، ولا مَجال للرَّأي فيه، وإنما يُرجَع القول فيه إلى قول النبي ﷺ وأصحابه الآخذين عنه، والتَّابعين والآخِذين عن الصَّحابة»(٣). أو إلى تعيينه في موْضعٍ آخر من القرآن.

أسباب وقوع المبْهَمات في القرآن:

ذكر الزَّركشي والسُّيوطي(٤) أسبابًا عديدةً لوقوع المبْهَم في القرآن، لعلَّ من أبرزها ما يلي:

١- الاستِغناء ببيانه في موْضِع آخر: كقوله: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة: ٧] فإنه مُبيَّن في قوله: ﴿مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [النساء: ٦٩].

٢- الاشتهار: كقوله: ﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ﴾ [البقرة: ٣٥] ولم يقُلْ: «حوّاء» لأنها معروفةٌ مشهورةٌ وليس له غيرها.

٣- عدم الفائدة الكبيرة في تعيينه: وهذا كثير جدًّا، والخلاف في تعيينه كثيرٌ، كقوله تعالى: ﴿أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ﴾ [البقرة: ٢٥٩]، ﴿وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ﴾ [الأعراف: ١٦٣]، ﴿فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا﴾ [البقرة: ٧٣]، ولهذا لا أثر

---

(١) رواه الشيخان: صحيح البخاري (٦/ ١٥٦) (٤٩١٣)، صحيح مسلم (٢/ ١١٠٨) (١٤٧٩).

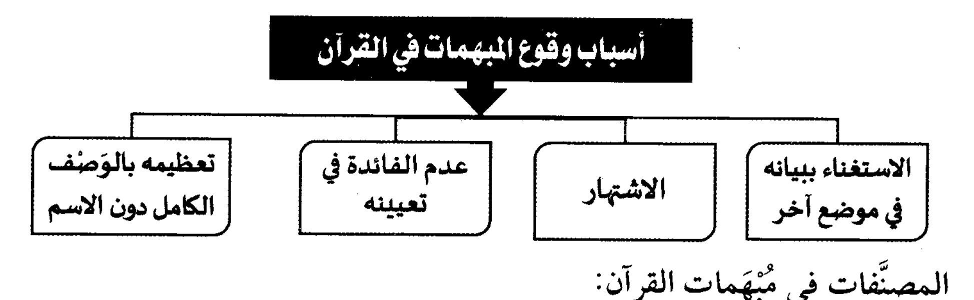
(٢) الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٢/ ٧٥٠).

(٣) ينظر: مفحمات الأقران في مبهمات القرآن (ص٨).

(٤) ينظر: البرهان (١/ ٢٤٢)، الإتقان (٦/ ٢٠١٨)، مفحمات الأقران (ص٩).

في تعيين هذه المبْهمات في التَّفسير، ومن هنا يرى البعضُ أن علم ذلك ليس من مَتينِ العلم الذي يُحْرَص عليه، بل يدخُل في مُلَح العِلم والمذاكرة[١].

لكن ليْس هذا الأمر على إطلاقه، فلا يخلُو من فوائد نفيسَةٍ تُستفاد في معرِفة بعض المبْهمات، كمَعْرفة فضل الشَّخْص المبْهَم ومنقبته: كما في قوله تعالى: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ﴾ [التوبة: ٤٠]، ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ﴾ [النور: ٢٢]، ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ﴾ [الزمر: ٣٣]، ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى﴾ [الليل: ١٧] الآيات. والمراد أبو بكر الصديق رضي الله عنه في الكلِّ، وفيها بيان لمزيدٍ من فضائله وعلوِّ مناقبه رضي الله عنه. وقد ذكر الزرَّكشي والسُّيوطي هذا الفائدة كسَبَبٍ لوقوع المبْهَم في القرآن وهو «تعظيمه بالوَصْف الكامل دون الاسم»[٢].



المصنَّفات في مُبْهَمات القرآن:

اعتنى علماء علوم القرآن بهذا العِلْم وأفردوه بمصنَّفات عدِيدة، من أبرز المطبوع منها:

١- التَّعريف والإعْلام في ما أُبهم في القرآن من الأسماء والأعْلام، للسُّهيلي (ت: ٥٨١).

٢- التَّكميل والإتْمام لكِتاب التَّعريف والإعلام، لابن عَسْكر الغسَّاني (ت: ٦٣٦).

٣- غُرَر البيان في مُبْهمات القرآن، لبدْر الدِّين بن جماعة (ت: ٧٣٣).

٤- مُفْحِمات الأقْران في مُبْهمات القُرآن، للسُّيوطي (ت: ٩١١). وقد ذكر خُلاصته ومُهمَّاته في كتابه الإتقان[٣] مرتَّبةً على سُوَر القرآن. ولعله يَحْسُن أن نذكر من خلاله

(١) أنواع التصنيف المتعلقة بتفسير القرآن (ص١٩١).

(٢) ينظر: البرهان (١/٢٤٢)، الإتقان (٦/٢٠١٨).

(٣) ينظر: الإتقان (٦/٢٠٢٢-٢٠٩٦).

نَماذج وتطبيقات مما ذكر من المبْهمات في جُزء (عَمَّ):

﴿أَن جَاءَهُ الْأَعْمَىٰ﴾ [عبس: ٢] هو عبد الله بن أمِّ مَكْتوم.

﴿أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَىٰ﴾ [عبس: ٥] هو أُمَيَّة بن خَلَف، وقيل: هو عُتْبة بن رَبِيعة.

﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ [التكوير: ١٩] قيل: جِبريل، وقيل: محمد ﷺ.

﴿فَأَمَّا الْإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ﴾ [الفجر: ١٥] الآيات نزَلت في أميَّة بن خَلَف.

﴿وَوَالِدٍ﴾ [البلد: ٣] هو آدم عليه السلام.

﴿فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ﴾ [الشمس: ١٣] هو صَالح عليه السلام.

﴿لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى﴾ [الليل: ١٥] هو أُمَيَّة بن خَلَف.

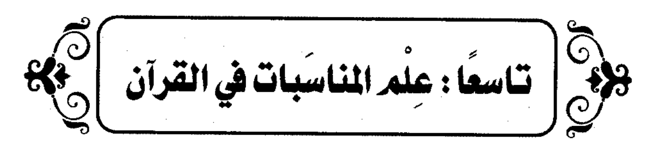
﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى﴾ [الليل: ١٧] هو أبو بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه.

﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَىٰ﴾ [العلق: ٩] هو أبو جَهْل ﴿عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰ﴾ [العلق: ١٠] هو النبي ﷺ.

﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ [الكوثر: ٣] هو العاصي بن وائل، وقيل: أبو جَهْل، وقيل: عُقبة بن أبي مُعيط، وقيل: أبو لَهْب، وقيل: كَعْب بن الأشْرف.

﴿وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾ [المسد: ٤] امرأة أبي لهب أمُّ جَميل العَوراء بنْت حَرْب ابن أميَّة.





القرآن مؤلَّف من سُوَر وآيات، وكثيرٌ من السُّوَر تتضمَّن موضوعات مُختَلفة، وأساليب في العرض متَنوِّعة، وقد درَس أهل العلم هذه السُّوَر والآيات والموضوعات المختَلِفة فوجدوا أن بيْن بعضها البعض ارتباطٌ وثيقٌ مما نَشأ عن ذلك علم المناسبات بين الآيات والسُّوَر.

مفهوم المناسَبات في القرآن:

المناسَبة لُغةً: المقارَبة والمشاكَلَة، وفلان يناسِب فلانًا أيْ يقرُب منه ويشاكِلُه(١).

والمناسَبة بينَ آيات وسُوَر القرآن: هو وجْه ارتِباط آيات القرآن وسُوَره بعضها مع بعض(٢). **وعلم المناسَبات في القرآن:** هو علم تُعرَفُ منه عِلَل ترتيب أجزاء القرآن(٣).

أهميَّة هذا العلم:

أكَّد كثير من العلماء أهميَّة هذا العلم وعِظَم منْزِلته، قال الرَّازي (ت: ٦٠٦): «أكثر لطائف القرآن مُودَعة في التَّرتيبات والرَّوابط»(٤)، وبيّن «أن القرآن كما أنَّه مُعجِزٌ بحسب فصاحة ألفاظِه وشَرَف معانيه، فهو أيضًا مُعجِزٌ بحسب ترتيبه ونَظْم آياته، ولعلَّ الذين قالوا: إنه مُعجِزٌ بحسب أسلوبه أرادوا ذلك»(٥).

أنواع المناسَبات في القرآن:

المناسبات في القرآن أنواع كثيرة من أبرزها:

---

(١) البرهان (١/ ٣٦)، وينظر: القاموس المحيط، مادة (نسب).

(٢) ينظر: دراسات في علوم القرآن (ص٤٤٧).

(٣) نظم الدرر (١/ ٥). وقوله: «أجزاء القرآن» يشمل كل جزئية في القرآن، الآية مع الآية، والسورة مع السورة، والحكم مع الحكم، والقصة مع القصة، وهكذا.

(٤) البرهان (١/ ٣٦).

(٥) تفسير الرازي (التفسير الكبير) (٧/ ١٠٦).

١- المناسَبة بين الآية والآية التي تَلِيها:

مثاله: قوله تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة: ٧]، حيث ذكر محاسبته على الحسَنات فناسب أن يذكر ضِدَّه وهو محاسبته على السيِّئات ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة: ٨]، وقِسْ على ذلك في مناسَبة ذكر الأضداد تِلْوَ بعض.

وقال الزَّركَشي في قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ۝١٧ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ۝١٨ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ۝١٩ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ [الغاشية: ١٧ - ٢٠]: «... [لو قيل] ما وَجْه الجمع بين الإبل والسماء والجبال والأرض في هذه الآية؟ والجواب: أنه جَمَع بينهما على مَجْرَى الإلْف والعادة بالنِّسبة إلى أهل الوَبَر، فإن كلَّ انتفاعهم في معايشهم من الإبل، فتكون عنايتهم مصروفةً إليها، ولا يحصل إلا بأن ترعى وتشْرب وذلك بنزول المطَر، وهو سبب تقَلُّب وجوههم في السماء، ثم لا بُدَّ لهم من مأوى يؤويهم وحِصْن يتحصَّنون به ولا شيء في ذلك كالجبال، ثم لا غِنى لهم - لتَعذُّر طول مُكْثهم في منزل- عن التَّنقُّل من أرْض إلى سواها، فإذا نَظر البدويُّ في خياله وجَد صورة هذه الأشياء حاضرةً فيه على الترتيب المذكور»(١).

٢- المناسَبة بين أوَّل السُّورة وخاتمتها:

مثاله: أوَّل سورة البقرة: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [البقرة: ٣] مع خاتِمتها: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٨٥] الآيتان إلى آخر السُّورة، وأول سورة «المؤمنون»: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [المؤمنون: ١] مع خاتِمتها: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٧].

٣- المناسَبة بين خاتِمة السُّورة وأوَّل التي تَليها:

قال الزَّركشي: «وإذا اعتبَرْتَ افتتاح كلّ سُوَره وجَدتَّه في غاية المناسبة لما خُتم به السّورة قبلها، ثم هو يخفى تارةً ويظهر أخرى، كافتِتاح سورة الأنْعام بالحَمْد فإنَّه مناسب لخِتام سورة المائدة من فَصْل القضاء، كما قال سبحانه: ﴿وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ

---

(١) البرهان (١/ ٤٥) بتصرف يسير.

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الزمر: ٧٥]، وكافتِتاح سُورة فاطر بـ﴿ٱلْحَمْدُ﴾ أيضًا فإنَّه مناسِبٌ لخِتام ما قبلها من قوله: ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ﴾ [سبأ: ٥٤]، وكما قال تعالى: ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنعام: ٤٥]، وكافتتاح سورة الحديد بالتَّسبيح فإنه مناسِب لخِتام سورة الواقعة من الأمْر به، وكافتِتاح البقرة بقوله: ﴿الٓمٓ ① ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ [١، ٢] إشارة إلى ﴿ٱلصِّرَٰطَ﴾ في قوله: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦]، كأنهم لما سألوا الهداية إلى الصراط المستقيم قيل لهم ذلك الصراط الذي سألتم الهداية إليه هو الكتاب، وهذا معنًى حَسَن يظهر فيه ارتِباط سورة البقَرة بالفاتحة..... وإذا ثبَت هذا بالنِّسبة إلى السُّور فما ظنُّك بالآيات وتعلُّق بعضها ببعض، بل عند التأمُّل يظهر أن القرآن كلّه كالكلمة الواحِدة»[(١)].

١- المناسَبة بين موْضوع السُّورة وموضوع التي تَليها:

كارتِباط سورة قُرَيش بسورة الفيل، وكأن المعنى أن الله فعَل ما فعَل بأصحاب الفيل لإيلاف قريش، أيْ: «لائتِلافهم واجتِماعهم في بلدهم آمِنين»[(٢)].

أبرز أنواع المناسبات في القرآن

- المناسبة بين الآية والآية التي تليها
- المناسبة بين أول السورة وخاتمتها
- المناسبة بين خاتمة السورة وأول التي تليها
- المناسبة بين موضوع السورة وموضوع التي تليها

المصنَّفات في علم المناسَبات:

اعتنى كثير من المفسِّرين بعلم المناسَبات في تفاسيرهم ومن أبرزهم الرَّازي (ت:٦٠٦) في تفسيره الكبير، وكذلك البِقاعي (ت:٨٨٥) الذي خَصَّ تفسيره بهذه العلم وسمَّاه «نَظْم الدُّرَر في تناسُب الآيات والسُّوَر».

---

(١) البرهان (١/ ٣٨).

(٢) تفسير ابن كثير (٨/ ٤٩١).

كما أُفْرِدت أنواعه بالتَّصنيف، من أبرزها:

١- البُرهان في مناسَبة ترتيب سُوَر القرآن، لأبي جَعْفر ابن الزُّبير الغرناطي (ت: ٧٠٨).

٢- تناسُق الدُّرَر في تناسُب السُّوَر.

٣- مراصِد المطالع في تناسُب المقاطِع والمطالِع. كلاهما للسُّيوطي (ت: ٩١١).

ومن الكُتُب المعاصِرة:

٤- الإعجاز البيانيّ في ترتيب آيات القرآن الكريم وسُوَره، د. أحمد يوسف القاسم.



عاشرًا: تَرْجَمة القرآن

مفهوم الترجمة:

التَّرجَمَة لغةً: تدلُّ على معانٍ هي[١]:

١- تبليغ الكلام لمن لم يسْمَعه.

٢- تفسير الكلام بلُغته نفسها. ومنه سُمِّي ابن عباس ﷺ تُرجمان القرآن.

٣- تفسير الكلام أو نَقْله إلى غير لُغته[٢].

والمعني الأخير هو المراد هنا، **فترجمة القرآن:** بيان معاني القرآن بغير اللغة العربية التي نزل بها.

وتُطلق الترجمة على نَوعَين: التَّرجمة الحرفيَّة، والتَّرجمة التَّفسيريَّة أو المعنويَّة، وفي ما يلي بيان كلٍّ منهما مع حُكْمه[٣]:

أولًا: التَّرجمة الحَرْفيَّة:

وهي نقل ألفاظٍ من لُغةٍ إلى نظائرها من اللُّغة الأخرى بحيث يكون النَّظم موافقًا للنَّظم، والترتيب موافقًا للترتيب.

حُكْمُها: التَّرجمة الحرفيَّة بالمعنى المذكور لا يمكن حصولها مع المحافظة على سياق الأصْل والإحاطة بجميع معناه. فإن خواصّ كلّ لُغة تختلف عن الأخرى في ترتيب أجزاء الجُملة. والتعبير العربي يحمل في طيَّاته من أسرار اللُّغة ما لا يمكن أن يحلَّ محلّه تعبيرٌ آخر بلُغة أخرى، والقرآن الكريم في قمَّة العربيَّة فصاحةً وبلاغةً، وله من خواصّ التراكيب وأسرار الأساليب ولطائف المعاني وسائر آيات إعجازه؛ ما لا

---

(١) ينظر: مناهل العرفان (٢/ ١٠٩)، المعجم الوسيط (١/ ٨٣)، ترجمة القرآن: حقيقتها وحكمها (ص٤-٥).

(٢) ولكون هذه المعاني فيها بيانٌ جاز على سبيل التوَسُّع إطلاق التَّرجمة على كل ما فيه بيان، فقيل تَرجَم لهذا الباب بكذا أي عَنْوَن له، وتَرجم لفُلان أي بيَّن تاريخه وحياته وما كان فيها. ينظر: مناهل العرفان (٢/ ١٠٩).

(٣) ينظر: مناهل العرفان (٢/ ١١٠)، مباحث في علوم القرآن (ص٣٢٤)

يستقِلّ بأدائه لسان، فترجمة القرآن الحرفيَّة على هذا مَهْما كان المتَرجِم على دراية باللُّغات وأساليبها وتراكيبها تُخرِج القرآن عن أن يكون قرآنًا، ولهذا فلا شكَّ في تحريم ترجمة القرآن ترجمةً حَرفيَّةً.

ثانيًا: التَّرجمة التفسيرية أو المعنويَّة:

وهي في الكلام شَرْح وبيان معناه بلُغَةٍ أخرى من غير تقْييدٍ بترتيب كلمات الأصْل أو مراعاة لنَظْمه.

حُكْمها: الأرْجح جواز تَرْجمة القرآن ترجَمةً تفسيريَّة، لكن ينبغي مراعاة ضوابط وشروط، من أهمِّها[1]:

١- أن يكون المترجم عالمًا بتفسير القرآن الكريم، عارفًا بضوابط التفسير وقواعده، متمكنًا من اللُّغتين العربيَّة واللغة المترجَم إليها، صحيح العقيدة بعيدًا عن الهوى.

٢- أن تُكتَب آيات القرآن بالأحْرُف العربيَّة وبرسْم المصحف وضبْطه في أعلى الصَّفحة، وتَتْلوه التَّرجمة التفسيريَّة مصَدَّرة بكلمة (التَّفسير) باللُّغة المتَرْجَم لها.

٣- لا بُدَّ من توضيح أنَّ هذا التَّرْجَمة التفسيرية ليست نَصّ القرآن، وليس فيها خصائصه ولا تنْطبق عليها أحكامه[2]، وأنها ترجمة لما فهمه المفسِّر من معاني القرآن.

٤- الاقتصار في التَّرْجَمة على معاني النَّصّ مباشرةً، وإخلاؤها من المصطَلَحات العلميَّة، والمباحث الفلْسَفيَّة، والرؤى المذهَبِيَّة، والاجتهادات الشَّخصيَّة.

٥- الالتزام بوِحْدة ترجَمة الألفاظ القرآنية المتكرِّرة ما لم تختَلِف معانيها وفْقًا للسِّياق.

٦- عدَم التصرُّف في مفهوم الآيات القرآنية لدى التَّرْجَمة بزيادةٍ أو نُقصان.

---

(١) ينظر: دراسات في علوم القرآن (ص٦٢٣)، ترجمة القرآن: حقيقتها وحكمها (ص٣١-٣٢)، تقرير جهود المملكة العربية السعودية في مجال ترجمة معاني القرآن الكريم من خلال مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة، إعداد: مركز الترجمات بالمجمع (ص١٣).

(٢) وأيُّ ترجمة للقرآن لا تُسمَّى قرآنًا ولا تثبت لها أحكامه؛ فلا تصح الصلاة بها، أو التعبّد بتلاوتها، ولا تكون معجزة، ولا تشملها أحكامه المتعلقة به كقداسته وحرمة مسه وأحكام تلاوته ونحوها.

٧- الإبْقاء على المصطَلَحات الإسلامية التي يتَعذَّر تَرجَمتها إلى اللُّغات الأخرى بلفْظها العربي مع شرحِها في قائمةٍ تلْحق بالتَّرجمة كالزكاة والحجِّ والعُمْرة.

٨- الالتزام باستخدام المصطلحات والتَّعبيرات الإسلاميّة عند التَّرْجَمة، وتجنُّب استخدام الكلمات والمصطَلَحات الخاصَّة بالأديان الأخرى كاليهوديّة والنصرانيّة والبوذيّة.

٩- كتابة الأعْلام عند التَّرْجَمة إلى اللُّغات الأخرى بلفظها العربي والإشارة إلى لفظها بتلك اللغات إن وُجِد في الحاشية أو بين قوْسَين.

١٠- اختيار اللُّغة المعاصرة المفهومة لدى مُعظَم الناطقين باللُّغة المتَرْجَم إليها، وتجنُّب استخدام اللُّغة القديمة المهْجورة.

أهميَّة ترجمة معاني القرآن:

معلوم أن الأمة مأمورة بتبليغ القرآن لفظًا ومعنى، قال ﷺ: «**بلِّغوا عَنِّي ولَوْ آيَة**»[١]، وهذا يشمل جميع الناس عربهم وعجمهم، «وإنَّ تبليغه إلى العَجم قد يحتاج إلى ترجمة لهم، فيُترجم لهم بحسب الإمكان» كما قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ[٢].

لَمْحة تاريخيَّة عن تَرْجَمة القرآن:

مرَّت ترْجمة القرآن باتِّجاهَين مختلفَين في الأهداف والغاية والأدوات:

الاتجاه الأول[٣]: **التَّرجَمة إلى اللُّغات الشرقيّة**، كالفارسيّة والتُّركيّة، وقد ظَهرت منذ وقت مبكِّر، نتيجةَ دخول تلك الشُّعوب في الإسلام وحاجَة من لَمْ يتعلَّم العربيَّة منهم لمعرِفة معاني القرآن بلُغتهم، وبطبيعة الحال كان المتَرجِمون من المسلمين، وقد كانت اللُّغة الفارسية من أوائل اللُّغات التي تُرْجِمت إليها معاني القرآن، فقد ذكر الجاحِظ (ت: ٢٥٥هـ) عن موسى بن سيّار الأسْواري أنه كان يجلس في مجلسه، فتقعُد العرب عن يمينه، والفُرس عن يساره، فيقرأ الآية من كتاب الله ويفسِّرها للعرب بالعربيَة، ثم يحوِّل

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٤/ ١٧٠) (٣٤٦١).

(٢) مجموع الفتاوى (٤/ ١١٧).

(٣) ينظر: أهداف ترجمات القرآن وأنماطها عبر التاريخ، د. محمود الربداوي، مجلة التراث العربي - العدد ٩٨ - جمادى الأولى ١٤٢٦هـ.

وجهه إلى الفُرس فيفسِّرها لهم بالفارسيَّة ببراعة فائِقة[١]، وقد توالَت التَّرجمات للُّغات المشرقيَّة الأخرى بعد ذلك خصوصًا في القرون المتأخِّرة، من أبرزها: اللُّغة الأوردِيّة في بلاد الهند، واللُّغة الجاوِيَّة التي تُرْجم إليها القرآن مع تفسير البَيْضاوي.

الاتجاه الثاني: التَّرجمة إلى اللُّغات الأوروبيَّة[٢]: أوَّل محاولة لتَرجمة للقرآن الكريم إلى لغةٍ أوروبيَّة كانت في (دير كلوني) بإسبانيا، عام ٥٣٧هـ/١١٤٢م، عندما قام بها فريق كَوَّنه الراهب بُطرس المبجَّل Peter the Venerable، وذلك إلى اللُّغة اللاتينيّة. ومنها تُرجم القرآن إلى اللُّغات الأوروبية الأخرى، ولم تُتَداول بشكل واسع بسبَب عدم ظهور الطِّباعة حينئذ، لكن بعد اختراع الطباعة عام ١٤٥٠م، انتشرت تَرْجمات القرآن، بلُغات أوروبية مختلفة، فظهرت الترجمة الإيطاليَّة عام ١٥٤٧م، التي كانت أوَّل ترجمة لمعاني القرآن الكريم كاملًا إلى لُغة أوروبية حديثة. كما ظهرت أوَّل تَرْجمة إلى الفرنسيَّة وهي ترجمة (أندريه دو ريير) عام ١٦٤٧م، وظهرت أوَّل ترجمة إلى اللُّغة الإنجليزية على يد ألكسندر روس عام ١٦٤٨م، نقلا عن ترجمة (أندريه دو ريير) الفرنسيَّة، ومن ثم لم تكن هذه التَّرجمة دقيقةً بناء على أصْلها، واحتَوَت على أخطاء كثيرة، ومُغالَطات واضِحة عن الإسلام.

وهذه التَّرجمات للقرآن الكريم لم يكن الغَرَض منها الاطِّلاع عليه أو الاستفادة منه، وإنما كان هدفهم محاربَته بعد الوقوف على مضْمونه، وإثارة الشُّبهات والتَّشكيك حوله، ومن ثَمَّ سلكوا حُريَّة الترجمة بحيث تأتي موافقة لأهوائهم من حيث التصرُّف بالنّصوص عن طريق التَّقديم والتَّأخير، والحذْف والتَّحريف، وغير ذلك.

---

(١) البيان والتبيين (١/٢٩٣). وذُكِر أن سلمان الفارسي ﷺ أوَّل من ترجم القرآن إلى الفارسية حيث ترجم سورة الفاتحة لبعض قومه من الفرس، لكنه خبر مجهول الأصْل مضطَرب الرِّواية وبالتالي لا يُعتمَد عليه، ينظر: مناهل العرفان (٢/١٥٩).

(٢) ينظر: أوائل ترجمات معاني القرآن الكريم في اللّغات الأوروبية، لمحمد همام فكري. بحث تاريخ ترجمة المستشرقين لمعاني القرآن الكريم وبيان خطرها. ضمن بحوث ندوة «ترجمة معاني القرآن الكريم تقويم للماضي وتخطيط للمستقبل» المنعقدة بمجمع الملك فهد بالمدينة المنورة عام ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

وفي القرن العشرين ظهَرت كثير من التَّرجمات للقرآن الكريم باللغات الأوروبيَّة، اتَّسَمَ بعضها بنَوْع من الحياديَّة، بخلاف الاتِّجاه العَدائي الصِّرْف الذي كان سائدًا قبل مطْلع هذا القرن؛ لكن لا يَخفى أنَّ من لا يؤمنُ بأن القرآن من عند الله مَهْما حاول التَّجرُّد من الهوى والتزام شيء من الموضوعيَّة والحياد؛ فإنَّه واقع لا محالة في الخَطَأ والقُصور.

أما المسلمون فقد دخَلوا ميدان ترَجمة معاني القرآن الكريم إلى اللُّغات الأوروبية في القرن العشرين، وأهمّ ما يميِّز ترجَماتهم أنَّها كاملةٌ ومطابِقةٌ لترتيب المصحف الشَّريف بالرَّسم والترتيب العثماني، وأسلم هدفًا وغايةً وأوضح وأدق للمقصود، وأهمّ وأشهر هذه التَّرجمات: ترجمة عبد الله يوسف علي التي طُبعت طبعتها الأولى في لاهور عام ١٩٣٤م، وترْجمة محمد مرمادوك المنشورة بلندن عام ١٩٦٩م.

ولا شك أنه هذه الترجمات الفرديّة عُرضة للتفاوت فيما بينها، نظرًا لتفاوت مستويات المترجمين في تمكُّنهم من اللغة، إضافة إلى أن المترجِم في الأصل يقوم بعمل يعتمِد على الاجتهاد، لذا كلما خَضَعت الترجمة لمراجعةٍ دقيقة من لجان متخصِّصة، أو كانت صادرةً عنها كانت وافيةً بالمطلوب محقِّقةً للغرض المقصود.

ومن هنا فقد تُوِّجت جهود المسلمين في التَّرْجَمة بإنشاء مؤسَّسات ومراكز متخصِّصة للعناية بتَرجمة القرآن الكريم تراجم متْقَنَةً مضبوطةً مراجعةً، مع طباعتها وتوزيعها، من أبرزها مُجمَّع الملك فهد لطباعة المصْحَف الشَّريف بالمدينة المنوَّرة، الذي أنشأ عام ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م «مركز التَّرْجَمات»، وكان من أهمِّ أهدافه[١]:

١- القيام بأعمال تَرجَمات معاني القرآن الكريم إلى لُغات العالم.

٢- دراسة المشَاكل المرتَبِطة بتَرجَمات معاني القرآن الكريم وتقديم الحلول المناسبة.

٣- دراسة التَّرجمات الحاليَّة لمعاني القرآن الكريم، وإعداد دراسات نقديَّة عنها؛ لتحديد درجة صحَّتها ومستواها العلميّ واللُّغوي، ومدى انتشارها، وتقديم الاقتراحات

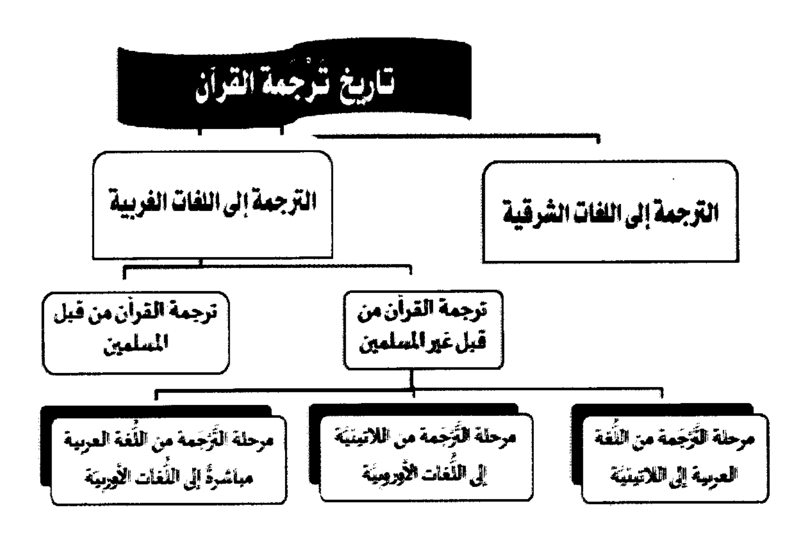
---

(١) ينظر: تقرير جهود المملكة العربية السعودية في مجال تَرجمة معاني القرآن الكريم من خلال مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشَّريف بالمدينة المنورة، إعداد: مركز التَّرجمات بالمجمع.

بشأن العمل على تبنِّي الترجمات الصحيحة ، واستبعاد الترجمات غير الصحيحة .

٤ - تَسْجيل تَرجمة معاني القرآن الكريم في أشْرطةٍ صوتيَّة وأسطوانات ليزر .

وقد صدرت عن المجمع تَرْجمات لمعاني القرآن الكريم إلى أكثر من ٧٠ لغةٍ من مختَلَف اللُّغات الآسيويَّة والإفريقيَّة والأوروبيَّة ، من أبرزها: الأورديّة ، والإندونيسيّة ، والتركيّة ، والفارسية ، والبنْغالية ، والصينية ، والصُّومالية ، والهَوْساوِيّة ، والأمْهرية ، والإنجليزيّة ، والفرنسيّة ، والإسبانيّة ، والروسيّة ، والألمانيّة ، وغيرها .





خلاصة الفصل الخامس (التفسير وعلومه)

١- علم تفسير القرآن

١/ ١ **التَّفسير**: هو بيَان معاني القرآن الكَريم.

١/ ٢ **التأويل** له معنيان: الحقيقة التي يؤول إليها الكلام، وبيان مراد المتكلِّم، والثاني بمعنى التَّفسير.

١/ ٣ **الاستنْباط** من القرآن: هو استخراج المعاني المترتِّبةِ على المعنى المرادِ من الآية بطريقٍ صحيح

١/ ٤ **التَّفسير المأثور**: ما أُثِر من تفسيرٍ عن الرسول ﷺ والصحابة والتابعين وأتْباع التابعين.

١/ ٥ علم التَّفسير علمٌ قائم بذاتِه منذ عهد الصَّحابة، وقد مرّ بمرحلتين: مرحلة تفسير السلف، ومرحلة توسُّع التَّفسير واختلاف مناهِجه.

١/ ٦ **مراحل تدوين التَّفسير**: ١- تدوين التَّفسير في عَصْر السَّلف ٢- ما بعد عَصْر أتباع التَّابعين إلى عصر الطَّبري، ٣- عصر الطَّبري. ٤- عصر ما بعد الطَّبري.

١/ ٧ **من أبرز كتب التفسير**: تفسير الطَّبري (ت: ٣١٠)، تَفْسير ابن عطِيَّة (ت: ٥٤٢)، تفسير القُرْطبي (ت: ٦٧١)، تفسير البَيْضاوي (ت: ٦٨٥)، تَفْسير ابن كَثِير (ت: ٧٧٤)، تَفْسير ابن عاشُور (ت: ١٣٩٣).

٢ - عِلْم أصُول التَّفسير

٢/١ **أصول التَّفسير**: هي الأُسُس العلميَّة التي يرجِع إليها المفسِّر حال بيانِه لمعاني القرآن، وتحريرِه للاختِلاف في التَّفسير.

٢/٢ **مسائل أصول التَّفسير هي**: مصادر التفسير وطرقه، الاختلاف في التَّفسير، قواعد التَّفسير.

٢/٣ دُوِّنت مسائل أصول التفسير ابتداءً ضِمْن بعض علوم الشريعة، من أبرزها: التَّفسير، ثم صار علمًا متميِّزًا له كتُبه الخاصَّة، التي من أبرزها «مقدِّمة في أُصول التَّفسير»، لابن تيميَّة.

٢/٤ لتفسير القرآن طريقان رئيسان في كيفيَّته: النَّقل، والاجتهاد (الرأي).

٢/٥ الرأي من حيث المستَنَد نَوْعان: رأيٌ محمود، ورأيٌ مذْموم.

٣- عِلْم مناهج المُفسِّرين

٣/١ **مَنْهج المفسِّر**: هو الطريقة الواضحة المنظَّمة ذات القواعد والأُسُس التي سار عليها المفسِّر في تفسيره للقرآن.

٣/٢ مناهج المفسِّرين له أصلٌ لدى السَّابقين من خلال التقويم الإجمالي لبعض كتب التفسير في مقدِّمات بعض التَّفاسير أو كُتُب علوم القرآن. ثم تطور على يد المعاصرين حتى صار علما مستقلًّا له مؤلَّفاته، التي من أبرزها: «التَّفسير والمفسِّرون» لمحمد حسين الذَّهبي (ت: ١٣٩٧).

٣/٣ **موضوعات دراسة منهج المفسِّر هي**: العوامل المؤثِّرة في تفسير المفسِّر، طريقته في تأليف كتابه، قيمة التَّفسير العلميَّة.

٤/٣ **أساليب كتابة التفسير** أربعة: التَّحليلي، والمقارن، والإجمالي، والموْضوعي (التَّفسير الموْضوعي).

٥/٣ **المقصود بالاتِّجاه في التفسير**: المسْلَك العِلْميّ الذي قَصَد المفسِّر إبرازه في تفسيره.

٦/٣ **الاتِّجاهات في التفسير** قِسْمان: **الاتِّجاه العلمي**، ويشمل: الاتِّجاه الأثَري، والاتِّجاه النَّحوي، والاتجاه البلاغي، والاتجاه اللُّغوي، ونحوها. **الاتِّجاه المذْهَبي**، ويشمل: الاتجاه الفقهي، الاتجاه العَقَدي.

٤- عِلْم أحْكام القُرآن

١/٤ هو العلم الذي يُعنى بِبَيان الأحكام الشَّرعيَّة التي تدلُّ عليها آيات القرآن نصًّا، أو استنْباطًا.

٢/٤ مَرَّ تفسير أحكام القرآن بمرحلَتَين أساسيَّتَيْن: عهد النُّبُوَّة والصَّحابة والتَّابعين، مرحلة المذاهب الفقهيَّة.

٣/٤ اختلف العلماء في عدد آيات الأحكام نتيجة لاختلافهم في الآيات التي يمكن استنباط أحكام شرعية منها، وذلك لأن آيات الأحكام من حيث دلالتها على الأحكام قسمان: آياتٌ صريحةٌ في الأحكام، ما تُؤخذ منها الأحكام بطريق الاستِنْباط.

٤/٤ من أوائل من ألَّف في أحكام القرآن: مقاتِل بن سُليمان (ت:١٥٠)، ثم توالت المؤلفات بحسب المذاهب الفقهية. ومن أبرزها: أحْكام القُرآن، للجصّاص الحنفي (ت:٣٧٠)، وأحْكام القُرآن، لابن العَرَبيّ المالكي (ت:٥٤٣)، وأحْكام القُرآن، لإلكيا الهرّاسِي الشافعي (ت:٥٠٤).

٥/٤ جرى ترتيب كتب أحكام القرآن على منهَجَيْن: على الموضوعات الفقهيَّة، أو على سُوَر القرآن.

٥- عِلْم النَّاسِخ والمنْسُوخ في القُرآن:

١/٥ النسخ في اصطلاح المتأخِّرين: رَفْع حُكم دليلٍ شَرعيّ، أو لَفْظه، بدليلٍ من الكتاب أو السُّنَّة. وفي اصطلاح السَّلف: هو رَفْع أيّ معنى في النَّص بنصٍّ آخر.

٢/٥ يقع النسخ بالقرآن وبالسُّنَّة، لذا فله أربعة أقسام: نسْخ القرآن بالقرآن، نسخ السُّنَّة بالقرآن، نسْخ القرآن بالسُّنّة، نسْخ السُّنَّة بالسُّنَّة.

٣/٥ النّسخ في القرآن باعتبار بقاء التلاوة والحكم ثلاثة أنواع: نَسْخ الحُكْم مع بقاء التلاوة، نسْخ التِّلاوة مع بقاء الحُكْم، نسْخ التِّلاوة والحُكْم معًا.

٤/٥ القول بالنسخ في القرآن أمر توقيفي، تحصيله بالرجوع إلى كُتُب تفسير السَّلف وكتُب النَّاسخ والمنسوخ.

٥/٥ من أبرز المصنفات في ناسخ القرآن ومنسوخه: النَّاسخ والمنْسوخ، لأبي عُبَيد (ت:٢٢٤)، النَّاسخ والمنْسوخ في كتاب الله ﷻ، لأبي جعْفر النحّاس (ت:٣٣٨). النَّاسخ والمنسوخ في القرآن الكريم، لابن العَرَبيّ (ت:٥٤٣).

٦- علم متشابه القرآن

١/٦ المتشابِه مصطلح يُطلَق في علوم القرآن على نوْعَين: المتَشابه اللَّفْظي، والمتشَابه المعْنَوي.

٢/٦ **المتَشابِه اللَّفظي**: هو الآيات القرآنيَّة التي تحوي ألفاظًا متَّفِقةً في صُوَرٍ شتَّى.

٣/٦ جاءت التصانيف في المتشابه اللفظي على ضَرْبَين: مصنَّفات تُعنى ببيان مواضِع المتَشابه اللَّفظي دون توْجِيه، ومصنَّفات تُعنى بتوجيه المتشابه اللَّفظي. ومن أبرزها: دُرَّة التنزيل للخطيب الإسْكافي (ت: ٤٢٠)، مِلاك التَّأويل، لابن الزُّبير الغرناطي (ت: ٧٠٨).

٤/٦ جاء في وصف القرآن بأنه مُحْكَم كلُّه، كما جاء وصْفه بأنه متشَابه كلُّه، ولا تعارُض إذ المقصود بالإحكام الإحْكام العامّ، بمعنى: أن الله سبحانه وتعالى قد أحكَم القرآن آيةً آيةً، أي أتْقنه إتقانًا يمتَنع عنه النقص والخلَل، ويقابله المتشابه العامّ، أي: يُشبه بعضه بعضًا في البلاغة والفصاحة والنَّظم والإعجاز.

٥/٦ **المتشابه المعنَوي**: قسمان: الأوّل: المتشابه الكُلِّي: وهو ما استأثَر الله بعلمه، ويكون المحكَم بهذا الاعتبار: ما علمه الناس على وجه العموم، الثَّاني: المتشابه النِّسبي: وهو ما يخفى معناه الحقيقي على بعض الناس مع علمهم بمعناه في الظَّاهر، ويعلم غيرهم معناه الحقيقي. وعلى هذا فالمتشابه النِّسبي من علوم التَّفسير، وهو المشْكِل مصطلَحان مترادِفان، كلٌّ يؤدِّي معنى الآخر.

٧- علم مُشْكِلُ القُرآن

١/٧ مُشْكِلُ القُرآن: هو الآيات التي التَبَسَ معناها واشْتَبَه فلَمْ يُعرَف المرادُ منها عند الكَثير.

٢/٧ السؤال عن مُشْكِل القرآن منذ عهد النبي ﷺ والصحابة والتابعين، ثم ظهرت في القرن الثاني موْجَةٌ من الزَّنْدَقة تشكِّك بالقرآن، مما كان سببًا للتأليف في مُشْكِل القرآن والرد على الملحدين، ثم صار الأمر بعد ذلك أعمّ في البَحث، فأصبح المراد بيان ما يُشْكِل فهْمُه على القارئين، أيًّا كان.

٣/٧ من أبرز أسباب وقوع الإشكال في القرآن: وقوع المُخْبَر به على أحوالٍ مُخْتَلفة، اختِلاف المكان والحال، اختِلاف الموْضوع في الآيات، اختِلاف جهة الفعل.

٤/٧ من أبرز المؤلفات في مُشْكِلُ القُرآن: «تَأويل مُشْكِل القرآن» لابن قُتَيبة، «تفسير آيات أشْكَلَت» لابن تَيْميَّة (ت٧٢٨)، «دَفْع إيهام الاضْطراب» للشنقيطي (ت: ١٣٩٢).

٨- علم المُبْهَمات في القُرآن

١/٨ مُبْهمات القرآن: هي ما لَمْ يُصرَّح به في القُرآن الكريم من الأعْلام والأزْمِنة والأمْكِنة ونحوها.

٢/٨ مَرْجِع هذا العِلمُ هو النَّقْل المحْض، ولا مَجال للرَّأي فيه.

٣/٨ من أبرز أسباب وقوع المبْهَمات في القرآن: الاستِغناء ببيانه في موْضِع آخر، الاشتِهار، ألا يكون في تعيينه كبيرُ فائدة.

٤/٨ من أبرز المصنَّفات في مُبْهَمات القرآن: «التَّعريف والإعْلام في ما أُبهم في القرآن» للسُّهيلي (ت:٥٨١)، «مُفْحِمات الأقْران في مُبْهمات القُرآن» للسُّيوطي (ت: ٩١١).

٩ - عِلم المناسَبات في القرآن

١/٩ علم المناسَبات في القرآن: هو علم تُعرَفُ منه عِلَل ترتيب أجزاء القرآن.

٢/٩ من أبرز أنواع المناسَبات في القرآن: المناسَبة بين الآية والآية التي تَلِيها، المناسَبة بين أوَّل السُّورة وخاتمتها، المناسَبة بين خاتِمة السُّورة وأوَّل التي تَليها، المناسَبة بين موْضوع السُّورة وموضوع التي تَليها.

٣/٩ من أشهر مؤلفات علم المناسبات: تفسير «نَظْم الدُّرَر في تناسُب الآيات والسُّوَر» للبِقاعي (ت:٨٨٥)، تناسُق الدُّرَر في تناسُب السُّوَر«و» مراصِد المطالع في تناسُب المقاطِع والمطالِع». كلاهما للسُّيوطي (ت:٩١١).

١٠ - تَرْجَمة القرآن

١/١٠ التَّرجمة الحَرْفيَّة: هي نقل ألفاظٍ من لُغةٍ إلى نظائرها من اللُّغة الأخرى، ويحرم ترجمة القرآن بهذه الترجمة لأنها تخرج القرآن عن أن يكون قرآنًا.

٢/١٠ التَّرجمة التفسيرية أو المعنويَّة: هي شَرْح وبيان معنى الكلام بلُغَةٍ أخرى من غير تقْيِيدٍ بترتيب كلمات الأصْل. والأرْجح جواز تَرْجمة القرآن ترجَمةً تفسيريَّة بشروط معينة.

٣/١٠ مرَّت ترْجمة القرآن باتِّجاهَين مختلفَين: الأول: التَّرْجَمة إلى اللُّغات الشرقيّة، وقد كانت اللُّغة الفارسية من أوائل اللُّغات التي تُرْجِمت إليها معاني القرآن، الثاني: التَّرجمة إلى اللُّغات الأوروبيَّة: ومرّت بمرحلتين المرحلة الأولى: مرحلة تَرجمة القرآن من قِبَل غير المسلمين، المرحلة الثانية: مرحلة تَرجمة القرآن من قِبَل المسلمين.



أسئلة تقويمية

١. عرّف التفسير.
٢. وازن بين التفسير وكلٍّ من التأويل والاستنباط والتدبر.
٣. من أوَّل المفسرين؟ دلل على ذلك.
٤. اذكر اثنين من أبرز مفسري كل من الصحابة، والتابعين، وأتباع التابعين.
٥. التفسير علم قائم بذاته منذ عهد الصحابة. وضح ذلك.
٦. وضِّح المراد بالتفسير المأثور.
٧. عدِّد مراحل نشأة التفسير، مع شرح كل منها بإيجاز.
٨. تحدَّث عن تدوين التفسير بإيجاز موَضِّحًا أقسامه ومراحله.
٩. يُعَدُّ تفسير الطبري أبرز التفاسير. وضِّح ذلك من خلال بيان مزاياه وأثره.
١٠. اذكر أربعةً من أهَمّ التفاسير بعد الطَّبري، مع توضيح مزايا كلٍّ منها باختصار.
١١. عرِّف أصول التفسير.
١٢. عدّد المسائل الكلية لعلم أصول التفسير.
١٣. تحدّث عن نشأة علم أصول التفسير، مع ذكر أهم مؤلفاته.
١٤. اذكر ثلاثة من أبرز مصنفات أصول التفسير.
١٥. اشرح الطريقين الرئيسيين لكيفية التفسير بإيجاز.
١٦. متى ظهر التفسير بالرأي؟ وضِّح ذلك.
١٧. التفسير بالرأي نوعان. اذكرهما مع التعريف وبيان الحكم لكل منهما.
١٨. ما المراد بمنهج المفسر؟
١٩. تحدَّث عن نشأة علم مناهج المفسرين، مع ذكر أهم مؤلفاته.
٢٠. عدِّد موضوعات دراسة منهج المفسر الأساسية؟
٢١. اذكر أساليب كتابة التفسير، مع بيان الفرق بينها.
٢٢. عرّف التفسير الموضوعي، واذكر أنواعه.
٢٣. ما المقصود باتجاهات المفسرين؟ وما أقسامه؟ مع التمثيل.
٢٤. عرِّف علم أحكام القرآن.
٢٥. ما المراد بآيات الأحكام؟ وضِّح عددها وأقسامها.

٢٦. تحدَّث عن نشأة علم أحْكام القرآن، مع بيان أول من صنّف فيه.

٢٧. اذكر مصنَّفين اثنين في أحكام القرآن في: المذهب الحنفي، المذهب المالكي، المذهب الشافعي، الكتب المعاصرة.

٢٨. ما منهج الترتيب في كتب أحكام القرآن؟ مع التمثيل لكل منها.

٢٩. اذكر اثنين من المآخذ على كتب أحكام القرآن.

٣٠. عرِّف النسخ عند المتقدمين والمتأخرين.

٣١. وضِّح أهميَّة علم النَّاسخ والمنسوخ في القرآن.

٣٢. اذكر ثلاث حِكَم لورود النسخ في مسائل الشَّرع.

٣٣. عدّد شروط النسخ.

٣٤. بِمَ يقَع النَّسخ؟ مع بيان الأقسام المترتِّبة على ذلك ومدى وقوع كل منها.

٣٥. ما أنواع النّسخ في القرآن باعتبار بقاء التلاوة والحكم؟ مثِّل لكلٍّ منها.

٣٦. اذكر طُرُق معرفة النَّاسخ والمنسوخ، مع بيان هل القول بالنسخ توقيفيّ أم اجتهادي؟

٣٧. ما مصادر النَّاسخ والمنسوخ في القرآن، مع تعداد خمسةٍ من أبرز كُتُبه.

٣٨. المتشابه في علوم القرآن مصطلح يطلق على نوعين، اذكرهما.

٣٩. وضِّح المراد بالمتشابه اللفظي؟

٤٠. ما الحكمة من ورود المتشابه اللفظي في القرآن؟

٤١. جاءت المصنفات في المتشابه اللفظي على ضربين. اذكرهما مع التمثيل لكل منهما.

٤٢. استنتج علاقة كتب المتشابه اللَّفظي بالتَّفسير.

٤٣. وجِّه التشابه اللَّفظي بين قوله تعالى: ﴿وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٠]، وقوله تعالى: ﴿فَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَسْفَلِينَ﴾ [الصافات: ٩٨].

٤٤. جاء في القرآن أنه مُحكَم كلُّه ومتشابِه كلُّه، ولا تعارض بين الوصفَيْن. وضِّح ذلك.

٤٥. ما المراد بالمحكم والمتشابه في قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ﴾ [آل عمران: ٧]؟

٤٦. اشرح الفرق بين المتشابه الكلِّي والمتشابه النِّسبي.

٤٧. ما مفهوم «مُشكِل القرآن»؟ وما الفرق بينه وبين المتَشابه؟

٤٨. تحدَّث عن نشأة علم مشكل القرآن وتدوينه.

٤٩. ما الحِكْمة من وجود المُشْكِل في القرآن؟

٥٠. عدِّد أربعة مصنَّفات في مُشْكل القرآن.

٥١. ما أسباب الاختِلاف ووقوع الإشْكال في القرآن؟

٥٢. وضِّح مفهوم المُبْهَمات في القرآن، مع التمثيل لذلك.

٥٣. ما أصل علم مُبْهَمات القرآن؟ وما أهميّته؟

٥٤. اذكر التوقيفي والاجتهادي من علوم القرآن التالية: الناسخ والمنسوخ، توجيه المتشابه اللفظي، بيان مُشْكِل القرآن، مُبهمات القرآن، مناسبات القرآن.

٥٥. ما أسباب وقوع المبْهَمات في القرآن؟

٥٦. عدِّد ثلاثة مصنَّفات في مُبهمات القرآن.

٥٧. ما المراد بالمناسَبات في القرآن؟

٥٨. اذكر أربعة من أبرز أنواع المناسَبات في القرآن، مع التمثيل لكل منها.

٥٩. ما الكتب التي اعتنت بمناسبات القرآن؟ اذكر ثلاثة منها.

٦٠. اذكر نوعي الترجمة. وحكم كلٍّ منهما.

٦١. تحدَّث عن تاريخ ترجمة القرآن بإيجاز.

أسئلة إثرائية

١. بعد القرن الثالث توَسَّع التفسير كثيرًا بسبب الاستطرادات الواردة في مسائل متعلقة بعلوم أخرى، ما العلوم البارزة في التَّفاسير التالية: تفسير الثَّعلبي، تفسير الزَّمخشَري، تفسير القرطبي، تفسير أبي حيّان، تفسير الرَّازي.

٢. من تفاسير المتأخرين المشتَهرة: تفسير الجلالَين، تحدث بإيجاز عن مؤلفيه ومزاياه والمآخذ عليه.

٣. اذكر مصادر التفسير مع بيان أهمية كلٍّ منها وحجِّيته.

٤. حرر بإيجاز منهج أحد التفاسير التالية وفق موضوعات منهج المفسر التي درستها: تفسير البغوي، تفسير ابن كثير، تفسير السعدي.

٥. ما الاتجاه العلمي والمذهبي لكل من التفاسير التالية؟ تفسير الزمخشري، أحكام القرآن لابن العربي، البحر المحيط لأبي حيان، تفسير أبي السعود.

٦. عُدْ إلى تفسير القرطبي ثم استخرج المسائل الفقهيَّة التي أوردها عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٌ﴾ [يوسف: ٧٢].

٧. هل لمفهوم النسخ لدى السلف والمتأخرين أثر في مقدار الآيات المنسوخة في القرآن؟ وضِّح ذلك.

٨. وضِّح العلاقة بين النسخ في القرآن والمكي والمدني.

٩. عُدْ إلى كتاب «مِلاك التَّأويل» ثم وجِّه المتشابه اللفظي بين الآيات التالية:

أ) قوله تعالى في سورة نوح: ﴿وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلًا﴾ [نوح: ٢٤] وبعده في آخر السورة: ﴿وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًا﴾.

ب) قول تعالى في سورة النبأ [٢٦، ٣٦] في أهل النار: ﴿جَزَآءً وِفَاقًا﴾ وفي أهل الجنة ﴿جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا﴾.

ج) قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ [التكوير: ٦]، وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ﴾ [الانفطار: ٣].

١٠. عُدْ إلى كتاب «دفع إيهام الاضطراب» ثم وجِّه التعارض المتوهَّم فيما يلي:

أ) العموم في قوله تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة: ٧]، والآيات التي تخالفه كقوله تعالى: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾ [الفرقان: ٢٣].

ب) بين قوله تعالى: ﴿وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ﴾ [الحاقة: ٣٦]، وقوله تعالى: ﴿لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ﴾ [الغاشية: ٦].

ج) بين قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ﴾ [الحاقة: ٢٥]، وقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ﴾ [الانشقاق: ١٠].

١١. عُدْ إلى كتاب «مُفْحِمات الأقْران»، ثم استخرج المبهمات في جزء «تبارك».

١٢. من خلال كتاب «تناسُق الدُّرَر في تناسُب السُّوَر» وضِّح المناسبات بين قصار السور.






الفصل السادس
علوم لُغة القرآن وأساليبه

أولًا: عِلْم غريب القرآن.
ثانيًا: عِلْم الوجوه والنَّظائر.
ثالثًا: عِلْم المعَرَّب في القرآن.
رابعًا: عِلْم إعراب القرآن.
خامسًا: عِلْم بلاغة القرآن.
سادسًا: دلالات ألفاظ القرآن.
سابعًا: عِلْم أقسام القرآن.
ثامنًا: عِلْم أمثال القرآن.
تاسعًا: عِلْم قصص القرآن.
عاشرًا: عِلْم الجَدَل في القرآن.

أهداف الفصل

أهم ما يهدف إليه هذا الفصل أن يكون الدارس قادرا على أن:

١) يُبيّن معاني بعض مفردات القرآن الغريبة بالرجوع إلى كتب غريب القرآن.
٢) يفرّق بين الوجوه والنظائر والمعرّب في القرآن.
٣) يبين أهمية إعراب القرآن وفائدته.
٤) يُبيّن علاقة علم البلاغة بالقرآن.
٥) يفرّق بين دلالات ألفاظ القرآن واعتبارات تنوعها.
٦) أن يتعرّف على أبرز أساليب القرآن.



أولاً: عِلم غَرِيب القُرآن

مفهوم غَريب القرآن:

الغريب لُغَةً: الغامِض من الكلام[١].

أما **اصطلاحًا** فغَرِيب القُرآن: هو كلِمات القرآن الغامِضة المعْنى[٢]، وبيان غَريب القرآن هو: بيان معاني كلمات القرآن الغامِضة المعنى.

أما **موضوع هذا العلم** فهو يُعنى بدلالة ألفاظ القرآن، دون غيرها من المباحث المتعلِّقة بالتفسير أو المعاني.

أهميَّة علم غَريب القرآن:

يُعَدّ هذا العلم من أهمِّ علوم التَّفسير؛ لأن كثيرًا من آيات القرآن لا تخْلُو منه، قال السُّيوطي: «معرفة هذا الفنِّ أمر ضَروريٌّ للمفسِّر كما سيأتي في شروط المفسِّر، قال في البرهان: ويحتاج الكاشِف عن ذلك إلى معرفة علم اللُّغة: أسماءً وأفعالًا وحروفًا»[٣].

كما أنه أوَّل لبِنات معرفة التفسير، ولا يَخفى أن الجهْل بمفردات القرآن من أسباب عدَم فهم القرآن؛ فمن يَقْرأ قوله تعالى: ﴿وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ﴾ [الماعون: ٧]، ولم يكن يعرف المراد بالماعون؛ فإنَّه لا يمكنه أن يفسِّر هذه الآية، ولا أن يستنبط الأحكام منها.

أقسام الألفاظ القرآنية:

يمكن تقسيم الألفاظ القرآنية إلى نوعَيْن كُلِّـيَّين[٤]:

---

(١) كتاب العين (٤/٤١١)، وينظر: تهذيب اللغة (٨/١١٥).

(٢) يدخل في ذلك كل ما يكون غامضًا على القارئ، وهذا أمر نِسبيّ، فما كان غريبًا غامضًا عند مصنِّف لا تجده كذلك عند آخر؛ لذا لا يذكره في مصنَّفه. ومما يُنبَّه إليه أن الغموض والغرابة هنا لا يُراد منها عدم الفصاحة، أو ما كان نافرًا أو شاذًّا مستنكرًا من الألفاظ، أو ما لا يكاد يُعرف من حيث الجملة، وإنما المراد ما لا يكاد يُعرف عند أناس دون آخرين، لكنَّه معروف عمومًا.

(٣) الإتقان (٢/ ٥).

(٤) ينظر: أنواع التَّصنيف المتعلِّقة بتفسير القرآن (ص١١٩).

النَّوع الأوَّل: ما يكون له معنًى واحد لا غَيْر في لغة العرب، وهو قِسمان:

١- ما يكون معناه ظاهرًا للكلِّ لا يحتاج فيه إلى بيان، كلَفْظ الأرض، والماء، والهواء، والشَّمس، والقمر، وغيرها.

٢- ما يحتاج إلى بيان لخفائه؛ كلفظ «بَاسِقَـٰتٍ»، ولفظ «فَٱلْمُغِيرَٰتِ».

النَّوع الثاني: ما يكون له أكثر من معنى، وقد تأتي معانيه في سياقات مختَلفة من القرآن، وذلك ما يُعرف بالوُجوه والنَّظائر، وسيأتي الكلام عنها في المبحث التالي.

الجدير بالذكر أن كثيرًا ممن ألَّف في غريب القرآن لم يَقْتصر على الغريب الغامض من ألفاظ القرآن، بل فسَّر أغلبها وإن كانت من الواضِح المعروف، لذا تجد بعض مصنَّفات هذا العلم قد تضخَّمت وتوسَّعت، يظهر هذا جليًّا في مثل كتاب «مفردات ألفاظ القرآن» للرَّاغب الأصفهاني (ت: بعد ٤٠٠).

نشْأة علم غريب القرآن وأبرز مصنَّفاته:

يعود تفسير ألفاظ القرآن إلى عهد النبي ﷺ الذي كان يفسِّر لصحابته ما احتاجوا إليه، كقوله ﷺ في تفسير قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَـٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: ١٤٣]: «**والوَسَط: العَدْل**»[١]، لكنّه قليلٌ جدًّا لكون الصَّحابة رضي الله عنهم يفهمون القرآن الذي نزل بلُغتهم، وقد وَردت روايات تدلُّ على تَوَقُّفهم رضي الله عنهم في ما لم يتَبَيَّنوا منه؛ كقول أبي بكر رضي الله عنه عندما سُئل عن قوله تعالى: ﴿وَأَبًّا﴾ [عبس: ٣١]: «أيُّ سماء تُظلُّني، أو أيُّ أرض تُقِلُّني إن أنَا قُلْتُ في كتاب الله ما لا أعلَم!»[٢].

كما وَرَدت روايات تدلُّ على عنايتهم بِه وتَتَبُّع معانيه في لُغة العرب، نحو قول ابن عباس رضي الله عنهما: «كنتُ لا أدري ما ﴿فَاطِرِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ﴾ حتى أتاني أعرابيَّان يختَصِمان في بئرٍ فقال أحدُهما: أنا فَطَرتُها، يقول: أنا ابتدأتُها»[٣].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٦/ ٢١) (٤٤٨٧).

(٢) أخرجه أبو عُبيد في فضائل القرآن (ص٢٢٧)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور إلى عبد بن حميد (١٥/ ٢٥١).

(٣) أخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن (ص٢٠٦)، والطبري في تفسيره (٩/ ١٧٥).

وقد كان ابن عباس رضي الله عنهما من أكثرهم عنايةً به، مع الاستشهاد بالشِّعر عليه، ذلك ما رواه عكرمة عنه، قال: أتاه رجُلٌ وأنا جالس فقال: أرأيْتَ قول الله: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ﴾ [المدثر: ٤] قال: «لا تَلْبسها على معْصيةٍ ولا على غَدْرَةٍ، ثمَّ قال: أما سمعت قول غَيلان ابن سَلَمة الثَّقفي:

وإنِّي بحَمْد الله لا ثَوْب فاجِرٍ   لَبِستُ ولا من غَدْرةٍ أتقنَّعُ»[١].

وقد اشتُهر عنه في ذلك ما عُرف بمسائل ابن الأزْرق له[٢]، كذلك كان تلاميذه كسَعيد بن جُبَير وعِكْرمة.

أما تدوينه فقد كان قديمًا منذ عهد أتباع التَّابعين في القرن الثاني الهجري، واستمَرَّ إلى يومنا، ومن أبرز تلك المدوَّنات والكُتُب ما يلي:

١- مَجاز القرآن[٣]، لأبي عُبَيدة مَعْمَر بن المثنَّى (ت: ٢٠٨).

٢- تفسير غَريب القرآن[٤]، لابن قُتَيْبة (ت: ٢٧٦).

٣- غريب القرآن، لابن عُزيز السّجسْتاني (ت: ٣٣٠).

٤- مفردات ألفاظ القرآن[٥]، للرَّاغب الأصْفهاني (ت: بعد ٤٠٠).

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٣/ ٤٠٥).

(٢) نافع ابن الأزرق الحَروري من رؤوس الخوارج، تُنسب إليه من فرقهم طائفة الأزارقة، وقد كان يأتي إلى ابن عباس يسأله عن القرآن وغيره، وقد جُمع بعضها فيما عُرف بمسائل ابن الأزرق، بلغت المئات عند البعض، لكنها ورَدت من طُرُق غير مرْضيَّة، فضلًا عما يدور حولها من كثرة الشَّكّ، ولا يبعُد أن يكون لها أصلٌ لكن زِيد عليها كثيرًا. ينظر: الشَّاهد الشعري في تفسير القرآن (ص٢٥٥- ٢٩٣)، التفسير اللغوي (ص٣٣٠-٣٣١).

(٣) وهو من أشهر كتب غريب القرآن وأعظمها أثرًا في مَنْ جاء بعده، كما يتميَّز بكثرة الشواهد الشعرية، ويُعدّ أول كتاب مطبوع في الغريب وصل إلينا. ينظر: التفسير اللغوي (ص٣٣٤).

(٤) وهو من أهمّ كتب غريب لاعتنائه بتفسير السلف، مع حسن الاختيار.

(٥) وهو من أوْسع كتب غريب القرآن وأنْفسها، لما اشتَمل عليه من تحرير مدلول اللَّفظ، وتقييد اللَّفظ القرآني في سياقاته، إضافةً إلى حرصه على بيان أصول معاني الكلمات.

ومن المصنَّفات المعاصرة:

١- كلمات القرآن: تفسيرٌ وبيانٌ، لمحمد حسين مَخلوف (ت: ١٤١٠).

٢- السِّراج في غريب القرآن، د.محمد بن عبد العزيز الخضيري.

٣- الميسَّر في غريب القرآن، الصَّادر عن مجمَّع الملك فهد لطباعة المصحَف الشَّريف.

وقد انتهج المؤلِّفون في هذا العلم طريقتَين في الترتيب:

الأولى: الترتيب وَفْق ترتيب ألفاظ القرآن وآياته وسُوره، وعليها سار أبو عُبَيدة وابن قُتَيبة.

الثانية: ترتيب الألفاظ القرآنية على الحروف الهجائيَّة، وعليها سار الرَّاغب الأصفهاني.

وفيما يلي **نموذج لبيان غريب سُورتي الإخلاص والفلَق** من كتاب تفسير غَريب القرآن لابن قُتَيْبة[1]:

﴿ٱلصَّمَدُ﴾ السَّيد الذي قد انتهى سُؤدَدُه؛ لأن الناس يَصْمِدُونه في حوائجهم. قال الشاعر:

خُذْها حُذَيْفُ فأنْتَ السَّيِّدُ الصَّمَدُ.

وقال عكرمةُ ومجاهدٌ: «هو الذي لا جَوْفَ له». وهو- على هذا التفسير- كأن الدال فيه مبدَلةٌ من تاء. و «المُصْمَتُ» من هذا.

﴿كُفُوًا﴾ مِثْلًا.

﴿ٱلْفَلَقِ﴾ الصُّبح.

والـ﴿غاسق﴾ اللَّيل؛ والغَسَقُ: الظلْمة.

﴿إِذَا وَقَبَ﴾ أي دَخَل في كلِّ شَيء.

ويُقال: «الغَاسِقُ»: القمر إذا كُسِف فاسْوَدَّ. ﴿إِذَا وَقَبَ﴾: دخل في الكسوف.

﴿ٱلنَّفَّـٰثَـٰتِ﴾ السَّواحر. و«يَنْفُثْن»: يَتْفُلْنَ إذا سَحَرْن ورَقَيْن.

---

(١) (ص٥٤٢).

ثانيًا: علم الوُجوه والنَّظائر في القرآن

مفهوم الوُجوه والنَّظائر:

الوُجوه لُغةً: جمع وجه، والوَجْه: مُسْتَقْبِلٌ لِكُلِّ شَيْءٍ. يُقال: وجْه الرَّجل وغيره[1]، ووجْه الكلام: السَّبيل الذي تَقصِدُه به[2].

النَّظائر لُغةً: جمع نَظير، وهو المِثْل والشَّبيه في كلِّ شيء، يُقال: فلان نَظِيرك أيْ: مِثْلُك[3].

الوُجُوه في القرآن اصطلاحًا: المعاني المختَلفة للَّفْظة القرآنيَّة في مواضعها من القرآن[4].

مثاله: لفظ (الأمَّة) الذي جاء في القرآن بمعانٍ عِدَّة منها: الطائفة من النَّاس كما في قوله تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ﴾ [آل عمران: ١٠٤]، وبمعنى الْمُدَّة كما في قوله تعالى: ﴿وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ﴾ [يوسف: ٤٥]، وبمعنى المِلَّة كما في قوله تعالى: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ [البقرة: ٢١٣]، وبمعنى الإمام في الخَيْر، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾ [النحل: ١٢٠].

أما النَّظائر في القرآن فيمكن تعريفها **اصطِلاحًا** بأنها: المواضِع القرآنية المتعَدِّدة للوْجه الواحد التي اتَّفق فيها معنى اللَّفظ[5].

مثاله: لفظ (أمَّة) بمعنى الطَّائفة من النَّاس في قوله تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ﴾ [آل عمران: ١٠٤] - في المثال السابق -، من نَظائره قوله تعالى: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ﴾ [البقرة: ١٢٨]، ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ﴾ [البقرة: ١٣٤]، ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ

---

(١) مقاييس اللغة (وجه) (٦/ ٨٨).

(٢) لسان العرب (وجه) (١٣/ ٥٥٦).

(٣) تاج العروس (نظر) (١٤/ ٢٤٩).

(٤) ينظر: التفسير اللغوي (ص٩٤). وعرَّفها الزركشي في البرهان (١/ ١٠٢) -وتبعه السيوطي في الإتقان (٤/٩٧٥)- بأنها الألفاظ المشترَكة المستعملة في عدَّة مَعانٍ.

(٥) ينظر: التفسير اللغوي (ص٩٤)، مُقدمة تحقيق كتاب «التَّصاريف» (ص ٢٤).

﴿أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، ﴿مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ﴾ [آل عمران: ١١٣]، ﴿كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ﴾ [الأنعام: ١٠٨].

ومن خلال تعريفَي الوُجوه والنَّظائر والمثال السَّابق لهما يتبيَّن لنا أن **الفَرْق بينهما** هو أن الوجوه تتعلَّق بالألفاظ المتَّحِدة في النُّطق المختَلفة في المعنى، أما النَّظائر فهي تتعلَّق بالألفاظ المتَّحدة في النُّطق والمعنى معًا الواردة في عدَدٍ من الآيات.

أهميَّة علم الوُجوه والنَّظائر:

علم الوُجوه والنَّظائر من علوم القرآن التي يحتاجها المفسِّر؛ لأنها تتعلَّق ببيان المعنى؛ كما يتضِّح من المثال السَّابق، ومن هنا فهو من أهمِّ علوم التفسير.

نشْأة علم الوُجوه والنَّظائر وأبرز مؤلَّفاته:

نشَأ هذا العلم ودُوِّن في وقتٍ مبكِّرٍ من القرن الثاني الهجري، حيث صنَّف فيه مقاتل ابن سُليمان (ت: ١٥٠) كتابه «الوُجوه والنَّظائر في القرآن»، وهو أوَّل من صنَّف فيه فيما يظْهر، بل كلُّ من جاء بعْدَه عيالٌ عليه في هذا العلم، يأخذون منه ويستدرِكون عليه[١].

وقد توالَت المصنَّفات بعْدَه، ومن أبرزها مما طُبِع:

١- الوُجوه والنَّظائر، لهارون بن موسى (ت: ١٧٠).

٢- التصاريف (تفسير القرآن مما اشتَبَهت أسماؤه وتصرَّفت معانِيه)، ليحيى بن سلَّام (ت: ٢٠٠).

٣- الوُجوه والنَّظائر لألفاظ الكتَاب العزيز، للحُسين الدامغاني (ت: ٤٧٨).

٤- نُزْهة الأعْيُن النَّواظر في علم الوُجوه والنَّظائر، لابن الجَوْزي (ت: ٥٩٧).

موضوعات عِلم الوُجوه والنَّظائر ومنْهَج كُتُبه:

تنْطَلق كتب الوُجوه والنَّظائر القرآنيَّة من ذكر اللَّفظ القرآني بتعديد معانيه (وهي الوُجوه)، ثم تعْمَد إلى ذكر النَّظائر الواردة في القرآن لكل معنى من هذه المعاني المختَلِفة.

---

(١) ينظر: أنواع التصنيف المتعلقة بتفسير القرآن (ص١١٩).

ومما يجدُر ملاحظته أن هذه الكُتُب تعمَد إلى بيان المعنى السِّياقي للَّفظ، الذي لو رجَعْت إلى معناه الأصلِيّ خارج السِّياق لوجدت أن كثيرًا من تلك المعاني متَداخلة[1].

مثال ذلك: ما أورده مقاتل بن سُلَيمان في كتابه[2] في بيان معنى لفظ (المرض) في القرآن، حيث قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «المرَض على أرْبَعة وُجوه:

الأوَّل: مرض، يعني: شَكًّا، فذلك قوله تعالى في البقرة: ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ يعني: شَكًّا ﴿فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا﴾ [١٠]، يعنى: شَكًّا. نظيرها في (براءة): ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ يعني: شَكًّا، ﴿فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ﴾ [التوبة: ١٢٥]. وكقوله في (الذين كفروا): ﴿رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ يعني: الشَكّ، ﴿يَنظُرُونَ إِلَيْكَ﴾ [محمد: ٢٠]. ونحوُه كثيرٌ.

الوَجْه الثاني: المرض، يعني: الفُجور. فذلك قوله ﷻ في الأحزاب: ﴿فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾ [٣٢]. يعني: فجورًا. ونظيرها في آخرها: ﴿لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ [٦٠]. يعني: الفُجور، ليس غيْرهما.

الوَجْه الثالث: المرض، يعني: الجِراح. فذلك قوله تعالى في النِّساء: ﴿وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰ﴾ [٤٣]. يعني: جَرْحى. ونظيرها في المائدة: ﴿وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰ﴾ يعني: جَرْحى. ﴿أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ﴾ [٦]، ليس غيْرهما.

الوَجْه الرابع: المرَض، يعني: المرَض نفسه، جميع الأمراض. فذلك قوله تعالى في البقرة: ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا﴾ [١٨٤]. يعني: من جميع الأمراض والأوْجاع. وقال في (براءة): ﴿لَّيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَىٰ﴾ [التوبة: ٩١]. يعني: مَن كان به شيءٌ من مرض. وكقوله في النور: ﴿وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾ [٦١]. وكقوله في الفتح: ﴿وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾ [١٧].

---

(١) ينظر: التفسير اللغوي (ص٩٥ — ١٠٢).

(٢) الوجوه والنظائر لمقاتل (ص٢٨-٢٩).

ثالثًا: عِلم المُعَرَّب في القرآن

مفهوم الْمُعرَّب:

التَّعريب هو النَّقل إلى العربيَّة.

والْمُعرَّب في القرآن: هو ما وَقَع في القرآن بغير لُغة العَرَب.

مذاهب العلماء في وقوع الْمُعرَّب في القرآن:

اختَلف العلماء في وقوع الْمُعرَّب في القرآن على قوْلَين:

الأوَّل: عدَم وقوعِه في القرآن. وهو قول الشَّافعي (ت:٢٠٤)، وأبي عُبيدة مَعْمَر بن المثنَّى (ت:٢٠٨)، والطَّبري (ت:٣١٠)، وغيرهم.

استدلُّوا بقوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾ [يوسف: ٢]، ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ [الشعراء: ١٩٥]، ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ﴾ [فصلت: ٤٤]. ونحوها من الآيات.

الثاني: ذهب آخرون إلى وقوع المعرَّب في القرآن، وأجابوا عما استدَلَّ به المانعون بأن الكلمات اليَسِيرة بغير العربيَّة لا تُخْرِجُه عن كوْنه عربيًّا، واستدلُّوا بما ورد عن أبي ميْسَرة عَمْرو بن شُرحبيل (ت: ٦٣) وسَعِيد بن جُبير (ت: ٩٥) ووَهْب بن مُنَبِّه (ت: ١١٤) أنَّ في القرآن من كُلِّ لسان[١]، كما استدَلُّوا بما وَرَد عن بعض الصَّحابة والتَّابعين من نِسبة بَعض ألفاظ القرآن إلى لُغاتٍ أُخرى، نحو ما وَرد عن ابن عبَّاس وسَعِيد بن جُبَير وعِكْرِمة أن (الجِبْت): الشَّيطان بالحبَشِيَّة، وعن ابن عبَّاس: ﴿هَيْتَ لَكَ﴾: هَلُمَّ لك بالقِبْطِيَّة، وعن مجاهد أن ﴿سَرِيًّا﴾: نهرًا بالسُّريانيَّة، وعن سَعِيد بن جُبَير: بالنَّبطيَّة، وعن مجاهد (القُسْطاس): العَدْل بالرُّوميَّة، وعنه أيضًا ﴿مَقَالِيدُ﴾: مفاتيح بالفارسيَّة[٢].

وناقَش ابن جَرير الطَّبري (ت:٣١٠) ذلك بأنه من توارُد اللُّغات وتوافقها في بعض

---

(١) الإتقان (٣/٩٣٧).

(٢) ينظر ما تقدم في المرجع السابق (٣/٩٣٧-٩٥٥).

مفرداتها باللَّفظ والمعنى، فتكلَّمت بها العَرب والفُرس والحبَشَة ونحوهم بلَفظ واحد[١].

ورجَّح هذا القول الثاني السُّيوطي، وبناءً على ذلك سَرَد ما وقف عليه الألفاظ المعرَّبة في القرآن في كتابه «الإتقان في علوم القرآن» مرتَّبةً على حروف المعجَم، وذلك في النَّوع الثامن والثلاثون الذي عَنْوَن له «فيما وَقع فيه بغير لُغة العَرَب»[٢].

وقد جمع بين القولَيْن السَّابقين أبو عُبَيد القاسم بن سلَّام (ت: ٢٢٥) فقال: «والصَّواب عندي مَذْهَب فيه تصديق القوْلَين جميعًا، وذلك أن هذه الأحْرُف أصولها أعْجميَّة كما قال الفقهاء، لكنها وَقَعت للعَرب فعرَّبتها بألسنَتها وحوَّلتها عن ألفاظ العَجَم إلى ألفاظها فصارت عربيَّة، ثم نزل القرآن وقد اختَلَطَت هذه الحروف بكلام العَرَب، فمَنْ قال إنها عَربيَّة فهو صادق، ومن قال أعجميَّة فصادق». ومالَ إلى هذا القول الجَواليقيّ (ت: ٥٤٠)، وابن الجَوْزي (ت: ٥٩٧)، وآخَرون[٣].

ويمكن عَدّ قول ابن جَرير الطبّري (ت: ٣١٠) السَّابق جمعًا آخَر بين القوْلَين.

المصنَّفات في المعرَّب:

من أشهر كتب المعرَّب: «المعرَّب من الكلام الأعْجَمي على حُروف المعجَم»[٤] للجَواليقي (ت: ٥٤٠)، وهو كتابٌ شاملٌ يُعنى بتَتبُّع الألفاظ المعرَّبة ذات الأصول الأعجميَّة مرتَّبةً على حروف المعجم، وقد تضمَّن المعرَّب في القرآن.

كذلك أفرَد أهل العلم المعرّب في القرآن بمصنَّفات، من أشهرها: «المهذَّب فيما وقَع في القرآن من المعرَّب»، للسُّيوطي (ت: ٩١١)، وهو مطبوع[٥]، رتَّبه على حروف

---

(١) تفسير الطبري (١/١٤-١٨).

(٢) (٣/٩٣٧).

(٣) المرجع السابق (٣/٩٤٠- ٩٤١).

(٤) نشره قديمًا العلامة أحمد شاكر، ثم حقَّقه العلامة الهنديُّ ف. عبد الرحيم، ونال على دراسته وتحقيقه الدكتوراه من الأزهر سنة ١٩٧٣م. وصدرت طبعته عن دار القلم بدمشق، عام ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.

(٥) أيضًا من المصنَّفات المطبوعة في هذا العلم: «المقرَّب في مَعرفة ما في القرآن من المعرَّب»، لابن علَّان البَكْري (ت: ١٠٥٧هـ).

المعجم، وقد لخَّص فوائده في كتاب «الإتْقان في علوم القرآن»[1]. وفيما يلي نماذج مما أوْرَد من **المعرَّب** في جزء عمَّ:

﴿ٱلْأَرَآئِكِ﴾: حكى ابن الجَوْزي في فنون الأفنان، أنها السُّرُر بالحبَشيَّة.

﴿جَهَنَّمُ﴾: قيل: أعجميَّة، وقيل: فارسيّة، وقيل: عَبرانيّة، أصلها: كِهنَّام.

﴿سِجِّيلٍ﴾: أخرج الفريابي عن مجاهد قال: «سجِّيل بالفارسية، أوَّلها حجارة وآخرها طِين».

﴿طُورِ﴾: أخرج الفِرْيابي عن مجاهد قال: «الطُّور: الجَبَل بالسُّريانية»، وأخرج ابن أبي حاتم عن الضحاك: أنه بالنَّبطيَّة.

﴿عَدْنٍ﴾: أخرج ابن جرير عن ابن عباس أنه سأل كعبًا عن قوله تعالى: ﴿جَنَّٰتِ عَدْنٍ﴾ قال: «جنّات كروم وأعناب بالسُّريانيّة»، ومن تفسير جويبر: أنه بالروميَّة.

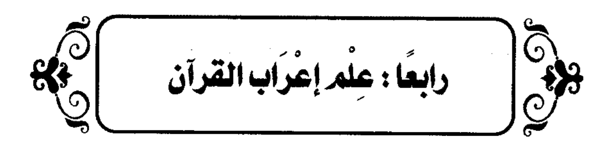
﴿وَغَسَّاقًا﴾: قال الجواليقي والواسطي: «هو البارد المنْتِن بلسان التُّرك». وأخرج ابن جرير عن عبد الله بن بريدة قال: «الغسَّاق المنتن وهو بالطخَّاريّة».

﴿مِسْكٌ﴾: ذكر الثعالبي أنه فارسيّ.

﴿يَحُورَ﴾ أخرج ابن أبي حاتم عن داود بن هند في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ﴾ [الانشقاق: ١٤] قال: «بلغة الحبَشة: يرجع»، وأخرج مثله عن عِكرمة.



(١) (٣/٩٣٧- ٩٧٢).



رابعًا: عِلم إعْرَاب القرآن

مفهوم إعراب القرآن:

الإعْراب **لُغةً**: البيان والإفْصاح[١]. **واصطلاحًا**: التَّطبيق العامُّ على القواعد النَّحويّة[٢].

أما علم إعْراب القرآن: فهو علم يبْحث في تَخريج تراكيب القرآن على القواعِد النَّحويّة المحرَّرة[٣].

فائدته وأهميَّته:

أساس نشْأة النَّحو وعموم علوم اللُّغة العربية هو صَوْن اللِّسان عن اللَّحن في قراءة القرآن، ومن هنا تتبيَّن أهميَّة إعراب القرآن -الذي هو تطبيقٌ لقواعد النَّحو- في تلاوة القرآن.

كذلك تظهر حاجة علم التَّفسير إلى علوم العربية عمومًا باعتبارها إحدى مصادره كما هو معلوم. ومن فوائد إعراب القرآن معْرفة المعنى والتَّفسير[٤]، لأن الإعراب يُميِّز المعاني ويُوقف على أغراض المتكلِّمين[٥].

كما يظهر أهميَّة إعراب القرآن في عدَدٍ من علوم القرآن الأخرى، من أبرزها: تَوْجيه القراءات، والوَقْف والابتِداء.

تاريخه ونشْأته:

بدأ علم النَّحو والإعراب في عهد التَّابعين على يد أبي الأسْوَد الدُّؤلي (ت: ٦٩)،

---

(١) ينظر: تهذيب اللغة، مقاييس اللغة مادة (عرب).

(٢) ينظر: علم إعراب القرآن: تأصيل وبيان (ص٢١).

(٣) ينظر: المرجع السابق (ص٢٧).

(٤) الأصل أن التَّفسير والمعنى سابقان للنَّحو والإعراب، أي أنَّك تفهم المعنى ثم تُعرب، لكن لما فَسَدت الألْسُن كَتب العلماءُ الأصولَ التي يُضبط بها كلام العرب فتشكَّل النحو، وصار يُتطلب المعنى من جِهته أحيانًا. ينظر: أنواع التصنيف المتعلقة بتفسير القرآن (ص٥٩-٦٠).

(٥) ينظر: البرهان (١/ ٣٠١)، الإتقان (٤/ ١٢١٩).

وتطوَّر حتى كتب فيه إمام النحو سِيبويه (ت: ١٨٠) كتابه (الكتاب)، المليء بالشواهد القرآنية المُعرَبَة.

وقد كان علم إعراب القرآن مندرج ضمن كتب معاني القرآن، كما هو ظاهر في كتاب «معاني القرآن» للفرَّاء (ت: ٢٠٧)، و«معاني القرآن» للأخْفَش (ت:٢١٥). إلا أنَّه أُفرِد بتصانيف مستقَلَّة، وأوَّل كتاب مطبوع منها هو «إعراب القرآن» لأبي جعْفر النحَّاس (ت: ٣٣٨)، الذي صنَّف أيضًا كتابًا مستقِلًّا في معاني القرآن، ثم توالَت بعد ذلك التَّصانيف المستقِلَّة في إعراب القرآن، ومن هنا يتبيَّن لنا أن الكتابة في إعراب القرآن على قِسمَيْن:

الأول: الكُتُب المستقِلَّة في إعراب القرآن.

الثاني: كُتُب العلوم أخرى المتضمِّنة لإعراب القرآن، مثل كتب التَّفسير، ومعاني القرآن، وتَوْجيه القراءات، والوَقْف والابتداء[1].

شروط إعراب القرآن وآدابه:

ذكر أهْل العلم شروطًا وآدابًا يجب على مُعرِب القرآن مراعاتها أثناء الإعْراب[2]، من أبرزها:

١- أن يكون المُعْرِب مُلمًّا بعلوم العربية.

٢- أن يَفهم معنى ما يريد أن يُعرِبه مُفردًا كان أو مركَّبًا قبل الإعراب فإنَّه فرع المعنى.

٣- تجنُّب الأمور البَعيدة واللُّغات الشاذَّة والأوْجه الضَّعيفة، فإن القرآن نزل بالأفْصَح.

٤- تجنُّب إطلاق لفْظ الزَّائد في كتاب الله تعالى.

٥- تجنُّب خلاف الظَّاهر المنافي لنَظْم الكلام.

المصنَّفات في إعْراب القرآن ومناهجها:

تقدَّم أن الكُتُب المعتَنِية بإعراب القرآن على نوْعَين: كُتُب مستقِلَّة وأخرى متضمِنَّة

---

(١) ينظر: أنواع التصنيف المتعلقة بتفسير القرآن (ص٤٤).

(٢) ينظر: البرهان (١/ ٣٠٢)، الإتقان (٤/ ١٢٢٠).

لإعراب القرآن مع تخصّصها الأصْل، وأهمها كُتُب التّفسير وكتب معاني القرآن.

أما **المصنَّفات الخاصة في إعراب القرآن** فمن أبرز ما طُبع منها:

١- إعْراب القرآن، لأبي جعْفر النحَّاس (ت: ٣٣٨).

٢- مُشْكِل إعراب القرآن، لمكِّي بن أبي طالب (ت: ٤٣٧).

٣- البَيان في غريب إعراب القرآن، لأبي البرَكات ابن الأنْباري (ت: ٥٧٧).

٤- التِّبيان في إعراب القرآن، لأبي البقاء العُكْبَري (ت: ٦١٦).

٥- الدُّرُّ المَصُون في علوم الكتاب المكْنُون، للسَّمين الحَلَبي (ت: ٧٥٦).

ومن المصنَّفات المعاصِرة:

٦- إعْراب القرآن وبَيانه، لمحيي الدِّين درويش (ت: ١٤٠٣).

وقد اختَلفت اتّجاهات هؤلاء ومناهجهم في الإعراب، فبعضهم اقتَصر على إعراب المشْكِل مثل مكِّي بن أبي طالب، ومنهم من أعرب بعض سوره، كابن خالويه (ت: ٣٧٠) في كتاب «إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم»، ومنهم من أعربه كاملًا دون توسُّع كالعُكْبري، ومنهم من سلَك منهج الاستِقْصاء والتَّفصيل بتناول إعراب جميع آيات القرآن وكلماته مع بيان معانيها وتصريفها ووجوه بلاغَتها كالسَّمين الحلبي.

أما كتب **معاني القرآن** فمن أبرز ما طُبع منها:

١- معاني القرآن، للفراء (ت:٢٠٧).

٢- معاني القرآن، للأخفش (ت:٢١٥).

٣- معاني القرآن وإعرابه، للزجاج (ت:٣١١).

وأما **كتب التَّفسير** فهي على ثلاثة أنواع من حيث اعتناؤها بالإعراب:

الأول: ما لم يَعْتَنِ بالمسائل النحويَّة إلا ما نَدَر، مثل تفسير ابن كثير.

الثاني: ما اعتَنى بالإعراب بِشكْلٍ كَبير لكنَّه اقتَصَر على ما له أثَر في بيان المعنى، مثل تفسير الطبري، الذي يُعَدُّ من أوائل كُتُب التَّفسير المعتنِية بالإعراب[1].

---

(١) حيث نبَّه على ذلك في مقدِّمته (١/ ١٨٥) فقال: «وإنّما اعترضنا بما اعترضنا في ذلك من بيان وجوه =

الثالث: ما كان مشحونًا بالأعاريب والمسائل النحوية، واختِلاف الأوْجُه الإعرابيَّة، حتى كادت أن تَطغى على مسائل التَّفسير، ومن أبرزها تفسير أبي حيان الأنْدلسي المسمَّى «تفسير البحر المحيط».

ولا شكَّ أن المنهج الأوْلى هو الاقتِصار في الإعراب على ما كان له أثَرٌ في بيان معنى الآية، كالمثالَيْن التاليَيْن:

- الاختِلاف في نوع (ما) في قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ﴾ [البقرة: ١٠٢]، فإن كانت نافِيةً فالمعنى: يعلِّمون النَّاس السِّحر، ولم يُنزل على الملَكَيْن شيء من السِّحر، وإن كانت موصولة فالمعنى: يعلِّمون النَّاس السِّحر والذي أُنزل على الملَكَين ببابل.

- اختلاف المعنى بمعرفة الفَرْق بين وواو العطف وواو الاستِئْناف في قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ﴾ [آل عمران: ٧]. فإن كانت عاطفة فالمعنى: وما يعلم تأويله إلا ا الله والراسخون في العلم يعلمونه أيضًا، وإن كانت مستأنَفة فالمعنى: ما يعلم حقيقة ما يؤول إليه إلا الله وَحْده، أما الرَّاسخون في العلم فيقولون آمنَّا به.... وقد تقدَّم بيانه في غير مَوْضِعٍ من الكتاب[1].

وفي ما يأتي نموذجٌ تطبيقيٌّ لإعراب أوَّل سورة الفاتِحة من كتاب «التِّبيان في إعراب القرآن» لنقِف على ملامِح من مُحتَوى هذه المصنَّفات:

«قال تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ الجُمهور على رَفع ﴿ٱلْحَمْدُ﴾ بالابتداء. و﴿لِلَّهِ﴾ الخبر، واللَّام متعلِّقة بمحذوف، أي: واجب، أو ثابت. ويُقرأ (الحمْد) بالنَّصب، على أنَّه مصْدَر فعل محذوف، أي: أحْمَد الحَمْد، والرَّفع أجْوَد؛ لأن فيه

= إعرابه -وإن كان قصدنا في هذا الكتاب الكشْف عن تأويل آي القرآن- لما في اختِلاف وجوه إعراب ذلك من اختلاف وجوه تأويله، فاضطرَّتنا الحاجة إلى كشف وجوه إعرابه، لتنْكشف لطالب تأويله وجوه تأويله على قَدْر اختْلاف المختَلِفة في تأويله وقراءته».

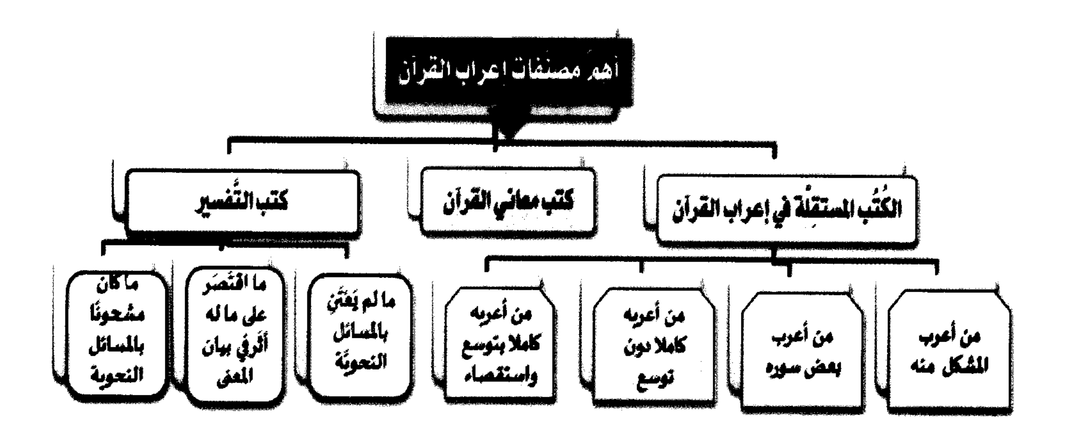
(١) ينظر: ص١٦٢، ١٨١، ٢١٣.

عمومًا في المعنى. ويُقرأ بكسر الدَّال إتْباعًا لكسْرة اللام، كما قالوا: الْمِعِيرَةُ وَرِغِيف؛ وهو ضعيف في الآية؛ لأن فيه إتْباع الإعراب البِناء، وفي ذلك إبطال للإعراب. ويُقرأ بضمِّ الدَّال واللَّام على إتْباع اللَّام الدَّال، وهو ضعيف أيضًا، لأن لام الجَرّ متَّصل بما بعده، منْفصِل عن الدَّال، ولا نَظِير له في حروف الجَرِّ المفرَدة، إلا أن من قَرأ به فَرَّ من الخروج من الضَّمّ إلى الكَسْر، وأجراه مَجرى المتَّصل؛ لأنه لا يكاد يستعمل الحَمْد منفردًا عمَّا بعده.

والـ ﴿رَبِّ﴾ مصدَر رَبَّ يَرُبُّ، ثُمَّ جُعِلَ صِفَةً كَعَدْلٍ وَخَصْمٍ، وَأَصْلُهُ رَابَ. و جَرَّه على الصِّفة أو البَدَل. وقُرِئ بالنَّصب على إضمار أعْني، وقيل: على النِّداء، وقُرِئ بالرَّفع على إضْمار هو.

﴿الْعَالَمِينَ﴾ جمع تصحيح، واحده عَالَمٌ، وَالْعَالَمُ: اسمٌ موضوع للجَمْع، ولا واحد له في اللَّفظ، واشتقاقه من العِلم عند من خصَّ العالَم بمن يعقل، أو مِنَ العلامة عند من جعله لجميع المخلوقات.

وفي ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ الجَرّ والنَّصب والرّفع، وبكلٍّ قُرِئ على ما ذكرناه في رَبّ»[1].



(١) التبيان في إعراب القرآن (١/ ٥).

خامسًا: عِلم بلاغَة القرآن

مفهوم البلاغة:

البلاغة لغةً: الفَصاحةُ[١]. وأصْل (بلغ) الوصول إلى الشَّيء، ويُمدَح بها الفَصيح اللِّسان، لأنه يبلغ بها ما يُريده[٢].

اصْطلاحًا: البلاغة في الكلام: مطابَقته لمقتَضَى الحال[٣]. **والبلاغَة القرآنية**: مطابَقة القرآن لمقْتضى الحال غاية المطابَقة؛ بأتمّ ما يكون من البيان.

نشْأة البلاغة القرآنيَّة[٤]:

أساس نشأة علم البلاغة هو القرآن الكريم، وقد تقدَّم في مبْحث إعجاز القرآن أن أظهر وأبرز وجوه إعجاز القرآن هو نَظْمه البديع لغةً وبلاغةً وأسلوبًا، ومن ثم انكَبَّ العلماء في دراسة القرآن الكريم للوقوف على إعْجازه للعرب وغيرهم عن الإتْيان بمثله، في بلاغة ألفاظه، ورَوْعة بيانه، ودِقَّة تعابيره، ووفاء جُمَله، ومطابَقتها للمَقْصد المتكلَّم عنه، وانبَثَق عن ذلك علم البَلاغة، التي كانت بداياته مسائل منثورة في كتب معاني القرآن وغريبه وإعجازه، ككتاب «مجاز القرآن» لأبي عُبَيدة (ت:٢٠٨)، إضافة إلى بعض كتب الأدب المتقدِّمة مثل «البيان والتَّبيين» للجاحظ (ت:٢٥٥).

ثم جاء عبد القاهر الجُرْجاني (ت: ٤٧١) فجمع متفرِّقات هذا العلم وقعَّد قواعده وأقام بنيانه في كتابَيْه (دلائِل الإعْجاز)، و(أساس البَلاغة).

وقد سار الزَّمَخْشَري (ت: ٥٤١) على نهج الجُرجاني وقواعده في بيان الأسرار البلاغيَّة

---

(١) تاج اللغة وصحاح العربية (٤/ ١٣١٦).

(٢) مقاييس اللغة (١/ ٣٠١).

(٣) التعريفات (ص٤٦)، وفي الكلّيات (ص: ٢٣٦) للكفوي: «... أسَدُّ عِبَارَات الأدباء فِي حدِّ البلاغة وأوفاها بالغَرَض قَوْلهم: البلاغة هِيَ التَّعْبِير عَن الْمَعْنى الصَّحِيح لما طابقه من اللَّفْظ الرَّائِق من غير مزِيد على الْمَقْصد وَلَا انتقاص عَنهُ فِي الْبَيَان».

(٤) ينظر: تاريخ علوم البلاغة، لأحمد مصطفى المراغي (ص٥-٢٥).

وتطبيقاتها في القرآن الكريم وذلك في تفسيره الكشَّاف، وقد أبدَع في ذلك أيَّما إبداع، فكان أوَّل من أبرز التَّفسير البلاغي بوضوحٍ تامٍّ، حتى صار عُمْدة **الاتِّجاه البلاغيّ** في التَّفسير، الذي سار على نهْجه كثيرٌ من المفسِّرين بَعْدَه، ومن أشهرهم: أبو السُّعود العمادي (ت: ٩٨٢) في تفسيره «إرشاد العقْل السَّليم إلى مزايا القرآن الكريم»، والآلوسي (ت:١٢٧٠) في تفسيره «رُوح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسَّبع المثاني»، وكذلك تفسير البيضاوي (ت: ٦٨٥)، وأغلب حواشيه كحاشية الخَفاجي (ت: ١٠٦٩) والقُونَوي (ت: ١١٩٥)، ومن أبرز المعاصرين ابن عاشور (ت: ١٣٩٣) في تفسيره «التَّحرير والتَّنوير».

علاقَة علْم البَلاغة بالقرآن وعلومه:

تقدَّم أن علم البلاغة نشأ من عناية أهل العلم بوجوه إعجاز القرآن، وإعجاز القرآن من أبرز علوم القرآن، وقد اعتَنى علماء الإعْجاز بالجانِب البلاغي أكثر من غيره من وجوه إعجاز القرآن، فدوَّنوا في مؤلَّفات الإعجاز ملحوظاتهم وآراءهم وأفكارهم البلاغية، حتى أصبحت مُعظَم الكُتُب المؤلَّفة في الإعجاز القرآني مصادر بلاغيَّة، ثُمَّ صار البلاغيُّون يؤلِّفون مؤلَّفاتهم البلاغيَّة لتكون وسيلةً لفهم الإعجاز القرآني، مثل «دَلائل الإعْجاز» لعبد القاهر الجُرجاني (ت: ٤٧١)، ومن ثَمَّ تكوَّنت علوم البلاغة وقواعدها.

ثم جاءت مرحلة تطبيق القواعد البلاغيَّة على تفسير القرآن، فظهر الاتِّجاه البلاغي في التفسير، وتنافس المفسِّرون في استنْباط النِّكات البلاغيَّة لتوضيح حقيقة الإعجاز في نَظْم القرآن، بعد أن كان علم إعجاز القرآن سببًا في نشوء علم البَلاغة[1].

كذلك اعتنى المصنِّفون في علوم القرآن بالمباحث البلاغيَّة، واحْتَفوا بإيرادها في مصنَّفاتهم، حتى صار كثير منها من أنْواع علوم القرآن[2].

---

(١) ومن هنا رأى البعض أن عِلم البلاغة من أهم العلوم التي يحتاجها المفسِّر، قال الزرَّكشي (ت: ٧٩٥) في البرهان (١/ ٣١١): «وهذا العِلْم أعظم أركان المفسِّر فإنه لا بُدَ من مراعاة ما يقتضيه الإعْجاز من الحقيقة والمجاز وتأليف النَّظم...». وهو في هذا الرَّأي مُتابعٌ للزَّمَخْشري (ت: ٥٤١) وابن حيَّان (ت: ٧٤٥) وغيرهما، ينظر: الكشاف (١/ ٥)، البحر المحيط في (١/ ١٩).

(٢) فمن ما ذكره الزرَّكشي (ت: ٧٩٥) في البرهان: النوع الثالث والأربعون: بيان حقيقته ومجازه، الرابع والأربعون: في الكناية والتعريض، الخامس والأربعون: في أقسام معنى الكلام، السادس والأربعون: في ذكر=

علوم البَلاغة في القرآن:

سار علماء البلاغة على نهج عبد القاهر الجرجاني (ت: ٤٧١)، وعلى رأسهم السَّكاكي (ت: ٦٢٦) الذي تقعَّدت على يديه علوم البلاغة الثلاثة: علم المعاني، والبيان، والبديع، وقد ظهرت تطبيقاتها على التَّفسير كما تقدم.

وفي ما يأتي بيان حدِّ هذه العلوم وموضوعاتها مع أمْثلة لها من القرآن الكريم؛ ليتبيَّن لنا شواهد على التَّفسير البلاغيّ وكيف أثْرَى هذا الاتِّجاه علمَ التَّفسير:

أولًا: عِلْم المعَاني: هو عِلْمٌ يُعرف به أحوال اللَّفظ العربي التي بها يطابق اللَّفظ مقتَضى الحال[١]. ويدور حوْل بلاغة التَّراكيب، وأبرز وجوهه وأساليبه هي: الذِّكْر والحذْف، والتَّعريف والتَّنكير، والتَّقديم والتَّأخير، والإيجاز والإطْناب، ولكلِّ وَجْهٍ من هذه الوجوه فوائد وأغْراض.

مثاله: في قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ [الفاتحة:٥] فائِدة تقديم ﴿إِيَّاكَ﴾ هو الاختِصاص، أي أن المعنى: نخصُّك وحْدَك بالعبادة دون سِواك، وهذا المعنى الدَّقيق لا يؤدِّيه تقدُّم الفعل ﴿نَعْبُدُ﴾ على المفعول به ﴿إِيَّاكَ﴾ كما في أصْل تركيب الجُملة الفعليَّة.

ثانيًا: علم البَيان: هو عِلْمٌ يُعرَف به كيفيَّة إيراد المعنى الواحد بطُرُق مختَلِفة في وضُوح الدّلالة عليه[٢]، ومن أبرز وجوهه وأساليبه: التَّشْبيه والمَجاز والاستِعارة.

وقد أكثر القرآن من التشبيه وضرب الأمثال، لما فيها من أثر بالغ في تصوير المعاني والكَشْف عنها، ولكي تُدرك القيمة البيانيَّة للتَّمثيل والتَّشبيه «تأمَّل البَوْن الشَّاسع بين القول إن الكفار يُعرِضون عن الوحي الربَّاني، وبين قوله تعالى: ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ۝٤٩ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ۝٥٠ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ﴾ [المدثر: ٤٩ - ٥١]، ففي هذه الآية تمثيل

= ما يتيسر من أساليب القرآن. ومن ما ذكره السُّيوطي (ت: ٩١١) في الإتقان: النوع الحادي والخمسون: في وجوه مخاطباته، الثاني والخمسون: في حقيقته ومجازه، الثالث والخمسون: في تشبيهه واستعارته، الرابع والخمسون: في كناياته وتعريضه، الخامس والخمسون: في الحصر والاختصاص، السادس والخمسون: في الإيجاز والإطناب، السابع والخمسون: في الخبر والإنشاء، الثامن والخمسون: في بدائع القرآن.

(١) إيضاح التلخيص للخطيب القزويني (ص٥٢).

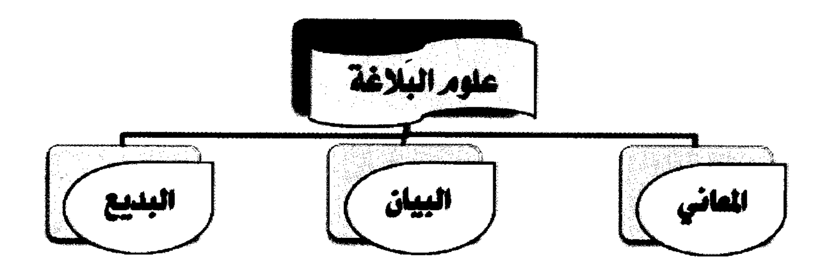
(٢) المرجع السابق (ص١٢٣)

لا يخْلو من سُخريَّة لاذِعة من حال هؤلاء المعاندين المعرِضين عن الهدى، فكأنَّهم في نُفرتهم عنه: حُمُر مفزَّعة ولّت هاربةً مدبِرةً خوفًا من بَطْشةِ صيَّادٍ ماهرٍ أو أسَدٍ قاهرٍ يريد الفَتْك بها، وحَسبُك بذلك بيانًا لهَيْبة الوعيد القرآني التي خَلَعت قلوب الكافرين، وأوْرَثَت نفوسهم فزعًا وهلعًا تعبِّر عنه تلك الصُّورة الفريدة»[١].

وأمثال القرآن من الأنواع التي أفردها المصنفون في علوم القرآن كما سيأتي.

ثالثًا: علم البَدِيع: هو عِلْمٌ تُعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية تطبيقه على مُقتَضى الحال وفصاحَته[٢]، وله فُنُون كثيرة من أبرزها: الطِّباق والمقابَلة، والجِناس والمشَاكَلة، وغيرها.

ولنضْرب للطِّباق -وهو الجَمْع بين معنيَيْن متَضادَّيْن- مثالًا من القرآن في قوله تعالى: ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ﴾ [آل عمران: ٢٦]. فالطِّباق هنا بين الإيتاء والنَّزع، والإعزاز والإذلال، فهذه ضروب من التَّصريفات الإلَهيَّة والتدابير القدريَّة وفق الحِكمة الربَّانيَّة القاضية بتنَقُّل أحوال العباد من حال إلى نَقيضها، وإن كانوا أصحاب مُلْكٍ وأرْباب جبَروت، فالخَلْق سواسِية أمام القُدْرة الإلَهية، لا فَرْق في الانْصياع لأمرها بين ملوكهم وسُوقَتهم، ولا بين جبابِرتهم وضُعفائهم[٣].



(١) تيسير البلاغة القرآنية (ص١٥٥).
(٢) إيضاح التلخيص للخطيب القزويني (ص٥٠).
(٣) تيسير البلاغة القرآنية (ص٢٥٠).

سادسًا: دَلالات ألْفَاظ القرآن

تقدَّم أن المعاني والأحْكام تُستَفاد من الألفاظ إما بطريق الدَّلالة المباشرة وذلك في الآيات الصَّريحة، أو بطريق الإشارة والاستِنْباط في الآيات غير الصَّريحة، وذلك من خلال دلالات الألفاظ، لذا اعتنى بدراستها أرباب العلوم القرآنيَّة، وأفردوها بمباحث خاصَّة في تآليفهم، وصنَّفوا كلًّا منها كنَوْع من أنواع علوم القرآن(١).

وفي هذا المبْحث نذكر إجمالًا أبرز هذه الدَّلالات، ونَعرض كلًّا منها عَرْضًا مُوجزًا مع مثال يوَضِّحه، وهي العامّ والخاصّ، والمطلَق والمقيَّد، والمجمَل والمبيَّن، والمنطوق والمفهوم.

أوَّلا: العامّ والخاصّ(٢):

العَامّ: هو اللَّفظ المستغْرِق لجميع ما يَصْلُح له من غير حَصْر. أما **الخاصّ**: فهو قَصْر العامّ على بعض أفراده بِدليل.

ومن **صِيَغ العام**: الأسماء الموْصولة، مثل: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [فاطر: ٧].

وأدوات الشَّرط نحو: ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾ [النساء: ١٢٣].

والمعرَّف بالألِف واللَّام غير العَهْديّة، مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ﴾ [العصر: ٢] أيّ: كلّ إنسانٍ، بدليل: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ...﴾ [العصر: ٣].

وقد يأتي ما يُخَصَّص العامّ وهو كثيرٌ، كقوله تعالى استِثناءً من الآية السابقة في سورة العَصْر: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ...﴾ [العصر: ٣].

وقد يكون الْمُخصِّص للقرآن من السّنَّة، مثال ذلك قوله تعالى: ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ﴾

---

(١) ينظر -مثلًا- في كتاب الإتقان النوع الخامس والأربعون: في عامِّه وخاصِّه (٤/ ١٤١٢)، النوع السادس والأربعون: في مُجْمله ومُبينه (٤/ ١٤٢٦)، النوع التاسع والأربعون: في مُطلَقه ومُقيَّده (٤/ ١٤٨٦).

(٢) ينظر: المرجع السابق (٤/ ١٤١٢).

[البقرة: ٢٧٥]. «خُصَّ منه البُيوعُ الفاسِدة وهي كثيرةٌ بالسُّنّة»[1].

وقد يبقى العامُّ على عُمومه دون تَخصيص، وهو قليلٌ في الأحكام الفرعيَّة، كقوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ﴾ [النساء: ٢٣][2].

وقد يُراد بالعامِّ الخصوصُ، وهو قليلٌ أيضًا، كقوله تعالى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾ [النساء: ٥٤]، والمراد بالنَّاس هو الرسول ﷺ خاصَّة على أحَد القوْلَين، قال ابن كثير: «يعني بذلك: حَسَدهم [أي اليهود] النبي ﷺ على ما رَزَقه الله من النُّبُوَّة العظيمة، ومَنْعهم من تصديقهم إياه حسَدَهم له؛ لكَوْنه من العَرَب وليس من بني إسرائيل»[3].

ثانيًا: الْمُطلَق والْمُقيَّد:

الْمُطلَق: ما دلَّ على الحَقيقة بلا قَيْد.

والْمُقيَّد: ما دلَّ على الحَقيقة بِقَيْد.

مثال المطْلَق: قوله تعالى في كفَّارة الظِّهارِ: ﴿وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا﴾ [المجادلة: ٣]. فلفظُ ﴿رَقَبَةٍ﴾ مطلَقٌ من أيِّ قَيدٍ، فلو أعتقَ المُظاهرُ رَقبةً على أيِّ وصفٍ أجزأهُ سواء مؤمِنةً كانتْ أو كافرةً.

ومثال المقيَّد: قوله تعالى في كفَّارةِ قتلِ الخطأ: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾ [النساء: ٩٢]، فلفظُ ﴿رَقَبَةٍ﴾ في هذه مقيَّدٌ بالإيمانِ، وعليه لا تُجزئ الرَّقبة الكافِرة في كفَّارةِ قتلِ الخَطأ.

وهنا تأتي المسْألة: هل يُحمَل المُطلق في مسألةٍ على المقيَّدِ في مسألةٍ أخرى؟

الجواب: إذا كان الحُكمُ واحدًا - كما هو الحال في هاتَيْن الآيتَيْن وهو الكفَّارةُ-، والسَّببُ مُختلِفًا -وهو هنا الظِّهارُ في الأُولى، والقَتْلُ الخطأ في الثَّانيةُ-؟ ففيه خلافٌ بين أهل العلم منهم مَن حمَل المطلَق على المقيَّد، ومنهم مَن مَنَعه، وليس المقام لتَفصيله.

أما إن اختَلَف سبب الحُكْم فالفقهاء متَّفقون على عَدَم حَمْل المطلَق على المقيَّد،

---

(١) ينظر: المرجع السابق (٤/ ١٤١٩).

(٢) ينظر: المرجع السابق (٤/ ١٤١٤-١٤١٥).

(٣) تفسير ابن كثير (٢/ ٣٣٦). وينظر الخلاف في المسألة في تفسير الطبري (٧/ ١٥٥ -١٥٨).

مثل: تقييد الأيْدي بالمرافق في آية الوُضوء ﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ﴾ [المائدة: ٦]، وإطلاقها في آية حَدِّ السَّرِقة ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا﴾ [المائدة: ٣٨].

ثالثًا: الْمُجْمَل والْمُبَيَّن[١]:

الْمُجْمَل: ما لم تتَّضِح دلالته، أو ما يُتَوَقَّف فَهْم المُراد منه على غَيره، و**الْمُبَيَّن**: ما يُفهَم المراد منه، إما بأصْل الوَضْع أو بعد التَّبيين[٢].

مثال المجْمَل: قوله تعالى: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة: ٧]. بيَّنه قوله تعالى: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [النساء: ٦٩].

وقد يقع التَّبيين بالسُّنّة مثل: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ﴾ فقد بيَّنت السُّنَّة أفعال الصلاة والحَجّ ومقادير أنْصِبة الزَّكَوات في أنواعها.

رابعًا: المنْطوق والمفْهوم[٣]:

المعاني والأحكام تُستفاد من الألفاظ باعتبار طُرق دَلالتها من أحَد طريقَين: منْطوق اللَّفظ أو مفهومه. وفي ما يأتي بيان كلٍّ منهما:

المنْطوق: المعنى الْمُستفادُ من اللَّفظ من حيث النُّطق به.

فيفهمه السّامع من دَلالة اللَّفظ نطقًا، وهو يَنْقسم إلى: نَصّ وظاهر.

١- **النَّصّ**: هو ما لا يُحتَمل من الألْفاظ غير معنى واحد. **مثاله**: قوله تعالى: ﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِي ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ﴾ [البقرة: ١٩٦]، فدلالة الآية نصٌّ في وجوب صيام عَشَرة أيّام لا أقلّ ولا أكْثر، ولا تحتَمِل معنى آخر.

٢- **الظَّاهر**: هو اللَّفظ المحتَمِلُ أمْرَيْن أو أكْثر، وهو في أحَدها أرْجَح. **مثاله**: دلالة قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [البقرة: ٤٣] على الوجوب؛ فهو الظَّاهر لأن الأمْر المطْلَق للوجوب، وإن كان يحْتَمِل غيره كالنَّدب والإباحة.

---

(١) ينظر: الإتقان (٤/ ١٤٢٦).

(٢) ينظر: الأصول من علم الأصول (ص٤٦).

(٣) ينظر: علم الاستنباط من القرآن: المفهوم والمنهج (ص١٢٣-١٣٠).

المفْهُوم: هو المعنى المستَفادُ من اللَّفظ في غير محلّ النّطق.

فيفهمه السّامع من دلالة المفهوم من اللّفظ وليس من منْطوقه، وهو ينقَسم إلى: مفهوم موافَقة ومخالَفة.

١- **مفهوم الموافَقَة**: وهو: أن يكون حكم المسْكوت عنه موافقًا للمنْطوق. **مثاله**: دلالة قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ [النساء:١٠] على تحريم إتْلاف أموالِهم.

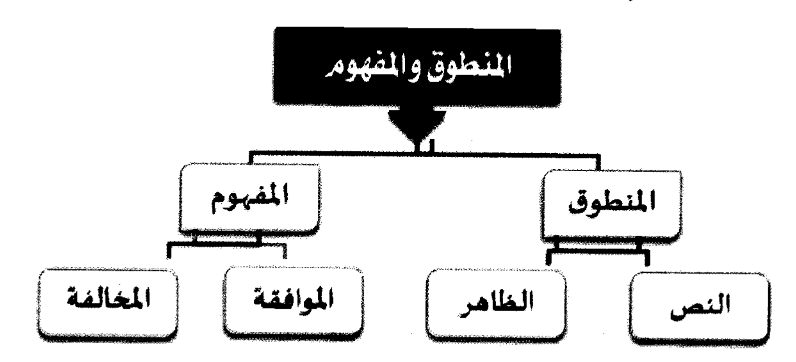
وقد يكون المسكوت عنه أَولى بالحكم من المنطوق وهو المسمى «**مفهوم الأَوْلى**».

مثاله: قوله تعالى: ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ﴾ [الإسراء:٢٣]، لما نهى عن ﴿أُفٍّ﴾ كان غيرها من الشَّتْم والضَّرب أَولى.

٢- **مفهوم المخَالَفَة**: أن يكون المسْكوت عنه مخالفًا للمنْطوق في الحُكْم. وأكثر العلماءِ على الاحتِجاج به، واشترطوا للاحتِجاج به شروطًا كثيرةً، وله أنواع عديدة، وليس المقام لبسْط ذلك.

مثاله: قوله تعالى: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾ [النساء:٩٢] فمنطوقه وجوبُ تحريرِ رقبةٍ مؤمِنة في كفارة القتل الخطأ، ومفهومه عدم إجزاء تحرير رقبةٍ كافرة في ذلك.

وفي قوله تعالى: ﴿وَءَاتُوا۟ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحْلَةً ۚ فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَىْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا﴾ [النساء:٤]، منطوقُه إباحة ما طَابَت به نفس الزوجة من مهرِها، ويُفهَم منه حُرْمة ذلك بغير طِيب نفسٍ منها.



سابعًا: عِلْم أقْسَام القرآن

مفهوم القسم:

الأقسام جمع قَسَم، وهو لُغةً: الحَلْف واليمين.

واصطلاحًا: رَبْط النَّفس، بالامتِناع عن شيء أو الإقْدام عليه، بمعنى مُعظَّمٍ عند الحالف حَقِيقة أو اعتقادًا[١].

فائدة القَسَم في القرآن:

القصْد بالقسَم تحقيق الخبر وتوكيده، وهو من عادات العرب وأساليبها إذا أرادت أن تؤكِّد أمرًا[٢]. كما أن فيه فائدة في إظهار فضْل المقسَم به وتعظيمه، قال ابن القيِّم (ت:٧٥١): «وإقسامه [سبحانه] ببعض المخلوقات دليلٌ على أنه من عظيم آياته»[٣].

صيغة القَسَم وأركانه[٤]:

الصيغة الأصليَّة للقسم أن يُؤتى بالفعل «أُقْسِم» أو «أَحْلِف» مُتعدّيًا بالباء إلى المُقسَم به. ثم يأتي المُقسَم عليه، وهو جواب القَسَم، كقوله تعالى: ﴿وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ﴾ [الأنعام: ١٠٩].

وقد تدخل (لا) النافية على فعل القَسَم كقوله تعالى: ﴿لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [القيامة: ١]، وهي صِلَةٌ لتأكيد القَسَم وليست لنَفْيه، وقيل: إنها نافيةٌ لمحذوف يُناسِب القَسَم، تقديره في الآية السابقة: لا صِحَّة لما زعمتم أنه لا حساب ولا عقاب، ثم استأنَف فقال: أُقْسم بيوم القيامة. وقيل: أن (لا) على ظاهرها لنَفْي القَسَم، كأنه قال: لا أقسم على أن يوم القيامة آتٍ، لأنه من الظُهور بحيث لا يحتاج إلى قَسَم.

ولما كان القَسَم يكثُر في الكلام، اختُصِر فصار فعل القَسَم يُحذفَ ويُكتفى بأداة القَسَم الباء، ثم عُوِّض عن الباء بالواو أو التاء، أما التاء فاختَصّت بلَفْظ الجلالة، كقوله

---

(١) مباحث في علوم القرآن (ص٣٠١).

(٢) الإتقان (٥/ ١٩٤٥).

(٣) التبيان في أيمان القرآن (ص٥). وينظر: دراسات في علوم القرآن (ص٤٣٣).

(٤) التبيان في أيمان القرآن (ص٧)، مباحث في علوم القرآن (ص٣٠٢).

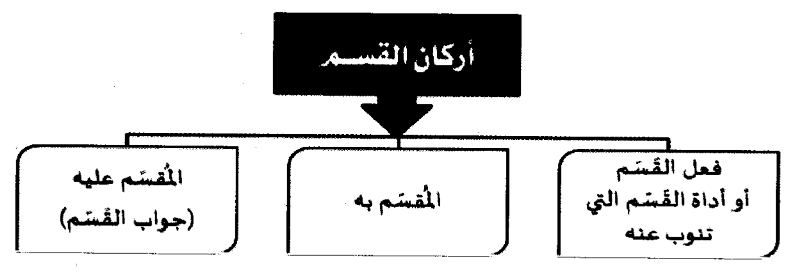
تعالى: ﴿تَٱللَّهِ لَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ﴾ [النحل: ٥٦]، وأما الواو فتأتي في لفظ الجلالة كقوله: ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٢٣]، وتأتي في الأسماء الظَّاهرة كقوله تعالى: ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ﴾ [الليل: ١][1].

إذن يتبيَّن لنا مما سَبَق أن أركان القَسَم ثلاثة:

١- فعل القَسَم. وهو لفظ ﴿وَأَقْسَمُواْ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ﴾ [الأنعام: ١٠٩]. أو أداة القَسَم التي تنوب عنه (الواو أو التاء).

٢- والمُقسَم به. وهو الله جل شأنه في الآية السابقة.

٣- والمُقسَم عليه (جواب القَسَم). وهو في الآية السابقة قول الكفار: ﴿لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ﴾.



المُقْسَم به في القرآن:

يَقْسِم الله تعالى بنفسه المقدَّسة كقوله سبحانه: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الحجر: ٩٢]، وقوله: ﴿تَٱللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ [النحل: ٦٣].

كما يُقْسِم بمخلوقاته -وهو الأكثر في القرآن- كقوله تعالى: ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ﴾ [التين: ١ - ٣]، ﴿وَٱلْفَجْرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ۝٢ وَٱلشَّفْعِ وَٱلْوَتْرِ ۝٣ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَسْرِ﴾ [الفجر: ١ - ٤].

ولله أن يحْلِف بما شاء سبحانه، أما العِباد فليس لهم أن يحْلِفوا إلا بالله لحديث ابن عُمر رضي الله عنهما، أن النبي ﷺ، قال: «**ألا مَنْ كَان حالِفًا فلا يَحْلِف إلا بِالله**»[2]، بَلْ إنَّ حَلف

---

(١) ينظر: التبيان في أيمان القرآن (ص٧).

(٢) متفق عليه: صحيح البخاري (٥/ ٤٢) (٣٨٣٦)، صحيح مسلم (٣/ ١٢٦٧) (١٦٤٦).

العِباد بغير الله ضَرْبٌ من الشِّرك، لقوله ﷺ: «مَنْ حَلَفَ بغير الله فَقَدْ كَفَرَ أَوْ أَشْرَكَ»(١).

وقد يتعدَّد المقسَم به في القرآن ويكون جواب القَسم واحدًا، كما في الآيات السابقة من سورة التين، وكذا مطلع سورة الطور، والليل، وغيرها، كذلك قد يتعدَّد جواب القسم، وقد يتعدَّد المقسَم به وجواب القسم معًا كما في مطلع سورة الشمس.

الْمُقسَم عَلَيه (جواب القسم):

والمُقْسَم عليه أو جواب القَسَم هو الذي يُرَاد توَكيده، أو تعظيمه، أو التَّنْبيه على ما فيه من عِظاتٍ وعِبَر، ونَفْع أو ضَرَر.

- وقد أقسَمَ الله ﷻ في كتابه العزيز على أمورٍ كثيرةٍ تَرْجع في جُملتها إلى أمْرَيْن(٢):

الأول: أُصول الإيمان التي يَجب على الخَلْق معرفتها. **والثاني:** حال الإنسان.

فالأول كقوله تعالى: ﴿وَالصَّٰٓفَّٰتِ صَفًّا ١ فَالزَّٰجِرَٰتِ زَجْرًا ٢ فَالتَّٰلِيَٰتِ ذِكْرًا ٣ إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَٰحِدٌ﴾ [الصافات: ١ - ٤]. وقوله تعالى: ﴿يسٓ ١ وَالْقُرْءَانِ الْحَكِيمِ ٢ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [يس: ١ - ٣]. وقوله تعالى: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ النُّجُومِ ٧٥ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ٧٦ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ﴾. وقوله تعالى: ﴿وَالذَّٰرِيَٰتِ ذَرْوًا ١ فَالْحَٰمِلَٰتِ وِقْرًا ٢ فَالْجَٰرِيَٰتِ يُسْرًا ٣ فَالْمُقَسِّمَٰتِ أَمْرًا ٤ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ٥ وَإِنَّ الدِّينَ لَوَٰقِعٌ﴾ [الذاريات: ١ - ٦]..

وأما القَسَم على أحوال الإنسان فكَقوله تعالى: ﴿وَالَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ١ وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ٢ وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰٓ ٣ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ﴾ [الليل: ١ - ٤] الآيات، ونحوها سُورة العصر ومَطْلع سورة البَلَد، والتِّين، والعَادِيات.

وقد يُحذَف جواب القَسَم لكونه ظَهَر وعُرِف، قال ابن القيِّم (ت:٧٥١): «وأكثر ما يكون هذا إذا كان في نفس المقسَم به ما يدلُّ على المقسَم عليه، وهي طريقة القرآن، فإن المقصود يحصل بذكر المقسَم به فيكون حَذْف المقسَم عليه أبْلغ وأوجز، ... فمن هذا قوله تعالى: ﴿صٓ ۚ وَالْقُرْءَانِ ذِي الذِّكْرِ﴾ [ص: ١] فإن في المقسَم به من تعظيم القرآن

---

(١) أخرجه أبي داود (٣/ ٢٢٣)، والترمذي (٤/ ١١٠) وقال: هذا حديث حسن، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٥/ ٦٩) (٢٠٢٤).

(٢) التبيان في أيمان القرآن (ص٨-١٣).

ووصفه بأنه ذي الذكر ... ما يدل على المقسَم عليه وكونه حقًّا من عند الله غير مفترًى كما يقوله الكافرون، وهذا معنى قول كثير من المفسِّرين: إن الجواب محذوف، تقديره: إن القرآن لَحَقٌّ، وهذا مُطَّرد في كلِّ ما شابَه ذلك»[1].

أنواع القَسَم:

القَسَم نَوْعان[2]: ظاهِر، ومُضمَر:

١ - **الظَّاهر**: ما صَرَّح فيه بفعل القَسَم والمقْسَم به، كقوله تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ﴾ [مريم: ٦٨]، أو ما حُذِف فيه فعل القَسَم اكتِفاءً بوجود أداة القَسَم الواو أو التاء كقوله: ﴿وَالْعَصْرِ ۝ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾ الآيات [العصر: ١ - ٣].

٢ - **المضْمَر**: هو ما لم يُصرِّح فيه بفعل القَسَم والمقْسَم به، ويدلّ عليه اللّام الموَطِّئة للقَسَم التي تدخُل على جواب القَسَم كقوله تعالى: ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٨٦]، أي: والله لتَبْلَوُنَّ.

المؤلَّفات في أقْسام القرآن:

اعتنى المفسِّرون بالأقْسام الواردة في القرآن وبيَّنوا أسْلوب القَسَم وجوابه وأثَره في المعنى أثناء تفسيرهم لكتاب الله، كذلك أوْرَده المصنِّفون في كتب علوم القرآن كنَوْع منها، كالسُّيوطي في «النَّوع السابع والستّون: في أقسام القرآن»[3]. كما أفردها آخَرون بالتَّأليف، ومن أبرز تلك المؤلَّفات:

١ - التِّبيان في أيمان القرآن[4]، لابن قيِّم الجَوْزية (ت:٧٥١).

٢ - الإمْعان في أقسام القرآن، لعبد الحميد الفَراهي (ت: ١٣٤٩).

---

(١) التبيان في أيمان القرآن (ص١٤، ١٥)، بتصرف يسير.

(٢) ينظر: البرهان (١٢٣/٣)، الإتقان (١٩٤٩/٥- ١٩٥١).

(٣) الإتقان (١٩٤٥/٥- ١٩٥١).

(٤) اشتهر بعنوان «التِّبيان في أقْسام القرآن» وطُبع طبعات عديدة بذلك، وما تقدَّم أعلاه هو العنوان الذي سمّى به المؤلف كتابه في مقدمته. ينظر مقدمة تحقيق د. عبد الله البطاطي للكتاب (ص٢٩).

ثامنًا: عِلم أمْثَال القرآن

مفهوم أمثال القرآن:

الأمْثال: جَمع مثَل، والْمَثَل والْمِثْل والْمَثِيل: الشَّبَه والشَّبِيه لفظًا ومَعْنى[1].

والمَثَلُ: عبارة عن قوْلٍ في شيء يُشبه قولًا في شيءٍ آخَر بينهما مشابَهة، ليُبيِّن أحدهما الآخر ويصوِّره. نحو قولهم: الصَّيف ضيّعت اللّبن[2]، فإنَّ هذا القول يُشبه قولك: أهْمَلتَ وقت الإمْكان أمْرَكَ.

والْمَثَل في القرآن: هو إبراز المعنى في صورةٍ رائِعةٍ مُوجَزةٍ لها وَقْعها في النَّفس، سواءً أكانت تشْبِيهًا أو قَوْلًا مُرسَلًا[3].

أنواع الأمثال في القرآن[4]:

الأمثال في القرآن ثلاثة أنواع:

النّوع الأوّل: الأمثال المصرَّحَة. وهي الأمْثال التي يُصرَّح فيها بلفظ (المثَل) أو ما يدُلّ على التّشبيه، وهي كثيرةٌ في القرآن:

فمن أمثلة التّصريح بلفظ المثَل قوله تعالى: ﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا ۚ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِى ٱلنَّارِ ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَٰعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَ ۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ﴾ [الرّعد: ١٧].

ومثال التّصريح بالتّشبيه، قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا﴾ [النّور: ٣٩].

النّوع الثّاني: الأمْثال الكامِنَة: وهي الأمْثال التي لا يُصرَّح فيها بلَفْظ التّمثيل، ولكنّها

---

(١) مختار الصحاح (ص٢٩٠)، القاموس المحيط (ص١٠٥٦).

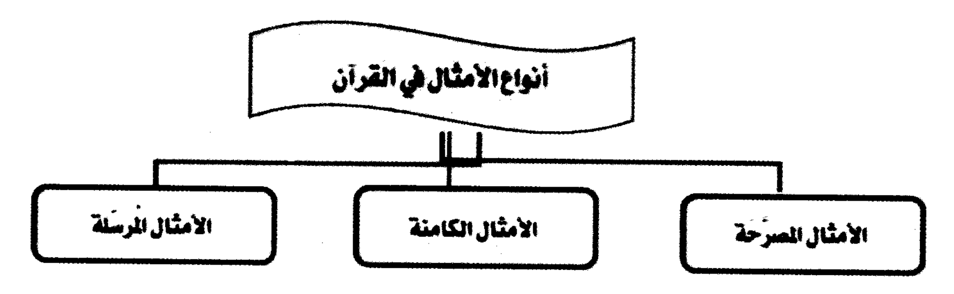
(٢) المفردات في غريب القرآن (ص٧٥٩).

(٣) مباحث في علوم القرآن (ص٢٩٢).

(٤) ينظر: البرهان (١/ ٤٨٦)، الإتقان (٦/١٩٣٦)، مباحث في علوم القرآن (ص٢٩٢).

تدلّ على معانٍ تمثيليَّةٍ بإيجاز، وآيات هذا النَّوْع غالبًا ما تكون قريبة الصِّلَة بمعاني أمثالٍ سائرةٍ معروفةٍ، من ذلك قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا﴾ [الفرقان: ٦٧]، وهو في معنى قولهم: خَيْر الأمور الوَسَط، وقوله تعالى: ﴿قَالَ أَوَلَمۡ تُؤۡمِنۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطۡمَئِنَّ قَلۡبِي﴾ [البقرة: ٢٦٠]، هو في معنى قولهم: ليس الخَبَر كالمعايَنة.

النّوع الثّالث: الأمثال المرْسَلَة: وهي آياتٌ من القرآن جَرَت مَجْرى المَثَل من غير تصريح بلفظ التَّشبيه، مثل قوله تعالى حكاية عن امرأة العزيزة: ﴿ٱلۡـَٰٔنَ حَصۡحَصَ ٱلۡحَقُّ﴾ [يوسف: ٥١]، وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلۡمَكۡرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهۡلِهِۦ﴾ [فاطر: ٤٣]، ﴿لَيۡسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ﴾ [النجم: ٥٨]، ﴿مَا عَلَى ٱلۡمُحۡسِنِينَ مِن سَبِيلٖ﴾ [التوبة: ٩١].



فوائد ضرب الأمثال في القرآن[1]:

القرآن مَليءٌ بضَرْب الأمثال، ومن أبرز فوائد وحِكَم ذلك:

١- **إظهار المعنى المعقول وتقريبه في الأذهان** في صورةٍ محسوسةٍ يلمَسها النَّاس فيتقبَّله العقل. كقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ كَٱلَّذِي يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفۡوَانٍ عَلَيۡهِ تُرَابٞ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٞ فَتَرَكَهُۥ صَلۡدٗاۖ لَّا يَقۡدِرُونَ عَلَىٰ شَيۡءٖ مِّمَّا كَسَبُواْۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٦٤].

٢- **التَّرغيب**، كقوله تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦١].

---

(١) ينظر: البرهان (١/ ٤٨٦)، الإتقان (٦/١٩٣٣-١٩٣٥)، مباحث في علوم القرآن (ص٢٨٧).

٣- التَّنْفير، نحو قوله تعالى: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ [الحجرات: ١٢]، ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا ۚ بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ ۚ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [الجمعة: ٥].

٤- العِظَة والعِبْرة والذِّكرى، قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الحشر: ٢١]، ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [الزمر: ٢٧].

أمثال القرآن في كتب علوم القرآن والمصنَّفات فيها:

أورد المصنِّفون أمثال القرآن كنَوْع من علوم القرآن، كالزَّركشي في «النوع الحادي والثلاثون: معرفة الأمثال الكائنة فيه»[(١)]، والسُّيوطي في «النوع السادس والستون: في أمثال القرآن»[(٢)].

كما صنَّف فيه جَمْع من المتقدِّمين والمتأخِّرين، من ذلك[(٣)]:

١- الأمثال القرآنية، للماوَرْدي (ت:٤٥٠).

٢- الأمثال في القرآن الكريم، لابن قيِّم الجَوْزية (ت:٧٥١)[(٤)].

٣- أمثالُ القرآن وصُوَرٌ من أدبه الرَّفيع، لعبد الرحمن حبَنَّكة الميْداني (ت:١٤٢٥).

٤- الأمثال في القرآن الكريم، د. محمد جابر فياض.

٥- موسوعة الأمثال القرآنية، د. محمد عبد الوهاب عبد اللطيف.



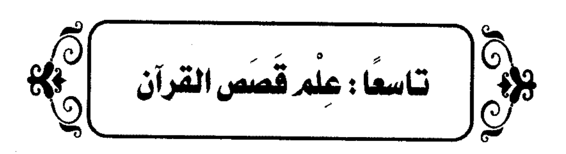
---

(١) البرهان (١/ ٤٨٦).

(٢) الإتقان (٦/١٩٣٢-١٩٤٤).

(٣) ينظر: دراسات في علوم القرآن (ص٥٩٣)، علوم القرآن بين البرهان والإتقان (ص٢٨٨).

(٤) والكتاب مطبوع، وهو في الأصل مستَلٌّ من كتاب إعلام الموقِّعين، للمؤلِّف.



مفهوم قَصَص القرآن:

القَصُّ لُغَةً: تَتَبُّع الأثَر. قال تعالى: ﴿فَٱرۡتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصٗا﴾ [الكهف: ٦٤]، أي: رجَعَا من الطَّريق الذي سَلَكاه يقُصَّان الأثَر ويتَتَبَّعانه(١). ونحوه قوله تعالى على لسَان أمِّ موسى: ﴿وَقَالَتۡ لِأُخۡتِهِۦ قُصِّيهِ﴾ [القصص: ١١]، أي: تَتَبَّعي أثَره. ومن ذلك: القصَّة والقصَص، لأنها أخبار تُتَتَبَّع وتُذْكَر(٢).

وقَصَص القرآن: أخباره عن أحْوال الأمم الماضية، والنُّبُوّات السَّابقة، والحوادث الواقِعة(٣).

أنواع القَصَص في القرآن:

قَصَص القرآن على نَوْعين:

النَّوع الأول: قصص السَّابقين: وهي قِسمان:

أ) قَصَص الأنبياء: تضمَّنت دعْوَتهم إلى قومهم، والمعجِزات التي أيَّدهم الله بها، وموقف المعاندين منهم، وعاقبتهم، وكذلك عاقبة المؤمنين، كقصة نوح مع قومه، وهود مع قومه عاد، وصالح مع قومه ثمود، وموسى مع فرعون، ومحمد مع كفار قريش، وغيرهم من الأنبياء والمرسلين، عليهم جميعًا أفضل الصلاة والسلام.

ب) قَصَص السَّابقين من غير الأنبياء، كقِصَّة ابنَيْ آدم، وأهْل الكَهف، وذي القَرْنَين، وقارون، وأصحاب السَّبت، ومريم، وأصحاب الأخْدود، وأصحاب الفيل، وغيرهم.

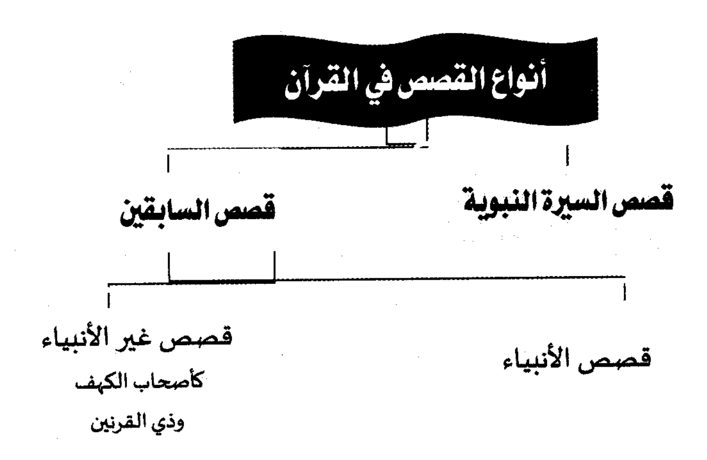
النَّوع الثاني: قَصَص السيرة النَّبوية والأحداث الواقِعة في زمَن الرسول ﷺ، خصوصًا المغازي كغَزْوة بدر وأُحُد والأحزاب وحُنَيْن وتبوك.

---

(١) القاموس المحيط (ص٦٢٧).

(٢) مقاييس اللغة (٥/ ١١).

(٣) مباحث في علوم القرآن (ص٣١٦).



فوائد قَصَص القرآن:

للقَصَص القرآني فوائد كثيرةٌ لعلَّ من أهمِّها(١):

١- تَثْبيت فؤاد الرسول ﷺ، وأمَّته من بعده، قال تعالى: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [هود: ١٢٠].

٢- إيضاح أُسُس الدَّعوة إلى الله، وبيان أصول الشَّرائع التي بُعث بها كل نبيٍّ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

٣- إظهار صِدْق نبيِّنا محمد ﷺ في دعوته بما أخبر به عن أحوال الماضين عَبْر القرون والأجيال، مع كونه أميًّا لا يقرأ ولا يكتُب ولم يجالِس الأقوام الآخرين.

٤- العِظَة والعِبرة: قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [يوسف: ١١١]، ﴿فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٦].

خصائص القَصَص القرآني ومزاياه:

للقصَّة القرآنية خصائص ومزايا عَديدَة، منها(٢):

(١) مباحث في علوم القرآن (ص٣١٨)، دراسات في علوم القرآن (ص٦٠٨).

(٢) ينظر: المرجع السابق (ص٦١٠).

١- **أنها ربَّانيَّة المصْدَر**: فالقصَّة القرآنية تبعًا للقرآن كلُّه كلام الله ﷻ، قال تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾ [يوسف: ٣].

٢- **أنها حَقيقَةٌ لا خَيال**: قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ﴾ [آل عمران: ٦٢]. ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ﴾ [الكهف: ١٣]. وهذا بخِلاف قصَص الأدَب الإنْساني التي تَنْزِع إلى الخيال، وتعتَمِد على الغرائِب المجانِبة للواقع.

٣- **الإعْجاز الغَيْبي**: بحكاية أخبار السَّابقين واللاحقين وغيرهم، وقد تقدَّم أنه من أوْجه إعجاز القرآن.

٤- **التِّكرار**: مما تميَّز به كثير من قصَص القرآن تكرُّر ورودها في عِدَّة مواضع، مع عرضها في صُوَر مختَلِفة في التَّقديم والتَّأخير، والإيجاز والإطناب، وما شابَه ذلك. ولذلك **حِكَمٌ عظيمةٌ وفوائد جليلةٌ**، من أبرزها[1]:

١- قوَّة الإعجاز البياني: قال الزرَّكشي: «كرَّر ذِكر القصَّة في مواضع إعلامًا بأنهم عاجزون عن الإتيان بمثله بأيِّ نَظْم جاؤوا، وبأي عبارة عبَّروا»[2].

٢- بيان بلاغة القرآن في أعلى مراتبها: قال الباقلّاني: «إعادة ذكر القصَّة الواحدة بألفاظ مختَلفة، تؤدِّي معنى واحدًا من الأمر الصَّعب، الذي تظهر به الفصاحة، وتتبيَّن به البلاغة»[3].

٣- الاهتمام بشأن القصَّة لتمكين عِبَرها في النَّفس، فإن التكرار من طُرُق التأكيد وأمارات الاهتمام، كما هو الحال في قصَّة موسى مع فرعون.

٤- اختلاف الغاية التي تُساق من أجْلِها القصة، فتذكر بعض معانيها الوافية بالغرَض في مقام، وتُبرِز معانٍ أخرى في مقاماتٍ أخرى حَسب اختلاف مُقتَضيات الأحوال.

---

(١) ينظر: الإتقان (٥/ ١٦٥٤)، مباحث في علوم القرآن (ص٣١٨).

(٢) البرهان (٣/ ٢٧).

(٣) إعجاز القرآن (ص٦١).

المؤلَّفات في قَصَص القرآن:

اعتنى أهل العلم بقصَص القرآن، وأفرَده البعض بمؤلَّفات خصوصًا المعاصرين، منها:

١- قصص القرآن الكريم، لمحمد أبو الفضل إبراهيم، ومحمد جاد المولى، وعلى البجاوي.

٢- قصص القرآن الكريم، أ.د. فَضْل حسن عبّاس (ت: ١٤٣٢).

٣- المستَفاد من قصص القرآن، أ.د. عبد الكريم زَيْدان (ت: ١٤٣٦).

٤- القصص القرآني، أ.د. صلاح الخالدي.

ومن أشهر كتُب المتقدِّمين وأوسعها انتشارًا: كتاب «قصص الأنبياء» لابن كثير (ت:٧٧٤)، وهو في الأصْل مستَلٌّ من كتابه «البداية والنهاية».



عاشِرًا: عِلْم الجَدَل في القرآن الكريم

مفهوم الجَدَل:

الجدَل لُغةً: اللَّدَد في الخصومة والقُدرة عليها، أصله من جدَلْتُ الحبْل: أي أحكَمتُ فَتْله، فكأنَّ المتجادلين يفتِل كل واحد منهما الآخر على رأيِه[١].

واصطلاحًا: المفاوضة على سبيل المنازعة والمغالبة لإلزام الخصْم[٢].

وجَدَل القرآن: هو براهينه وأدلّته التي اشتَمل عليها وساقَها لهداية الكافرين وإلزام المعانِدين في جميع ما هَدَف إليه من المقاصد في أصول الشريعة وفروعها[٣].

والغرض من الجدل[٤]: إلزام الخصْم وإفهام من هو قاصر عن إدراك مقدِّمات البرهان.

وهناك **ألفاظٌ مرادِفة للجَدَل**: كالمناظرة، والمحاورة، والمناقشة، والمباحثة، وهي قريبةٌ بعضها من بعض[٥].

حُكْم الجَدَل وأنواعه[٦]:

وردت نصوص من الكتاب والسُّنّة بعضها يأمر بالجدال وبعضها ينهى عنه، وهذا يعود لنوع الجِدال، لأن نصوص القرآن والسُّنّة الصحيحة لا تتعارض في حقيقة الأمر.

ومن هنا نقول الجِدال نوعان بحسب الحُكم: ١- جِدال محمود ٢- جِدال مذموم.

فالجدال المحمود: هو كل جدالٍ أيّد الحقَّ أو أفضى إليه بِنِيَةٍ خالصةٍ وطريقٍ صحيحٍ،

---

(١) لسان العرب (١١/١٠٥). وينظر: دراسات في علوم القرآن، أ.د. زاهر الألمعي (ص١١٧).

(٢) مناهج الجدل في القرآن الكريم (ص٢٤).

(٣) المرجع السابق (ص٢٥).

(٤) دراسات في علوم القرآن، أ.د. فهد الرومي (ص٥٨١).

(٥) مناهج الجدل في القرآن الكريم (ص٢٩).

(٦) دراسات في علوم القرآن، أ.د. زاهر الألمعي (ص١١٨).

كجِدال الأنبياء وأتباعهم، لنُصْرة الحقِّ وإزهاق الباطل بالحُجَّة والبرهان. ومنه قوله تعالى: ﴿وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾ [النحل: ١٢٥].

والجِدال المذموم: هو كل جدال ظاهَر الباطل أو أفضى إليه، كجِدال الكفّار وأهل الأهواء والبِدَع والمراء. قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ﴾ [الحج: ٨].

طُرُق الاستدلال والجَدَل في القرآن[1]:

الاستدلال القرآني إما بسَوْق الأدلّة ابتداءً، مثل ما يذكره الله تعالى من الآيات الكونية المتضمِّنة الأمر بالتفكُّر والتدبُّر لمعرفة الخالق وتوحيده، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلۡفُلۡكِ ٱلَّتِي تَجۡرِي فِي ٱلۡبَحۡرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٖ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٖ وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلۡمُسَخَّرِ بَيۡنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٦٤].

أو بما يُرَدُّ به على الخُصوم والمعاندين، وهو الذي يحصُل به الجَدَل كما تقدَّم في تعريفه، **وله طُرُق كثيرة في القرآن**، منها:

١- **قياس التَّمثيل**: بأن يقيس المستدِلُّ دعواه على أمر معروفٍ عند المخاطَب، أو أمر بَدَهيّ لا تنكره العقول، كالاستدلال بالمبدأ على المَعاد والبعث، **في مثل قوله** تعالى: ﴿أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَن يُتۡرَكَ سُدًى ٣٦ أَلَمۡ يَكُ نُطۡفَةٗ مِّن مَّنِيّٖ يُمۡنَىٰ ٣٧ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةٗ فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ٣٨ فَجَعَلَ مِنۡهُ ٱلزَّوۡجَيۡنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ ٣٩ أَلَيۡسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحۡـِۧيَ ٱلۡمَوۡتَىٰ﴾ [القيامة: ٣٦ - ٤٠]. أو الاستدلال بالمخلوقات الأخرى على قُدْرة الخالق على بعث الموتى وإعادتهم، وكِلا الاستدلالَيْن تَجِده في قوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلٗا وَنَسِيَ خَلۡقَهُۥۖ قَالَ مَن يُحۡيِ ٱلۡعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٞ ٧٨ قُلۡ يُحۡيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلۡقٍ عَلِيمٌ ٧٩ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلۡأَخۡضَرِ نَارٗا فَإِذَآ أَنتُم مِّنۡهُ تُوقِدُونَ ٨٠ أَوَلَيۡسَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخۡلُقَ مِثۡلَهُمۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلۡخَلَّٰقُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ [يس: ٧٨ - ٨١].

---

(١) ينظر: الإتقان (٥/١٩٥٩-١٩٦٢)، مباحث في علوم القرآن (ص٣٠٣)، مناهج الجدل في القرآن الكريم (ص٧١-٩١)، دراسات في علوم القرآن، أ.د. فهد الرومي (ص٥٨٧-٥٩٢).

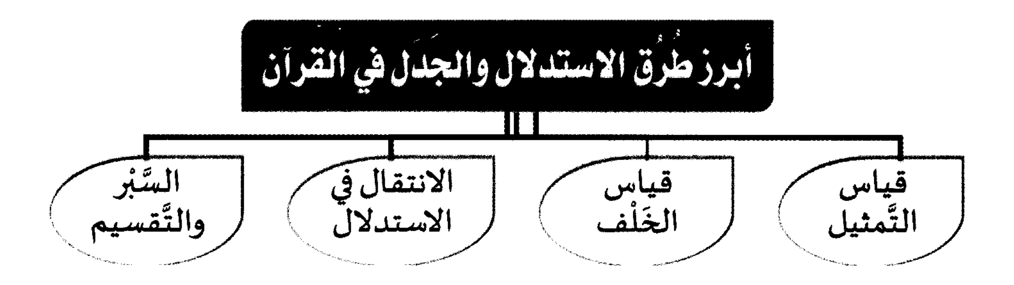
وكثيرًا ما يأتي فيه الخطاب بأسلوب **الاستفهام التَّقريري**: وهو تقرير المخاطَب بطريق الاستِفهام عن الأمور التي يُسلِّم بها الخَصْم وتُسلِّم بها العقول حتى يعترِف بما يُنكره، وهو من أحسن الطُرُق في الجَدَل لأنه يُشترط في الجَدَل أن يُسلِّم الخَصْم بالمقدِّمات. **ومن أمثلتِه** الآية الأخيرة من آيات سورة «يس» السابقة، وكذلك آيات سورة القيامة المتقدِّمة.

٢- **قياس الخَلْف**: وهو إثبات المطلوب بإبْطال نقِيضه، وذلك لأن النقيضان لا يجتمعان، ولا يخلُو المَحَلّ من أحدهما، ويسمَّى دليل التَّمانع. **مثاله**: قوله تعالى: ﴿لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: ٢٢] فثبَتَ أنه لا إله إلا الله لعدَمِ وجود الفساد فيهما. **مثالٌ آخر**: قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَۚ وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا﴾ [النساء: ٨٢]، فثبَت أنه من عند الله لعدَم وجود الاختِلاف.

٣- **الانتقال في الاستدلال**: وذلك بأن ينتقِل المستَدِلُّ من دليل يُغالط فيه الخَصْم أو لم يفْهَمْه إلى دليلٍ آخر يُفْحِم الخَصْم ويقطع حجَّتَه، مثل مُجادلة إبراهيم عليه السلام للنَّمروذ: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِي حَآجَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ فِي رَبِّهِۦٓ أَنۡ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلۡمُلۡكَ إِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحۡيِۦ وَأُمِيتُۖ﴾، وذلك بأن دعا بمن وجَب عليه القتل فعفَا عنه، ومن لا يَجِب عليه فقَتله، فعلم إبراهيم عليه السلام أنه لم يَفْهَم معنى الإحياء أو الإماتة أو يُغالِط بذلك الفعل، فانتقَل عليه السلام إلى استدلال ينْقَطع به النَّمروذ ﴿قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأۡتِي بِٱلشَّمۡسِ مِنَ ٱلۡمَشۡرِقِ فَأۡتِ بِهَا مِنَ ٱلۡمَغۡرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: ٢٥٨].

٤- **السَّبْر والتَّقسيم**: وذلك بحَصْر أوصاف الموضوع الذي يجادَل فيه، ثم يُردّ عليها ويُبطِل كل وَصْفٍ من هذه الأوصاف، فتَبْطُل دعوى الخصم عن طريق هذا الحَصْر المنطقي للموضوع. **مثاله**: «قوله تعالى: ﴿أَمۡ خُلِقُواْ مِنۡ غَيۡرِ شَيۡءٍ أَمۡ هُمُ ٱلۡخَٰلِقُونَ﴾ [الطور: ٣٥]، كأنَّه تعالى يقول: لا يَخْلُو الأمر من واحدةٍ من ثلاث حالات بالتَّقسيم الصَّحيح. الأولى: أن يكونوا خُلِقوا من غير شيءٍ أي بدون خالق أصلًا. الثانية: أن يكونوا خلَقوا أنفسهم. الثالثة: أن يكون خَلَقَهم خالقٌ غير أنفسهم. ولا شكَّ أن القِسْمَين الأوَّلَيْن باطلان، وبُطلانهما ضروريٌّ كما ترى، فلا حاجة إلى إقامة الدليل عليه لوُضوحه. والثالث: هو

الحقّ الذي لا شكَّ فيه، وهو جلَّ وعلا خالقهم المستحِقُّ منهم أن يعبدوه وَحْدَه جلّ وعلا»[١].



المؤلَّفات في جَدَل القرآن:

أوْرَد المصنِّفون في كتب علوم القرآن جَدَل القرآن كنَوْع من علومه، كالزرَّكشي في «النّوع الثالث والثلاثون: في معرفة جَدَله»[٢]، والسُّيوطي في «النوَّع الثامن والستون: في جَدَل القرآن»[٣]. كذلك أُفرد بمصنّفات منها:

١- استخراج الجَدَل من القرآن، لعبد الرحمن بن نَجْم ابن الحنْبلي (ت: ٦٣٤).

٢- مناهِج الجَدل في القرآن الكريم، أ.د. زاهر الألْمَعي.



---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٣/ ٤٩٤). وينظر أمثلة أخرى في نفس الموضع.

(٢) البرهان (٢/ ٢٤).

(٣) الإتقان (٥/١٩٥٤- ١٩٦٢).

خلاصة الفصل السادس (علوم لُغة القرآن وأسالِيبه)

أولاً: عِلْم غَرِيب القُرآن

١/ ١ **غَرِيب القُرآن:** هو كلِمات القرآن الغامِضة المعْنى.

١/ ٢ الألفاظ القرآنية نوعَان كُلِّيان: **الأوَّل:** ما له معنًى واحد، **الثاني:** ما له أكثر من معنى.

١/ ٣ يعود تفسير ألفاظ القرآن إلى عهد النبي ﷺ الذي كان يفسِّر لصحابته ما احتاجوا إليه، كما كان للصحابة من بعده اعتناء به، أما تدوينه فقد كان قديمًا منذ عهد أتباع التَّابعين.

١/ ٤ انتهج المؤلِّفون في هذا العلم طريقَتَين في الترتيب: الأولى: الترتيب وَفْق ترتيب سور القرآن، الثانية: الترتيب على الحروف الهجائيَّة.

ثانيًا: عِلْم الوُجُوه والنَّظائِر في القرآن

٢/ ١ **الوُجُوه في القرآن:** المعاني المختَلفة للَّفظة القرآنيَّة في مواضعها من القرآن، **والنَّظائر:** المواضِع القرآنية المتعَدِّدة للوْجه الواحد التي اتَّفق فيها معنى اللَّفظ.

٢/ ٢ نشَأ هذا العلم ودُوِّن في القرن الثاني الهجري، حيث صنَّف فيه مقاتل بن سُليمان (ت: ١٥٠) كتابه «الوُجوه والنَّظائر في القرآن»، وهو أوَّل من صنَّف فيه فيما يظْهر.

ثالثا: عِلْم المُعَرَّب في القرآن

٣/ ١ **المُعرَّب في القرآن:** هو ما وَقَع في القرآن بغير لُغة العَرَب.

٣/ ٢ اختُلف في وقوع المُعَرَّب في القرآن على قوْلَين: **الأوَّل:** عدَم وقوعِه في القرآن. **الثاني:** وقوعه في القرآن. وجُمع بين القولين بأن هذه الأحْرُف أصولها أعْجميَّة، لكنها وَقَعت للعَرب فعرَّبتها بألسنَتها فصارت عربيَّة.

رابعًا: عِلْم إعْرَاب القرآن

٤/ ١ هو علم يبْحث في تَخريج تراكيب القرآن على القواعِد النَّحويّة المحرَّرة.

٤/ ٢ كان علم إعراب القرآن مندرج ضمن كتب معاني القرآن، ثم أُفرِد بتصانيف مستقَلَّة.

٤/ ٣ **كتب التَّفسير** على ثلاثة أنواع من حيث اعتنائها بالإعراب: الأول: ما لم يَعْتَنِ بالمسائل النحويَّة إلا ما نَدَر. الثاني: ما اعتَنى بالإعراب مقتصرا على ما له أثَر في بيان المعنى، الثالث: ما كان مشحونًا بالمسائل النحوية.

٤/ ٤ ذكر أهْل العلم شروطًا وآدابًا يجب على مُعرِب القرآن مراعاتها أثناء الإعْراب.

خامسًا: علم بلاغة القرآن

٥/ ١ البلاغَة القرآنية: مطابَقة القرآن لمقْتضى الحال غاية المطابَقة؛ بأتمّ ما يكون من البيان.

٥/ ٢ أساس نشأة علم البلاغة هو القرآن الكريم، ثم كانت بداياته مسائل منثورة في كتب معاني القرآن وغريبه وإعجازه، حتى ثم جاء عبد القاهر الجُرْجاني (ت: ٤٧١) فجمع متفرّقات هذا العلم في كتابَيْه (دلائِل الإعْجاز)، و(أساس البَلاغة)، ثم سار الزَّمَخْشَري (ت: ٥٤١) على نهجه في بيان الأسرار البلاغيَّة وتطبيقاتها في القرآن الكريم في تفسيره الكشَّاف.

٥/ ٣ علوم البلاغة ثلاثة: علم المعاني، والبيان، والبديع، وقد ظهرت تطبيقاتها على التَّفسير.

٥/ ٤ علْم المعَاني: هو عِلْمٌ يُعرف به أحوال اللَّفظ العربي التي بها يطابق اللَّفظ مقتَضى الحال، **وعلم البَيان**: هو عِلْمٌ يُعرَف به كيفيَّة إيراد المعنى الواحد بطُرُق مختَلِفة في وضُوح الدّلالة عليه، **وعلم البَدِيع**: هو عِلْمٌ تُعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية تطبيقه على مُقتَضى الحال وفصاحَته.

سادسًا: دَلالات أَلْفَاظ القرآن

٦/ ١ من دَلالات أَلْفَاظ القرآن: العامّ والخاصّ، والمطلَق والمقيَّد، والمجمَل والمبيَّن، والمنطوق والمفهوم.

٦/ ٢ العَامّ: هو اللَّفظ المستغْرِق لجميع ما يَصْلُح له من غير حَصْر. أما الخاصّ: فهو قَصْر العامّ على بعض أفراده بِدليل. ومن صِيَغ العام: الأسماء الموْصولة وأدوات الشَّرط والمعرَّف بالأَلِف واللَّام غير العَهْديّة.

٦/ ٣ المُطلَق: ما دلَّ على الحَقيقة بلا قَيْد، والمُقيَّد: ما دلَّ على الحَقيقة بِقَيْد. المُجْمَل: ما لم تتَّضِح دلالته، أو ما يُتَوَقَّف فَهْم المُراد منه على غَيره، والمُبَيَّن: ما يُفهَم المراد منه، إما بأصْل الوَضْع أو بعد التَّبيين.

٦/ ٤ المنْطوق: المعنى المُستفادُ من اللَّفظ من حيث النُّطق به. ويَنْقسم إلى: نَصّ وظاهر. والمفْهُوم: هو المعنى المستَفادُ من اللَّفظ في غير محلّ النّطق. وينقَسم إلى: مفهوم موافَقة ومخالفة.

٦/ ٥ مفهوم الموافَقَة: وهو: أن يكون حكم المسْكوت عنه موافقًا للمنْطوق، مفهوم المخَالَفَة: أن يكون المسْكوت عنه مخالفًا للمنْطوق في الحُكْم.

سَابعًا: عِلْم أقْسَام القرآن

٧/ ١ القَسَم، وهو الحَلْف واليمين. وهو رَبْط النَّفس، بالامتِناع عن شيء أو الإقْدام عليه، بمعنى مُعظَّمٍ عند الحالف حَقِيقة أو اعتقادًا.

٧/ ٢ القصْد بالقسَم تحقيق الخبر وتوكيده.

٧/ ٣ أركان القَسَم ثلاثة: فعل القَسَم، أو أداة القَسَم التي تنوب عنه، والمُقسَم به، وجواب القَسَم.

٧/ ٤ لله أن يحْلِف بما شاء سبحانه، أما العِباد فليس لهم أن يحْلِفوا إلا بالله.

٧/ ٥ أقسَمَ الله -جلَّ شأنه- في كتابه العزيز على أمورٍ كثيرةٍ تَرْجع في جُملتها إلى أمْرَيْن: الأول: أُصول الإيمان التي يَجِب على الخَلْق معرفتها. والثاني: حال الإنسان.

٧/ ٦ القَسَم نَوْعان: ظاهِر، ومُضمَر.

ثامنًا: عِلْم أمْثَال القرآن

٨/ ١ **المَثَل في القرآن**: هو إبراز المعنى في صورةٍ رائِعةٍ مُوجَزةٍ لها وَقْعها في النَّفس، سواءً أكانت تشْبِيهًا أو قَوْلًا مُرسَلًا.

٨/ ٢ الأمثال في القرآن ثلاثة أنواع: الأمثال المصرَّحَة، والأمْثال الكامِنَة، والأمثال المرْسَلَة.

٨/ ٣ من أبرز **فوائد ضرب الأمثال** في القرآن: إظهار المعنى المعقول وتقريبه في الأذهان، والترغيب، والتنفير، والعِظَة والعِبْرة والذِّكرى.

تاسعًا: عِلْم قَصَص القرآن

٩/ ١ **قصَص القرآن**: أخباره عن أحْوال الأمم الماضية، والنُّبوّات السَّابقة، والحوادث الواقِعة

٩/ ٢ قَصَص القرآن على نَوْعين: **النَّوع الأول**: قصص السَّابقين: وهي قِسمان: قصص الأنبياء، وقصص غير الأنبياء، **النوَّع الثاني**: قَصَص السيرة النَّبوية.

٩/ ٣ من **فوائد قَصَص القرآن**: تَثْبيت فؤاد الرسول ﷺ، وأمَّته، وإيضاح أُسُس الدَّعوة إلى الله، وإظهار صِدْق نبيّنا محمد ﷺ، والعِظَة والعِبرة.

٩/ ٤ من **خصائص قَصَص القرآن**: أنها ربَّانيَّة المصْدَر، أنها حَقيقَةٌ لا خَيال، الإعْجاز الغَيْبي، التِّكرار.

عاشرًا: عِلْم الجَدَل في القرآن الكريم

١٠/ ١ **جدَل القرآن:** هو براهينه وأدلّته التي اشتَمل علها وساقَها لهداية الكافرين وإلزام المعانِدين في جميع ما هَدَف إليه من المقاصد في أصول الشريعة وفروعها.

١٠/ ٢ الجِدال نوعان بحسب الحُكم: ١- جِدال محمود، ٢- جِدال مذموم.

١٠/ ٣ الجدال المحمود: هو كل جدالٍ أيّد الحقَّ او أفضى إليه بِنِيَةٍ خالصةٍ وطريقٍ صحيحٍ، والجِدال المذموم: هو كل جدال ظاهَر الباطل أو أفضى إليه.

١٠/ ٤ من طرق الجدال في القرآن: قياس التَّمثيل، قياس الخَلْف، الانتقال في الاستدلال، السَّبْر والتَّقسيم.

١٠/ ٥ للجَدَل آداب منها: اللِّين في القول وتجنُّب السُّخرية والاستهزاء والسَّبّ واللّعن، البُعْد عن التَّعصُّب، قبول الدليل الصَّحيح وتجنُّب المكابَرة.

أسئلة تقويمية

١- عرِّف بعلم غريب القرآن.
٢- تحدّث عن أهمية علم غريب القرآن مع التعليل.
٣- ما أقسام الألفاظ القرآنية؟
٤- تحدَّث عن نشأة علم غريب القرآن وتدوينه، مع ذكر ٣ مؤلفات.
٥- للمؤلفين في غريب القرآن طريقتان في الترتيب. اذكرهما مع التمثيل.
٦- وضِّح مفهوم الوُجوه والنَّظائر في القرآن مع التمثيل.
٧- تحدَّث عن نشأة علم الوُجوه والنَّظائر وأبرز مؤلَّفاته.
٨- بين معنى المُعَرَّب في القرآن.
٩- هل وقع المُعَرَّب في القرآن؟ ناقش المسألة مع ما تراه راجحًا.
١٠- عرِّف بالإعراب، ثم وضّح معنى إعراب القرآن.
١١- تحدَّث عن نشأة علم إعراب القرآن، مع ذكر أنواع الكتب المعتنية بذلك.
١٢- اذكر ٤ من شروط إعراب القرآن وآدابه.
١٣- اختَلفت مناهج المؤلفين في إعراب القرآن، بيِّن ذلك مع التمثيل.
١٤- بيِّن معنى البلاغَة القرآنية.

١٥- اشرح علاقة علْم البَلاغة بالقرآن وعلومه.

١٦- عرِّف بعلوم البلاغة موضحا أبرز وجوهها في القرآن مع التمثيل.

١٧- عرِّف مع ذكر مثال من القرآن كلًّا من: العامّ والخاصّ، والمطلَق والمقيَّد، والمجمَل والمبيَّن، والمنطوق والمفهوم.

١٨- ما أبرز صيغ العام مع التمثيل لذلك.

١٩- لكل من المنطوق والمفهوم قسمان، اذكرها مع التعريف والتمثيل.

٢٠- ما المراد بالقسم؟ وما فائدته؟

٢١- ما صيغة القَسَم؟ وما أركانه؟

٢٢- وضِح المُقْسَم به في القرآن.

٢٣- أقسَمَ الله في كتابه اعلى أمورٍ تَرْجع في جُملتها إلى أمْرَيْن، اذكرهما مع التمثيل.

٢٤- ما أنواع القسم؟ اذكر مثالا لكل قسم.

٢٥- ما أبرز المؤلَّفات في أقْسام القرآن.

٢٦- بيِّن المراد بالمَثَل في القرآن.

٢٧- اذكر أنواع الأمثال في القرآن مع نموذج لكل منها.

٢٨- ما الفائدة من ضرب الأمثال في القرآن؟

٢٩- وضح اعتناء العلماء بأمثال القرآن في مؤلفاتهم.

٣٠- ما المراد بقصَص القرآن؟ وما أنواعها؟

٣١- ما الفائدة من ذكر القصص في القرآن؟

٣٢- للقصَّة القرآنية خصائص ومزايا عَديدَة. اذكر ٣ منها.

٣٣- تكرار القصص في القرآن حِكَمٌ عظيمةٌ، اذكر ٣ منها.

٣٤- وضِح اعتناء أهل العلم بقصَص القرآن.

٣٥- اشرح المراد بجَدَل القرآن.

٣٦- ما حُكْم الجَدَل؟

٣٧- للقرآن في الجدل طرق كثيرة اذكر ٣ منها مع التمثيل.

٣٨- من أحسن طرق الجدل الاستفهام التَّقريري، وضح ذلك.

٣٩- للجَدَل آداب وقواعد ينْبغي للمسلم أن يتأدَّب بها، اذكر أهمها.

٤٠- اعتنى أهل العلم بموضوع الجدل في القرآن، بيِّن ذلك.

أسئلة إثرائية

١- وازن بين كتابي «غريب القرآن» لابن قتيبة، ومفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني.

٢- اذكر المعرب في سورة الإنسان مع بيان اللغات المنقولة عنها.

٣- من خلال ما درست تجد ان لمقاتل بن سليمان (ت:١٥٠) الأولية في التأليف في عدد من علوم القرآن. اذكرها.

٤- راجع إعراب سورة الفلق في كل من: معاني القرآن للفراء، تفسير الطبري، التبيان للعكبري، البحر المحيط لأبي حيان. ثم وازن بينها.

٥- راجع تفسير ابن عاشور واستخرج النكات البلاغية من تفسيره لسورة الناس.

٦- اقرا سورة الذاريات واستخرج ما يلي:

- الأقسام الموجودة مع بيان: أركان القسم في كل منها مع توضيحه، ما كان ظاهرا منها أو مضمر.

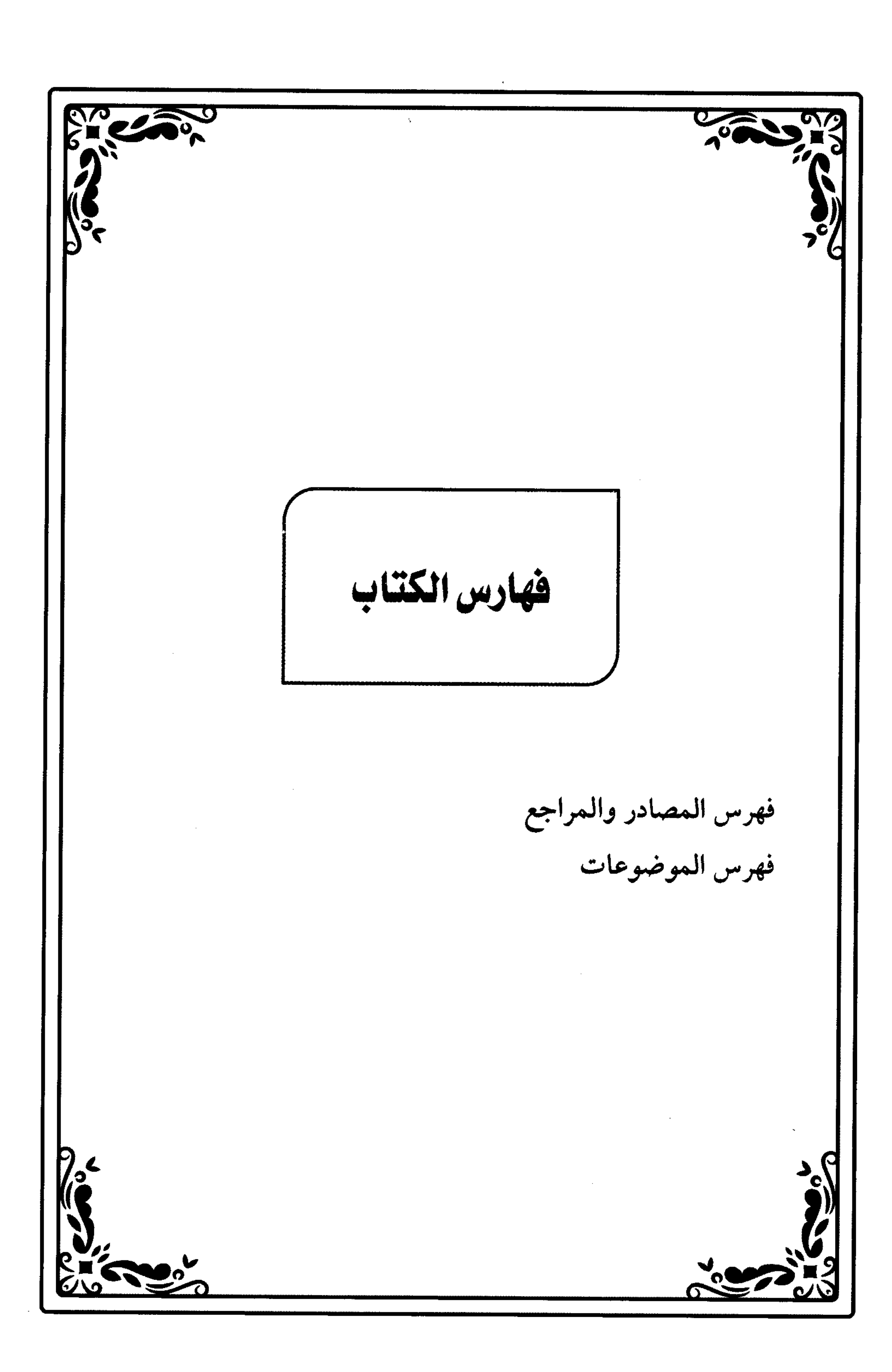
- القصص المذكورة مع بيان نوعها، وفوائدها.

٧- اقرأ سورة الجمعة واستخرج منها ما يلي:

- الأمثال مع بيان أنواعها.

- أساليب الجدل.





فهارس الكتاب



فهرس المصادر والمراجع

أولا: الكتب

١- الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ)، تحقيق: مركز الدراسات القرآنية بمجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف- المدينة المنورة، ط٢، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م.

٢- أخلاق حملة القرآن، أبو بكر محمد بن الحسين الآجُرِّيُّ (ت: ٣٦٠هـ)، تحقيق: د. عبد العزيز بن عبد الفتاح القارئ، مكتبة الدار بالمدينة المنورة، ط١، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م.

٣- استدراكات على تاريخ التراث العربي (قسم التفسير)، أ.د. حكمت بشير ياسين، دار ابن الجوزي: الدمام، ط١: ١٤٢٢هـ .

٤- الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبد البر القرطبي (ت: ٤٦٣هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م.

٥- أسماء القرآن الكريم وأسماء سوره وآياته، د. آدم بمبا، مركز جمعة الماجد، دبي، ط١، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م.

٦- أسماء سور القرآن وفضائلها، د. منيرة محمد ناصر الدوسري، دار ابن الجوزي: الدمام، ط١، ١٤٢٦هـ.

٧- الأصول من علم الأصول، محمد بن صالح بن محمد العثيمين (ت: ١٤٢١هـ)، دار ابن الجوزي، الدمام، طبعة عام ١٤٢٦هـ..

٨- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين الجكني الشنقيطي (ت: ١٣٩٣هـ)، دار الفكر، بيروت — لبنان، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م.

٩- الإعجاز العلمي إلى أين؟ مقالات تقويمية في الإعجاز العلمي، د. مساعد بن سليمان الطيار، دار ابن الجوزي، الدمام، ط١، ١٤٣٣هـ.

١٠-إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى صادق الرافعي (ت: ١٣٥٦هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٨، ١٤٢٥ هـ / ٢٠٠٥ م.

١١- الأم، محمد بن إدريس الشافعي (ت: ٢٠٤هـ)، دار المعرفة - بيروت، د.ط، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.

١٢- الانتصار للقرآن، القاضي أبي بكر الباقلاني (ت٤٠٣هـ)، تحقيق: د. محمد عصام القضاة، دار الفتح للنشر والتوزيع، دار ابن حزم بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ.

١٣- أنواع التَّصنيف المتعلِّقة بتفسير القرآن، د. مساعد بن سليمان الطيار، دار ابن الجوزي، الدمام، ط٢: ١٤٢٣هـ.

١٤- أوائل ترجمات معاني القرآن الكريم في اللُّغات الأوروبية، محمد همام فكري. مكتبة التراث

العربي والإسلامي، قطر، ٢٠١١م.
١٥- إيضاح التلخيص، الخطيب القزويني، الشركة العالمية للكتاب، ١٩٨٩م.
١٦- البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف الأندلسي (ت٧٤٥هـ)، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، ١٤٢٠هـ.
١٧- بحوث في أصول التفسير ومناهجه، د. فهد بن عبد الرحمن الرومي، مكتبة التوبة، الرياض، ط٤، ١٤١٩هـ.
١٨- بحوث في تاريخ السنة، د. أكرم ضياء العمري، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط١، ١٤١٣.
١٩- البرهان في علوم القرآن: بدر الدين الزركشي (ت: ٧٩٤هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١، ١٣٧٦هـ/١٩٥٧م.
٢٠- البرهان في متشابه القرآن (أسرار التكرار في القرآن)، محمود بن حمزة الكرماني (ت: نحو ٥٠٥هـ)، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، دار النشر: دار الفضيلة. د.ن.
٢١- بصائر ذوي التمييز، مجد الدين الفيروزآبادى (ت: ٨١٧هـ)، تحقيق: محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة.
٢٢- البيان في عدّ آي القرآن: عثمان بن سعيد أبو عمرو الداني (ت: ٤٤٤هـ)، تحقيق: غانم قدوري الحمد، مركز المخطوطات والتراث - الكويت، ط١: ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.
٢٣- البيان والتبيين، عمرو بن بحر الجاحظ (ت: ٢٥٥هـ)، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٤٢٣ هـ.
٢٤- تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، الملقّب بمرتضى الزَّبيدي (ت١٢٠٥هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين، الناشر: دار الهداية.
٢٥- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري (ت٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين - بيروت، ط٤، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
٢٦- تاريخ المدينة، عمر بن شبة، تحقيق: فهيم شلتوت، طبع على نفقة السيد حبيب محمود أحمد، جدة، ١٣٩٩هـ.
٢٧- تاريخ علوم البلاغة والتعريف برجالها، أحمد مصطفى المراغي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط١، ١٣٦٩هـ/ ١٩٥٠م.
٢٨- تأويل مشكل القرآن، عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت: ٢٧٦هـ)، شرح وتعليق السيد أحمد صقر، المكتبة العلمية، بيروت، ط٣، ١٤٠١هـ.
٢٩- التبيان في إعراب القرآن، أبو البقاء عبد الله بن الحسين العكبري (ت: ٦١٦هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي، عيسى البابي الحلبي وشركاه.

٣٠- التبيان في أيمان القرآن، ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ)، ضمن آثار ابن قيم الجوزية وما لحقها من أعمال (١٤). تحقيق: د. عبد الله البطاطي، دار عالم الفوائد، مكة، ط٣، ١٤٣٨هـ.
٣١- التحبير في علم التفسير، جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ)، تحقيق: د.فتحي عبد القادر، دار العلوم، الرياض، ط١، ١٤٠٢هـ.
٣٢- التحرير في أصول التفسير، أ.د. مساعد بن سليمان الطيار، راجعه أ.د. عبد العزيز القارئ وآخرون، مركز الدراسات والمعلومات القرآنية بمعهد الإمام الشاطبي، جدة، ط١، ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م.
٣٣- التحرير والتنوير، محمد الطاهر ابن عاشور (ت: ١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤هـ.
٣٤- تحزيب القرآن، أ.د. عبد العزيز بن علي الحربي، دار ابن حزم، ط١، ١٤٣١هـ / ٢٠١٠م.
٣٥- تحقيق موقف الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود ﷺ من الجمع العثماني، محمد بن عبد الرحمن الطاسان، جامعة الملك سعود، كرسي القرآن الكريم وعلومه، الرياض، ١٤٣٥هـ.
٣٦- تخريج إحياء علوم الدين = المغني عن حمل الأسفار في الأسفار (مطبوع بهامش إحياء علوم الدين)، زين الدين العراقي (ت: ٨٠٦هـ)، دار ابن حزم، بيروت - لبنان، ط١، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.
٣٧- الترغيب والترهيب من الحديث الشريف، زكي الدين المنذري (ت: ٦٥٦هـ)، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية ببيروت، ط١، ١٤١٧هـ.
٣٨- التَّصاريف لتفسير القرآن مما اشتبهت أسمائه وتصرفت معانيه، يحيى بن سلام البصري ثم القيرواني (ت: ٢٠٠هـ)، قدمت له وحققته: هند شلبي، الشركة التونسية للتوزيع، ١٩٧٩ م
٣٩- التعريفات: علي بن محمد الشريف الجرجاني (ت: ٨١٦هـ)، دار الكتب العلمية: بيروت - لبنان، ط١، ١٤٠٣هـ /١٩٨٣م.
٤٠- تفاسير آيات الأحكام ومناهجها، أ.د. على بن سليمان العبيد، دار التفسير، جدة، ط١، ١٤٣٥هـ/٢٠١٤م.
٤١- تفسير ابن جرير الطبري = جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: د. عبد الله التركي، دار عالم الكتب، ط١/١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.
٤٢- تفسير ابن جزي = التَّسهيل لعلوم التَّنْزيل، محمد بن أحمد بن جزي الكلبي الغرناطي (ت: ٧٤١هـ)، تحقيق: د. عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم، بيروت، ط١، ١٤١٦ هـ.
٤٣- تفسير القرطبي = الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (ت: ٦٧١هـ)، دار الكتب المصرية - القاهرة، ط٢: ١٣٨٤هـ / ١٩٦٤م.
٤٤- تفسير ابن كثير = تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي (ت: ٧٧٤هـ)، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع بالرياض، ط٢: ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.
٤٥- التفسير اللغوي، د. مساعد بن سليمان الطيار، دار ابن الجوزي، الدمام، السعودية، ط١، ١٤٢٢هـ.

٤٦- تفسير عبد الرزاق الصنعاني، عبد الرزاق بن همام الحميري (ت: ٢١١هـ)، تحقيق: د. مصطفى مسلم، مكتبة الرشد: الرياض، ط١، ١٤١٠.

٤٧- تفسير غريب القرآن، عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت: ٢٧٦هـ)، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار الكتب العلمية، ١٣٩٨ هـ /١٩٧٨ م.

٤٨- تفسير الماوردي = النكت والعيون، علي بن محمد الماوردي (ت: ٤٥٠هـ)، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د.ط.

٤٩- التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير، أحمد ابن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢هـ)، تحقيق: أبو عاصم حسن بن عباس بن قطب، مؤسسة قرطبة: مصر، ط١: ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.

٥٠- التَّنبيه والردّ على أهل الأهواء والبدع، محمد بن أحمد المَلَطي (ت: ٣٧٧هـ)، تحقيق: محمد زاهد الكوثري، المكتبة الأزهرية للتراث، مصر.

٥١- تهذيب اللغة، أبو منصور محمد بن أحمد بن الأزهري (ت: ٣٧٠هـ)، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي: بيروت، ط١، ٢٠٠١م.

٥٢- تيسير البلاغة القرآنية، د. جاسم سليمان الفهيد، مكتبة آفاق، الكويت، ط٣، ١٤٣٨هـ/ ٢٠١٧م.

٥٣- الجرح والتعديل، عبد الرحمن بن أبي حاتم، مصورة عن الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت.

٥٤- جمال القراء وكمال الإقراء، علم الدين السخاوي (ت: ٦٤٣هـ) تحقيق: مروان العطيَّة ومحسن خرابة، دار المأمون للتراث: دمشق - بيروت، ط١، ١٤١٨ هـ / ١٩٩٧ م.

٥٥- حديث الأحرف السبعة، أ.د. عبد العزيز القارئ، دار النشر الدولي، الرياض، ط١، ١٤١٢هـ.

٥٦- حسن المدد في معرفة فن العدد، إبراهيم بن عمر الجعبري (ت٧٣٢ هـ)، تحقيق: د. بشير الحميري، طبعة مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة، ١٤٣١هـ.

٥٧- حلية أهل القرآن، مركز الدراسات والمعلومات القرآنية بمعهد الإمام الشاطبي، جدة، ط١، ١٤٣٩هـ/٢٠١٨م

٥٨- الخلاصة في تدبر القرآن الكريم، د. خالد بن عثمان السبت، مركز تدبر، دار الحضارة، الرياض، ط١، ١٤٣٧هـ/٢٠١٦م.

٥٩- الدر المنثور في التفسير بالمأثور: جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ)، إشراف: د. عبد الله التركي، دار هجر: مصر، ط١: ١٤٢٤هـ.

٦٠- دراسات في علوم القرآن، أ.د. زاهر بن عواض الألمعي، ط٣، ١٤٢٥م/٢٠٠٤م.

٦١- دراسات في علوم القرآن ، أ.د. فهد بن عبد الرحمن الرومي ، ط١٢ ، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.

٦٢- درة التنزيل وغرة التأويل ، محمد بن عبد الله الخطيب الإسكافي (ت: ٤٢٠هـ)، دراسة وتحقيق وتعليق: د.محمد مصطفى آيدين ، جامعة أم القرى ، معهد البحوث العلمية ، ط١: ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

٦٣- دعاوى الطاعنين في القرآن الكريم في القرن الرابع عشر والرد عليها. د. عبد المحسن بن زبن المطيري ، دار البشائر الإسلامية ، بيروت: لبنان ، ط١ ، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.

٦٤- دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب ، محمد الأمين بن الجكني الشنقيطي (ت: ١٣٩٣هـ)، مكتبة ابن تيمية ، القاهرة ، ط١ ، ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م.

٦٥- رسم المصحف: دراسة لغوية تاريخية ، أ.د. غانم قدوري الحمد ، منشورات اللجنة الوطنية للاحتفال بمطلع القرن الخامس الهجري ، بغداد ، ط١ ، ١٤٠٢هـ.

٦٦- زاد المسير في علم التفسير ، أبو الفرج ابن الجوزي (ت: ٥٩٧هـ)، تقريظ: زهير الشاويش ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط٤ ، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

٦٧- السبعة في القراءات ، أبو بكر بن مجاهد (ت:٣٢٤)، تحقيق: د. شوقي ضيف ، دار المعارف ، القاهرة ، ط٤ ، د.ن.

٦٨- سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها: محمد ناصر الدين الألباني (ت: ١٤٢٠هـ)، مكتبة المعارف - الرياض.

٦٩- سنن ابن ماجه: أبو عبد الله محمد بن يزيد ابن ماجه القزويني (ت: ٢٧٣هـ)، دار الفكر - بيروت ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.

٧٠- سنن أبي داود: أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني (ت: ٢٧٥هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية ، صيدا ببيروت.

٧١- سنن الترمذي ، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سَوْرة الترمذي (ت٢٧٩هـ)، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر وغيره ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي ، مصر ، ط٢ ، ١٣٩٥هـ /١٩٧٥م.

٧٢- سنن الدارمي ، أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي السمرقندي (ت٢٥٥هـ)، تحقيق: حسين سليم أسد الداراني ، دار المغني للنشر والتوزيع ، المملكة العربية السعودية ، ط١ ، ١٤١٢هـ /٢٠٠٠م.

٧٣- سنن القراء ومناهج المجودين: د. عبد العزيز القارئ ، مكتبة الدار ، المدينة المنورة ، ط١: ١٤١٤هـ.

٧٤- السنن الكبرى: أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي (ت: ٤٥٨هـ)، مجلس دائرة المعارف النظامية ، حيدر آباد ، الهند ، ط١ ، ١٣٤٤هـ.

٧٥- سير أعلام النبلاء، شمس الدين الذهبي، إشراف شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٨، ١٤١٢هـ.

٧٦- الشاهد الشعري في تفسير القرآن، د. عبد الرحمن بن معاضة الشهري، مكتبة المنهاج، الرياض، ط١، ١٤٣١هـ.

٧٧- شرح المقدمة الجزرية، أ.د. غانم قدوري الحمد، مركز الدراسات والمعلومات القرآنية بمعهد الإمام الشاطبي، جدة، ط١، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٩م.

٧٨- شرح صحيح مسلم = المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، محيي الدين النووي (ت: ٦٧٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ١٣٩٢هـ.

٧٩- شُعَب الإيمان: أبو بكر البيهقي (ت: ٤٥٨هـ)، تحقيق: د. عبد العلي عبد الحميد حامد، إشراف: مختار أحمد الندوي، مكتبة الرشد بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، ط١: ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م.

٨٠- صحيح أبي داود (الأم)، محمد ناصر الدين الألباني (ت: ١٤٢٠هـ)، مؤسسة غراس للنشر والتوزيع، الكويت، ط١، ١٤٢٣ هـ / ٢٠٠٢ م.

٨١- صحيح البخاري: محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي (ت: ٢٥٦هـ)، دار ابن كثير، اليمامة - بيروت، ط٣: ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

٨٢- صحيح الترغيب والترهيب: محمد ناصر الدين الألباني (ت: ١٤٢٠هـ)، مكتبة المعارف - الرياض، ط٥.

٨٣- صحيح مسلم: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت: ٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي - بيروت.

٨٤- طريق الهجرتين وباب السعادتين، شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ)، دار السلفية، القاهرة، مصر، ط٢، ١٣٩٤هـ.

٨٥- علم إعراب القرآن: تأصيل وبيان، د. يوسف بن خلف العيساوي، دار الصميعي، الرياض، ط١، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م.

٨٦- علم الاستنباط من القرآن: المفهوم والمنهج، د. نايف بن سعيد الزهراني، مركز الدراسات والمعلومات القرآنية بمعهد الإمام الشاطبي، جدة، ط١، ١٤٤٠/ ٢٠١٨م.

٨٧- علوم القرآن بين البرهان والإتقان: دراسة موازنة، د. حازم سعيد حيدر، دار الزمان، المدينة المنورة، ط٢، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.

٨٨- عمل اليوم والليلة، أحمد بن محمد بن إسحاق الدِّيْنَوَرِيّ، المعروف بابن السُّنِّي (ت: ٣٦٤هـ)، تحقيق: كوثر البرني، دار القبلة للثقافة الإسلامية ومؤسسة علوم القرآن، جدة / بيروت.

٨٩- فتح الباري شرح صحيح البخاري: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني الشافعي (ت: ٨٥٢هـ)، تحقيق: محب الدين الخطيب، تعليق: عبد العزيز ابن باز، ترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ.

٩٠- فضائل القرآن: أبو عُبيد القاسم بن سلاّم الهروي (ت: ٢٢٤هـ):

-تحقيق: د. عبد الواحد الخياطي، وزارة الأوقاف المغربية، ط: بدون، ١٤١٥/١٩٩٥م.

-تحقيق: مروان العطية، وآخرين، دار ابن كثير (دمشق - بيروت)، ط١: ١٤١٥ هـ/١٩٩٥ م.

٩١- فضائل القرآن: جعفر بن محمد المستغفري (ت: ٤٣٢)، تحقيق: د. أحمد فارس السلوم، دار ابن حزم، ط١، ٢٠٠٨م.

٩٢- فضل القرآن الكريم: دراسة موضوعية، د. عبد السلام الجار الله، رسالة جامعية مصورة.

٩٣- القاموس المحيط، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (ت٨١٧هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٨، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

٩٤- القطع والائتناف: أبو جعفر النَّحَّاس أحمد بن محمد المرادي النحو (ت: ٣٣٨هـ)، تحقيق: د. أحمد خطاب العمر، مطبعة العاني - بغداد، ١٣٩٨هـ.

٩٥- كتاب المصاحف، أبو بكر عبد الله بن أبي داود السجستاني، تحقيق: د. محب الدين واعظ، دار البشائر الإسلامية، ط١، ١٤١٥هـ.

٩٦- الكلِّيات، أبو البقاء أيوب بن موسى الكفوي (ت: ١٠٩٤هـ)، تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت.

٩٧- لسان العرب، ابن منظور الإفريقي (ت٧١١هـ)، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ.

٩٨- مباحث في إعجاز القرآن، أ.د. مصطفى مسلم، دار القلم: دمشق، ط٣، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م.

٩٩- مباحث في التفسير الموضوعي، أ.د. مصطفى مسلم، دار القلم: دمشق، ط٤، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م.

١٠٠- مباحث في علوم القرآن، مناع القطان، دار المعرفة، القاهرة، ط٣، د.ت.

١٠١- متن العقيدة الطحاوية، أبو جعفر محمد بن سلامة الأزدي الطحاوي (ت: ٣٢١هـ)، شرح وتعليق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي — بيروت، ط٢، ١٤١٤هـ

١٠٢- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: علي بن أبي بكر الهيثمي (ت: ٨٠٧هـ)، دار الفكر - بيروت، ١٤١٢هـ.

١٠٣- مجموع الفتاوى: تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن تيمية (ت: ٧٢٨هـ)، تحقيق: عبد الرحمن

ابن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، (مصورة) ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.

١٠٤- محاضرات في علوم القرآن، أ.د. غانم قدوري الحمد، دار عمار: عمّان- الأردن، ط١: ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م.

١٠٥- المحرر في أسباب النزول (من خلال الكتب التسعة)، د. خالد بن سليمان المزيني، دار ابن الجوزي: الدمام، ط١، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.

١٠٦- المحرر في علوم القرآن، د. مساعد بن سليمان الطيار، مركز الدراسات والمعلومات القرآنية بمعهد الإمام الشاطبي، جدة، ط٣، ١٤٣٢هـ.

١٠٧- المحكم في نقط المصاحف، أبو عمرو الداني (ت: ٤٤٤هـ)، تحقيق: د. عزة حسن، دار الفكر - دمشق، ط٢، ١٤٠٧هـ.

١٠٨- مختار الصحاح، زين الدين محمد بن أبي بكر الرازي (ت: ٦٦٦هـ)، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، لبنان، ط٥، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.

١٠٩- مدخل إلى التعريف بالمصحف الشريف، د حازم سعيد حيدر، مركز الدراسات والمعلومات القرآنية بمعهد الإمام الشاطبي، جدة، السعودية، ط١، ١٤٣٥هـ/٢٠١٤م.

١١٠- المدخل إلى علم القراءات، د. عبد القيوم السندي، مركز الدراسات والمعلومات القرآنية بمعهد الإمام الشاطبي، جدة، السعودية، ط١، ١٤٣٩هـ/٢٠١٨م.

١١١- مذكرة في أصول التفسير ومناهجه (غير مطبوعة)، أ.د. مساعد بن سليمان الطيار.

١١٢- المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز، أبو شامة المقدسي الدمشقي (ت: ٦٦٥هـ)، تحقيق: طيار آلتي قولاج، دار صادر، بيروت، ١٣٩٥هـ /١٩٧٥م.

١١٣- المستدرك على الصحيحين: أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله النيسابوري (ت: ٤٠٥هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١١هـ/١٩٩٠م.

١١٤- مسند الإمام أحمد بن حنبل: أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، (ت: ٢٤١هـ)، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرين، مؤسسة الرسالة ببيروت، ط٢، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

١١٥- مشكل القرآن الكريم، د.عبد الله بن حمد المنصور، دار ابن الجوزي، الدمام، ط١، ١٤٢٦هـ.

١١٦- المصفى بأكف أهل الرسوخ من علم الناسخ والمنسوخ، أبو الفرج ابن الجوزي (ت: ٥٩٧هـ)، تحقيق: حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة، ط٣ ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.

١١٧- المعجم الكبير، أبو القاسم الطبراني، تحقيق: حمدي السلفي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط٢، د.ت.

١١٨- المعجم الوسيط: إبراهيم مصطفى وأحمد الزيات وحامد عبد القادر ومحمد النجار، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، دار الدعوة - مصر.

١١٩- مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة: شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت.

١٢٠- مفحمات الأقران في مبهمات القرآن، جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١ هـ)، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، مؤسسة علوم القرآن، دمشق - بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ /١٩٨٢م.

١٢١- المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد الراغب الأصفهانى (ت٥٠٢هـ)، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية- دمشق بيروت، ط١، ١٤١٢هـ.

١٢٢- مفهوم التفسير والتأويل والاستنباط والتدبر، د مساعد الطيار، دار ابن الجوزي، ط٢، ١٤٢٧هـ.

١٢٣- مقاييس اللغة: أبو الحسين أحمد بن فارس القزويني الرازي (ت: ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر: بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

١٢٤- المقدمات الأساسية في علوم القرآن، عبد الله بن يوسف الجديع، الجديع للبحوث والاستشارات، ليدز، بريطانيا، ط٢، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م.

١٢٥- مقدمة تفسير ابن النَّقيب في علم البيان والمعاني والبديع وإعجاز القرآن، ابن النقيب المقدسي الحنفي (ت:٦٩٨)، تحقيق: د. زكريا سعيد علي، مكتبة الخانجي: القاهرة. د.ت.

١٢٦- مقدمة في أصول التفسير، تقي الدين أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية (ت:٧٢٨)، تحقيق عصام الحرستاني، ومحمد شكور، دار عمار: الأردن، ط١: ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

١٢٧- المقنع في معرفة مرسوم مصاحف أهل الأمصار، أبو عمر الداني (ت:٤٤٤)، تحقيق محمد أحمد دهمان، دار الفكر: دمشق، ط٢، ١٤٠٤/ ١٩٨٣م.

١٢٨- المكي والمدني في القرآن الكريم: دراسة تأصيلية نقدية للسور والآيات من أول القرآن إلى نهاية سورة الإسراء. د. عبد الرزاق حسين أحمد، دار ابن عفان، ط١، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

١٢٩- المكي والمدني من السور والآيات: من أول سورة الكهف إلى آخر سورة الناس، د. محمد بن عبد العزيز الفالح، دار التدمرية، الرياض، ط١: ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م.

١٣٠- المكي والمدني في القرآن الكريم، أ.د. محمد عبد الرحمن الشايع، د.ن، ط١: ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

١٣١- ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل، أبو جعفر ابن الزبير الثقفي الغرناطي (ت: ٧٠٨هـ)، تحقيق: سعيد الفلاح، دار الغرب الإسلامي.

١٣٢- المنار المنيف في الصحيح والضعيف، ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ)، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتبة المطبوعات الإسلامية، حلب، ط١، ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م.

١٣٣- مناهج الجدل في القرآن الكريم، د. زاهر بن عواض الألمعي، د.ن، ط٣، ١٤٠٤هـ.

١٣٤- مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزرقاني (ت: ١٣٦٧هـ)، المكتبة العصرية، صيدا، لبنان، ط١، ١٤١٤هـ/١٩٩٦م.

١٣٥- منجد المقرئين ومرشد الطالبين: شمس الدين محمد ابن الجزري (ت: ٨٣٣هـ)، تحقيق: علي العمران، دار عالم الفوائد، مكة، ط١، ١٤١٩هـ /١٩٩٨م.

١٣٦- منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية، تقي الدين أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ)، تحقيق د. محمد رشاد سالم، مؤسسة قرطبة، ط١، ١٤٠٦هـ.

١٣٧- منهج الاستنباط من القرآن الكريم، د. فهد بن مبارك الوهبي، مركز الدراسات والمعلومات القرآنية بمعهد الإمام الشاطبي، جدة، السعودية، ط١، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.

١٣٨- الموافقات، إبراهيم بن موسى الشاطبي (ت: ٧٩٠هـ)، تحقيق: مشهور حسن سلمان، دار ابن عفان، ١٤٢١.

١٣٩- موسوعة التفسير المأثور: مركز الدراسات والمعلومات القرآنية بمعهد الإمام الشاطبي، دار ابن حزم: بيروت، ط١: ١٤٣٩هـ/٢٠١٧م.

١٤٠- الميسر في علم عد آي القرآن: أ.د. أحمد خالد شكري، مركز الدراسات والمعلومات القرآنية بمعهد الإمام الشاطبي، ط٢: ١٤٣٦/ ٢٠١٥م.

١٤١- النبأ العظيم، د. محمد بن عبد الله دراز (ت: ١٣٧٧هـ)، اعتنى به: أحمد مصطفى فضلية، دار القلم، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م

١٤٢- النشر في القراءات العشر: شمس الدين محمد ابن الجزري (ت: ٨٣٣ هـ)، تحقيق: علي محمد الضباع، طبعة التجارية الكبرى، تصوير دار الكتاب العلمية.

١٤٣- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر البقاعي (ت: ٨٨٥هـ)، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

١٤٤- النكت على كتاب ابن الصلاح، ابن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢هـ)، تحقيق: ربيع المدخلي، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ط١، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

١٤٥- النهاية في غريب الحديث والأثر: المبارك بن محمد بن محمد الشيباني الجزري ابن الأثير (ت: ٦٠٦هـ)، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

١٤٦- الوجوه والنظائر في القرآن الكريم، مقاتل بن سليمان البلخي (ت:١٥٠)، تحقيق: أ.د. حاتم الضامن، مركز جمعة الماجد، دبي، ط١، ١٤٢٧هـ/ ١٩٩٦م.

١٤٧- وقوف القرآن وأثرها في التَّفسير، د. مساعد بن سليمان الطيار، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة ط١، ١٤٣١هـ.

ثانيًا: المجلات وأوراق الملتقيات:

١٤٨- أهداف ترجمات القرآن وأنماطها عبر التاريخ، د. محمود الربداوي، مجلة التراث العربي، العدد ٩٨، جمادى الأولى، ١٤٢٦هـ.

١٤٩- أول من ألَّف في علوم القرآن: رؤية جديدة، د. خالد بن يوسف الواصل، مجلة البحوث والدراسات القرآنية، ع١١، محرم ١٤٣٣-١٤٣٤= ديسمبر ٢٠١١/٢٠١٢م.

١٥٠- تاريخ ترجمة المستشرقين لمعاني القرآن الكريم وبيان خطرها. د. محمد حمادي الفقير. ضمن بحوث ندوة «ترجمة معاني القرآن الكريم تقويم للماضي وتخطيط للمستقبل» المنعقدة بمجمع الملك فهد بالمدينة المنورة عام ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

١٥١- ترجمة القرآن: حقيقتها وحكمها، أ.د. علي بن سليمان العبيد، ضمن بحوث ندوة «ترجمة معاني القرآن الكريم تقويم للماضي وتخطيط للمستقبل» المنعقدة بمجمع الملك فهد بالمدينة المنورة عام ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

١٥٢- تقرير جهود المملكة العربية السعودية في مجال تَرجمة معاني القرآن الكريم من خلال مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشَّريف بالمدينة المنورة، إعداد: مركز التَّرجمات بالمجمع.

١٥٣- حديث أبي بن كعب رضي الله عنه في فضائل السور وموقف المفسرين منه، د.ناصر المنيع، مجلة معهد الإمام الشاطبي للدراسات القرآنية ع٦.

١٥٤- علم الانتصار للقرآن الكريم وموقعه بين مباحث القرآن، عبد الرحمن خير الله الشريف، مجلة تبيان، ع١٣، ١٤٣٤هـ.

١٥٥- مفهوم التدبر في ضوء القرآن والسنة وأقوال السلف وأحوالهم، د. محمد عبد الله الربيعة، الملتقى العلمي الأول لتدبر القرآن الكريم، ١٤٢٩هـ..

١٥٦- مفهوم النسخ عند المتقدمين والمتأخرين: نظرة تقويمية، د. مساعد بن سليمان الطيار، مجلة تبيان، ع١٨.



فهرس الموضوعات

الموضــوع الصفحة

الفصل الثاني: علوم جَمْع القرآن

الفصل الثالث: علوم خصائص القرآن وحُقوقه

الفصل الخامس: علوم تَفْسير القرآن

الفصل السادس: علوم لُغة القرآن وأسالِيبه

إصدارات مركز الدراسات والمعلومات القرآنية

١- مجلة معهد الإمام الشاطبي للدراسات القرآنية: مجلة علمية محكَّمة نصف سنوية؛ صدر العدد الأول منها في ربيع الآخر ١٤٢٧هـ = (١ – ٢٨ عددًا).

متوفرة على رابط المجلة: https://goo.gl/xJwtdN

٢- الأعمال الكاملة للشيخ العلامة عبد الفتاح القاضي؛ إشراف ومراجعة: أ.د. عبد العزيز القارئ. (١ -٧ مج).

٣- موسوعة التفسير المأثور: مركز الدراسات والمعلومات القرآنية. (١ -٢٤ مج)، ط٢: ١٤٤٠هـ

٤- منهج الاستنباط من القرآن الكريم: فهد الوهبي- سلسلة الرسائل الجامعية.

٥- إقراء القرآن الكريم: منهجه وشروطه وأساليبه وآدابه: دخيل الدخيل- سلسلة الرسائل الجامعية.

٦- منظومة المقدمة الجزرية: لابن الجزري؛ تحقيق: أ.د. غانم قدوري الحمد.

٧- تجربة المقرأة الثانية في تعليم القرآن: موسى الجاروشة- الطبعة الأولى.

٨- تعليم تدبر القرآن الكريم: أساليب عملية ومراحل منهجية: أ.د. هاشم الأهدل- ط٣ (مزيدة).

٩- الحسبه بشرح منظومة إتحاف الصحبه بما خالف فيه حفصًا شعبه: محمد عبد الله الشنقيطي.

١٠- مدخل إلى التعريف بالمصحف الشريف: أ.د. حازم سعيد حيدر.

سلسلة المقررات الدراسية (١-١٢)

١- المحرر في علوم القرآن: أ.د. مساعد الطيار – تسع طبعات.

٢- شرح المقدمة الجزرية: أ.د. غانم قدوري الحمد- ثلاث طبعات. ط٣ (منقحة).

٣- الشرح الوجيز على المقدمة الجزرية: أ.د. غانم قدوري الحمد- سبع طبعات- ط٣ (منقحة).

٤- الميسر في علم التجويد: أ.د. غانم قدوري - أربع طبعات.

٥- الميسر في علم عدِّ آي القرآن: أ.د. أحمد خالد شكري-طبعتان- ط٢ (منقحة).

٦- الميسر في علم رسم المصحف وضبطه: أ.د. غانم قدوري – ثلاث طبعات.

٧- التحرير في أصول التفسير: أ.د. مساعد الطيار- خمس طبعات.

٨- المدخل إلى علم القراءات: د. عبد القيوم السندي. الطبعة الأولى.

٩- حلية أهل القرآن (آداب حملة القرآن): مركز الدراسات والمعلومات القرآنية، الطبعة الأولى.

١٠- علم الاستنباط من القرآن: المفهوم والمنهج، د.نايف سعيد الزهراني، الطبعة الأولى.

١١- الميسر في أصول التفسير، مركز الدراسات والمعلومات القرآنية، الطبعة الأولى.

١٢- الميسر في علوم القرآن، مركز الدراسات والمعلومات القرآنية، الطبعة الأولى.

سلسلة الكشافات والأدلة

إعداد: مركز الدراسات والمعلومات القرآنية (١-٨)

١- دليل الكتب المطبوعة في الدراسات القرآنية (حتى عام ١٤٣٠هـ=٢٠٠٩م).

٢- دليل أوعية تعليم القرآن الكريم حتى عام ١٤٣٣هـ= ٢٠١٢م- طبعتان.

٣- دليل الرسائل الجامعية في علوم القرآن حتى عام ١٤٣٥هـ=٢٠١٤م.

٤- دليل كتب علوم القرآن المسندة المطبوعة.

٥- دليل أوعية تدبر القرآن الكريم.

٦- دليل الأعمال والدراسات العلمية المتعلقة بتفسير ابن جرير.

٧- دليل الأعمال والدراسات العلمية المتعلقة بتفسير ابن كثير.

٨- دليل الأعمال العلمية المطبوعة المتعلقة بالمنظومة الشاطبية.